منبر الإسلام

عدد ١ ـ السنة ٢٢ ـ المحرم ١٣٨٤ ـ يونية ١٩٦٤
الثمن ٥ قروش
عدد ممتاز

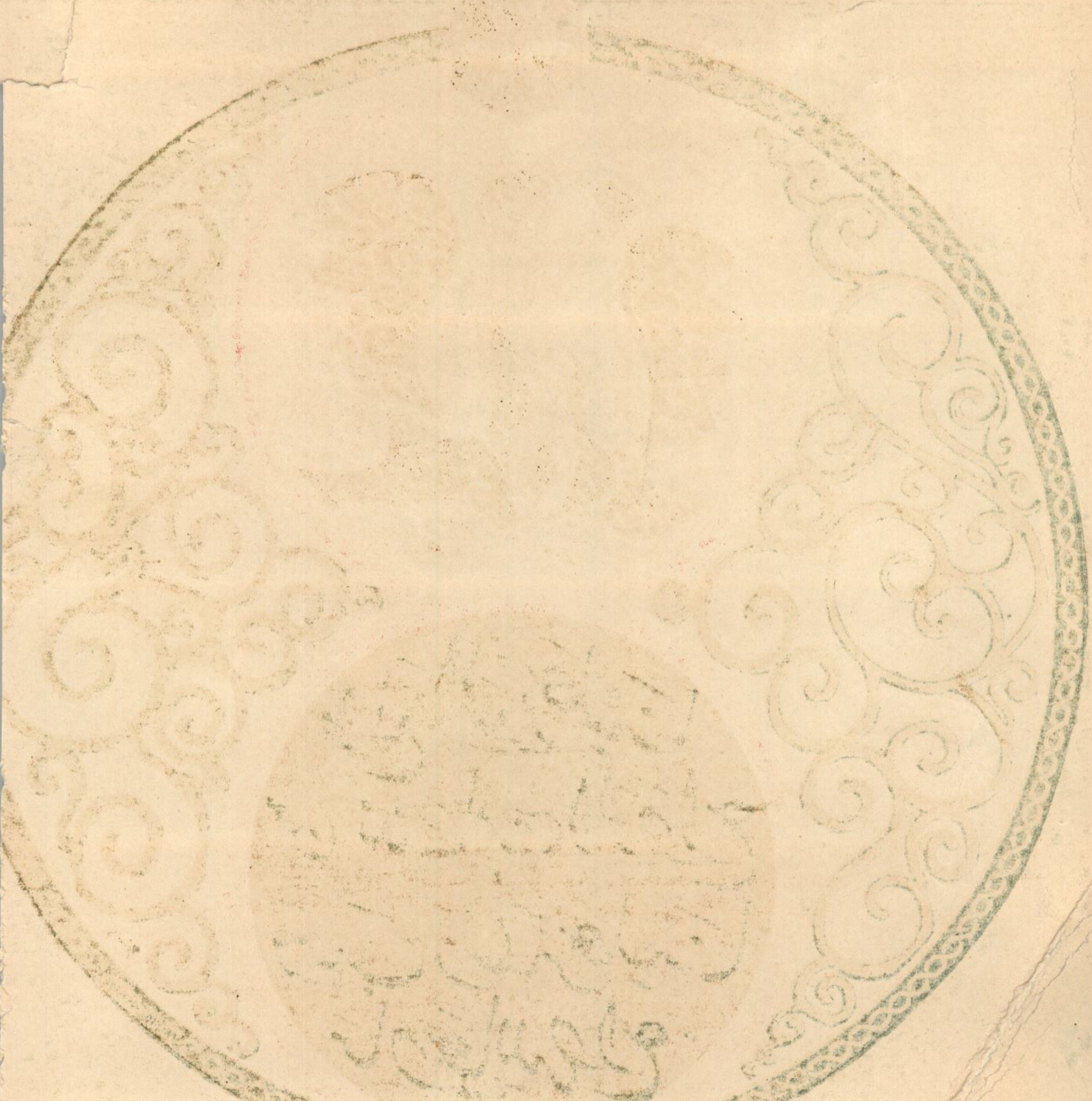

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضة

العدد ١ السنة ٢٢

المحرم ١٣٨٤

يونيه ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- خطب سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- كلمة السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية فى مؤتمر مجمع البحوث الاول
- تدعيم الروابط الاقتصادية بين تونس والجمهورية العربية المتحدة
- السيد الاستاذ أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وشئون الازهر يتحدث فى حفل توزيع جوائز المسابقة الصيفية الثالثة بقاعة الغرفة التجارية
- فرحة المؤمنين بانتصار الحق على الباطل ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى
- وجهة الاسلام فى التكافل الاجتماعى ـ فضيلة الشيخ أحمد هريدى
- حديث القرآن عن الازواج والزوجات ـ فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى
- الاسلام والمسلمون فى يوغوسلافيا ـ الحاج سليمان كمورا
- اشتراكيون مسلمون ـ الدكتور احمد الحوفى
- خواطر مستشار ـ المستشار على على منصور
- الخلافة أو مكان الانسان فى الكون ـ الأستاذ البهى الخولى
- المفتى ـ المرأة المسلمة ـ مع القراء ـ لماذا أسلمت ـ بين يدى أمهات المؤمنين .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة من البلاد الاخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق .....

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن

كل عام وأنتم بخير ..

الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة وفى كل بلد عربى يقدر كل التقدير العمل الجبار الذى قمتم به طوال عام ونصف التى مضت هنا فى اليمن .. عملية اليمن عملية كبيرة ماكانتش أبداً عملية صغيرة .. وثورة اليمن أساسا كان لها فضل كبير فى تغيير مجرى الامور التى كانت تسير فى أنحاء العالم العربى .. خاصة بعد الانفصال عام ١٩٦١ ، فقد كنا نتعرض لهجوم عنيف من الرجعية والاستعمار .. وكانت ثورة اليمن هى النقطة الحاسمة التى تحولت بها معركتنا الدفاعية

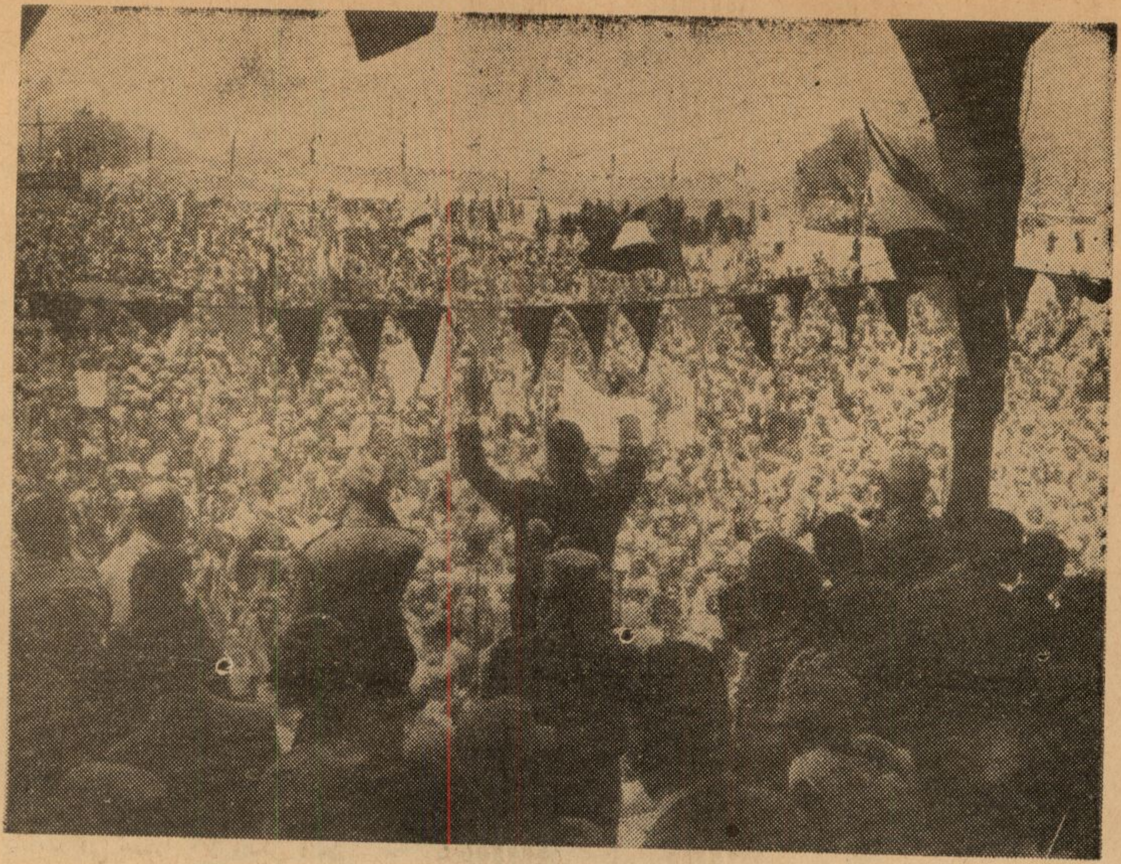

الى معركة هجومية علشان كده سنجد الانجليز لغاية النهارده وحيفضلوا لغاية بكره ينظروا الى وجودكم هنا فى حقد وكراهية.. وينظروا الى ثورة اليمن بحقد أعمى لأنهم يريدوا أن يستمروا فى سياستهم الاستعمارية فى شبه الجزيرة العربية فى عدن وفى الخليج .. رأى ثورة نحو الحرية بتقطع منهم جزء كبير فى الوقت اللى بيحسبوه على أساس انهم يقدروا يقعدوا تحت ستار أى شىء كمحميات أو اتحاد الجنوب العربى الى آخر هذه الأسماء .

والنقطة الثانية التى أحب أكررها وقلتها لاخوانكم فى مصر أن فى سنة ١٩٥٦ ماخلتلناش فرصة بأى حال اننا ندخل الحرب وسنة ١٩٤٨ أيضا .. الأيام التى أمضيناها فى الحرب كانت أيام معدودة ولكن هذه الأيام قطعنا ان احنا كقوات مسلحة تحارب فعلا عدو بيجى له امدادات ..

قد تكون هذه الحرب أصعب من الحرب النظامية .. انتم هنا الحمد لله سيطرتم على الموقف واذا كانت بتظهر بعض الأحداث الصغيرة فدى لا بد منها وأنا فى رأيى انها حتستمر مدد طويلة، ان شاء الله بعد استقرار الموقف السياسى بجانب الموقف العسكرى بيرجع عدد كبير منكم الى مصر ويستمر فى التدريب والدروس المستفادة علشان نقوم بأى واجب يفرضه الوطن علينا .

من عدة أيام فى كتاب طلع فى اسرائيل عن حرب عام ١٩٥٦ كاتبه واحد اسرائيلى بيقول ان فى سنة ١٩٥٦ انجلترا وفرنسا طلبوا من بن جوريون أن يحارب ويدولوا حزام جوى وحزام بحرى ويدخل هو يحارب مصر ، ولكن بن جوريون رفض وطلب ان انجلترا وفرنسا أولا يضربوا جميع المطارات والمواقع الاستراتيجية المهمة المصرية علشان يشترك معهم فى المؤامرة التى حصلت سنة ١٩٥٦، وماجتلوش الجرأة انه يتصدى وحده للجيش المصرى واحنا فى سنة ١٩٥٦ كنا لسه بالنسبة للمعدات ماهضمناش منه الا الجزء البسيط. والنهارده عرفنا هذه المعدات ننتج ذخيرتها

وننتج معدات أخرى وعرفنا استخدامها والتكتيكات ولازم نقدر بنفسنا التقدير السليم ونعرف ان احنا قادرين أن نقوم بأى واجب يطلبه منا الوطن .

لن ننساكم أبدا

وأرجو أن تبلغوا اخوانكم فى جميع الوحدات تحياتى وتحيات شعب الجمهورية العربية المتحدة وتقديرى وكذا شعب الجمهورية العربية المتحدة . وهذا التقدير تقدير عميق من قلب كل من فى مصر والشعب فى مصر لم ينساكم أبدا وباستمرار يفكرون فيكم ويقدرون كل التقدير الواجب الذى تقومون به ونحن فى مصر معكم باستمرار خصوصا فى الأيام الصعبة التى كانت منذ سنة وعدة شهور كنا نسير معكم على الخريطة وكنا نبحث فى طبيعة المهمة الملقاة على عاتقكم نظرا لطبيعة الأرض المتغيرة عن طبيعة الأرض التى لدينا فى مصر .. ولكن الحمد لله اليوم نشعر بفخر كبير ونشعر أنكم رفعتم رأس الامة العربية كلها ورأس الشعب فى مصر ورفعتم رأس القوات المسلحة العربية والقوات المسلحة المصرية فوجدت لها تقاليد ووجدتم الظروف التى افتقدناها فى سنة ١٩٥٦ وقبل سنة ١٩٥٦ استشهد اخوة لنا وأعزاء علينا وهذا الاستشهاد واجب كل واحد منا وكل واحد منا عليه واجب ويجب أن يؤدى هذا الواجب اذا كتب عليه الاستشهاد .

فقد أدى واجبه انه استشهد فى سبيل قضية كبرى لا فى سبيل قضية شخصية ولا فى سبيل قضية فردية .. ولكن هى قضية شعب وقضية أمة .. انكم ترون هنا الشعب اليمنى قد فاتته الظروف وفى التاريخ قفلت عليه الأبواب ليفرض عليه التأخير .. وهذا الشعب اليمنى اذا فك عنه هذا التأخير فانه يستطيع التعاون مع الشعوب العربية الاخرى وأن يعمل الشىء الكثير ..

أرجو الله أن يوفقكم دائما وأرجو الله أن يسهر دائما على رعايتكم حتى تعودوا الى وطنكم سالمين وأشكركم .

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الخطاب التالى :

أيها الاخوة الأعزاء ..

كل عام وأنتم بخير وأنا سعيد جدا وأنا أمضى معكم هذه الأيام السعيدة من العيد المبارك .. لقد رأيت اليوم أيها الاخوة شعب اليمن فى طريقى اليكم ، على جانبى الطريق وهو يمتلىء قوة وحماسا وأشعر من كل نفسى وكل قلبى أن هذا الشعب الذى كبت مئات السنين سيستطيع ان يبنى ويبنى وسيحقق فى معركة البناء النصر كما حققه فى معركته ضد الرجعية والاستعمار

أيها الاخوة .. ثورتكم .. ثورة ٢٦ سبتمبر هذه الثورة كانت نقطة تحول كبرى فى تاريخ الامة العربية لأن الرجعية بعد الانفصال فى سوريا شعرت وشعر معها الاستعمار أن الدنيا قد دانت لهم وان فى استطاعتهم أن يضعوا الامة العربية داخل مناطق النفوذ .

ثورتكم قضت على أحلام الاستعمار

ولكن قامت ثورتكم هنا فى اليمن فقضت على أحلام الاستعمار وعلى أحلام أعوان الاستعمار وكان لها الصدى الكبير فى كل أنحاء الامة العربية .

ووقفت الشعوب العربية جميعا تؤيدكم وانا نذكر الطيارين العرب الذين وجهوا لضرب اليمن ولكنهم رفضوا أن يقوموا بهذا العمل وفضلوا أن يحضروا بطائراتهم الى مصر .

هذا أيها الاخوة المواطنون .. هذا هو أحسن مثل لمشاركة الامة العربية لكم فى ثورتكم المجيدة .. ثورة الأحرار .. ان هذه الثورة التى مضى عليها اكثر من عام ونصف عام حققت الشىء الكثير .. انتصرت على الاستعمار وانتصرت على أعوان الاستعمار .. وانتصرت على الرجعية ثم فى نفس الوقت استطاعت أن تبنى أسس المجتمع الجديد .. المجتمع المبنى على الدين الاسلامى .. فان دين الاسلام هو دين الحرية دين الاسلام هو دين تكافؤ الفرص .. دين المساواة دين الاسلام هو الا سادة ولا عبيد .. كلنا سادة ... وكلنا عبيد لله الواحد القهار .

النصر الأكبر

هذا أيها الاخوة المواطنون هو النصر الاكبر الذى حققته ثورتكم فلكم أيها اخوة المواطنون أن تشكروا الله الذى منحكم هذا النصر وأن تشكروا طليعتكم الثورية التى خرجت فى يوم ٢٦ سبتمبر تعرض نفسها للقتل والاستشهاد وعلى رأسها الرئيس السلال واخوته من الضباط الأحرار ..

لقد خرجوا فى هذا اليوم لدق أعتى قلعة من قلاع الطغيان وهم يعلمون انهم بهذا سيتعرضون لمؤامرات الاستعمار والرجعية .. وهم يعلمون ان الثورة فى الماضى استطاعت أن تعيش بضعة أيام ولكنها لم تستطع أن تكمل الطريق .. وهم يعلمون انهم فى عملهم هذا انما يعطون لوطنهم ولربهم روحهم ودمهم ونفوسهم وقلوبهم .. ولكن الله العلى القدير نصرهم ونصر بهم شعب اليمن الحر الثائر .

أيها الاخوة الأحرار ..

أيها الاخوة الثوار ..

اذا كنا نحتفل اليوم هنا فى صنعاء .. هنا فى قلب اليمن الثائر .. هنا فى قلب اليمن الحر .. اذا كنا نحتفل بالعيد ، واذا كنا نحتفل بحرية الشعب اليمنى الذى قضى على أعتى الطغاة والذى قضى على مؤمرات الاستعمار كأننا نذكر أخوة لنا فى الجنوب المحتل وفى عدن تعرضوا لأبشع صور القسوة وأبشع صور الارهاب وأبشع صور التعذيب من الاستعمار البريطانى .. واننا نقول .. أنا أتكلم باسم شعب الجمهورية العربية المتحدة وأنتم هنا باسم اليمن الحر الثائر تقولون لهؤلاء الاخوة الأعزاء فى عدن وفى الجنوب المحتل اننا معكم أيها الاخوة بدمائنا وقلوبنا وأرواحنا واننا لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نرضى بالاستعمار أو نرضى بالاحتلال .. فعلى بريطانيا أن تخرج من أرض العرب .. لأن أرض العرب للعرب ولا بد أن تتحرر أيضا عمان وتتحرر باقى أجزاء الجزيرة العربية التى يتحكم فيها الاستعمار ، ونحن علينا دين لله .. نحن هنا هذا الشعب اليمنى عليه دين لله لأن الله نصره .. عليه دين أن يساعد اخوته الذين يكافحون الاستعمار البريطانى والذين يقاسون فى سجون الاستعمار البريطانى والذين قاسوا من أرهاب الاستعمار البريطانى .

ان شعب الجمهورية العربية المتحدة أيها الاخوة .. شعب مصر يؤيدكم بكل روحه وبكل قوته .. وشعب مصر وشعب اليمن والامة العربية كلها تؤيد الشعب فى عدن والشعب فى الجنوب المحتل .. ولن يستطيع الاستعمار ان يبقى أبدا فى أى جزء من اجزاء الأمة العربية لأن الامة العربية قد استيقظت ولأن الامة العربية تعرف طريق قوتها .. ولأن الامة العربية تعرف طريق ثورتها ولأن الامة العربية تعرف ان طريق الحرية وطريق الثورة هو الطريق البناء وطريق رفع مستوى المعيشة ..

والله يوفقكم أيها الاخوة ..

والسلام عليكم ورحمة الله .

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر فى مشايخ القبائل الكلمة التالية :

فى هذه الأيام الثلاثة ، شعرت أن شعب اليمن برجاله الأحرار قادر على الدفاع عن حقوقه وعلى حماية الحرية وأنا على ثقة ان الله الذى نصركم يوم ٢٦ سبتمبر ، سينصركم دائما على أعدائكم واعداء القومية العربية .

لقد نصركم الله بعد كفاح طويل ومرير ، وحين رأيت اخوتكم فى القبائل صباح اليوم وأمس ، أشعر بالثقة ، وأشعر بأن الله أراد أن يأخذ اليمن دوره الطبيعى فى الحضارة ، وقد استطاع شعب اليمن أن ينشر الاسلام فى ربوع الدنيا ، كان اليمن يجوب سيرا لينشر الحضارة وينشر الدين الاسلامى ، ولكن الرجعية التى حكمت اليمن ابت الا ان تنشر الفوضى ، ولكن الله سينصركم ، وان شاء الله سيخرج اليمن الثائر لينشر الحضارة فى العالم كما نشرها أجدادكم من قبل .

وكما قلت قبل ذلك ، ان اليمنى مشهور عنه الذكاء ، وعليكم واجب كبير هو واجب البناء ، وواجب ارساء قواعد الحضارة ، واذا اقترن الذكاء بالحضارة والتعليم والبناء فان اليمن سيستطيع أن يكون أكثر بلاد العالم حضارة ومدنية .

والله يوفقكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

زعماء العالم الإسلامي .. في القاهرة

المشير عبد الله السلال .. رئيس الجمهورية العربية اليمنية

من ٩ الى ٢١ أبريل ١٩٦٤

استقبل الرئيس جمال عبد الناصر المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية قادما من أوربا حيث وقع عدة اتفاقات للتعاون الفنى والاقتصادى مع الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا .

وفى القاهرة أمضى الضيف الكريم أسبوعا التقى خلاله بالسيد أنور السادات رئيس مجلس الأمة .. والسيد أحمد الشقيرى ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية .. وقد صرح الشقيرى عقب المقابلة بأنه عرض على الرئيس اليمنى

نتائج الاتصالات التى قام بها فى البلاد العربية والاستعدادات التى تتخذ لعقد المؤتمر الوطنى الفلسطينى يوم ١٤ مايو بمدينة القدس .

وصرح السيد أحمد محمد نعمان المندوب الدائم لليمن فى جامعة الدول العربية بأن المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية سيقوم بزيارة رسمية الى كل من رومانيا والصين الشعبية ويوغوسلافيا بناء على دعوة رسمية وجهت لسيادته من الدول الثلاثة .

وفى ٢١ ابريل ، عاد الضيف اليمنى الى صنعاء .. وكان الرئيس جمال عبد الناصر فى وداعه بالمطار وكذا نواب الرئيس ورئيس الوزراء والوزراء ورئيس مجلس الأمة ورجال السلك الدبلوماسى العربى .

برقيتان متبادلتان بين السلال والرئيس عبد الناصر

وقد تلقى الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية من المشير عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية بمناسبة مغادرته الجمهورية العربية المتحدة عائدا الى اليمن الشقيق :

« يسعدنى وأنا أغادر الأرض الطيبة التى انجبت الأبطال أن أعبر عن شعورى الصادق نحو شخصيتكم العظيمة وحكومة الجمهورية العربية المتحدة الى الوطن العزيز الذى يدين لشقيقه شعب الجمهورية العربية المتحدة بالتقدير والاكبار وعرفان الجميل .

وأنتهز هذه الفرصة لأكرر باسمى وباسم اعضاء الوفد اليمنى عظيم الشكر وبالغ الامتنان راجيا من الله أن يحفظكم ذخرا للعروبة ويسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح .

وقد رد الرئيس جمال عبد الناصر بالبرقية التالية :

« تلقيت بالامتنان والتقدير برقيتكم الرقيقة التى بعثتم بها باسمكم وباسم السادة أعضاء الوفد اليمنى بمناسبة مغادرتكم الجمهورية العربية المتحدة عائدين بسلامة الله الى بلادكم العزيزة . وانى اذ أشكر لكم ما عبرتم عنه من كريم المشاعر الصادقة نحو شعب الجمهورية العربية المتحدة ونحوى .. أرجو لكم التوفيق والسداد . كما يسرنى أن تنقلوا الى الشعب العربى فى اليمن تحياتى مع أخلص الأمانى بالعزة والهناء » .

الرئيس عبد الله السلال فى سطور

- من مواليد صنعاء . تخرج فى ثانوية الحديدة وأتم علومه العسكرية فى كلية بغداد العسكرية .
- عام ١٩٣٤ عاد من العراق الى السجن بتهمة التحدث مع الضباط والجنود عن الحضارة والتقدم .
- بعد خروجه من السجن . كون جمعية الأحرار السرية . فقبض عليه مرة أخرى .
- اشترك فى ثورة فعلية مع البطل العراقى (جمال جميل) وقضى الامام أحمد على الثورة وعاد السلال الى السجن .
- بقى فى السجن من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٥ ، ولاقى ألوان التعذيب ، والأمراض ، واستمر فى نضاله .
- ما أن خرج من السجن حتى أخذ ينظم خلاياه الثورية . وهو الذى خطط حادث المستشفى فى الحديدة حيث أطلق الرصاص على الامام أحمد . وألقى القبض عليه .
- خرج من السجن بعد يوم واحد ليقود ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى أذهلت العالم بنجاحها .
- أخرجت ثورة اليمن الشعب اليمنى من ظلمات الجاهلية الأولى الى نور القرن العشرين .
- خاض السلال عشرات المعارك على رأس القوات اليمنية متعاونا مع قوات الجمهورية العربية المتحدة لتطهير أرض اليمن من أعدائها .
- خطط لحياة سياسية جديدة ونهضة اجتماعية ترتقى بالشعب اليمنى الذى طال حرمانه وهو فى سجن الامام .
- استطاع اليمن أن يلحق بالركب العربى ويقف فى الصف القومى ليسهم فى كتابة تاريخ العرب الحديث .

"نؤمن برباط روحى وثيق يشدنا إلى العالم الإسلامى" الميثاق

فى مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية

المنعقد فى القاهرة فى مارس ١٩٦٤

السيد / حسين الشافعى

نائب رئيس الجمهورية
وعضو مجلس الرياسة

- كان الاستعمار ومازال يتربص بالعالم الإسلامى ليعمل على تفتيت قواه،
- إن المسلمين ينتظرون من علمائهم أن يكشفوا لهم حقائق الإسلام وأن يعرضوها للناس واضحة وخالية من الشوائب.

بسم الله الرحمن الرحيم - والحمد لله رب العالمين - والصلاة والسلام على سيد المرسلين ..

السادة أعضاء مجمع البحوث الاسلامية وضيوف الجمهورية العربية المتحدة ، فى اجتماع هذا المجمع لأول مرة على هيئة مؤتمر فى ظل التنظيم الجديد للازهر الشريف ... ارحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

أيها السادة :

لقد كان الاستعمار ، وما زال يتربص بالعالم الاسلامى ، ليعمل على تفتيت قواه ، حتى يكون هدفا سهلا للتحكم فيه والسيطرة عليه والقضاء على مصادر قوته ، حتى لا تكون هناك عقبة فى طريق استغلاله واستعماره .. واستعان فى ذلك بالأنصار والأعوان ، ليمهدوا له السبيل .. وليعبدوا له الطريق .. وكان لا بد من أن تتولد ارادة التغيير والثورة عليها تنفيذا لأمر الله : **ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .**

وهنا فى الجمهورية العربية المتحدة ، تجلت ارادة الله وقدرته فأعانت ونصرت ارادة الثورة ، ارادة التغيير .. وقد تناولت هذه الارادة .. كل مرافق الحياة .

فقضى على الاستعمار تحريرا للوطن .. وقضى على الاقطاع وسيطرة رأس المال تحريرا للوطن والمواطن ، وأقيمت العدالة الاجتماعية باذابة الفوارق بين الطبقات .. وأقيم الجيش الوطنى القوى ، ليحمى الوطن والمواطن ... ويدافع ضد أى تدخل لعرقلة تنفيذ ارادة التغيير .. وأصبح الأمر مهيئا لقيام الديمقراطية السليمة التى يصادف اجتماعكم بشائر قيام أول مجلس أمة اشتراكى ..

أيها السادة ...

ان الثورة ، ايمانا منها بالأزهر وقيمته .. وبالدور الذى قام به فى ماضيه .. والذى يمكن أن يقوم به كذلك - فى مجتمعنا الحاضر .. سواء فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى الوطن العربى .. والعالم الاسلامى الكبير .. **أقدمت جادة على تطوير الأزهر وتمكينه من أن يؤدى رسالة الاسلام فكرا ، وبحثا ، وعلما ، وعملا ، ليشمل كل نواحى الحياة .**

وكان من بين الهيئات التى نظمها قانون تطوير الأزهر : **مجمع البحوث الاسلامية ..** فوضع نظامه « بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث ، وليقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث .. ويعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. كما جعل من مهمة المجمع أن يتتبع ما ينشر عن الاسلام والتراث الاسلامى، وبحوث الأجانب ودراساتهم للانتفاع بما بها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح أو الرد ، ويعاون فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية فى جامعة الأزهر والاشراف عليها والمشاركة فى امتحانها .. وجعلت شروط العضوية فى هذا المجمع بحيث تضم أصلح العناصر فى أداء مهمتها » ..

وأنتم أول رعيل بين أعضائه بعد تنظيمه الجديد ، ومهمته ملقاة على عاتقكم أنتم العلماء فى جمهوريتنا العربية المتحدة أو فى الوطن العربى والعالم الاسلامى .

وان الاسلام يواجه تحديات قوية وصريحة فى مجتمعنا اليوم .. تحديات تريد أن تنال منه وتقضى عليه ولولا وعد من الله - جل شأنه فيما قال :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ربما كان لوضع الاسلام شأن غير شأنه اليوم .. ولكن تحقيق وعد الله - جل شأنه - مرهون بالايمان بالكتاب والعمل على حفظه من المؤمنين به .

وهنا دور العلماء فى حفظ الاسلام وكتاب الله دور خطير ينتظر منهم المسلمون أن يكشفوا حقائق الاسلام وتعاليمه وأن

يعرضوها للناس واضحة جلية خالية من الشوائب - والتعصب وأن يكون عرضهم اياها ترجمة لايمانهم ، وأن يكون حملهم لهذه القيم انفعالا بأنها طاقات يجب أن تبدد ظلام الخوف والفقر والجهل فى كل مجتمع يؤمن بها ..

ان التحديات التى يواجهها الاسلام اليوم ليست تحديات من الخارج فحسب وانما هى تحديات من الداخل كذلك .. ليست تحديات الاستعمار وأساليبه وانما تحديات الالحاد والانحراف فى الفهم ، أو الانحراف فى السلوك ..

وعلى ذكر الاستعمار ، فلم يتحد الاستعمار كتاب الله وقيمه ومبادئه يشوه جانبا منها وينكر جانبا آخر ، يدفع على السخرية ببعضها وينال باسم العلم بعضا آخر - وانما تحدى كذلك وحدة المسلمين ففرق بينهم وجعلهم شعوبا وطوائف وجماعات ، وجعل مذاهبهم أديانا ، ولغاتهم حواجز ، وأرضهم فواصل وأجناسهم حدودا تحول بين اتصال الأبدان والتقاء القلوب والنفوس .. تحدى الاستعمار ايمان المسلمين وفهم المسلمين لكتاب الله فجعل افهامهم أنواعا مختلفة من الاسلام فأصبح لكل بلد اسلام ، وان الدين عند الله الاسلام منذ أوحى بالرسالة وأرسل الرسل .. فدين الله واحد وكتابه واحد وقرآنه بلسان عربى مبين .

ومع ذلك فقد نال الاستعمار من وحدة الامة الاسلامية كما نال من تعاليم الاسلام ومبادئه .

ولكى يكون المسلمون خير امة أخرجت للناس يجب أن تزول الفواصل والحدود .. ويجب أن يرجع المسلمون الى كتاب الله والى لغته ..

وكما ذكرنا أنتم اعضاء مجمع البحوث الاسلامية عليكم تبعة هذه المهمة وأداء رسالتها .

والله موفقكم ولن يتركم اعمالكم
والسلام عليكم ورحمة الله .

حديث مع السيد
عثمان كشريد
الرئيس المدير العام للديوان التونسى للتجارة

زار الجمهوريه العربيه المتحدة فى مارس الماضى وفد من الحزب الحر الدستورى الجديد فى تونس يضم أحمد بن صالح وزير المالية .. والشاذلى القليبى وزير الثقافه وعبد السلام القلال رئيس قسم الشئون الاقتصادية بالحزب .

وتم توقيع بروتوكول التبادل التجارى بين الجمهورية العربية المتحدة وتونس ، وقد بلغ حجم التجارة بمقتضى البروتوكول الجديد ٩ ملايين دولار سنويا . كما تم الاتفاق على رفع حد المديونيه والتسهيلات التى يمنحها كل من الطرفين للآخر نحو نصف مليون دولار لكى يتناسب مع زيادة حجم التجارة بين البلدين ، وتشمل صادرات الجمهورية العربيةالمتحدة كل احتياجاتالسوق التونسية من سلع ومنتجات معدنية وهندسية وكيماوية وأدوية ومنسوجات . وستقيم الجمهورية العربية المتحدة معرضا للمنتجات فى تونس ليقف المستهلك التونسى على تقدم الجمهورية العربية فى مختلف المجالات .

وفى سفارة تونس بالقاهرة التقيت بالسيد عثمان كشريد الرئيس المدير العام للديوان التونسى للتجارة .. وقد قدم الى القاهرة

تدعيم الروابط الاقتصادية بين تونس و الجمهورية العربية المتحدة

مع الوفد الاقتصادى .. ثم تخلف عن العودة مع الوفد وبقى بضعة أيام فى القاهرة لكى يتمكن من مقابلة بعض المسئولين لتبادل الآراء فى كيفية العمل على تدعيم الروابط الاقتصادية الموجودة مع المؤسسات الاقتصادية الحكومية

وسألت سيادته أن يلقى الضوء على الاتفاقية التجارية المعقودة بين البلدين فقال : كان الاقتصاد التونسى يخضع خضوعا كليا وجزئيا للدولة المستعمرة « فرنسا » ولم يكن لتونس أثناء فترة الاحتلال حرية التعامل مع البلدان الأخرى واقامة علاقات معها بأى حال من الأحوال ـ وبعد أن حصلت تونس على استقلالها كان همها الأول تدعيم اقتصادها وخلق كيانها التجارى فعقدت عدة اتفاقيات تجارية مع كثير من الدول لاقامة علاقات تجارية معها ـ أما المبادلات التجارية بين تونس والبلاد العربية فمحدودة جدا رغم وجود تكامل فى احتياجات تلك الدول الى سلع بعضها . فلو نشطت المعاملات التجارية بين الدول العربية واستوردت كل منها احتياجاتها من الدولة الأخرى لاستطاعت الدول تصريف منتجاتها بين بعضها البعض ولحدث انتعاش فى أسواقها والحفاظ على مستويات منتجاتها بل رفع قيمة الفائض منها واللازم للأسواق الخارجية . وهذا ما تسعى اليه تونس والدول العربية من جهتها وخاصة الجمهورية العربية المتحدة التى قطعت خطوات واسعة نحو التقدم الصناعى .

والاتفاقية التجارية التى عقدت بين الجمهورية العربية وتونس تنقسم قسمين : اتفاقية تجاريه واتفاقية دفوعات ـ أما الاتفاقية التجارية فهى موجودة فعلا منذ عام ١٩٥٧ ، لكنها لم تنفذ نظرا لبعض الظروف ، ولكن نظرا لرغبة الدولتين الأكيدة فى زيادة حجم التبادل التجارى قد اتفق على زيادة المدفوعية أو زيادة الحد الى ٩ ملايين دولار ، لرغبة كلا الدولتين فى استيعاب منتجات الدولة الأخرى ونظرا لتشجيع الشعب فى كل من الدولتين لانتاج الدولة الأخرى . وفتح المركز التجارى بين البلدين ، والعمل على التسهيلات الادارية التى ستشجع على العمل فى هذا النطاق ، أما اتفاقية الدفوعات : فالغرض منها زيادة الميزان التجارى بين البلدين أى الحساب الجارى وقاعدته الدولار .

كما وقع الاتفاق على مساهمة الجمهورية العربية المتحدة فى تمويل بعض المشاريع التونسية وهذا فى نطاق التعاون الدولى .

ولهذا فان الديوان التونسى للتجارة يشرع ابتداء من اليوم فى تنفيذ هذه الاتفاقيات وعلى العموم فان مستقبل العلاقات التجارية بين تونس والجمهورية العربية المتحدة يبشر بالخير .

وقد وضعنا الوسائل التى تهيىء الأسباب للتدعيم الاقتصادى بيننا وبين الجمهورية العربية المتحدة .

والأستاذ عثمان كشريد : تخرج فى كلية الحقوق بتونس . واشتغل فى وزارة المالية مديرا للعلاقات الخارجية . ثم مدير ديوان وزير المال . ثم مدير ادارة التسجيل وهو فى الوقت الحاضر مدير عام الديوان التونسى للتجارة .

وهو يشكر المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة لما لاقاه من استعداد طيب للتفاهم والتعاون .

فرحة المؤمنين بانتصار الحق على الباطل

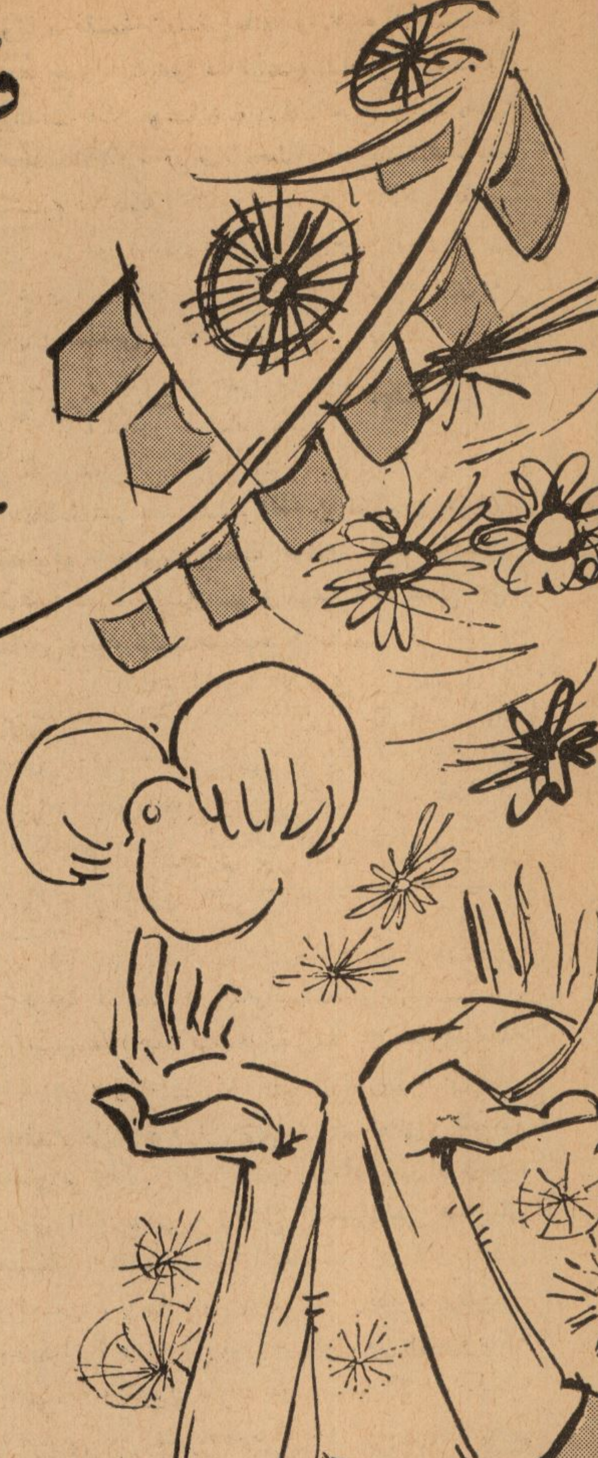

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

سألنى سائل - بمناسبه مانزل أخيرا ببعض الطغاة المفسدين ، والعتاة المستكبرين - قال : هل يجوز للمؤمن أن يفرح بما يصيب الظالم من الانتقام الالهى ، والتأديب الذى يجعله نكالا لما بين يديه وما خلفه ، وهل يعد هذا الفرح من باب الشماتة والتشفى المذمومين ؟

فأجبته بما يأتى :

نعم يجوز للمؤمن أن يفرح بما يصيب المفسد ، وأن يرى فى ذلك شفاء لصدره ، وراحة لنفسه .

ويدل على ذلك آيات من القرآن الكريم : منها قوله تعالى :

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما »

فهاتان الآيتان الكريمتان تقرران أمرين عظيمين فى شأن القرآن الكريم ، وتأتى بهما فى نطاق واحد ، لتدل بجمعهما على أنهما وظيفتان متساويتان من وظائف القرآن :

أحدهما : أن القرآن الكريم يهدى للتى هى أقوم من سنن الحياة والسعى والعمل الصالح ،

فما من تشريع جاء به الا كان هو الصراط المستقيم الذى يهتدى من سلكه ، ويضل من حاد عنه ، وما من خلق أرشد اليه الا وكان هو السلوك القويم الذى يرتفع به صاحبه الى مصاف الأخيار ، ومنازل الأبرار ، وما من قصص قصه على الناس الا وفيه عبرة لأولى الألباب : « **ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** »

والآخر : أن هذا القرآن يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ببشارتين مرتبطة احداهما بالأخرى ارتباطا وثيقا ، هما وعد المحسن بالأجر الكبير ، ووعيد المسىء بالعذاب الأليم ، فقد أتى الله تعالى بكلمة « يبشر » متعدية الى وعد المؤمنين بأن لهم أجرا كبيرا ، ووعيد الكافرين بأن لهم عذابا أليما .

وان واقع الفطرة الانسانية ليقتضى الأمرين جميعا ، فان الانسان لا يستريح نفسا ولاينشط الى سعى حميد ، ولا ينصرف عن خطط السوء والاثم ، الا اذا عرف أن المحسن يجازى باحسانه احسانا ، وأن المسىء يجازى باساءته سوءا ، ولا يكفى أن يعلم تحقق الأول فحسب ، لأنه يقول فى نفسه : اذا كان المسىء قد يفلت من الحساب ، وينجو من العقاب ، فما بالى أجهد نفسى ، وأحاول أن أكون مثاليا فى جميع أعمالى ؟

والقرآن الكريم خير طبيب للقلوب ، ولذلك يعلن أن الله تعالى حكم عدل ، يجزى المحسن باحسانه ، والمسىء باساءته ، ويجعل كلا من هذا وذاك بشرى يبشر بها المؤمنين ، لينزع من قلوبهم ماعسى أن يراودها من تصور افلات المجرم من عدل الله . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تنفى التسوية بين المسلم والمجرم ، والمفسد والمصلح : « **أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ مالكم كيف تحكمون** » « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** » ، « **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض؟ ام نجعل المتقين كالفجار** » .

واذن فللمؤمن - كما تدل هذه الآيات - أن يفرح ويستبشر بما يصيب أهل الفساد من عذاب الله ونقمته ، لأن الفرح بذلك هو فى واقع الأمر ، فرح بانحسار موجات الفساد، وانقشاع غياهب الظلم والبغى فى الأرض بغير الحق ، وهو أيضا تجاوب مع سنة الله تعالى فى عدم التسوية بين المصلحين والمفسدين ، وبين المسلمين والمجرمين .

✻ ومن الآيات الدالة على ذلك أيضا قوله تعالى :

«**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم** » .

وهاتان الآيتان الكريمتان أصرح فى افادة المعنى الذى نستدل على مشروعيته ، فقد أمر الله المؤمنين بأن يقاتلوا المشركين ، فقال : « **قاتلوهم** » وبين أهداف هذا القتال وثمراته المرجوة ، فذكر أنها ستة أهداف يصح قصدها :

أولها : تعذيب الله للكافرين بأيدى المؤمنين ، وذلك قوله تعالى « **يعذبهم الله بأيديكم** » وقد جاء التعذيب فيها سندا الى الله تعالى ، على حد قوله فى آية أخرى « **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ،ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا** » لافادة أن هذا التعذيب وان كان بأيدى المؤمنين ، انما هو بقوة الله ونصره وتدبيره وتمكينه ، وأنه فى أعلى مايكون من المشروعية والصحة والجواز ، اذ هو مسند الى الله فاعله الحقيقى ، وقد أظهره بأيدى المؤمنين حين أمرهم بقتال المشركين ، وجعل من ثمرات هذا القتال تعذيبهم .

الثانى : ايقاع الخزى من الله بهم ، بذل القهر والهزيمة ، وذلك قوله تعالى (**ويخزهم** » وهو منسوب الى الله أيضا ، لافادة ماذكرناه ، ولا تجد شيئا أفعل فى نفس المجرم المفسد الطاغى من شعوره بالخزى والندامة بعد الطغيان والعتو والاستكبار : انه يعيش بعد

الهزيمة فى خزى وانهيار نفسى يلازمانه ، ويحكمان عليه بالانزواء ، وتجنب المجتمعات ، لكيلا يراه الناس فى ثوب ضعفه واستكانته وذله ، بعد كبريائه وعلوه .

والخزى - أعاذنا الله واياكم - هو الانكسار ووقوف موقف الندامة والحسرة ، وقد تردد ذكره فى القرآن الكريم كثيرا ، كقوله تعالى فيمن يتجرون بانتسابهم الى الدين ، ويخالفون أحكامه :

« **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون** » وقوله فيمن تجرأ على بيوت الله فعطل رسالتها وسعى فى خرابها « **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها ، أولئك ماكان لهم أن يدخلوها الا خائفين ، لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** » وقوله فى الذين اتخذوا المكر والكذب والمشاقة والمجادلة بالباطل ميدانا لهم : « **قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد ، فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون ، ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم ، قال الذين أوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين** » **وقوله فى الجاهل الأحمق الذى لاعلم عنده ولا هدى ولا مرجع ، وهو مع ذلك يكابر ويجادل فى كبر وخيلاء :** « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد** »

وفى الحديث الشريف : (اللهم احشرنا غير خزايا ولا نادمين » ، وهو دعاء دعا به جده ابراهيم الخليل - عليهما الصلاة والسلام - فيما يحكيه عنه القرآن الكريم اذ يقول : « **ولاتخزنى يوم يبعثون ، يوم لاينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم** » وقد بشر الله رسوله باستجابة دعائه فقال : « **يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شىء قدير** »

الثالث : نصر المؤمنين على الكافرين ، وهى غاية سامية تقصد من القتال والحرب ، فالمؤمنون هم الذين يحملون رسالة الحق ، ويعلنون مبادىء الحرية والعدل والمساواة ، ويسلمون وجوههم لله الذى خلقهم وأمدهم ورباهم بنعمته واحسانه ، أما الكافرون فهم الجاحدون لله ، المنكرون لنعمته ، العابثون فى الأرض بالفساد والظلم والبغى ، فاذا انتصر المؤمنون فقد انتصرت المبادىء الخيرة الفاضلة التى تسعد بها الانسانية ، واذا انهزم الكفر فقد انهزم الفساد والعبث والطغيان والاستغلال وكل معنى من المعانى الذى تفسد بها الحياة ، ويشقى بها الناس وقد جرت سنة الله فى خلقه ، بأن ينصر المؤمنين أصحاب المثل والجهاد فى سبيله ، وأن يقطع دابر الكافرين مهما أبرق كفرهم ، وأرعد افسادهم « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** » « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين** »

الرابع : شفاء صدور المؤمنين بما يصيب أعداءهم من الهزيمة والكوارث تأديبا لهم ، وعبرة لغيرهم ، وهذا الهدف من أهداف القتال هو الذى نستدل به على جواز أن يتشفى المؤمن بما ينزل من البلاء على أهل البغى والظلم والافساد ، فالله تعالى قد أذن للمؤمنين فى أن يستهدفوا هذا الغرض ، كما أذن لهم أن يستهدفوا غيره من أغراض القتال التى هى تعذيب المشركين واخزاؤهم والنصر عليهم وما يأتى بعد ذلك .

وان فرحة المؤمن بما يصيب الظالم ، وشفاء نفسه ، اذا رأى القوارع تنزل به ، نما يرجعان الى غرض شريف لاينبغى أن يعد أنانية ولا انتصارا شخصيا ، ذلك بأنه يفرح لغلبة الحق على الباطل ، والصلاح على الفساد ، ويشتفى مما عسى أن يراوده - كانسان - حين

يرى المبطل الظالم يعيث فى الأرض فسادا ، ويظلم هذا ، ويؤذى هذا بغير حق ، وهو مع ذلك متسلط متمكن سادر فى غوايتـــه ، مستكبر على النصيحة ، مستهتر لايكاد يعبأ بأحد ، فاذا احتمل المؤمن الأذى فترة ما ، فانه ربما تسرب الى قلبه شىء من الحزن ، وربما أصاب عزيمته شىء من الوهن ، فاذا نزل بالظالم عقاب الله ، شفيت القلوب مما أصابهـــا من الحزن ، وبرئت العزائم مما راودها من الوهن فهذا هو شفاء الصدور الذى ينعم الله به على المؤمنين ، حين يأخذ المفسدين ، ولا ينبغى أن ننسى أن الانسان هو الانسان ، وأن الله تعالى يقول : **« وزلزلوا حتى يقول الرســـول والذين آمنــوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب »** ويقول **« هنالك ابتلى المــؤمنون** وزلزلوا زلزالا شديدا »

الخامس : قوله تعالى **« ويذهب غيظ قلوبهم »** وهو عرض آخر غير شفاء الصدور ، فان شفاء الصدور كما بينا هو تطهيرها مما عسى أن يكون داخلها وراودها من شك وتزلزل حين يشتد سلطان الطاغى ويتمكن أمره على ظلمه وطغيانه أما ذهاب غيظ القلوب فهو تخليصها من الحقد النفسى ، والألم القلبى الذى كان مكبــوتا ، وفيه مصلحة تبعية للظالم نفسه ، لأنه بما نزل عليه من العقوبة قد استوفى جزاءه ، فتهدأ النفوس بعض الهدوء عنه ، وتنصرف عن توقع المكروه له انصرافا ما ، وكأن الناس يقولون : لقد لقى هذا المفسد جزاء افســاده ، فلنكتف بهذا ، ولنعتبر أن أمره قد انتهى ، وليذهب بهذا مافى قلوبنا من غيظ كنا نحتفظ له به .

والواقع انه لا شىء يطفىء نيران الغيظ على الظالم ، الا حلول العقوبة به ، فلا يزال الناس متجهين الى الرغبة فى القصاص ، والغيظ اذا تخلف الجزاء ، حتى ينال المسىء جزاء اساءته ، فحينئذ تقر النفوس ، وتهدأ القلوب ، ويذهب الغيظ .

السادس : قوله تعالى « ويتوب الله على من يشاء » وهذا غرض يقصد أيضا من مقـــاتلة المفسد ، وابطال سعيه ، فقد جرت العادة أن كثيرا من الضعفاء يغترون بأوائل أمر الظلمة والمفسدين ، ويؤخذون ببريقهم ولمعانهـــم ، فيميلون اليهم ، ويجـــرون فى فلــكهم ، ويسايرونهم على أهوائهم ، ويلتمسون منهم العلو فى الأرض بغير الحق ، فانه لايسلم من هذا البريق الا أولو العزم ، وأصحاب الهمم العليا ، وقليل ماهم ، فاذا أصابت الظـــالم كارثة ، وحلت به عقوبة الله ، تنبـــه الذين كانوا قد اغتروا به ، وانجذبوا اليه ، فربمـــا اتعظوا بمصيره فتاب الله عليهم ، وأعطاهم فرصة أخرى بعد أن تعلموا مصير الظالم ، وعرفوا معرفة عملية معنى قوله تعـــالى **« ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار »**

ولقد أنبأنا الله تعالى أن فريقا من قوم قارون قد أخذوا بعظمة موكبـــه وزينته فتمنوا أن يكونوا مثله ، فلما حل به العـــذاب أدركوا حقيقة الأمر : **« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين ، وابتغ فيمـا آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ، و لاتبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لايحب المفسدين ، قال انما أوتيته على علم عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ، وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبســط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لايفلح الكافرون . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »** .

مهرجان الثقافة والفكرة الإسلامية

حفل توزيع جوائز المسابقات الصيفية الثالثة لطلاب البعوث الإسلامية والجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف

٢٥٠٠٠ متسابق
٣٠٠ فائز

إعداد :

عبد العظيم ملوك

• رغبة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى تربية جيل من الشباب يجمع الى جانب دراساته الحديثة معرفة عميقة بالثاقفة الاسلامية والعربية فى عصورها المزدهرة والوانها المختلفة .

• وجريا منه على تعويد الطلاب على البحث المثمر الذى يقوم على كشف كنوز المعرفة واستجلاء روائعها ودراسة علومها .

• وتشجيعا على شغل فراغ الطلاب أثناء العطلة الصيفية بما ينفعهم ويدرأ عنهم عواقب الفراغ والقراءات الضارة .

• وحرصا منه على أن يكون هناك ارتباط بين الطلاب وبين أحداث مجتمعنا الاشتراكى وثورتنا المباركة .

من أجل هذا نظم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية المسابقة الصيفية الثالثة لطلاب الجامعات والأزهر الشريف وشباب البعوث الاسلامية والمعاهد العليا .

وقد تقدم لهذه المسابقة خمسة وعشرون الف طالب وطالبة .

فاز منهم حوالى ثلاثمائة متسابق ومتسابقة ، لكل بحث عشر جوائز وعدد الموضوعات ثلاثون موضوعا .

فاز المتسابق الأول	٥٠ جنيها
فاز المتسابق الثانى	٣٠ جنيها
فاز المتسابق الثالث	٢٠ جنيها
فاز المتسابق الرابع	١٠ جنيهات
فاز المتسابق الخامس	١٠ جنيهات
فاز المتسابق السادس	٥ جنيهات
فاز المتسابق السابع	٥ جنيهات
فاز المتسابق الثامن	٥ جنيهات
فاز المتسابق التاسع	٥ جنيهات
فاز المتسابق العاشر	٥ جنيهات

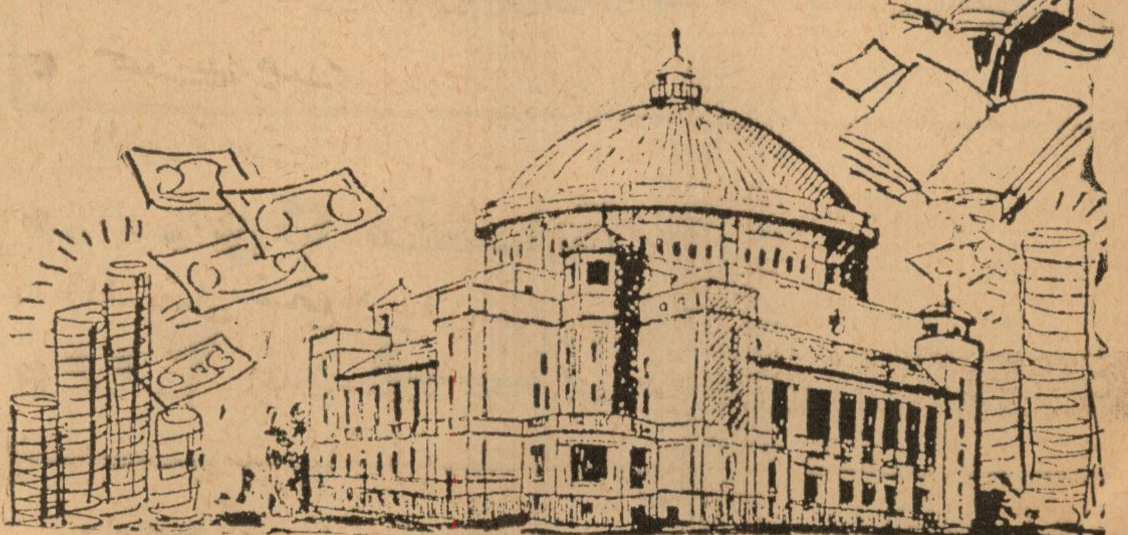

- أرجو أن يجمع الله قلوبنا على الحب ونفوسنا على الخير .
- نحن جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن .
- على الشباب أن يواصلوا بحوثهم فى المستقبل لنستمع إليها فى ندوات عامة
- وحدة المسلمين تنقذنا كثيرا مما نحن فيه من تبديد لطاقتنا واستنزاف لمواردنا وتضييع لكرامتنا .

أحمد عبده الشرباصى

وقد قام السيد الاستاذ المهندس احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وشئون الأزهر بتوزيع الجوائز فى مهرجان كبير بقاعة الاحتفالات بالغرفة التجارية بباب اللوق مساء الخميس ٣٠ ابريل ١٩٦٤ حضره أساتذة الجامعات والمعاهد العليا والازهر الشريف والسادة أعضاء لجان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية وغيرهم من ائمة الفكر والأدب وشباب البعوث الاسلامية من دول آسيا وافريقيا وأوربا ..

وقد تحدث فى هذا الحفل السيد الاستاذ المهندس احمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر فقال سيادته معقبا على السادة الخطباء قبله :

أيها السادة

انى اكل جزاء الاستاذين الجليلين الى الله سبحانه وتعالى وارجو أن يجمع الله قلوبنا على الحب ونفوسنا على الخير .

أيها السادة :

يقول المؤرخ بلوتارك الرومانى الوثنى : « لقد تجد مدينة بدون اسوار وبدون مسارح وبدون مدارس وبدون جيش ولكنك لن تجد أبدا مدينة بدون معبد »

ويقول غاندى البوذى : « اذا انفصلت السياسة عن الدين فقدت معناها ــ ان شباب الهند يدرك الاحساسات العميقة التى تضطرب بها جوانح الهنود ويرنو ببصره الى الآمال البعيدة التى يرجوها الهنود ولكننا فى حاجة أبدا الى ذلك النور الثابت المستقر الذى ينير طريقنا وهو نور الايمان الدينى .

أيها السادة :

لقد حفظت القرآن في المكتب وظللت أتلوه وأتدبر معانيه لكننى لم أدرك أبدا معانيه التطبيقية ، كما أدركها الآن فى مجتمعنا هذا .. لقد كان قلبى ينفعل به انفعال كتاب مقدس نزل من السماء على قلب المسلمين . ولكنى لم أدركه أبدا ولم أتفهم معانيه أبدا كما أتفهمه الآن ويخيل الى أن هذا الكتاب قد نزل على مجتمع يشبه مجتمعنا الحاضر فى كثير من الاحوال ..

أنا لم أكن أدرك نعمة الله حيث يقول : « واذكروا نعمة الله عليكم . اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » الا حينما أدرك الآن ما يضطرب به العالم الاسلامى من تلك الخلافات التى استنفدت طاقتهم وما يبذله زعماء المسلمين من جمع الكلمة .. هذا الاتحاد ينقذنا كثيرا مما نحن فيه من تبديد لطاقتنا واستنزاف لمواردنا وتضييع لكرامتنا .

أيها الاخوة :

قلت انى لم ادرك كثيرا من معانى الاسلام التطبيقية الا فى عصرنا وفى مجتمعنا هذا ، وانى حينما كنت أقرأ قول عمر .. « ان رأيتم فى اعوجاجا فقوموه بحد السيف » ورد ذلك الاعرابى الجلف الفقير الذى يقول : « لو رأينا فيك انحرافا لقومناه بحد السيف »

حينما قرأت قول الله تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »

علمت أن عمر يوم قال هذا انما كان يعتمد الى هذه المادة من الدستور القرآنى . وحينما أجابه ذلك الاعرابى الجلف انما كان يعتمد على المادة الدستورية الواردة فى القرآن :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ».

السيد / المهندس احمد عبده الشرباصي يسلم الجائزة لاحد الفائزين

كانت هاتان الآيتان هما الدستور الذى يستند اليه هذا الخليفة الكبير ويستند اليهما هذا الاعرابى الجلف .. هذا الدستور الذى أشربت قلوبهم به واستحضرته قلوبهم وعقولهم .

أيها السادة :

لقد قرأت البحوث التى اجتمعنا اليوم لنكرم مقدميها وهى بحوث أرجو أن يستمر هؤلاء الطلبة فى تكميلها فى المستقبل لكن هناك أمثلة هى جديرة بأن نحييها وبأن تكون قدوة لنا فى عصرنا .

هذه الامثلة هى أننا أرجو فى العام المقبل أن نجتمع ها هنا لنسمع دراسة وافية فى :

عز الدين بن عبد السلام الذى استند الى المادة الثانية وترك دمشق فارا بدينه وأتى القاهرة نزولا على الآية .. وأتى الى القاهرة ليحارب البدع وكانت هجرته أفعل وأروع فى نفوس السوريين وفى نفوس سوريا أروع .

كانت هجرته أروع من اقامته فى مجتمع يجد فيه الظلم ويجد فيه التعاون مع الصليبيين فى أقطار بلاده .

نريد أيها السادة أن نسمع فى العام المقبل بحثا مستفيضا فى :

ابن تيمية ، الذى حضر الى مصر محرضا ملكها على حرب التتار ثم كان فى مقدمة المقاتلين هو وأهله وأقاربه يناولونه النبل وهو فى مقدمة الجيش يرمى بالنبل ويدفع الحمية فى صدور المسلمين .

أيها السادة :

لا زلت أقول .. نحن فى مجتمعنا هذا جديرون بأن نأخذ العبرة من القرآن حتى لكأنه كما قلت قد نزل على مجتمع مشتت مفرق كمجتمعنا هذا .

وأدعو الله لى ولكم وأرجو الله لى ولكم الخير والهناءة والسعادة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- « اقرأ » كانت أول أضواء السماء
- كلمات البطل عبد الناصر فى اليمن كانت نداء لكل انسان يؤمن بالعدالة والحرية والسلام .
- كلمات الرئيس عبد الناصر فى اليمن كانت نداء للرجولة والعزة والكرامة .
- كلمات القائد عبد الناصر فى اليمن كانت نفير اليقظة لكم يا شباب الاسلام .
- آن الاوان لكى تعلو الراية الاسلامية ، وتتحرك الجموع .
- طريق الله .. طريق العمل والجهاد والصبر والفداء والعرق والدماء .

محمد توفيق عويضة

وتحدث السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة سكرتير عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فقال :

العالم الأديب السيد المهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء ..

أيها السادة الكرام ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الحمد لله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة الا بالله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أيها الاخوة :

اجتمعنا الليلة لنحتفل بعيد من أعياد الفكرة الاسلامية ، بعيد من أعياد الثقافة الاسلامية .

اجتمعنا لنكرم الشباب المسلم الذى آمن بربه وآمن بدينه وعرف رسالته ، فقام يجرد القلم ، ويسطر الكلمة ليضىء طريق النور فقد كانت أول أضواء السماء .

« اقرأ »

« اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم »

أيها السادة :

وتشاء ارادة الله أن يتم جمعنا الليلة فى أعقاب الخطاب العظيم ، فى أعقاب الكلمات الكبيرة التى دوت بين سفوح اليمن وجبالها ، فى أعقاب نداء البطل المسلم جمال عبد الناصر كان نداء لكل مسلم ، بل كان نداء لكل انسان يؤمن بالعدالة والحريه والسلام ، كان نداء للرجولة والعزة والكرامة ، كان نداء لكم أنتم يا شباب المسلمين ، بل كان نفير اليقظة ، فقد آن الاوان لكى تعلو الراية الاسلامية ، وتتحرك الجموع . لقد آن الاوان لكى تسمع السماء صيحة الارض ، لا اله الا الله والله أكبر .

أيها الاخوة :

نحتفل اليوم بعيد الكلمة

والكلمة أول مرحلة من مراحل الطريق

وطريق الله أيها الاخوة طريق العمل والجهاد طريق الصبر والفداء ، طريق العرق والدماء ، ومن للطريق غير الشباب ؟

حملوا الاعلام بالامس البعيد ، فأخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، واقاموا خير أمة أخرجت للناس . والدنيا تنتظرهم اليوم ليحملوا الاعلام من جديد حتى ينتصر الحق وتتحرر الانسانية .

أيها الشباب المسلم فى كل مكان :

فى آسيا .. فى أوروبا .. فى افريقيا .. لقد دوى النفير فى اليمن ، ورددت الاجواء صدى النداء العظيم للبطل جمال عبد الناصر، والدنيا بأسرها اليوم فى انتظار البناء الكبير .

امة اسلامية واحدة
سلاحها الله أكبر
وايمانها لا اله الا الله
وقلبها محمد رسول الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

• المجلس الاعلى كتيبة من كتائب الجهاد فى سبيل الدين والعلم والوطن

• ثورتنا الناصرية ثورة مؤمنة بناءة .. رسالتها الاصلاح وتقويم الاخلاق والدعوة الى الاخاء والمحبة والسلام .

• الاسلام جاء بعد الديانات السابقة كفجر جديد للحياة الانسانية .

عبد اللطيف السبكى

وتحدث فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ورئيس لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وعلى جميع الانبياء والمرسلين .

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف والازهر ..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد ..

فان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ليسعده كثيرا أن يستقبل شخصكم الكريم فى حفله هذا .. وهو فى نشوة من الفرح ، تفيض بها قلوب رجاله ، وشبابه .. وترتسم على الوجوه بشرا ، ووضاءة .. وتلهج بها ألسنتهم فى تكريم صادق .. وهتاف بهيج .. يسجلون به مشاعرهم نحوكم .. وحسن تقديرهم لشخصكم ، وتفاؤلهم بعهدك المبارك وأيامك البيضاء .

واذا كان اقبالنا على عظيم مثلك يعتبر تزكية له .. واقرارا بفضله .. وشهادة بامتيازه على كثيرين سواه ، فليس هذا نحوكم : الا انعكاسا لما تنطوى عليه شخصيتكم فقد وهبكم الله خصالا نبيلة .. وهياكم بين الناس للاخذ بالرفق ومكارم الاخلاق ، واضفى عليكم علما ، نافعا ، وتدينا صحيحا ، وبرا بوطنك وأهلك ، ووفاء لصحبك ، وجنوحا الى الكمال ما استطعتم اليه سبيلا .

فليس كثيرا عليكم يا سيادة الوزير ان نحبك ، وأن يحبك الناس كما ترى .. وأكثر مما ترى .

وانها لمحبة روحية ، غير مشوبة .. فانها ايحاء من جانب الله الى قلوبنا .. وما كان من جانب الله الينا يكون مصونا ، مكفول البقاء .

وقد ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله : « ان الله اذا احب عبدا من عباده أمر ملكا من ملائكته أن ينادى فى السماء: ان الله يحب عبده فلانا فاحبوه ، فيحبه الملائكة فى السماء ، ثم يامر الله الملك أن ينادى فى الارض ان الله يحب عبده فلانا فاحبوه » فيحبه كل من يعرفه من أهل الارض بهذا الالهام من جانب الله .

وقد تجاوبت قلوبنا مع نداء الملك بحبك .. فهنيئا لك يا سيادة الوزير الكبير،

انك محبوب عند الله ، وملائكتـــه ، ولدى عارفيك من الناس اجمعين ».

السيد نائب رئيس الوزراء :

تعلمون ان هذا المجلس الاعلى كتيبة من كتائب الجهاد فى سبيل الدين والعـلـم ، والوطن ، وانه قبل وجوده كان نفحة مدخرة فى علم الغيب .

ولما اذن الله - سبحانه - لمصر أن تستأنف بثورتها الناصرية حياة وثابة فى آفاق فسيحة .. وأن تبنى مستقبلها على أوضاع صحيحـة كان هذا المجلس الاعلى هدفا من أهدافهـا الاولى ، التى تعلقت بها فى رغبة وحققتها فى غير تردد ، عزيمة البطل الملهم الرئيس جمال عبد الناصر .. حياه الله وأبقـاه ، وتولاه بالرعاية ، والتوفيق .

سادتى :

من معالم الرشد لثورتنا انها لم تكن ثورة جافة تعتمد على مجرد القوة ، ولا جشعـة تريد سلطان الحكم وحده ، ولا جهولة تعرض عن جانب العـلم والدين كما فعلت ثورات أخرى ..

وانما هى ثورة مؤمنة ، بناءة .. رسالتها الاصلاح ، وتقويم الاخلاق ... والدعوة الى الاخاء والمحبة والسلام .

فكانت ملهمة بايمانها ان تعتمد على العـلم والقوة والدين ..

وهذا الاتجاه بعينه هو اتجاه الاسـلام فى بناء دولته ، وتنشئة أمته ..

وفى ذلك ضمان كاف لبنـاء المجتمـع على قواعد مكينة ، وتمكين الامة ان تحيا بالعلم ، وتحتمى بالقوة ، وتعمل للدين والدنيا جميعا ، وان تجاهد ، وتنتج وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، فى كل جانب من جوانب الحياة .

وفى هذا الاتجاه بعينه .. ظفرت ثورتنـا مع حداثة عهدها بنصيب موفور من العـلم والقوة ..

سبقت بها فى المجال الدولى ، حتى صار اسم الجمهورية العربية المتحـدة جاريا فى الدنيا على كل لسان ..

واصبح جيشها كما عهـده التاريخ مظفرا فى كل ميدان ، وصار علمها شامخا وخفاقا بين الاعلام فى كل واد ..

السيد نائـب رئيس الوزراء ، والسـادة سكرتير عام وأعضاء وشباب المجلس الأعلى :

حينما نهضت ثورتنا مؤمنـة بالعلم ... ومعنية باعداد القوة ، حماية لسيادتهـا فى وطنها .. وسياجا لدعوتها الى أهدافها .. لم يغب عن وعيها أن العلم فى أوله قبس من وحى الله الى الناس على لسان رسله وانبيائه ..

ولم يغب عن وعيها أن الاسلام بالذات : جاء بعد الديانات السابقة كفجر جديد للحياة الانسانية ..

وأن اشراقته الاولى كانت دعوته الى العلم عامة ، منذ هبط أمين الوحى جبريل من عليائه على أمين الرسالة - محمد بن عبد الله - وهو فى خلوته ليلا ، برأس جبل موحش يناديه : اقرأ .. اقرأ .. اقرأ ، ثم يلقنه فى الرابعة : « اقرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم .. الذى علـم بالقلم .. علم الانسان ما لم يعلم » .

وبهذه الاشراقة استضـاء الـكون برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وابتسمت له الدنيا ، وصار العلم نور الله فى افق الحياة للناس أكثر مما كان **« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »** ..

كانت ثورتنا واعية لهذا كله .. فجعلت من همها أن تعنى أكثر واكثر بجانـب الثقافة الاسلامية .

وكانت وجهتها أولا الى الازهر بمـا رأت مبدئيا من تشريع الاصلاح فيه ، لانه بعد مكة والمدينة المنبع الأول للثقافة الاسلامية ، ولانه حلقة الاتصال بين شعوب التوحيد فى الدنيا..

ثم كانت النظرة الثانية هى ايجاد هـذا المجلس الاعلى كجهاز تنفيذى للنشاط الدينى

العلمى فقام بوضع الكتب الهامة كتفسير القرآن ومجموعة الحديث النبوى والرسائل المبسطة ، واحياء التراث الاسلامى القديم ، وبث الدعوة بكل وسيلة ممكنة ومقاومة التبشير المضاد للاسلام ، وتجميع الشباب الاسلامى على اختلاف أوطانه فى اطار المحبة والاخاء ، وتوعيتهم من خداع الاستعمار ، وتفريقه بين صفوف المسلمين ».

وسار المجلس برسالته قدما ، وأفادت لجانه المتعددة ما أفادت ، وصار المجلس كله فى نموه ، وازدهاره كزرع أخرج شطأه ، وآزره الله ، حتى استغلظ واستوى على سوقه ، يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار .

ولم يكن هذا النجاح المشهود وليد الصدفة، بل هو ثمرة جهاد مشترك توافرت له أسباب ثلاثة :

أولها : ضمير ، وعزيمة ، واخلاص ، تمثلت هذه المزايا فى انسان مهذب متدين كريم النشأة ، والمنبت هو السكرتير العام السيد/ محمد توفيق عويضه ، وبجانبه طائفة مختارة من شباب موظفى الاوقاف ، يتعاونون معه فى اخلاص ، وكفاية ، وتضامن مشكور ».

السبب الثانى من أسباب النجاح :

نخبة من رجال العلم ، ما بين علماء قانون ، وأطباء ، وأساتذة جامعيين فى كليات العلوم ، ودار العلوم والآداب ، والزراعة ، والمركز القومى للبحوث ، وكبار الصحفيين ورؤساء فى كبريات المصالح ، وكبار علماء الجامعة الأزهرية ، وكل من هؤلاء السادة يحمل عبئه فى عمله هناك ، ويحمل بجانبه نصيبه فى المجلس الاعلى : ترضية لضميره الدينى ، وتضامنا مع السكرتير العام فى جهاده المخلص المثابر ».

السبب الثالث :

شباب كريم يبعث البهجة فى النفوس ، من شبان ، وفتيات الجامعات والمعاهد العليا ، والبعوث الاسلامية ، استجابوا لنداء المجلس ، وأقبلوا على الثقافة الاسلامية ، ينهلون منها ما ينهلون رغم جهودهم الجامعية ، وقد عقد لهم المجلس ثلاث مسابقات حولية ، كل منها فى عشرات من الموضوعات ، تختارها وتشرف على انجازها لجنة التعريف بالاسلام ، فتباروا فيها ، وأثبتوا بجدارة أنهم دائما طلائع الامل المرجو ، وأنهم أشبال الثورة الناصرية ، لا شك .

تلك أسباب النجاح للمجلس وهذا الحفل مظهره الناطق .

السيد نائب رئيس الوزراء ... وسادتى ...

مرت على هذا المجلس أخيرا فترة عصيبة كاد يتعثر فى عقباتها ، حتى خشينا عليه ، ويشهد الله أن المجلس لم يكن جانيا على أحد ولا مسيئا الى احد ، الا أنه مجلس يعمل فى اطار العلم والدين والوطن ».

وقد شد الله من عزيمة رجاله ، ولجانه ، فصبروا جميعا وصابروا ، وواصلوا جهودهم ، حتى انقشعت سحابة الصيف ، وتفيأ المجلس ظلكم يا سيادة الوزير مطمئنا الى قيادتكم ، والى ايمانكم برسالته فى دين الله « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز .

السيد نائب رئيس الوزراء :

ان هذا المجلس اذ يهنىء نفسه برعايتكم له ، وتشريفكم حفله ، ليسره ، ويسره فى فخار أن يقدم الى سيادتكم الليلة مجموعة فتياته وطلابه الفائزين فى المسابقة الثالثة ، لتمنحهم يا سيادة الوزير جوائزهم بيمناك المباركة ، وتبث فيهم من روح الابوة الرحيمة ما يشجعهم على المنافسة العلمية والتزود من ثقافة الاسلام ، واخلاق الاسلام .

وسواء من فاز منهم فى المسابقة ومن لم يفز فهم جميعا عنوان الشباب الناهض فى حياتنا الجديدة .

وهم جميعا على موعد من الحظ فى فرص آتية ان شاء الله ، وان غدا لناظره قريب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ».

- المسابقة والتسابق هما سنة الحياة .
- اللغة العربية لغة حية .
- مجتمعنا يأبى الا أن يتقرر فيه مبدأ تكافؤ الفرص
- عبد الناصر لا يستثنى ابنته حين لم تـ بالمجموع الذى يتيح لها دخـول الجا ويذهب بها الى طريق آخر .

محمد محمد المدني

وتحدث فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى رئيس لجنة القرآن والحديث بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية فقال :

أشكر الله تعالى اذ ازدان حفلنا فى هـذا العام برجل مؤمن حر أبى عالم كريم على نفسه وكريم على وطنه مبرأ من العقد التى من شأنها أن تحول بين المرء وبين رؤية الحقائق ومبرأ من الحقد لانه لا يجوز لكبير القوم أن يحمـل الحقد .

فلا يحمل الحقـد الدفين عليهمو
وليس كبير القوم من يحمل الحقد

واذا كان لى أن أذكر السـيد نائب رئيس الوزراء بهذا فانى أذكره أيضا بخصال نبه اليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المؤمن اذ يقول :

« ألا أنبئكم بأحبـكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة : أحاسنكم أخـلاقا الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون » .

وهذا الرجل ودود لاصدقائه رجل محب ينشر الحب وينشر العرفان بين جميع أصحابه وانى لادعو له بدوام التوفيق ، وأسأل الله أن يكافئه على وده بأن يجعل له يوم القيامة ودا **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » .**

وأهنىء أيضا السيد السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ذلكم الشاب الغيور المثابر الذى جاهد فى الله حق جهاده ولم يفل عزمه عبث ولا شدة وقابل كل شىء بصبر وثبات وسكينة حتى أثبت للنـاس عمليا أن المجاهدين فى سبيل الله لا بد أن ينتصروا مهما طال الزمان **« ولينصرن الله من ينصره »** .

وأهنىء أيضا هؤلاء الفتيان والفتيات الذين فازوا فى هذه المسابقة . بل أهنىء جميع من تقدموا الى هذه المسابقة سواء فازوا بجائزة من جوائزها أم لم يفوزوا لانهم فى الواقـع قد فازوا بابراز أنفسهم فى صفوف العاملين ولم ينكمشوا ولم ينعزلوا ولكن تقدموا وحاولوا .. ان المسابقة والتسابق هما سنة العصر .. بل هما سنة الحياة كلها فان الحياة معترك واسع لا يكفيك فيه ان تعيش لتأكل وتشرب وتتمتع وانما يجب عليك أن تبذل من جهودك وأن تعطى من مواهبك لتتقدم الصفوف فى كل ناحية من الحياة ، أما أولئك الذين يكتفون بأيسر العيش وأدنى العمل فانهم ليسـوا جديرين بهذه المراكز العليا وبهذه المقـامات السـامية .

أيها السادة :

واللغة العربية لقوم أحياء ولذلك نرى فيها كثيرا من الالفاظ التى تؤدى معنى التسابق

والتنافس كالمجاهدة والمثابرة والنضال والمناضلة وما الى ذلك من الالفاظ التى تصور لنا ذلك الجهاد وذلك النضال لكى يتبوأ الانسان مقاما محمودا فى الحياة ونراها ونرى تعبيراتها تقول فلان لا يشق له غبار وفلان لا يجرى معه فى مضمار وفلان سباق غايات وفلان طلاع أنجد .. كل ذلك فيه ايحاء لان نعمل وبأن لا نكتفى بأيسر العمل وأدنى الجهود حتى نبرز وحتى نعلو مكانا عليا ولذلك نرى شعراء العرب يفتخرون بالسباق ويفتخرون بالتسابق والاولوية فذلك الرجل الشاعر الذى يقول :

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة
تلق السوابق منا والمصلينا

يقول هذا مفتخرا ويقول غيره مادحا :

من المحرزين المجد يوم رهانه
سبوق الى الغايات غير مسبق

ويقول آخر :

رأيت عرابة الاوس يسمو
الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين

والقرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم دائما فى كل شأن من الشئون يأمرنا بالتسابق الى الخيرات يقول الله عز وجل ((سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض » ويقول جل جلاله « والسابقون السابقون أولئك المقربون » ويقول سبحانه وتعالى ((ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يات بكم الله جميعا)) ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم - ليختبركم - فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا)) ولقد عرض علينا القرآن الكريم مشهدا رائعا من مشاهد التسابق بين الحق والباطل .

كان يمثل أهل الحق فيه موسى وهارون وكان يمثل أهل الباطل فيه فرعون وملؤه فقال فرعون وملؤه لموسى وهارون « ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا ان ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)) .

وبذلك انتصر الحق على الباطل وسار ذلك عبرة باقية للمؤمنين الى يوم الدين وأن اختلفت الاشخاص وتغيرت الاسماء فلنا ان نقول اليوم اذا جاء موسى والقى العصى فقد بطل السحر والساحر .

وها نحن أولئك نعيش فى ظل مجتمع يأبى الا أن يتقرر فيه مبدأ تكافؤ الفرص ومبدأ التنافس والتسابق الى الخيرات ونرى رئيس الجمهورية فى هذا المجتمع يرضخ راضيا لهذا المبدأ فلا يستثنى ابنته حين لم تات بالمجموع الذى يبيح لها دخول الجامعة ولكن يذهب بها الى طريق آخر ليضرب بذلك المثل فى ان الحق أحق أن يتبع فهذا هو المبدأ الاسلامى والمبدأ الانسانى الذى نسير عليه .

وان هذه المسابقة لقد حققت مبدأ تكافؤ الفرص لشباب الجامعات فتقدموا جميعا يدرسون ويبحثون ويشغلون اوقات فراغهم فيما ينفع الناس ويمكث فى الارض فهى فكرة جميلة وهو مبدأ من مبادىء التسابق الى الخيرات والله سبحانه وتعالى يوفقنا جميعا الى اتباع هدى القرآن والى أن نسير على سنة الاقتداء برسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جانب من حفل توزيع الجوائز

وهذه هى أسماء الفائزين فى الموضوعـات المختلفة . وكانت نتيجة المسابقة كما يلى :

الترتيب	الاسلام دين المساواة	الاسلام دين الوحدة	شعب الجمهوريه العربية المتحدة .. الخ
الأول	محمد رضا عوضين	أمين رمضان القلعى	محمد عبد الله عقل ... ...
الثانى	محمد سعد المرسى عرابين ...	مقداد يلجن	محمود السيد الفقى ... ...
الثالث	عبد الخالق عطية نصير ...	حامد طاهر حسنين	عبد العزيز عبد الهادى فايد
الرابع	فتحى عبد المجيد أحمد	محمد محمود جلال	محمد حسن عبد الحافظ ...
الخامس	أحمد مصطفى الخضرى	محمد ربيع محمد البربرى	بيومى محمد بيومى ... ...
السادس	محمد عبد الرحمن شلبى ...	عبد الوارث مبروك سعيد ...	محمد ملاك الدين عبد الحليم ... ...
السابع	صلاح الدين عبد الحميد المسلمى	ابراهيم يوسف محمد البهلول	أحمد حسين محمد علاء الدين
الثامن	ثريا عبد المنعم جودة	محمد محمد محمد حجازى	أحمد أحمد فراج ... ...
التاسع	محمد السيد محمد ابراهيم	محمد جلال الدين شريف ...	محمد ابراهيم عبد المنعم البشبيشى ... ...
العاشر	عبد الرحمن أحمد الخطيب	أمين مصطفى خليل توم ...	محمد عبد السلام ... ...

جانب آخر من الحفل

الترتيب	أثر التقاليد الغربية في انحلال الاسرة المسلمة	اعجاز القرآن الكريم فى النواحى الاجتماعيه	القصص فى القرآن الكريم
الأول	أسامة بدر الصباح ابراهيم	عبد المعطى محمد بيومى ...	حامد محمد أمين شعبان ...
الثاني	زينب درويش السويفى ...	محمد توفيق مظلوم	محمود سيد محمد ... ...
الثالث	سيد أمين منصور	سوسن مصطفى عبدالرحمن غالى	عبد الحميد موسى ربيع ...
الرابع	حمدى على سيد	يحيى عثمان محمد هاشم ...	محمد صبرى أحمد اسماعيل
الخامس	سامية ابراهيم معين	عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب	عبد الفتاح سيد جمعان ......
السادس	كمال عبد العزيز سلام	محمد الحسينى طه أحمد...	مصطفى السيداحمد علوش
السابع	مصطفى فاوى ربيع	هاشم حامد على	سيد أحمد البيلى عبد الله ...
الثامن	فؤاد محمد سيد	أبو بكر أحمد شحاته	سوسن محمد حسنى محمود
التاسع	محمد مدحت محمد أبوحامد	محمد سعيد هاشم الضذيق	محمد عبد السلام العريان ...
العاشر	أحمد محمد ابراهيم	محمد عبد المطلب سليمان عيد	عبد الله مبشر الطرازى ......

الترتيب	العمل وحقوق العمال وواجباتهم فى الاسلام	ابن رشد الطبيب وأثره فى أوربا	ابن بطوطه الرحالة
الأول	عبد القادر هاشم النشار ...	محمد عطيه محرم	حسن عبد السميع محسن
الثاني	سليمان محمد القرشى	أمين عبد الغنى حجازى ...	زكى الشاهد ... ...
الثالث	محمد محيى الدين الفيومى	سعد أحمد محمد الباز	محمد حسن فهمى قورة ...
الرابع	عبد الرحيم عبد الخلاق ...	محمد حمد زهران	نبيل عبد الحميد حسن ...
الخامس	ابراهيم عبد الحميد الفار ...	شوقى يوسف محمدين ...	فادية عبد الحليم العدوى
السادس	فتحى عدلان الزناتى	سمير عبد الله عبد العزيز	سيد أحمد محمود سيد ..
السابع	عبد الواحد عبد الحميد النعمانى	محمد الجوهرى حامد الجوهرى	محمد عبد العال أحمد على
الثامن	مصطفى عبد المهيمن الرفاعى	محمد فكرى السيد حسن ...	زينب محمد عبد الله ... ..
التاسع	أسامة حسن محمد حسن ...	مصطفى محمد السيد البحراوى	عايدة عبد المنعم يوسف ...
العاشر	زكى المغازى شعيشع	صبرى محمد بسيونى هاشم	محمد حلمى زيادة ... ...

الترتيب	الزمخشرى مفسرا وأديبا	الاسلام والعلم لا يتعارضان	دور الأزهر فى مقاومة الحملة الفرنسيه
الأول	محمد كامل خضير	على أحمد على السيد	أحمد أحمد محمد سعيد ...
الثانى	اكرام ابراهيم توفيق	اسماعيل منصور جودة ...	نوال عثمان عامر ... ...
الثالث	عبد الرحمن فهمى عامر ...	رشاد محمد محمد قاسم ...	حسنى أحمد السيد ... ...
الرابع	رفعت فوزى عبد المطلب ...	جمال محمد محمد هريدى	محمد السيد سليم قراقيش
الخامس	أحمد عباس ناجى	عبد الفتاح معوض حمزة ...	سلوى أحمد عبد الله ... ...
السادس	محمد محمود متولى عبد البر	فؤاد أحمد على	حنفى أحمد محمد يوسف ...
السابع	عبد المنعم أحمد حسين	عبد الرحمن السيد سليمان	زينب محمد العشماوى ... ...
الثامن	عبد العزيز جاد الرب ...	عادل طه محمد يونس	توحيدة حسين الوردانى ...
التاسع	صلاح عبد العليم ابراهيم	عبد القادر على الجبالى	بدير محمد السيد فايد ...
العاشر	محمد حجازى محمد عثمان	محمود مجاهد حسن	عبد المعز عبد الله حسنين

الترتيب	الاسلام والوفاء بالعهود	الشريف الادريسى وأثره فى الجغرافيا	الثورة العربية يجب أن تتسلح .. الخ .
الأول	محمد محمود زين الدين نصار	مصطفى محمد كامل محمود	أحمد عزب أحمد الفخرانى
الثانى	عفاف توفيق مرتضى ..	فيدان عمر مسلم	أحمد يوسف القرعى ... ...
الثالث	أحمد حسين الديساوى	محمد المرسى الحريرى	عمر محمود صالحية ... ...
الرابع	سعد عبد السلام حبيب		

الترتيب	ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ٠٠ الخ	المبادىء الاشتراكية كما تؤخذ من القرآن والسنة	النظام الاقتصادى فى الاسلام
الأول	أنور جمعة عبد الكريم	محمد مختار عثمان	محمد عبد المطلب أحمد ...
الثاني	أحمد رياض أحمد ابراهيم...	سيرة على اسماعيل	علاء الدين محمد رشاد ... ...
الثالث	جودة بسيد أحمدعفيفى	محمد هانىء كمال الدين ...	محمد بهى الدين سالم ... ...
الرابع	محمد أحمد عزب	محمود أحمدالصياد الوكيل	صلاح عبده الحناوى ... ...
الخامس	عمر حامد على	كمال ثابت طايع	عبد الستار مندور سعد ...
السادس	حسين محمدأحمد كساب ...	محمد أحمد حمدون	محمد أبو المكارم قنديل ...
السابع	محمود عبد الغنى رمضان ...	درية السيد حافظ	مصطفى مسلم قويدر ... ...
الثامن	عبد الكريم الاحمول	مصطفى محمد حسن الجندى	محمد أحمد ثابت ... ...
التاسع	أحمد محمد خليل الخطيب	محمد صلاح الدين عثمان ...	محمد فتحي عبد الحميد الشاذلى ... ...
العاشر	عبد السلام جاب الله	أحمد محمود خليل الصادق	على عبد المقصود على ... ...

الترتيب	السيدعمر مكرم	واجب الشباب في بناء المجتمع الاشتراكي	ابن القيم فقيها مجددا
الأول	محمود متولى أحمد	مصطفى كمال أحمد	محمد عبد العزيز موافى ...
الثاني	محاسن محمد عبد اللطيف	فؤاد هيبة عيد بكر	ممدوح فخرى جلحة ... ...
الثالث	أبو اليزيد أبو زيد العجمى	نجاة فؤاد بدوى	يوسف عبد الرحمن الفرت
الرابع	نبيلة بسيونى النقراشي ..	محمد ابراهيم زهران	مصلح محمد بيومى ... ...
الخامس	محمود مصطفى كامل زيدان	مصطفى محمد رشاد	صبرى عبد العظيم سيد أحمد ... ...
السادس	عائشة السيدبيومى شحاته	محمد سامى عبد المعطى فياض	سيد عبد التواب عبد الهادى ... ...
السابع	محمد أمين توفيق المطاعنى	محمود أحمد عبد ربه ...	محمد السيد على الدسوقى
الثامن	محمد صادق سيد محمود	وطنية كامل عبد المعطى ..	محمد على السيد أحمد ...
التاسع	محمد أبو الفضل عفيفى ..	محمود أحمد حجاج	
العاشر	محمد رفعت أحمد المفازى		

الترتيب	الاسلام في الشعر الحديث	موقعة نهاوند	دور المرأة فى الحروب الاسلامية
الأول	عبد الرحمن البيجاوى	أحمد ابراهيم درويش	عايدة الشهابى
الثاني	محمود عبد الرحمن الفرت	نبيل عبد السلام فهمى	فتحى أحمد محمد سليم
الثالث	محمد محمد يوسف	محمد أحمد حسين محمود	عبد الله محمد أبو سن
الرابع	محمد صالح مكى	محمد جبر أبو سعدة	عبد الكريم عبد الصبور عبد المجيد
الخامس	ابراهيم محمد سلام	محمدين محمدين عبد الفتاح	خديجة عبد القادر العربى
السادس	أحمد سيد أحمد عفيفى	أحمد محمد عمارة	جمال الدين محمد زينهم
السابع	حلمى محمد بدير	أحمد أحمد منصور	
الثامن	أحمد أحمد سلطان	محمد محمد هلال	

الترتيب	الليث بن سعد الفقيه المصرى	الآداب الاجتماعية فى سورة الحجرات	القرآن والاخلاق
الأول	عبد الله محمد شحاته	عادل عبد اللطيف السبكى	عبد المحسن صالح حسن
الثاني	عوض المرسى جهاوى	محمد مدحت الجندى	سوزان أحمد سيد عمرو
الثالث	عطية جمعة هارون	أحمد المصيلحى	بدرية ابراهيم السيد
الرابع	عيد محمد الطيب	أحمد يسرى على حسن	محمد عبد الخالق جاد
الخامس	عبد اللطيف محمد عبد السلام	محمود السعيد طه الكردى	محمد لطفى عبد الرحمن
السادس	نجاشى على ابراهيم	فؤاد عويس	شاكر حامد العشرى
السابع	غزالى حلمى عزالى	عبد الفتاح سلامة	عبدالمنعم عبد الوهاب المغازى
الثامن	ابراهيم محمد الوحشى	محمد أبو الفتوح نصر	أحمد على أحمد الشيتة
التاسع	عبد الكريم حسن عباس	يحيى يونس عرفة	عبد المؤمن حسن مجاهد
العاشر	محمد أحمد غريب	سالم عبد الغنى حسن	أحمد عزمى الباز

الترتيب	العرب فى صقلية .. الخ	القرطبى ومنهجه فى التفسير	ان الجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال العربى التقدمى .. الخ .
الأول	يوسف حسن نوفل	صبرى يوسف عبد الجواد	رقية الجمل
الثاني	أحمد عبد الوهاب محمد	محمد فتحى بسيم	الجيلانى نبيه ابراهيم
الثالث	عايدة عبد العال مصطفى نايل	عبد الستار عبد الهادى	عبد الله بسطويسى أمان
الرابع	طه نور سعد الله	شكيب بكر محمد	حسن يونس حسن
الخامس	أحمد سليمان زعبوط	ناعى محمد عبد الملك	

وجهة الإسلام في التكافل الاجتماعي

فضيلة الشيخ أحمد هريدي

كانت الأمم والشعوب قبل الاسلام وكانت المجتمعات الانسانية تقوم فى بنائها وترابطها وتنظيم علاقاتها على أسس من وضع البشر ومن وحى الفكر الانسانى ٠ اذ كانت تقوم على اساس العصبيات الجنسية أو الاقليمية وعلى مبدأ القبلى أو التعاندى ٠

وهى عصبيات تولدها النزعات الخاصة المستمدة من واقع الحياة المادية المحدودة ومبادىء تغيرها العواطف الثائرة وليدة الظروف الخاصة والأحداث الطارئة ٠ لا تستهدف هذه ولا تلك صالحا عاما ذا طابع انسانى كريم ولا تصدر عن تقدير واع تمتد النظرة فيه الى آفاق عالية تشمل المحيط الانسانى العام ٠٠ ومن ثم كانت تثار بينهم المنازعات والخصومات وتشتد فيهم العداوة والبغضاء وتسود حياتهم القلقة حالة من الفوضى الصارخة يصبحون فيها كحيوانات الغاب الضارية يفتك قويهم بضعيفهم ويأكل كبيرهم صغيرهم ٠

جاء الاسلام والمجتمعات الانسانية على هذا الوضع ٠ فنحى تلك العصبيات والمبادىء جانبا ٠ وقضى على المنازعات والعواصف التى ولدتها وأقام بناء المجتمع على أسس راسخة قوية وجمع بين أفراده برباط وثيق لا انفصام لعودته وهو الايمان بالله تعالى خالق الوجود ومالك الناس ومصدر الخير والرحمة ٠ ونادى بالوحدة الشاملة على مستوى الانسانية العام بين الانسان وأخيه الانسان متخطيا فى نظريته حواجز الفوارق التى صنعتها البشرية متساميا بتدبيره على نزعات الشعوبية التى ظفرت من تقديرهم بنصيب كبير ووضع مبدأ المساواة بين الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم وعقائدهم وأخذ عليهم مجال التنازع والتنابذ والتفاخر ٠ اذ قال الله تعالى فى القرآن الكريم « **يأيها الناس اناخلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ٠ ان الله عليم خبير** » ٠ وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى الحديث الشريف « **الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ٠** » وقال (**كلكم لآدم وآدم من تراب** » ٠

والشارع الاسلامى ينادى فى الناس جميعا أبيضهم وأسودهم ذكورهم وأناثهم حاضرهم ومن سيأتى على توالى الزمن انكم جميعا تتفرعون من دوحة مشتركة وتنحدرون من أصل واحد تجمعكم وحدة العنصر وتربط بينكم صلة الدم أبوكم آدم وأمكم حواء فأنتم أخوة فى النسب وشركاء فى الدم ٠٠ ومن تربطهم جامعة الاخوة وتظلهم ، وشائج القربى يلتقون حتما فى كفاح مشترك ويجتمعون على هدف متحد ويسمون بعواطفهم ومشاعرهم على مستوى العصبيات الممقوتة والنزعات الخاصة ويستهدفون فى كفاحهم اسعاد البشرية والتخفيف من ويلاتها والعمل على تحقيق المصالح المشتركة والقضاء على عوامل الفرقة وأسباب الخلاف ٠

وعلى مستوى العقيدة وتحت لواء الدين جمع الاسلام بين أهله برباط قلبى مقدس ألف بين قلوبهم وأقام وحدتهم على أساس قوى من المودة والتراحم وألقى عليهم مسئولية مشتركة فى دعم بناء الأمة والمحافظة على قوتها ، وسلامتها وفى نشر الدعوة الاسلامية وتأمين طريقها والكفاح الدائب القوى لاعزاز الدين والحفاظ على تراثه الخالد ومبادئه القويمة والقيام على تنفيذ أحكامه وكفالة احترامها والوقوف عند الحدود التى رسمها الله تعالى والأحكام التى شرعها ٠

ذلكم الرباط هو الاخوة الدينية التى أقامها الله ورسوله بين المؤمنين وأفاض عليها من مظاهر التقدير والتقديس ماأفسح مكانها فى

القلوب وجعلها من عناصر الاسلام ومن مقتضيات الايمان .

قال الله تعالى : **« انما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »** .. وقال . **« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »** . وقال **« فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين »** .

وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - **« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »** .

ولقد جعل الشارع الحكيم الأخوة فى العقيدة أقوى أثرا فى الترابط والتآخى وأعمق فاعليه فى التناصر ومجال التضحية من الأخوة فى النسب اذ جعل من مقتضى الايمان بالله والاجتماع على عقيدة الاسلام التضحية بالأهل والعشيرة ومحاربة الآباء والأبناء والاخوان فى سبيل العقيدة والاعتصام بجامعتها القوية والتمسك بحبلها المتين . **« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه »** ..

ولقد صور الرسول - صلى الله عليه وسلم - المسلمين فى اخوتهم ووحدتهم واجتماع قلوبهم على الايمان والمودة والتراحم والتكافل فى أروع صورة وأجملها مثلا رفيعا للوحدة الاسلامية القوية وحث المسلمين على اللياذ بها والوقوف تحت ظلالها الوارفة .. فقال صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف **(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** .

وتمثل عقيدة التوحيد فى دعم المجتمع وبنائه واقامة وحدته على أسس أصيلة مكانا فسيحا فهى تجمع الناس على مبدأ واحد وعقيدة واحدة هى الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وهى أصل جوهرى عام فى الأديان السماوية كلها وأساس عريض ثابت فى الشرائع الالهية جميعها .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك .. وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

ثم تجىء التكاليف الدينية والعبادات الروحية لتكون مددا لهذه العقيدة الأساسية تمدها بالغذاء والقوة وتدعم أثرها فى النفوس لتعكسها اخلاصا وايثارا وتضحية فى سبيل المجتمع وتقوية روح التعاون والتضامن بين أفراده وجماعاته ولتكون طريقا تنفذ منه أشعة الايمان الى أعماق النفوس فتسمو على مستوى الخلافات المذهبية ولا تستجيب لنزعات الالحاد ولا لدواعى التعصب للجنس أو الاقليم أو العقيدة .

تلك نقاط محدودة مجملة قد يجد القارىء فى مدلولها وما تنطوى عليه ما يصور له مدى اهتمام الشارع ، الاسلامى ببناء المجتمع ومبلغ عنايته باقامة روابطه وعلاقاته على أسس مبادىء تكفل تحقيق التعاون والتكافل فيه على أوسع نطاق وأرفع مستوى وأعمق تقدير .

بيد أن للتكافل الاجتماعى فى الاتجاه الاسلامى مظاهر تبدو محددة فى اطار الخطة المرسومة لواجب الأفراد والجماعات ومسئولياتهم الفردية والجماعية ومدى ما تلقيه هذه المسئوليات على عواتق هؤلاء وأولئك فى الجانبين المعنوى والمادى من حياة المجتمع ودور كل فرد وكل هيئة فى العمل وفى الكفاح فى محيطه الخاص وفى المجال العام .

وتتمثل مظاهر التكافل الاجتماعى أولا وجوب القيام بما فرضه الله تعالى على الأمة من الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر أو بعبارة أخرى فى القيام بواجب الدعوة والارشاد والتوجيه والتوعية وتبصير المجتمع بأحواله وظروف حياته العامة فى كل جوانبها وسائر نواحيها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعقلية والأسس والنظم التى يقوم عليها كل جانب من هذه الجوانب والاتجاهات التى يسيرفيها والأهداف والغايات التى يسعى اليها ويرمى الى تحقيقها وتبصير كل فرد أو هيئة فى مجتمع بدوره فى البناء ونصيبه فى العمل وواجبه نحو نفسه ونحو أهله وعشيرته ونحو اخوانه ونحو المجتمع كله ثم حمله على أداء هذا الواجب ودفعه الى العمل المخلص المثمر فى مجالاته المختلفة وعلى مستوياته المتفاوتة .

وهذا من جانب الدعاة والموجهين القادرين على حمل هذه الآية الكريمة والقيام بأعبائها الضخمة امتثالا لأمر الله تعالى وخضوعا لتوجيهه الكريم .. حيث يقول سبحانه : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ». ويقول ـ سبحانه ـ : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .**

ويقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وحين يتخلى الدعاة والقادة ومن يحسنون التوجيه والتوعية عن هذا الواجب الأساسى والركن الأصيل فى تحقيق التكافل والتضامن فى المجتمع يكون نذير الشر وداعى الخطر ويكون تصدع بناء المجتمع وانهياره . اذ تحتل النوازع الخاصة والأغراض الذاتية من النفوس مكان التوجيه وتنحرف الى اتجاهات ضارة آثمة وتعرضها لانحرافات هدامة فتنفك روابط المجتمع وتتلاشى منه روح التعاون ويتعرض للضياع والدمار وفى ذلك يقول الله تعالى : **« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . لبئس ما كانوا يفعلون » ويقول « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ».**

وتتمثل هذه المظاهر ثانيا ومن جانب جمهور الأمة وسواد الشعب فى تلبية نداء الدعوة والاستماع لصوت التوجيه وتفهم أغراضه وأهدافه تفهما أصيلا عميقا واعيا تضرب جذوره فى أعماق القلب وينعكس أثره على الجوارح والصورة العامة فتتحرك فى اتجاه الدفع الواعى فى نشاط واقدام تتفاعل مع الآخرين وتتعاون معهم فى اخلاص وقوة وينتج الجميع لخير الجميع خير النتائج وأعظم الثمرات .

وفى ذلك يقول الله تعالى **« ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما » . ويقول : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .**

وحين تتسلط الفردية والذاتية على الأفراد ويتملك الغرور القاتل والجهل الفاضح زمام النفوس فتعرض عن نداء الحق جهلا واستكبارا ولا تستجيب لداعى النصح غرورا وعنادا تغلق دونها أبواب النجاح وتعمى عليها طرق الهداية .. فتنغمس فى الرذائل وتندفع فى تلبية الأهواء والأغراض الذاتية . فتنتاب المجتمع أعراض الضعف والانحلال ويسير بخطى فسيحة الى الفناء والاضمحلال ..

« يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون » وهناك مظاهر وأساليب أخرى للتكافل الاجتماعى ربما كانت موضع مقال تال ان شاء الله .

حديث القرآن عن

الأزواج والزوجات

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

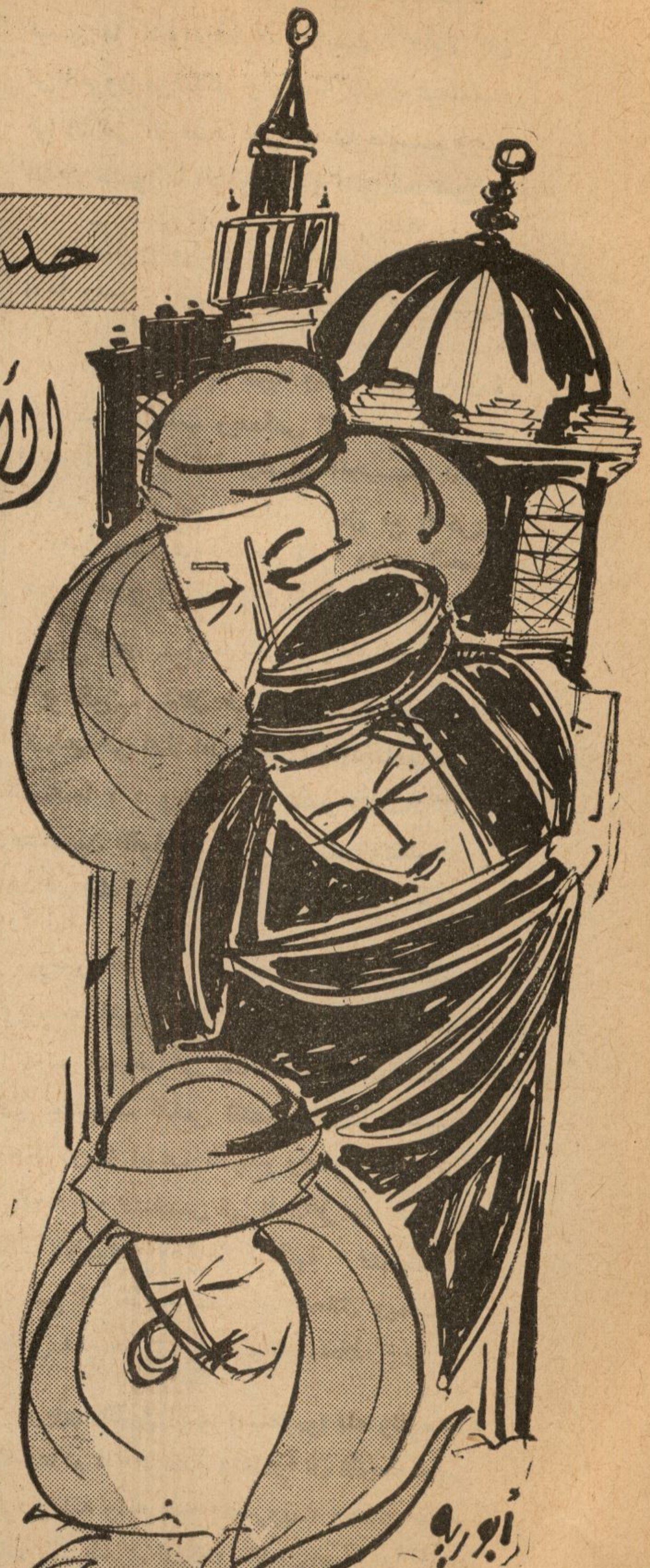

.. ولم يكن حديث القرآن فى هذا الشأن قاصرا على ما ذكرنا لك من اشادة بالزوجية وبيان أثرها فى تقويم المجتمع .

بل نرى للقرآن تفصيلا حكيما عن هذه العلاقة الثنائية فى مبدئها ، والمتشعبة فى حقل الانسانية بعد ..

١ ـ وأول ما يأخذ به القرآن فى ذلك : هو عنايته ببناء الاسرة من أول تكوينها على أساس سليم .. فهو يهيب بنا أن نبتعد عن سوء الاختيار للزوجة أو الزوج : قبل أن نتورط فى الزيجة ، ونتعثر فى عقباتها .

فيلفتنا الى ناحية كانت مستساغة قديما ، ولا تزال مستشرية فى بعض البيئات كالمرض الفتاك ..

وهى مطاوعة الشهوة البهيمية فى التزوج بمن لوثته جريمة الزنا وعرف بها .. ففى الاقدام على ذلك تهاون فى بناء الاسرة .. وتطويح بها الى مهاب الظنون ..

والله ـ تعالى ـ يقول فى ذلك :

« الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة » ••
ولفظ ينكح – يراد منه – العقد الزوجى •• أو الوطء ، كما تتسع لذلك اللغة •• والقصد على أن المعنيين تشنيع ، وتقبيح لجريمة الزنا ولشخصية الزانى ، حتى لا ينبغى لامرأة حصان أن تتزوج برجل زان ، فان شأنه أن يرغب فيمن هى على شاكلته ••

وتزوج العفيفة به معرة عليها ، وخسة لها، فلتعرض عن زواجه ، تحقيرا له ، وترفعا بنفسها ، وصيانة لعرضها أن يتملكه ذلك الزانى المبتذل •• وليذهب الى زانية مثله ، أو مشركة تستبيح الجرائم كلها ••
وكذلك شأن الزانية **« لا ينكحها الا زان أو مشرك »** ، فلا ينبغى لرجل كريم على نفسه أن يرغب فى الزواج بزانية، وانما يرغب فيها من كان على شاكلتها فى الفساد •• وترديد الأسلوب من جانب الزانى مرة •• ومن جانب الزانية مرة ثانية لتأكيد هذا التوجيه ، كما أكده بأسلوب الحصر ، حتى كأنه لا يصح تزوج زان ، ولا زانية الا بمثله ، ولا يرضاه غيرهما ، لما فيه من الخساسة وجرح الكرامة ••

بل فهم بعض الأئمة أن التزوج بالزانى أو بالزانية غير صحيح مطلقا حتى تكون توبة صحيحة من الزانى أو الزانية ، فيصح التزوج حينئذ ، فالاسلوب للنهى ، لا لمجرد الخبر عندهم، وحكمة ذلك صيانة الزوجية من جرائم الفساد الخلقى ، وكف الناس عن الاسفاف والانحدار وراء النزوات •

وخاصة من جانب المرأة ، فانها تكون غير مأمونة على صيانة النسب ، فضررها أشد •• والحيطة معها ألزم •

وما يراه أولئك الأئمة من تحريم الزواج بالزانية ، أو بالزانى حتى يتوب : رأى وجيه ، وان لم يكن اجماعا •

وقد أجمل الله القول فى هذا المجال الفضفاض بقوله تعالى : **« وحرم ذلك على المؤمنين »** أى : هو حرام فيما شرعه الله للمؤمنين ••

وفى هذا الخبر تلميح ظاهر بالطعن على المتساهلين فى الحيطة للاعراض والأنساب ، كما فيه تزكية مقصودة للمتحفظين •

واذا كان لفظ ينكح محمولا على مجرد الوطء كان القصد تشنيعا على الزناة، لا بيانا لتشريع الزواج بهم •• وذلك وجه لا بأس به ، ولكن حمل هذا اللفظ على عقد الزواج أوفى بالأغراض كلها : من تشنيع ، وتنفير من من الزواج •• الخ •

ثم انظر – ثانيا –

تجد للقرآن مجالا آخر فى البعد بالاسرة عن مواطن الزلل ، والحرص على تكوينها فى اطار من الطهر والطمأنينة ••

فلا يجعل الله تحذيرنا من الزواج بزان ، أو بزانية فحسب ، بل يفسح وعينا لما هو أبعد من ذلك فيقول – تعالى – :

« الخبيثات للخبيثين •• والخبيثون للخبيثات » •• **فان يكن الخبث وصفا للكلمات** السيئة وانها لا تكون الا من خبثاء ممقوتين ، فان المرأة الخبيثة داخلة فى هذا الوصف دخولا أوليا ، وأولويا •

وهذا تشنيع على أهل الخبث بالزنا أو بغيره من خصال السوء ، وقبيح الأخلاق •• والمسالك المعوجة ، والاصول الوضيعة التى لم يرفع من شأنها دين ، ولا تهذيب •• فالمرأة الخبيثة لا ينبغى أن تتعلق بها الرغبة فى الزواج لمن كان ذا تكريم لنفسه ، وواعيا لحرثه ونسله ، وانما تكون مرغوبة لدى الخبيثين مثلها من الرجال •• وهذا توجيه للرجل – أولا – لأنه عادة يندفع بهواه الى المرأة •• فاحتاج الى توعية من غواية نفسه ••

وكذلك كان التوجيه للمرأة **« والخبيثون للخبيثات »** •• يعنى أن الرجل الخبيث لا يرغب فيه الا المرأة الخبيثة ، فلتزهد فيه من كانت عزيزة على نفسها ، وكريمة فى قومها ••

وفى كلا التعبيرين حط من شأن الخبثاء، عن مستوى الاختيار للزيجة، فان الزوجين أصول، والذرية فروع لها، والاسرة كلها كحقل واحد يرادتنقيته من الطفيليات والآفات ليكون كله نضرا يعجب زراعه، وغير زراعه.

ومن أجل هذا كان من توعية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأمته فيما أثر عنه: **« تخيروا لنطفكم فان العرق دساس »** .. ويقول الشاعر: « .. **وهل تنبت الا فى مغارسها النخل** » ..

والفقهاء يراعون ذلك فى اعتبارهم الكفاءة بين الزوجين، حتى جعلها بعضهم شرطا فى صحة العقد .. والقرآن الكريم يقرن هذا التوجيه السلبى بتوجيه ايجابى. فيقول - تعالى - **« والطيبات للطيبين .. والطيبون للطيبات »** .

فهذا ترغيب حثيث فى اختيار الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، وكذا فى اختيار الطيبين من الرجال للطيبات من النساء ..

فذلك كله تسوية للاوضاع، وتوعية دينية واجتماعية فى أمر خطير، كثيرا ما تطيش به الرغبات، ويجرفنا تيار الشهوة فى جمال .. أو فى مظهر لا يكون فى حصانة من خلق، ودين، وتكون الحياة بعد ذلك فى سخط .. وضرر الزوجية يكون أكثر من نفعها .. ولعل ذلك التسامح وراء المطامع والنزوات هو السبب غالبا فيما يشاع بيننا من تبرم بالحياة المنزلية، ومن سخطه نفسية تتقد جمراتها بين جوانح الزوج أوالزوجة، فتتصدع أواصر الزيجة والنسب. وربما تبدلت راحة الحياة بذرية لم تكد تهنأ بنصيب من رفاهية الطفولة فى أحضان الأبوين فيستطير الشرر، وتتأرث العداوة، ولا يسهل تدارك ما فات، بعد أن تمكن الشيطان من وضع يده، ونفث سمومه ..

كل ذلك: قصص توجيهى نحو ما ينبغى فى تاليف الاسرة، والتحرى فى تكوينها .. أكثر مما نتحرى فى شؤون لا يبلغ خطرها مبلغ ما تحدث عنه القرآن فى مثل هذه العناية بالاسرة ..

ولقد امتدت بنا الآية الى ذكر الطيبين من عترة النبى، ومن كانوا يعيشون فى ظلال النبوة، فيقول تعالى فى الاشادة بهم، وانهم الطيبون الذين تنزهت سيرتهم عن شوائب الريبة ..

وينفى عنهم ما كان يرجف به المرجفون من الكفار والمنافقين **« أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم »** .

هؤلاء من أصول كريمة ولم يتسرب اليهم سوء الاختيار الزوجى، فلا تلحق بهم شبهة التشنيع الذى انحدر اليه أولئك السفهاء .. بل هؤلاء لهم عند ربهم مقام الرضا. ولهم الرزق الكريم فى جنات الله الواسعة ..

وذلك تنويه بشأن عائشة - رضى الله عنها - وعن أبيها الصديق ..

ويقول العلماء تعليقا على ذلك: ان يوسف - عليه السلام - لما رمى بالفاحشة كذبا عليه - برأه الله على لسان صبى فى المهد.

وان مريم لما رماها اليهود بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى - صلوات الله عليه - .

وان عائشة لما تطاول المنافقون بالكذب عليها برأها الله تعالى بالقرآن، فما رضى لها ببراءة صبى، ولا نبى، حتى برأها بكلامه - سبحانه - تلك البراءة التى تكفل الله بها فى آيات عدة من سورة النور، وبين فيها أن ذلك الارجاف لم يكن فى حقيقته شرا بعائشة بل هو خير فى تقدير الله ..

ومن هذا ندرك ما يكون لكرائم النساء من طهارة العرض، والبعد عن الشبهات، والبراءة من أراجيف الخبثاء.

ولنا أن نفهم فى صواب أن القرآن يفيض علينا بتعاليمه، فيقص آياته، ويضرب لنا الأمثال من واقع الحياة، لنقتدى ولنزداد ايمانا ..

اشتراكيون مسلمون

الدكتور أحمد الحوفى

- ٤ -

تبين من المقال السابق أن الاسلام أباح الملكية الفردية وصانها ، وجعل توريثها حقا للمالك وللوارث .

وتبين أن اشتراكيتنا لم تخالف الاسلام فى شىء من ذلك ، وأن الشيوعية تسلك مسلكها الخاص بها فلا ملكية ولا ميراث .

لكن اشتراكيتنا تقوم على تحديد الملكية الفردية .. وشتان ما بين التحديد والالغاء

تحديد الملكية

١ - واذا كان الاسلام قد اقر الملكية الخاصة المشروعة ، فانه راعى أنها لا يصح أن تكون معوقة عن حق مشروع للآخرين ، وراعى أن صالح الجماعة مقدم على صالح الفرد ، وخير المجموع مقدم على منفعة الأفراد

ولهذا أجاز الاسلام نزع الملكية الخاصة اذا كان فى نزعها خير للمجتمع كله أو لطائفة منه . فقد حمى عمر بن الخطاب أرضا بالربذة بالقرب من المدينة وجعل كلأها حقا مشاعا للفقراء ، وحظره على الأغنياء ، وقال انه ان تهلك ماشية الغنى يرجع الى ماله ، وان تهلك ماشية الفقير يأتنى متضورا بأولاده طالبا الذهب والفضة ، وليس لى أن أتركه ، فبذل العشب من الآن أيسر على من بذل الذهب والفضة يومئذ .

ولما قدم عليه أهل الزبدة يشكون من تأميمها محتجين بأنها أرضهم التى حموها فى الجاهلية والاسلام رد عليهم بقوله : **المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر .**

وأباح الاسلام للحاكم أن ينزع الملكية الخاصة من صاحبها اذا اتخذها وسيلة للايذاء والاعنات ، فقد كان لسمرة بن جندب نخل فى بستان رجل من الأنصار ، وكان سمرة يكثر من التردد على البستان هو وأهله فيؤذون صاحبه ، فشكا الرجل الى رسول الله ، فاستدعى سمرة وقال له : بعه نخلك ، فرفض . فقال : هبه لى ولك مثله فى الجنة فأبى ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنت مضار .. وقال لمالك البستان : اذهب فاقلع نخله .

وكان للضحاك بن خليفة الأنصارى أرض لا يصل اليها الماء الا من خلال بستان لمحمد ابن مسلمة ، ولكن ابن مسلمة أبى أن يمر الماء ببستانه ، فشكاه الضحاك الى عمر بن

الخطاب ، فاستدعاه عمر وقال له : أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك ؟

قال : لا . قال عمر : والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته .

وانه ليجدر بنا أن نطيل التأمل الى مايتجلى فى تأميم عمر بن الخطاب أرض العراق والشام بعد الفتح الاسلامى ، وما فى هذا التأميم من اشتراكية ، وبعد نظر ، ومشورة وحرص على مستقبل المحرومين والمحتاجين الذين سيولدون فيما بعد ، وان أغضب هذا التأميم المحاربين الفاتحين الذين يريدون الاستئثار بملكية الأرض المفتوحة ، لأنهم غلبوا عليها بسيوفهم ، وحسبوها فيئا هم أولى الناس بالاستئثار به .

ذلك أن ابا يوسف فصل فى كتاب الخراج مادار من مشاورة بين عمر وبعض الصحابة فى قسمة الأرض المفتوحة بالعراق والشام ، فتكلم قوم ، وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا .

فقال عمر : فكيف بمن يأتى من المسلمين ، فيجدوا الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء وصارت فى حوزة الوارثين ؟ ان هذا ليس برأى .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : فما الرأى ؟ ليست الأرض الا مما أفاء الله عليهم

فقال عمر : فاذا قسمت أرض العراق وأرض الشام ، فمن أين تسد الثغور ؟ وماذا يكون للذرية والأرامل بالحجاز والشام والعراق ؟

ثم استشار عددا من الصحابة ، وعرض عليهم رايه ، وقال لهم : انى واحد منكم ، وقد خالفنى من خالفنى ، ووافقنى من وافقنى ، ولست أريد أن تتبعوا رأيى ، والله لئن كنت نطقت بأمر ما أريد به الا الحق .. وقد رأيت أن أترك الأرض لزارعيها ، وأضع عليهم فيها الخراج ، وفى رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون الأرض فيئا للمسلمين من المقاتلة والذرية ومن يأتى بعدهم . أرايتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ؟ أرايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لابد لها أن تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم ؟ فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الأرض ؟ فوافقوه على رأيه .

ومعنى هذا أن عمر فطن الى ما سينجم عن تقسيم الأرض الخصبة على الفاتحين من تجمع الثروات فى أيد قليلة ، ونشأة نظام اقطاعى ، وآثر على هذا النظام أن يحد من الملكية الفردية ويحتجزها عند حد معقول .

ومازالت ارض العراق والشام ملكا عاما للدولة الى أول العهد الأموى ، اذا انقلبت الخلافة الى ملك وحرص بنو أمية على اقتناء الضياع .

على أن عمر بن عبد العزيز خالف سابقيه من بنى أمية اذ تنازل لبيت المال عن أملاكه التى ورثها من أبيه ، ومزق وثائقها ، ثم طبق هذا على بنى أمية ، فانتزع أملاكهم ، ومزق وثائق امتلاكها ، وضمها الى بيت المال .

وتجلت ثمرة هذا العمل العظيم فى ان حصل الشعب على كفايته ، حتى ان الزكاة لم تجد من يستحقها فى سنة من سنوات حكم عمر بن عبد العزيز .

وأجاز الاسلام للحاكم العام أن يسن من القوانين ما يكفل حسن توزيع الثروة بين الناس ، وان أدى هذا الى ايثار طائفة على طائفة ، فقد منح النبى أموال الفىء من بنى النضير للمهاجرين خاصة ، ولرجلين فقيرين من الأنصار ، لأن المهاجرين كانوا قد حرموا أموالهم التى يملكونها فى مكة ، وكان للانصار أموال لم تمس .

كذلك أوجب الاسلام على الغنى أن يتنازل عن جزء مما يملك للفقير . قال ابو سعيد الخدرى : كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ثم

اخذ يعدد من أصناف الأموال حتى ظننا أنه ليس لنا من مالنا الا ما يكفينا .

وذكر الموصلى فى كتابه « الاختيار » أن من اشتد جوعه حتى عجز عن طلب القوت فرض على كل من علم به أن يطعمه أو يدل عليه من يطعمه .. فاذا امتنعوا عن ذلك حتى مات : أتتركوا فى الاثم .. قال عليه السلام ما آمن من بات شبعان وجاره الى جانبه طاو . وقال : أى رجل مات ضياعا بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله .

وكذا اذا رأى لقيطا اشرف على الهلاك أو أعمى كاد أن يتردى فى البئر ، وصار هذا كله كانجاء الغريق .

وقال ابن حزم : من عطش فخاف الموت فرض عليه أن يأخذ الماء حيث وجده ، وأن يقاتل عليه .

ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه ، لأن فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع . فاذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة ولا الى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك) فان قتل فعلى قاتله القود ، وان قتل المانع فالى لعنة الله ، لأنه منع حقا . وقد ورد جماعة من المسلمين على عمر بن الخطاب فاخبروه انهم وردوا ماء وكانوا عطاشا مشرفين على الهلاك هم وماشيتهم ، فامتنع أصحاب الماء أن يسقوهم ، فقال لهم عمر : هلا وضعتم فيهم السلاح . ولهذا لم يدع الاسلام الملكية الخاصة طليقة من القيود بل أوجب فيها حقوقا للفقراء وللدولة وللصالح العام .

ولو انه تركها حرة حرية مطلقة لآلت الى نظام طبقى يستبد فيه الأغنياء بالفقراء ، ويحقد عليه الفقراء على الأغنياء ، فتنحل روابط المحبة والتعاون والاخاء .

قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وقرر الاسلام أن الخير العام يتحقق فى المال حينما تتداوله الأيدى ولا يكون حكرة على الأغنياء . قال تعالى « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وحبب الاسلام الانفاق الى المسلمين ، وأضاف المال اليه سبحانه وتعالى ، لأنه المالك الحقيقى للمال وأصحاب المال ، قال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، وقال سبحانه : « امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » .

وفرض الزكاة ، وجعلها حقا معلوما ثابتا للفقراء على الأغنياء . قال تعالى « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » . وقال : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

فالمال الذى يعطيه الغنى الفقير حق للفقير وليس تفضلا من الغنى ، فان جحده ألزمه الحاكم به .

وليس معنى هذا أن الاسلام يدعو الفقراء الى التواكل والاعتماد على ماينالون من الأغنياء فقد عرفنا أن الاسلام يدعو الى العمل ويحض عليه ، ويؤثر الرزق المكسوب بالجد والعمل، وينفر من الكسل والمسألة .

وانما معناه أن الاسلام أباح للفقير أن ينال الصدقة كما أباح الضرورات التى لا مندوحة عنها ، فالزكاة مفروضة ، ولكن لمن اعجزتهم الضرورات عن السعى والكسب وممارسة العمل المستطاع . ولهذا أوجب الاسلام على الاغنياء أن ينفقوا على أقاربهم الفقراء والعاجزين عن الكسب ، وأوجب على بيت المال الانفاق على العاجز والشيخ الهرم والمرأة ان لم يكن لهم أقارب تجب نفقتهم عليهم .

ولم يفرق الاسلام المتسامح بين المسلمين والذميين فى هذه الأحكام .

خواطر مستشار

الجديد من الفقه الإسلامي الذي استحدثه القانون المدني الجديد .

الأستاذ المستشار علي منصور

ظهرت في التشريعات الغربية الجرمانية نظريات قانونية حديثة استدعاها التطور الصناعي في أوربا ولم تكن معروفة من قبل لديها فاستنبطوا لها الأحكام وظنوا أنهم أول من قال بها واذا بها جميعا موجودة مؤصلة ومفصلة في الشريعة الاسلامية ، ومنها على سبيل المثال :

١ نظرية التعسف في استعمال الحق .. ومصدرها في الشريعة القاعدة لا ضرر ولا ضرار وقد توسع الفقهاء فيها في مختلف أبواب الفقه الاسلامي بما لم تصل اليه أحدث التشريعات ..

٢ ـ الحوادث الطارئة .. وهي ما يطرأ على العقد من ظروف لم تكن متوقعة وقت التعاقد تجعل التزام أحد الطرفين مخلا بالنسبة لالتزام الطرف الاخر بما يؤدي الى اختلال التوازن المالي للعقد ، ولذا لجأت التشريعات الحديثة الى القول بوجوب الحد من قاعدة أن العقد شريعة المتعاقدين تحقيقا للعدالة التي يجب أن تقوم بين طرفي العقد وهذه النظرية التي يظنون أنهم منشئوها متفرقة في أبواب الفقه الاسلامي تأسيسا على نظرية لا ضرر ولا ضرار ، ونظرية الضرورة ، ونظرية العذر فالشريعة الاسلامية تقضي بأن الضرورة تقدر بقدرها وأن حقوق الناس ليست مطلقة ونجد هذا كله في باب العبادات مثلا حيث يكون الاكتفاء بالتيمم للضرورة لعدم وجود الماء عند العذر ، وقصر الصلاة الرباعية عند السفر ، وجمع الصلاتين في الحج ، والتحلل من بعض مناسكه ، واباحة الصلاة للمريض قاعدا .

وهذه أخذ القانون المدني بأحكام الشريعة فيها كما أخذ منها أحكاما وجدها أعدل من غيرها ومنها :

٣ حوالة الدين .

٤ ـ مجلس العقد ومتى ينعقد الايجاب والقبول وكيف يتكون مجلس العقد بين اثنين أحدهما في بلد والآخر في بلد ثان ؟ وهل يجوز للموجب أن يرجع في ايجابه قبل انتهاء مجلس العقد وقبل أن يفصح العاقد الآخر عن قبوله ..

٥ - اجارة الوقف .

٦ - نظام الحكر .

٧ - ايجارة الأراضى الزراعية والمزارعة والمساقاة وحق الشرب وحق المسيل وغير ذلك .

٨ - هلاك الزرع فى العين المؤجرة .

٩ - انقضاء الاجارة بموت المستأجر وفسخها للعذر .

١٠ - وقوع الابراء من الدين بارادة الدائن وحده .

ويقول الدكتور السنهورى فى بحث له بمجلة القضاء العراقية العدد ١ من السنة الثانية « ان الكثيرين من فقهاء الغرب ومنهم كوهلر الألمانى .. ودكيفيشيو الايطالى ، وويجمورالأمريكى، أنصفوا الشريعة الاسلامية وشهدوا بما هى عليه من مرونة .. » الى أن قال الدكتور السنهورى ان فى الشريعة عناصر لو تولتها الصياغه فأحسنت صياغتها لصنعت منهـا نظريات ومبادىء لا تقل فى الرقى والشمول ومسايرة التطور عن أخطرالنظريات الفقهية التى نتلقاها عن الفقه الغربى الحديث وضرب أربعة أمثلة فقال ان كل مطلع على فقه الغرب يدرك أن من أحدث نظرياته فى القرن العشرين نظرية التعسف فى استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية تحمل التبعية ومسئولية عدم التمييز ، ولكل من هذه النظريات أساس كبير فى الشريعة الاسلامية لا يحتاج الا الى الصياغة والبناء ».

كيف تفسر النصوص الوضعية : التى استقيت من الشريعة الاسلامية :

من المعلوم أن نصوص المواد عامة لم تكن لتواجه جميع التفصيلات والفروع ، فاذا ما وجد نص من هذه النصوص وتحقق أنه ماخوذ من الشريعة الاسلامية فكيف يفسره القاضى عند الغموض أو عند الحكم فى الفروع .. والجواب على ذلك أن الأعمال التحضيرية لهذه النصوص وأقوال واضعيها قالت انه يرجع فى تفسيرها الى أحكام الشريعة الاسلامية فى مختلف أبواب الفقه الا أنها قيدت هذا الرجوع بقيود أولها الرجوع أولا الى أحكام المحاكم الأهلية فى الأقضية التى عرضت عليها فى ظل العمل بالقانون المدنى القديم ..

وثانيها التنسيق بين المبادىء العامة التى قام عليها القانون المدنى الجديد وبين المبادىء العامة فى الشريعة الاسلامية .

وثالثها عدم التقيد بمذهب معين من المذاهب الأربعة بل وجواز الرجوع الى أحكام المذاهب الاخرى كالزيدية ، والامامية .

القوانين الوضعية الاخرى :

قوانين الاجراءات :

يمكن التساهل والقول أن قواعد الاجراءات فى قانونى المرافعات المدنية والتحقيقات الجنائية معظمها لا يناقض أحكام الشريعة وان كانت الأخيرة أوفى على الغاية وأدق وأوسع تفصيلا .. اقرأ مثلا آخر آيات سورة البقرة « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه .. الخ » .

وفضلا عن الأهلية والصفة والمصلحة التى تشترطها القوانين الوضعية فى رافع الدعوى أو محركها فهناك فىالشريعة الاسلامية تفصيل عن المدعى وما يشترط فيه ومن ينتصب خصما .

قانون العقوبات :

أما قانون العقوبات الوضعى فى بلادنا ، فقد أهمل الحدود المنصوص عليها فى الشريعة الاسلامية ، فالاتصال الجنسى مثلا مباح فى عرف القانون الوضعى ما دام لا اكراه فيه وكان التراضى على اقتراف هذه الجريمة بين ذكر وانثى فوق سن معينة هى ١٦ سنة للبنت و١٨ سنة للشاب .

ومعنى ذلك أن القانون الوضعى أحل الزنا فى ظروف معينة ، ولا عقاب الا فى حالة الاكراه أو صغر السن ، أما الزوجة المحصنة فأمر ارتكابها للجريمة لم يترك للجماعة والنيابة العامة ، انما ترك لرغبة الزوج ، فان اراد أبلغ الأمر الى النيابة وان بدت له فكرة العدول أثناء التحقيق أوقفت النيابة التحقيق وأخلت سبيل المرأة ، فان بقى مصرا على بلاغه ووصلت الزانية الى المحكمة فينص القانون

الوضعي على عقابها بالحبس دون الرجم وهو الحد الشرعي ويصح للقاضي أن ينزل بعقوبة الحبس الى حد وقف التنفيذ ، فان كان الحبس مع النفاذ ساغ للزوج أن يتنازل عن حقه فتخرج المرأة من الحبس رغم صدور حكم نهائي عليها .

ومن عجب أن التناقض بين قانون العقوبات الوضعي والقانون المدني أن الأخير يجعل المرأة غير أهل للتصرف في القليل من مالها الا اذا بلغت سن الواحد والعشرين ، وأباح لها قانون العقوبات أن تسلم في عرضها متى بلغت سن ١٨ سنة ، فكأن العرض في شرع القوانين الوضعية أهون من المال .

ولقد شهدت لجنة تحرير القانون الهولندي الجديد بأن عقوبات الحبس والغرامة في جرائم الزنا غير زاجرة، ومن عجيب أن القانون المدني الفرنسي ينص في المادة ٣٣٩ عقوبات على أن الزوج المحصن إذا زنا لا يعاقب الا اذا زنا غير مرة في منزل الزوجية بامرأة أعدها لذلك .. فالنص كما هو ظاهر لا يعاقب على جريمة الزنا ، بل يعاقب على امتهان الزوج لحرمة بيت الزوجية بشرط أن يتكرر منه ذلك فله أن يزني بمن شاء وكلما شاء خارج منزل الزوجية ، ولكي يعاقب يشترط القانون أن يعد امرأة معينة كعشيقة أو خليلة ويزني بها أكثر من مرة في منزل الزوجية .. والعقوبة التي نصت عليها المادة تافهة فهي غرامة مالية بين مائة فرنك وألفي فرنك ، أي تتراوح بين عشرة قروش ومائتي قرش .

في حين تنص المادة ٣٤٠ فرنسي على معاقبة الزوج الذي يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال الزواج الأول بالأشغال الشاقة فتعدد العشيقات والخليلات كما يبدو أحب الى القانون الفرنسي من تعدد الزوجات .

وكذلك فان القاتل لا يقتص منه بالاعدام الا اذا اقترن بالجريمة جريمة أخرى كالسرقة أو الزنا أو اذا اقترنت بظروف مشددة كسبق الاصرار والترصد ، وعلى ذلك تعطل أحكام الشريعة الاسلامية من حيث وجوب القصاص من القاتل عمدا ، هذا ورأى المفتي في تنفيذ الاعدام واجب أخذه ولكنه استشاري غير ملزم لمحكمة الجنايات .

وحد الخمر أيضا معطل بحكم القوانين الوضعية في حين أن بلادا غير اسلامية كأمريكا حرمت الخمر فترة طويلة في حين أن قانوننا الوضعي أباح شرب الخمر والاتجار بها الا أنه جعل عقوبة من يتجر في المخدرات الأشغال الشاقة المؤبدة رغم أن الخمر حرمت بنص القرآن والمخدر حرم قياسا عليها .

ومن هذه المقارنة السريعة والقصيرة يبين الفرق الكبير بين ما هو معمول به في القوانين الوضعية وبين ما تقضي به أحكام الشريعة الاسلامية .

هذا واهمال المسلمين لأحكام شريعتهم أدى الى الانصراف عنها الى القوانين الأجنبية على نحو ما مر ذكره .

أديان الهند

الدكتور احمد شلبي

-٢-

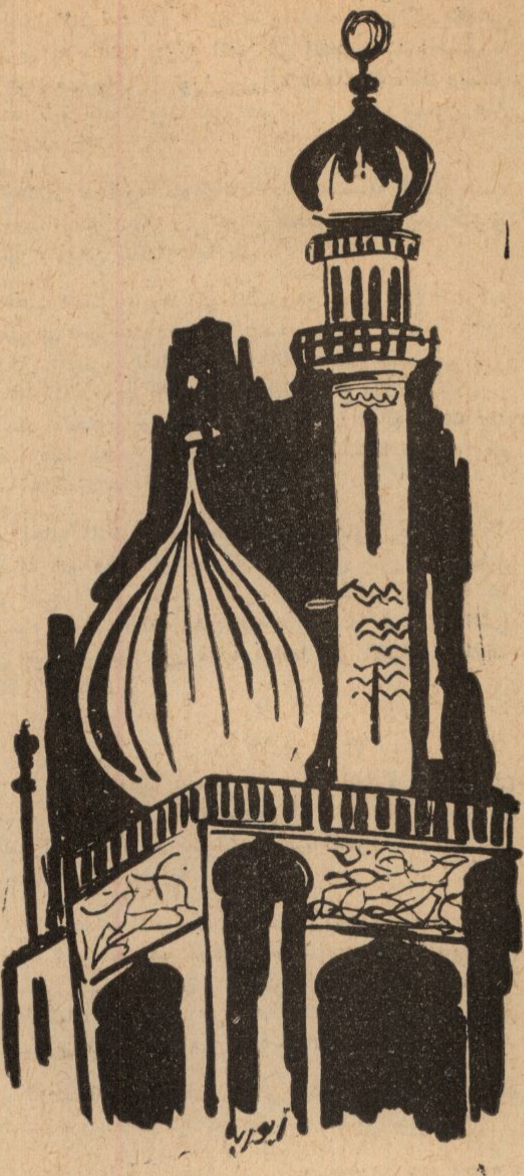

فى المقال السابق تحدثنا عن جغرافية الهند ومناخها والأجناس التى غزتها من تورانيين وآريين ، ونواصل الآن كلامنا عن نتائج هذا الغزو .

ان مدى نفوذ الشعب الصـــفراء (التورانيين) والبيض (الآريين) على الهند يوضحه غوستاف لوبون بقوله : والتورانيون أشد الغزاة تحويلا لعروق الهنـد من الناحية الجسمانية ، والآريون هم الذين تركوا أقوى الأثر فى الهنود من الناحية المدنية ، فمن التورانيين أخذ سكان الهند نسب أجسامهم وتقاطيع وجوههم ، وعن الآريين أخذ ســكان الهند لغتهم ودينهم وقوانينهم وسجاياهم وطبائعهم .

وبالتقاء الآريين والطورانيين مع السكان الأصـليين بدأت الطبقات فى الهند ، وأصبحت ذات أهمية كبرى فى تاريخ هذه البلاد ، فمن الآريين كانت طبقة رجال الدين (البراهمة Btahman) وطبقة المحـاربين والأمراء Kastria ومن التورانيين تكونت طبقة التجار والصناع Vaisya أما السكان الأصليون فلم يدخلوا التقسيم فى أول الأمر ، ولكن الحضارة الآرية امتدت الى بعضهم بمرور الزمن ، فأوجد الغالبون منهم الطبقة الرابعة وجعلوها طبقة الخدم والعبيد Sudra أما الذين لم تمتد لهم الحضـارة الآرية من السكان الأصليين لأنهم انعزلوا عن الفاتحين فقد بقوا بعيدين عن التقسيم وظلوا طريدى المجتمع أو منبوذين Outcastes وسنتكلم فيما بعد عن هذه الطبقات .

ومن العوامل الواضحة الاثر على سـكان الهنـد جميعا شدة الحرارة ، ففيما عدا جبال الهمالايا التى تكسوها الثلوج ، نجد درجة الحرارة بالهند شـديدة طول العام تقريبا ، ويرى Weeck ان شدة الحرارة كان لها أثر فى السكان ، فقد تسبب عنها عزوفهم عن العمل، وسرعة التعب اذا عملوا ، كما تسبب عنهـا نقص فى القدرة على الابتكار ، وفى الكفاية والنشاط على العموم.

أما من الناحية الروحية فتمتاز الهند بتصيب كبير منها ، ولكن ليس معنى هذا أن عامة الهنود على شىء من الصفاء الروحى ، فانه ليس فى بلاد العالم كلها بلد تنمو فيه الخرافة وتزدهر كما تنمو فى الهند ، ولكن ذلك لا يقلل من نشاط الاتجاه الروحى فى الهند لأن الظروف الملائمة للخرافة والبدع هى نفسها خير ظروف لصفاء النفس ، فالاتجاه الروحى اذا سما أخذ وجهته نحو الفكر فى الكون وخالقه .. واذا كان ضحلا أخذ طريقه نحو الخرافة .

لغات الهند :

رأينا فيما سبق اختلاف عناصر السكان واختـلاف ألوانهم ، ولكن اللغات فى الهند كانت أكثر اختلافا وأكثر عددا ، وكانت الحياة القبلية المنتشرة بالهند من أهم أسباب كثرة اللغات ، فقد كانت كل قبيلة تكاد تكون مستقلة ، تعزلها الجبال أو الغابات أو الانهار عن سواها من القبائل ، ولها لغة خاصة لا يعرفها سواها من القبائل أيضا ، وعلى هذا بلغت اللغات فى الهند نحو ٢٤٠ لغة و ٣٠٠ لهجة اذا صح ما يقوله غوستاف لوبون بالاضافة الى الفارسية التى كانت لغة رسمية للقصور والمجتمعات الراقية والبهلوية وهى لغة المجوس ، وبعض اللغـات الأوربية .

وعلى هذا لم يكن من الممكن التفاهم بين سـكان المناطق المختلفة ، وذلك الوضع مهد الطريق للغة الانجليزية لتكون لغة عامة بجوار هذه اللغات المحلية .

وبجوار اللغة الانجليزية ظهرت اللغة الاوردية فى القرن الخامس عشر ، وهى تنسب الى (الاوردو) أى المعسكر اذ كانت لغة معسكرات المغول اولا ، وقد ازدهرت هذه اللغة واتسع نطاقها ، وشملت أكثر مناطق الهند ، وبعد تقسيم الهند الى : الهند والباكستان اعتبرت اللغة الأوردية لغة اسلامية ، فاحتضنتها الباكستان واصبحت لغتها الرسمية ، ولكنها مع ذلك بقيت قوية فى بعض الولايات الهندية مثل بومباى وأندر ومدراس .

اما الهند فقد قرر دستورها جعل اللغة الهندية لغة البلاد الرسمية ، وهى لغة قامت على أنقاض السنسكرتية ، على أن تستعمل اللغة الانجليزية مؤقتا حتى تصل اللغة الهندية الى مجال القوة والانتشار ، ولا تزال الانجليزية لغة الهند الرسمية حتى الآن .

الاديان فى الهند :

نقلنا فى كتابنا « التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية» آراء مجموعة من علماء مقارنة الأديان ، وفحوى هذه الآراء أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية ، وأن الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ، كما ذكرنا أن هناك عوامل تقوى هذه الغريزة ، ومنها اختلاف قوى الطبيعة ، ومواجهة الانسان لهذه القوى وجها لوجه ، واحساسه بالضعف تجاهها .

والهند حقل رائع لتطبيق هذه الأفكار ، فقد اختلفت قوى الطبيعة اختلافا واضحا ، وواجهها الانسان الهندى وجها لوجه ، وأحس بالضعف تجاهها ، فاصبح « متدينا بطبيعته يشغف بالروحانيات ، ويسعى دائبا الى معرفة الله ، ويتخذ الزهد وسيلة ليتخلص من دنيا المادة وينتظم فى دنيا الروح »

وقد عرف الهنود القدماء عبادة الحيوانات وبخاصة البقرة ، كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة ، وعبادة الهنود الحيوانات نشأت عن الطوطمية ، أو عن الاعتقاد بان الاله يمكن أن يتجلى فى بعض خلقه ، فيحتمل أن يكون قد تجلى فى هذا الحيوان ، أو لاعتقادهم بالتناسخ الذى يجعل من الممكن ان يكون هذا الحيوان أحد اقربائهم او اصدقائهم عاد للحياة فى جسم حيوان تكفيرا عن أخطاء ارتكبها فى حياته السابقة .

وقد كان للبقرة من بين الحيوانات قدسية خاصة ، ولذلك سنخصها ببعض الحديث .

عبادة البقرة :

حظيت البقرة من بين معبودات الهند باسمى مكانة ، وهى من بين المعبودات الهندية التى لم تضعف قداستها مع كر السنين وتوالى القرون ، ففى الويدا ـ اقدم كتب الهندوس المقدسة ـ حديث عن قدسية البقرة والصلاة لها ، وفى الأدب المنسوب للمهاتما غاندى تفسير لما حظيت به البقرة قديما وحديثا من نفوذ دينى .

وبين يدى الآن العدد الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ من مجلة Bhavan's Journal التى تصدر فى بومباى بالهند ، وبه عدة مقالات عن عبادة البقرة ، وسنقتبس هنا خلاصة هذه المقالات ، وأول ما نقتبسه نشيد من « ساماويدا » نشرته المجلة فى صفحة مستقلة مع رسم تخطيطى للبقرة ، والترجمة العربية للنشيد هى :

صلاة الى البقرة

ايتها البقرة ، لك التمجيد والدعاء ، فى كل مظهر تظهرين به ، انتى تدرين اللبن فى الفجر وعند الغسق ، او عجلا صغيرا ، او ثورا كبيرا ، فلنعد لك مكانا واسعا نظيفا يليق بك ، وماء نقيا تشربينه ، لعلك تنعمين هنا بالسعادة .

وهناك اسطورة تروى كمحادثة تقتبسها المجلة عن SwamiSuvananda وهى محادثة جرت بين خنزير وملك ، ونحن ننقلها فيما يلى :

ذهب الخنزير يوما الى الملك وهو يصلى أمام البقرة ، ويعلن لها أنها معبوده الأثير عنده .

قال الخنزير للملك : أيها الملك ، متى ستعبدنى ؟

فثار الملك ونهر الخنزير قائلا : اخرج والا قتلتك .

بكى الخنزير وانتحب ، وقال : نعم ، انا اعرف انك تحب فقط لحمى ، فانا أموت لأقدم لك ما تحب ، ومع هذا فانك تعبد البقرة ولا تعبدنى .

فأجاب الملك : انك أحمق أيها الخنزير ، اننا ناخذ لحمك بعد موتك اى بعد أن تكون فى حال لا تستطيع ان تمنع ولا أن تمنع ، وسرعان ما ينتهى لحمك ، أما البقرة فتعطى طائعة وهى حية ، وتستمر فى منح اللبن من يوم الى يوم دون نهاية ، انها رمز الايثار ، ولذلك فانا أعبدها .

***

اما رأى المهاتما غاندى فى عبادة البقرة فجدير بان تفسح له صدورنا ، وأن نحاول أن ننقله كله او جله من هذه المجلة ، وهو بعنوان « أمى البقرة » وفيما يلى ترجمة أهم ما جاء به :

« ان حماية البقرة التى فرضتها الهندوسية هى هدية الهند الى العالم ، وهى احساس برباط الاخوة بين الانسان وبين الحيوان ، والفكر الهندى يعتقد ان البقرة أم للانسان وهى كذلك فى الحقيقة ، ان البقرة خير رفيق للمواطن الهندى ، وهى خير حماية للهند .

« عندما أرى بقرة لا أعدنى ارى حيوانا ، لأنى اعبد البقرة ، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع .

« وأمى البقرة تفضل امى الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام او عامين ، وتتطلب منا نظير ذلك خدمات طول العمر ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ولا تتطلب منا شيئا مقابل ذلك ، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن أمنا البقرة تمرض فلا نخسر لها شيئا ذا بال ، وعندما تموت الأم الحقيقية تكلفنا جنازتها مبالغ طائلة ، ولكن عندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهى حية ، لاننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون .

« انا لا اقول هذا لأقلل من قيمة الأم ، ولكن لأبين السبب الذى دعانى لعبادة البقرة ، ان ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والاجلال ، وأنا أعد نفسى واحدا من هؤلاء الملايين » .

***

ومن بين مئات الأديان بالهند سنعطى تفاصيل وافية عن الهندوسية والجينية والبوذية لأنها الأديان الكبرى فى قطر الأديان .

(يتبع)

دعوة الميثاق الوطني من دعوة الإسلام

الأستاذ حسني عبد المجيد

كلما تعمق المسلم المؤمن فى دراسة الميثاق وسار متوغلا بين دروب الانسانية الحقة التى أوردها كل سطر فى الميثاق . وكل كلمة فيه .. كلما زاد المؤمن المسلم ايمانا بأن الدين الاسلامى الحنيف الذى سجل على الزمن والحضارة السبق كل السبق كان أول من وضع القاعدة للوجود الانسانى الحر والبناء للحياة الانسانية الكريمة كما ينبغى أن تكون حيث كرم الله سبحانه وتعالى بنى الانسان.. كأكرم وأعظم الخلق جميعا ..

والواقع أن القيم الروحية التى تشع منذ أربعة عشر قرنا من الدين الاسلامى الكامل ولا تزال تشع حتى يوم الدين . الواقع أن هذه القيم هى فى جوهرها سياج للمؤمن المسلم . سياج لدنياه وسياج لآخرته .

والقيم الروحية أن هى الا الغذاء — اذا جاز التعبير — الذى يقدمه الاسلام للمواطن ليلوذ بها فيفرج الله شدائده . ويعينه على متاعبه ..

والكفاح والجهاد الأكبر . جهاد النفس ومقاومة نوازعها وغرائزها ولايمكن ان نسلم بأن المواطن يسكن جامدا عند هذا الحد . بعد أن يلوذ بقلبه ووجدانه بكل القيم التىأوردها الاسلام .. فهناك الجانب العملى السلوكى الذى يعفى النفس من شوائب المعاملات اليومية . ويودع عوضا عنها مجموعة السلوك العملية الهادفة الأصيلة التى تهدف لخدمة المجتمع الصغير . مجتمع الفرد . وقضاء الحاجات والمجتمع الكبير .. على السواء .

فعقيدة الفرد هى أساس التدين السليم.. والدين السليم هو كل نبضة وانطلاقة فى سبيل الخير والرفاهية وصلاح المجتمع وكماله .. وان محاولة حبس الدين فى قوقعةالفكر الضيقة .. انما هى محاولة مقضى عليها بالفشل والبوار .. فالقرآن الكريم ..جمع فأوعى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

وفى التوحيد « وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون .قوله الحق وله الملك »

الله .. وحدانيته « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » .

الله . قدرته « ان الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء »

الله .. التوكل عليه « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »

الله . أوامره «ادفع بالتى هى احسن ..»

ويتدرج القرآن باعجازه ليشد المؤمن الى رحاب خشية الله تعالى والخشية هى اللبنة الأولى فى صرح المسلم المؤمن الذى يعيش يومه وعمله ومسلكه فى خشية الله تعالى . وليست الخشية هنا بمعنى الخوف أو الرهبة وليست تعنى بأى حال التهديد والوعيد وانما تعنى الاعتراف العميق والتسليم المطلق بقوة الخالق الأحد وبعظمة القادر الصانع لكل شىء .

« واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين »

« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

« ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير »

ويتحتم أن يسلم المواطن المسلم بأن هناك الكثير .. الكثير وراء الطبيعة .. وبما لايمكن للنفس البشرية ان تعيه أو تلم به فالانسان على قوته . وقوة عقله وسلطانه على نفسه وعلى المادة . لا بد أن يؤمن بأن هناك سلطانا آخر لا يملك الفرد ازاءه الا أن يسجد لله اجلالا واحتراما .

الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

الموت والآخرة «وما كان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا »

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة »

« كما بدأكم تعودون .. »

الهوى « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » .. الى قوله تعالى « ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .. »

« بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم »

الضمير والسريرة .

« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى »

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »

الكسب .

« ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه »

« يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديم »

« بئسما اشتروا به انفسهم »

« لا تكلف نفسا الا وسعها »

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »

« كل نفس بما كسبت رهينه .. »

المسئولية الشخصية .

« ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين »

« ولا تزر وازرة وزر أخرى »

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها »

القضاء والقدر

« وماكان لنفس أن تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا »

ولكل أمة أجل . اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »

« قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل »

« ماتسبق من أمة اجلها ومايستأخرون »

يوم الحساب

الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا .

« ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون » .

« ماخلقكم وما بعثكم الا كنفس واحدة أن الله سميع بصير »

وليس السرد الوارد هنا الا لمحة فيماحواه القرآن لخلق العقيدة .. وحيث يقول الاستاذ الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ـ فى كتابه عقيدة وشريعة »

« ان العقيدة هى الجانب النظرى الذى يطلب الايمان به أولا وقبل كل شيء ايمانا لا يرقى اليه شك ولا تؤثر فيه شبهة ٠٠ والشريعة هى النظم التى شرعها الله او شرع أصولها ليأخذ الانسان بها نفسه فى علاقته بخالقه وأخيه المسلم وعلاقته بالكون وبالحياة ٠٠ ٠ وعلاقة الانسان بربه ٠٠ سبيلها أن يبقى فى حزم واصرار واكبار على اداء الواجبات الدينية كالصلاة والصوم وفى علاقته بأخيه المسلم فى أن ينصره ويناصره بتحاب وتواد وتراحم متعاونا معه بما فيه صالح البشرية وسلامتها وازدهار المجتمع الذى يضمهم ٠٠ وفى علاقته بالكون ٠٠ أن يكون الانسان واعيا متفتحا للكون ومايحوى من آيات معجزة تعظم الخالق على عظمته وفوق قدرته ٠٠ وأخيرا فى علاقته بالحياة فى أن يكون ودودا لها متمتعا بها دون أسراف محبا ليومه يعيشه فى أمل وسعادة وتكريم ٠

وجاء الميثاق ٠٠ ليعمق فى حياتنا كل سبيل حى وكل أسلوب خلاق فى كافة شئون دنيانا وليدفع مجتمعنا دفعا ليكون فى النهاية خليقا برفع رسالة الانسانية كما ينبغى ٠

وجاء فى الميثاق « **ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته وأن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته**

« **لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى أرادت الاحتكار لخيرات الأرض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيها ما يتعارض مع ذاتها كى توقف تيار التقدم** »

فالميثاق اذن ينظر للدين ٠٠ نظرة موضوعية تقدمية ٠٠ وينظر الى رسالته باعتبارها رسالة متطورة نابضة ويرى كل عرقلة فى هذه الرسالة ٠ هو فى جوهره اسهام فى الجمود والتزمت والجهل أى أن عزل الدين عن المجتمع - كما هو فى الشيوعية - انما يصيب هذه المجتمعات بأفدح الخسائر ويضيع القيم ويصيب أفراد المجتمع باحساس غامر من الضياع واليأس ٠٠ وكل من سافر منا الى المجتمع الشيوعى أو المجتمع العربى الراسمالى ليحس بتعاسة أبدية ازاء هؤلاء المواطنين التعساء التى تصعد بعض الأصوات اليهم بين حين وآخر تطلب الخلاص والهداية وسواء السبيل ولكن لا سبيل ٠٠ اذن الدين أساسه هو صلاح الفرد ثم صلاح المجتمع ٠٠ كما أن اشتراكيتنا أساسها صلاح الفرد ٠٠ ثم صلاح المجتمع ٠

فالميثاق يعلن فى عشرة مواضع تمسكنا بالأديان ٠٠ ويناشد كل مفكر دينى ويوصيه بأن ينشر الفكرة الدينية على حقيقتها لتبيان قدرتها على الاسهام فى حل مشاكل المجتمع ٠

فالاسلام دين المساواة ٠٠ لاأثر فيه لتميز طبقة عن أخرى

« **لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى** »

وفى الوقت نفسه يرفع الاسلام أصحاب العلم درجات

« **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** »

أذن فليس ثمة فضل لعاطل متقاعد توارث كل شيء وانما الفضل كل الفضل للاتقياء والعاملين والمجاهدين فالاسلام بهذه المساواة يذيب الفروق ولايقرها ولكنه فى الوقت نفسه يعترف بالفروق المميزة بين الأفراد ٠٠٠ ثم تعال معى ٠٠ كيف يرضى الاسلام العظيم بتحطيم معنويات الانسان حتى يقبل الكفاف ويعيش فى أتون التسول والعوز ٠٠ انما يجيء العمل فى الاسلام شرف وتقوى وكرامة وحياة وبقاء بعد أن أعلن الاسلام الحرب الشعواء على كل مظاهر الاحتكار والاستغلال فى معيشة الناس ٠٠

والمتأمل فى ثورتنا الاجتماعية يلحظ بكل اعزاز وفخر أن مطمحها هو تكريم الانسان ٠٠ والثورة الاجتماعية منحت الأرض للفلاح ٠٠ الأرض السليبة المغتصبة والثورة الاجتماعية مكنت العامل من المصنع ادارة وتملكة ٠

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ٠

الخلافة

أو مكان الانسان فى الكون

الأستاذ البهى الخولى

- ٨ -

مكان الانسان فى هذا الكون ، أنه خليفة الله فيه .. فما معنى ذلك .. أو ما حقيقته ؟

ان هذا الخليفة يلزمه أن يتصل بالكون بكل ما له من مواهب وأسباب :

* يتصل به بواسطة حواسه : فيرى شخوصه بعينه ، ويسمع أصواته بأذنه ، ويذوق طعومه بفمه .. الخ .

* ويتصل به بمواهب عقله الرياضى ، فيبصر ما بين الأشياء من علاقات رياضية مختلفة ، هى قوانين الطبيعة ، فيزداد علمه بالكون ، وتزيد منفعته به ..

* ويتصل به بمواهب عقله الروحى، التى لا تبصر فى الأشياء شخوصها المادية ، ولا علائقها الرياضية ، بل تبصر فيها دلالتها على الخالق .. فان من شأن العقل أن يربط بين السبب والمسبب : فكل أثر لا بد له من مؤثر ، وكل صنعة لا بد لها من صانع .. وليس من قوانين العقل أن يكون الأثر بدون مؤثر ، أو تكون الصنعة بدون صانع .. ويسمى ذلك عند العلماء : قانون السببية .. فاذا أبصر الانسان دلالة الكائنات على خالقها سبحانه ، نشأ فى فطرته قدر من العلم بصفاته ـ جل شأنه ـ يحيا به ما فى تلك الفطرة من بذور المبادىء والمثل ، ونشأ فى ضميره ـ فى الوقت ذاته ـ وجدانات حية شريفة دافقة

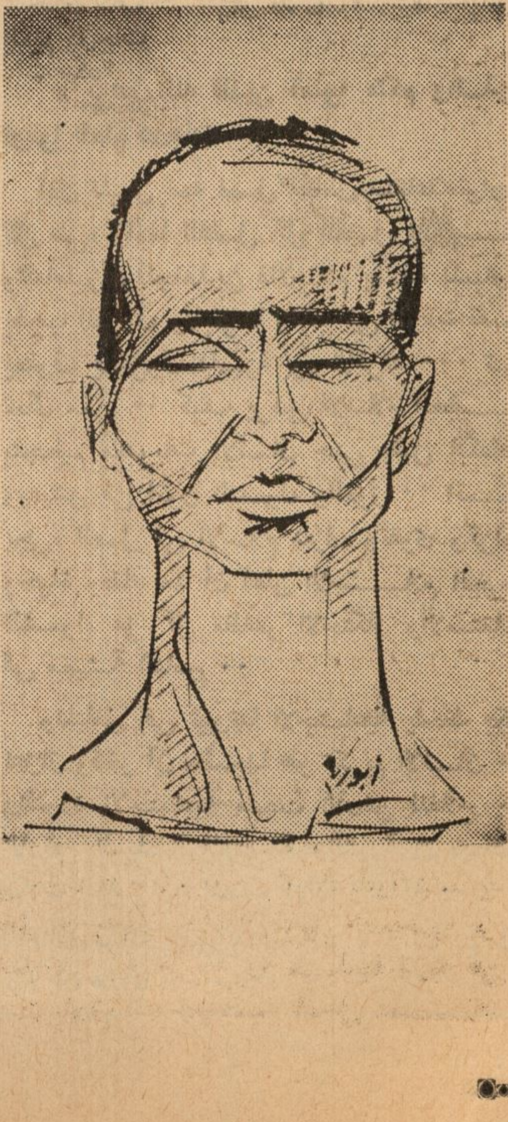

حافزة ، متعلقة بتحقيق ما قد حى فيـه من مبادىء فطرة الله ..

وبهذه الاتصالات الروحيـه ، والفكرية ، والحسية بالكون ، يغدو الانسان مؤهلا حق التأهيل لأداء منهاج الخلافة عن الله فى هذه الأرض .. فاذا اتصل بحواسه ومواهب عقله الرياضى فحسب – دون مواهب العقل الروحى – فقد فاته الاتصال بملكوت الصفات التى تحيا بها المبادىء فى فطرته ، وتنشأ بها فى ضميره الوجدانات الدافقة الى العمل .. **فيكون هيكلا عاملا بغير مبادىء ، منبعثا بغير الوجدانات المتعلقة برسالة الخير والحق .. أى منبعثا بدواعى غرائزه الدنيا ، وتزيين اهوائه الباطلة .. وليس ذلك من الخلافة فى شىء ..**

ونخرج من ذلك بأمرين أساسيين، أحدهما يتعلق بعمل الخلافة ، والآخر يتعلق بحقيقة الخليفة .

- ٢ -

وقد ندرك مما قدمنا أن العمل للخلافة ليس صورة تحدثها جوارح المرء كيفما اتفق ، بل لا بد لذلك العمل من « روح » مقتبس من عالم الحق والخير ، فيكون ذلك الروح هو الباعث لاثارة الجوارح والمواهب الى ابداع الصورة التى تناسب ظهوره وتحقيق أهدافه فى عالم الواقع .. ولا يتيسر للمرء الاتصال بعالم الحق ، الا أن يتأمل بمواهب عقله الروحى فى آفاق دلالة الكائنات على الله .. وبدون هذا التأمل المستبصر ، لا يكون روح البتة .. وبدون الروح، يكون عمل المرء خبيثا ميتا لا محالة ..

فمحور العمل للخلافة – على هذا – هو **« اقتباس روح الأعمال .. وابداع صورة ظاهرة لها » ..**

ونعنى بروح الأعمال ما يجده المؤمن فى ضميره من وجدانات الانفعال بصفات الله ، لا ما يجده غير المؤمن فى صدره من انفعال الغرائز بما ترى لها فى عالم الحس من متاع .. فان كلا الرجلين يخلق عملا ، ولكن شتان بين عمل حى يستكن فيه روح طيب من أمر الله ، وعمل ميت يستكن فيه أمر خبيث من أنانية الشهوة والاثم ..

* فان عمل الأول ينبعث بباعث الحق المحض ، ليحقق أهدافا للحق المحض ، ولا ينظر فيه الى منفعة حسية ، فانه يقوم على استعداد للتضحية ، وبذل كل ما يملك من مال ووقت ، وصحة ، وحياة .. لأن الحياة فى نظر هذا الطراز من الناس ، هى حياة المرء فى مثله ، ومبادئه ، وعقائده ، وقيمه العليا .

أما عمل الثانى – غير المؤمن – فينبعث عن أنانية محضة .. وقد تستبد به علته ، فتحكمه أنانية الطمع ، أو أنانية الشهوة ، أو أنانية الهوى ، أو يحكمه ذلك جميعا ، فلا ينظر فى شىء من أمره الى حق أو أى مثل أعلى! فان أمره انما يقوم على ارخاص أو اهدار أى قيمة عليا اذا اعترضت سبيل أنانيته فى أى شأن من شؤونها ، فان الحياة فى نظر هذا الطراز من الناس هى حياة المرء فى متاع البدن ، وقيم الحس ، ومطالب الحياة الفانية ..

* ولسنا بصدد بيان الأثر الاجتماعى الذى يتركه كلا الرجلين فى المجتمع ، فانما نتكلم عن روح الأعمال .. ولا شك أن العمل الأول تسكنه روح بواعثه ومقاصده .. وأن العمل الثانى تسكنه – أيضا – روح بواعثه ومقاصده ، وهى روح قوامها معارضة الحق ، والتضحية به لأيسر الدواعى ..

* واذ كانت روح الأول تستمد حقيقتها من صفات الله تعالى – وصفاته هى معين الحياة وسر الخلود – لا جرم كان عملا حيا باقيا .. واذ كانت روح العمل الثانى روحا خبيثة معزولة عن حقيقة الحياة ، لا جرم كان عملا ميتا لا خلود له ..

*** وحياة الأعمال وموتها ليست من قبيل ما نعرف من حياة الأبدان وموتها .. انما هى ضرب من الايجابية ، أو السلبية يحيا به العمل أو يموت .. والايجابية خصوصية من خصوصيات الحياة .. والسلبية لازمة من لوازم الموت .. وايجابية العمل معناها**

اقتداره على أن يمنحك من نفسه - اذ تأملت فيه وتدبرته - أريحية فى فى الحق تحيا بها نفسك ، وتتزودها روحك ، كأنما سرت الحياة منه اليك .. فهو بذلك عمل حى ، لا لأنه يتحرك ، بل لأن قدرته على الامداد ايجابية .. والايجابية من خصائص الحياة .. أما سلبيته فمعناها عجزه عن أن يمنحك من نفسه - اذا تأملت فيه وتدبرته - مثل ما منحك الأول من أريحية الحق ونهضة النفس اليه.. فهو بذلك عمل ميت ، لا لأنه فاقد للحركة ، بل لأن عجزه المحض سلب ، والسلب حقيقة الموت ..

وذلك فى قوانين الحق أصدق ما توزن به أعمال الأفراد والأمم .. فاذا نظرت فى الهجرة النبوية - مثلا - هجرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من مكة الى المدينة .. نظرا يحلل أسبابها العميقة ، وبواعثها الروحية ، ومقاصدها التى كانت ماثلة فى ضمائرهم ، وما تركوا وراءهم فى سبيلها من أموال ، وما قطعوا من أجلها من أواصر المودة والقرابة ، وما عانوا فى غربتهم من ضيق الحاجة ، مع حنين ثائر الى مرابع الطفولة ، ومعالم الوطن الأول - قدم لك تأملك فيها من زاد الروح ما يحيى النفس ، ويشب العزائم والهمم ، ويملأ الضمائر قوة ووجدانات مباركة كريمة .. وذلك آية حياتها ومعنى خلودها..

وها قد مضى عليها الآن قرابة ألف وأربعمائة عام ، وستمر الدهور والقرون ، وهى حية حياتها اليوم ، بل حياتها يوم خلدها ذووها ، تقدم لكل جيل زاده الحق من الحكمة والخير ، وايثار المثل العليا على كل عرض أدنى ، وعاطفة خاصة ، أو عارضة .. وهى فى كل ذلك تعلو ببهائها وأصالتها كل ما قد يكون لديهم من ألوان الثقافة والمعرفة .. وذلك حقيقة ما نريد بحياة العمل ..

وقد تنظر فى هرم الجيزة الأكبر ، وفى أذنيك ، أو فى ضميرك ما تغنى به المعجبون بحضارة قدمائنا المصريين ، وما كان لهم من علم بالفلك والهندسة والعمارة ونحوها .. ولكنك اذا وزنت هذا الأثر الضخم الذائع الصيت بميزان الحق الذى يزن البواعث والأهداف ، فكم يزن

ان له من الحجارة الضخمة ما يزن ملايين الأطنان ، ولكن كم خردلة يزنها فى ميزان الحق ؟..

دع عنك ظلم الجماهير التى سيقت سخرة بالسياط وغير السياط سنين طوالا لبنائه .. ودع عنك ما أنفق فيه من أموال الشعب وعرق الكادحين.. ودع تسخير أجهزة الدولة علمائها ، ومهندسيها ، وفنانيها ، وجنودها ، ودواوينها وما الى ذلك من أرباب الحرف فى اقامته .. ودع دجل الكهنة على الشعب ليستبقوا لأنفسهم وللأمراء والحكام ما هم فيه من ضروب الترف والنعيم وحيازة القصور والأموال .. ان كل واحدة من هذه كافية لاسقاط حضارة بأسرها ، بل كافية لجلب اللعنة على ذويها ، ولكنا مع هذا نطلب أن ندعها جانبا لننظر فى بواعث بناء الهرم الضخم وأهدافه : ماذا فيها من روح الحق وحقائق المثل ..

لا شىء ..

ان الحق هو قوام الوجود كله .. وما عداه باطل لا وجود له الا فى وهم من لا بصيرة له .. فمن استمد عمله من روح الحق ، فقد أقام كيانه على أصل الوجود ، وضمنه حقيقة الحياة .. ومن أقام عمله على طوارىء النزوات ، وتزيين الغرور ، فقد أقامه على لا شىء ، وصنعه من لا شىء .. وذلك معنى السلبية وخاصية الموت .. ولن يستقيم لنا ميزان ما لم يكن ذلك واضحا فى ضمائرنا وضوح البديهيات المسلمة بلا جدال .. فاذا قلنا : ان الهرم لا يزن فى ميزان الحق شيئا .. فلسنا نغمط ما كان لحضارته من رقى علمى ، ولكن الرقى العلمى ، أو رقى العقل الرياضى وحده لا يعنى رقى الانسانية ذاتها .. رقى قيمها ، وأهدافها ، وجوهرها .. فحقيقة الانسانية أنها معان فى الخير ، وروح من الحق ، فاذا استوى لها من ذلك حظها الأوفر ،

فهو رقيها وحقيقة كمالها ، والا فلا وجود لها الا وجود صور اللحم والدم ..

ولعلنا بذلك ندرك الأسس السليمة للحضارات ، ونميز الزائف منها من الصادق .. ونعرف عوامل بقائها وانهيارها ، القديم منها والحديث .. فأى حضارة قدمت لك زادا لروحك ، وحياة لضميرك ، فهى المفهوم الحق لمعنى الحضارة .. وأى حضارة عجزت عن أن تقدم لك سوى الاغراء بالتحلل ، وعقوق مثل الروح ، واهدار العدالة بالبغى والغدر واغتصاب حقوق الشعوب ، فهى المدلول الكاذب الزائف لمعنى الحضارة ، ولو كان لأهلها ما لهم من ضروب الفن والعلم ..

ولم نبعد بذلك قيد شعرة عن « محور عمل الخلافة » فليست الحضارة الا عمل الأفراد ، ونحن انما نتكلم عن عمل الأفراد بين الايجابية الموصولة بمعين الحق ، والسلبية المعزولة عن أى مدد للحياة .. ونستطيع أن نوجز مرادنا من ذلك فى الحقائق الآتية :

* ان الأعمال - فى شرط الخلافة - ليست صورا حسية تنشئها الجوارح ، وتدل عليها الحركات ، انما هى وجدان يوحى بخواطر الخير ، ويومض بنور الحق فى القلب ، ويسخر كل ما للمرء من مواهب وجوارح لمشيئته .. وما عمل المواهب والجوارح الا اجتهاد فى ابداع الصورة المناسبة لظهوره .

* ان العمل الذى يبدعه وجدان الحق ، عمل حى .. وآية حياته أنك كلما أقبلت عليه فى دهر من الدهور متأملا دارسا منحك من نفسه ما فيه عبرة ، وهدى ، وحياة للقلب ..

وأن العمل الذى يبعث عليه وجدان الأنانية والباطل ، عمل ميت .. وآية موته أن تنكره الفطرة السليمة ، وألا تجد فيه أى زاد مما تحيا به الروح ويعتبر به القلب ..

* ان الانسان اذ يستمد مثله من روح الحق ، ليقرها صورا وأعمالا فى هذه الأرض، انما يهب للكون الطبيعى أمرا ليس من طبيعته .. أو يدخل على الأرض لونا ليس من قبيل مادتها .. فهو حامل « روح » من أفق الى أفق ، وجالب « حق » من كون الى كون ، وناقل نور من عالم أعلى الى عالمنا هذا الأرضى .. وذلك المعنى الخطير الدقيق هو لب ابداع الانسان فى هذه الأرض ، ولا ابداع ولا انتاج له سواه ..

* انه اذ كان من الأعمال ما هو حى ، وما هو ميت - وكان لب أعمال الخلافة على ماقررنا « هو اقتباس روح الأعمال من عالمها الطيب.. وابداع صورة ظاهرة لها » - كان معنى ذلك أن روح مهمة الخليفة ، هو خلق نوع من الكائنات الحية .. كائنات ليست ككائنات الطبيعة ، ولا كائنات الانسان .. كائنات عجيبة من أمر الله .. فكل كلمة منه كائن حى .. وكل اشارة ، وكل نظرة ، وكل حركة .. وكل فعل .. كل شىء من ذلك على حدته كائن حى ، يحيا حياة لا ندرى كنهها فى ضمير الوجود .. وذلك شأن خطير لا نرسله جزافا ، ولا نحطب فيه بليل ، فقد جاء الكتاب والسنة بأن لأعمال الانسان الصادقة حياة عند الله تنمو بها وتربو ، كما تنمو وتربو أحياء الطبيعة التى نعرفها ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربيها لأحدكم ، كما يربى أحدكم مهره ، حتى ان اللقمة تصير مثل الجبل » . والله - سبحانه وتعالى يقول - : « يمحق الله الربا ، ويربى الصدقات » .. « وما آتيم من ربا ليربو فى أموال الناس ، فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون » ..

وهو قول عالم السر وأخفى ، المحيط بآفاق هذا الكون الخطير ، وما ينطوى عليه من دقائق وعجائب جلت عن أن تدركها مواهبنا المحدودة بحدود الحس ، فلو أتيح لأحدنا أن يبصر

المعنويات ، لأبصر تلك الحقيقة ، أو تلك الكائنات فى عالمها الحق ، تنمو نماءها ، وتثمر ثمرتها ، ولأدرك بذلك حقيقة المثل فى قول الله تعالى :

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة ، كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون » .

ولعل تلك الحقيقة تعمق فكرتنا عن الخلافة .. وجلال سعي الانسان بها فى ظاهر الكون وباطنه ، على مثال يثير الجد والروعة ، ويرفع لنا خطورة مكان الانسان فى الحياة ، وعمق أثره فيها .. على أن الذى يتعلق بمرادنا هو أن روح مهمة الانسان فى الخلافة هى خلق نوع من الكائنات الحية ، ليست على ما نعهد من الكائنات .. كائنات من أقوال وأفعال ، آثارها فى عالم الغيب ، كما لها آثارها فى تزويد الخير واحياء الموات .. واذا كان الله تعالى ، هو « بديع السموات والأرض » ، « وهو الخلاق العليم » لا جرم أن يكون لخليفته ضرب من ابداع الكائنات على النحو العجيب الذى بينا ؟ ..

ولعل ذلك يقترب بنا من « حقيقة الخليفة » .. فاذا كان عمل الخلافة ليس هو الصورة التى تحدثها الجوارح ، وتدل عليها الحركة أو الصوت أو نحوهما ، بل هو مايستكن فيها من مثل مقتبسة من عالم الحق ، فحقيقة الخليفة ليست هى الصورة أو الهيئة الآدمية المؤلفة من شحم ولحم ودم وعظم ، فان اللحم والدم مادة من مواد هذه الأرض ، ولا قدرة للمادة المحضة على التصرف فى عالم المثل والروح ، وتسخير المواهب لابداع الصور التى تحقق تلك المثل فى عالم الواقع.. انما الخليفة « كيان روحى » يستكن فى صورة اللحم والدم ، ولا يعلم كنهه الا الله ، ولاندرى منه الا أنه ذو مواهب فى تمييز القيم .. وأذواق فى ادراك الجمال .. وصفات فاضلة من معدن الخير .. وارادات فى الحق غالبة على ما سواها فى أفق الضمير .. وذلك الكيان الروحى هو الذى عناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

« ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

* وذلك الكيان لا ينشأ فى الضمير جزافا ، انما ينشأ حين يتصل المرء بصفات الله تعالى تدبرا فى آيات الوحى ، وتأملا فى دلالة الكائنات .. فصفات الله تعالى هى مصدر الحياة والايجاب لضمير الانسان أو « الكائن الروحى » .. هى لبشريتنا السلبية الميتة كبحر زاخر بأمواه الخصب والرى لا حد له .. واذ نفخ الله فينا من روحه رزقنا الاستعداد للاتصال بهذا المحيط والاستمداد منه .. وجعل وسيلة هذا الاستمداد ، أو قانونه الذى لا بد منه ، هو التوجه الى الله بصدق الرجاء والاخلاص فى الطلب .. وهو توجه لا يسلم للمرء ، ولا يتسنى له الا اذا أحس الضيق لوحشة الموت فى بشريته ، وأحس أن ما عند الله هو غوث الرى والرخاء والخصب لما يجد ، ولا غوث له ولا رخاء فيما عداه .. فمن أراد حياة لباطنه ، أو عمارة لضميره بخصائص الحق ، وعزائم الرشد ، وبصائر التمييز لما هو أدنى ، وما هو خير ، فليتوجه بارادته تلك الى الله ، وليدعه بما شاء من عبارة ينهى بها حاجته وافتقاره الى فضله ، أو بلا عبارة اذا أعوزه البيان ، اذ يكفى فى ذلك نداء السريرة التى تحس فى أعماقها فطرة السلب، ووحشة الجدب والهمود .. فتنبعث اليه - وقد يئست من كل ما سواه - ضارعة بوجدان الاضطرار المحض ، تسأله ريا لجدبها ، وحياة لموتها ، وعمارة لباطنها بجمال الخير ، وزينة الحق ، ونفاسة معنى الحياة .

نعم قانون ذلك كله هو الارادة الصادقة يتوجه بها المرء الى الله ، ولا شىء غير تلك الارادة على ما وصفنا .. انها جهد غير عضلى ومع ذلك يرفع اليك من محيط الحياة الزاخر ما لا يقدر قدره الا الله .. انها جهد يجتمع فيه كل ما للانسان من طاقات الفكر ، والروح والرغبة والاحساس بالحاجة ، فاذا خفقة القلب منه ترفع اليك ما لا حيلة فيه لجهد

الروافع والآلات من حياة القدس ، وأسرار الخصب والنماء ..

* وحين ارتوى الصحابة - رضوان الله عليهم - هذا الرى من معرفة الله ، حيت ضمائرهم ، واستنارت ، وذكر الوحى فضلهم على سواهم ممن بقى على جاهليته بقوله تعالى : **« أو من كان ميتا ، فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ، ليس بخارج منها ؟ » ..**

.. وبلغ من احتفائه - سبحانه - بثمار تلك الحياة لديهم ، أن أشاد بها فى التوراة والانجيل تبشيرا لأجيال كثيرة بين مقدمهم ، اذ جعل مثلهم - فى كلا الكتابين - **« كزرع أخرج شطأه ، فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار .. » الاية .**

وهذه النصوص الكريمة عن تلك الحياة المثمرة فى ضمائر الصحابة ، هى معتمدنا ومصدرنا فيما نقرر من نشاط الكيان الروحى الذى ينشئه فى ضمير الانسان اعتدال فطرته على عبادة الله ، والاقبال على التزود من معرفته - سبحانه - .

* ومما لا نمل تكريره و لاتقريره أن ذلك النشاط الباطنى ، ليس على ما نعهد من ألوان النشاط فى عالم الحس .. وأن ذلك «الكيان» الذى يغرى اليه ذلك النشاط والثمر ، ليس على ما نعهد من الامور الحسية التى تصدر عنها ألوان النشاط والثمر والحركة ، بل هو **« كيان روحى »** صرف لا يرى بعين ، ولا يلمس بيد ، ولا يدرك بحاسة من الحواس ، ولا سبيل للعقل الى أن يتصور له هيئة صحيحة على أى حال من الأحوال ..

وقد جاء التعبير عنه فى القرآن الكريم بلفظ « **القلب** » مرادا به مفهوم روحى يتعلق بمعنى « **حقيقة الانسان** » لأن قلب كل شىء حقيقته ، وصريحه ، ولبه ، على مثل ما قال - عليه الصلاة والسلام - :

« لكل شىء قلب ، وقلب القرآن : يس » ..

وقد ذكر الامام الغزالى ذلك القلب ، فعرفه بأنه : **« هو لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجثمانى تعلق ، وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان » ..**

على أننا نرى أنه ليس ثمت أسلم ولا أثبت لعقائدنا فى شأن هذا الكيان الروحى ، أو فى شأن هذا القلب ، من أن نورد بعض ما وصفه به القرآن الكريم ..

١ - فقد وصفه بالصحة والمرض : فقلوب المؤمنين سليمة :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم » . وقلوب المنافقين مريضة : **« فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا » .**

٢ - ووصفه بالسمع ، وبالصمم ، فيقول سبحانه عن الصم الذين لا يسمعون .. **« أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها ، أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » ..**

ويقول عن أهل السلامة فى السمع :

« انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله » ..

٣ - ووصفه بالأبصار ، وبالعمى ، وذلك قوله سبحانه :

« قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما أنا عليكم بحفيظ » .. « فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

٤ - ووصفه بالجمود والصلابة ، وبالحركة والليونة :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة » .. « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » .

٥ ـ ووصفه بانه يتسع ويضيق :
« فمن يرد الله أن يهديه ، يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله ، يجعل صدره ضيقا حرجا » .

٦ ـ ووصفه بانه يعقل ويفقه ، وبانه لا يعقل ولا يفقه :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها » .. « أفلم يسيروا فى الأرض ، فتكون لهم قلوب يعقلون بها » .

٧ ـ ووصفه بأنه ذو ارادة يتعمد بها الشىء أو يأباه :

« ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم » .. « يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم » .

فالقلب الروحى ـ على هذا كله ـ كائن حى له سمع .. وبصر .. وعقل .. وارادة .. وقابلية للحركة .. ومرونة للاتساع والانقباض .. وغير ذلك من خصائص الحياة وشاراتها .. ولكنه سمع وبصر وحركة على غير ما نعهد لأبداننا ، بل على مثال روحى صرف لا يعلم كنهه الا الله .. ان سمعنا وبصرنا وحركاتنا تتم فى عالم الحس على وفق قوانين طبيعية معروفة .. أما سمع وبصر وحركة هذا الكائن القدسى ، فأمر من الله ، نرى أثره فى نفوسنا فقها وذوقا ودراية وارادات راغبة فى الحق ، ولا ندرك له كنها .. وقد قلنا ان خفقة القلب منه ترفع الى الانسان من عالم الحق ، ما لا حيلة فيه لجهد الروافع والآلات ..

ذلك الى أن البدن يعتمد على ما يخرج من الأرض ـ أى على ما يخرج منها من غذاء ـ لكى يمد حواسه بما تحتاج اليه من قدرة على السمع والبصر ونحوها .. أما هذا الكائن الروحى فمدد حياته وارد قدسى من معرفة الله تعالى يأتيه ـ على ما ذكرنا سابقا ـ من صدق التدبر فى آيات الوحى ، ودوام السعى فى طاعة الله ومرضاته بفعل الخير ، والتأمل فى صلة الكائنات بالله ، حيث صفاته سبحانه مدد الحياة ، ومعدن العلم .. فاذا كان للمرء حظه من ذلك الوارد القدسى ، نشأ فى ضميره ذلك الكائن بكل ما أثبته له القرآن من صفات السمع والبصر وسائر خصائص الحياة ، على النحو الروحى الذى أسلفنا ، فسمعه نور ، وبصره نور .. وفقهه نور .. وعلمه نور .. وكل شأنه نور ، اذ هو من نور الله الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ..

* هذا الكائن القدسى هو «حقيقة الخليفة» فاذا لم يوجد ، فلا وجود للخليفة ، الا صورة الحيوان التى لا ينظر الله اليها .. ولقد وصفه الله بالسمع ، وهو ـ سبحانه ـ سميع .. ووصفه بالبصر وهو ـ سبحانه ـ بصير .. فاذا لم يكن لنا شىء من تلك الصفات ، فليس فى الضمير الا الصمم والعمى ، مما لا تؤدى به خلافة ، ولا يصدق عليه أنه خليفة ..

فاذا استتم هذا الكائن مقومات كيانه على ما ذكرنا له ، سرت منه خصائص النور الى حواس كائنه البدنى ، فيغدو لها من خصائص الربانية ما رواه البخارى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قوله ـ سبحانه ـ فى الحديث القدسى :

« و لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ، فاذا أحببته ، كنت عينه التى يبصر بها ، وأذنه التى يسمع بها ، ولسانه الذى يتكلم به .. الحديث » .

وبذلك كله تنهض فى الضمير دولة قوامها ارادات الحق ، ورغبات الخير ، وبصائر التمييز ، وأذواق الجمال ، لتقيم بمواهب الحس وملكاته دولة على نمطها فى كافة أنحاء الأرض ، لانفاذ أحكام الله فيما أراد من عدل ، واحسان ومحبة ، وامتثال للحق المطلق فى كافة قوانينه ومثله ، ويومئذ ينتصر الانسان ، ويؤدى رسالته فى الحياة أنضر وأوفى ما تكون .

طبيعة السيادة فى المفهوم العربى الاسلامى ..

مفهوم السيادة الاقليمية للدولة الاسلامية

الدكتور عز الدين فودة

طبيعة السيادة الاسلامية

اننا لو انعمنا النظر فى كتابات علماء وفقهاء المسلمين حول مفهوم السيادة للدولة الاسلامية ، كما أوضحناه ، لما رأينا فيها الوضوح اللازم للقول بان الفكر الاسلامى قد أخذ بمفهوم قانونى محدد أو مذهب سياسى واضح فيما يتعلق بالسيادة .

فنظرية السيادة بالتفصيل والايضاح الذى اطنب فيه كتاب الغرب ، وبمثل الصورة القانونية التى حددها الفقه الدستورى والدولى هناك ، لم تعرفها كتابات المسلمين من علماء الكلام والامامة أو فقهاء الشريعة . حقيقة أنه قد نشا فى الفكر الاسلامى تمييز للسلطة السياسية والزمنية التى يتمتع بها الخليفة وحكومة الدولة الاسلامية علىأرضها عن الواجبات والاختصاصات الدينية للخليفة والدولة . ولكن هذه السلطة الزمنية ، فى المفهوم السياسى للفكر الاسلامى ، لم تسم ابدا الى مصاف النظرة الوضعية المستقلة والبعيدة عن التاثر بالصبغة الدينية .

فمن ناحية ، كان هناك الفكر والفقه الاسلامى فى تقسيم المعمورة والسيادة المطلقة على دار الاسلام ، والاطناب فيما يتعلق بصفات واختصاصات صاحب الرئاسة فى دولة الخلافة . ومن ناحية اخرى ، كان هناك الاعتقاد بوجود سيادة الهية خارج ارادة ونطاق السيادة الزمنية للدولة وصاحب الرئاسة فيها ، تقف ولا شك عائقا دون أن يتطور العقل السياسى المطلق فى صنع الحياة بارادة الانسان ، نحو نظرية قانونية محددة أوشاملة فيما يتعلق بالسلطة الزمنية للدولة. وباختصار كانت هناك نظرة مؤداها وجود سلطة سياسية داخل دولة الخلافة ، ولكنها محكومة بنطاق قواعد الشرع الاسلامى . كذلك كان الازدواج فيما يتعلق بالسلطة الزمنية السياسية والسلطة الدينية الروحية ، الخارجة عن ارادة الانسان ، وارادة الأمة كمصدر للسلطات ، وارادة الخليفة كصاحب للسلطة ، أو بالأحرى عدم الفصل بين الدين والدنيا فى واجبات واختصاصات الدولة الاسلامية ، كان سببا فى عدم بروز نظرية وضعية ، سياسية وقانونية فى سيادة الدولة . فمما لا شك فيه ان ارادة التوحيد قد غلبت الفكر النظرى ، وحالت بينه وبين التمسك بالمنطق الوضعى فى تقسيم وظائف الدولة ، وفصل الجانب الزمنى عن الدينى ، وابراز فكرة السيادة واضحة سياسيا . وذلك على الرغم من أن هذا المنطق وتلك الفكرة قد وجدا صدى عميقا فىالضرورات العملية بتقسيم المعمورة الىدارين ، وقيام سيادة اقليمية فى نطاق كل منهما . ولعل أوضح دليل على ذلك أيضا أن الحديث حول سلطة الدولة واختصاصات الخلافة واركانها كان فى مجموعة حديثنا فى نطاق علم الكلام والامامة ، لا علم الفقه .

حق الملكية والسيادة الاقليمية :

غير أن هذه السيادة الاقليمية لم تكن فى حقيقة الأمر واضحة التفرقة والتمييز عن حق الملكية . فدولة الخلافة فى سيادتها وسلطتها المطلقة كانت فى الوقت نفسه هى صاحبة الأرض الاسلامية ، وصاحب السيادة والرئاسة فى اقليم الدولة الاسلامية كان صاحب حق فى التصرف فى أرض هذا الاقليم ، له أن يملكها من يشاء ، حتى أنه لم يكن هناك فارقا حقيقيا بين حق السيادة القانونى المطلق فى مباشرة الحكم وتنظيم علاقات الافراد والدولة ، وبين حق الملكية الذى يقوم على أساس الحيازة المادية للارض . ونشير فى هذا الصدد الى تصرف الخليفة العباسى المتوكل بالله فى اقليم البحرين ، حين أقطعه للشاعر مروان بن أبى حفصة لدى انشاده البيت المعروف :

بيض على وجناتهـــا ورد
ولكن كيف لنـــا بشمه

فعلى الرغم من سخف القول وسقم الخيال وضعف التعبير فى البيت المشار اليه ، فان اهتزاز الخليفة طربا لدى انشاد هذا البيت قد اقتضى منه أن يملك الشاعر المذكور اقليما بأسره ، بمقتضى ما له من حق السيادة التى لم يكن يفرق فيها بين الحق القانونى المطلق وبين الملكية فى صورة الحيازة المادية . وهى نفس الصورة التى عرفتها أوروبا فى العصور الوسطى ، قبل ظهور نظرية السيادة القانونية فى الدولة القومية الحديثة .

السيادة القانونية الموحدة والسيادة الفعلية المجزأة فى دار الاسلام

ومن المعروف ، أن النظرية الاسلامية لا تعرف الا سيادة واحدة فى دار الاسلام . وفى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ، فى حديث شريف جاء فى صحيح البخارى « اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما » . وذلك حتى لا تنقسم الأمة الاسلامية على نفسها ، وتضعف عرى وحدتها القوية . فمن الناحية النظرية البحتة ، كان الخليفة فى دمشق أو بغداد هو وحده صاحب السيادة على جميع دار الاسلام ، ولكن من الناحية الفعلية

ولا سيما فى عصر تفكك الدولة الاسلامية وانقسامها الى ممالك وسلطنات ، وبعد قيام الدولة العباسية فى بغداد والأموية فى قرطبة ، وقيام من دعا لنفسه بالخلافة فى كل منهما ، أصبح على علماء الفقه السياسى فى الاسلام واجب تبرير هـذه الحالة ، علما بان قواعد النظرية الاسلامية لم تكن تعرف الا سيادة واحدة . فتلمسوا الحل حينئذ فى نظرية الضرورة التى تبيح قيام مثل هذه الحالة فى تجزئة الدولة وتعدد الخلافة . ومن ذلك ان علماء الاندلس والشمال الافريقى بصفة خاصة أباحوا قيام أكثر من خلافة فى بقاع دار الاسـلام بالشروط الآتية :

ا) الا تقوم هاتان الخلافتان فى أرض واحدة أو داخل حدود نطاق دولة واحدة .

ب) الا تتجاور دولتا الخلافة .

جـ) أن تقوم بين دولتى الخلافـة مسافة بعيدة ، بحيث تبيح الظروف والأحوال قيام الخلافتين من أجل الحفـاظ على أمور الدين ورعاية شـئون المسلمين فى الاقطار والبقاع النائية .

ومفهوم كل ذلك هو عدم اباحة قيام خلافتين تتنازعان السلطة وتتصارعان حول السيادة بما يفرق وحدة الأمة الاسلامية عامة . ومؤدى ذلك هو صحة النظرية الأصلية القائلة بعدم تعدد الخلافة ووجوب خلافة واحدة تجمع شمل الأمة . فعلى الرغم من القول باباحة تعدد الخلافة فى الضرورة ، فان مؤدى الشروط المطلوبة هو عدم اباحة قيام الخلافتين بصفة عامة وفى جميع الأحوال .

ومن ابرز مظاهر قيام هـذه الوحدة فى السيادة الاسلامية ، أن الخليفة وحده هو الذى كان يحق له ان يلقب نفسه أمير المؤمنين ، وما عداه من ملوك أو سلاطين يسمون أمراء المسلمين . كذلك كان الخليفة وحده هو صاحب الحق فى ان يدعى باسمه على المنابر فى خطب الصلاة الجامعة ، وباسمه وحده كانت تسك النقود . والى جانب هذه الحقوق الرئيسية ، كان للخليفة حقوق أخرى فرعية تتعلق بحقه فى تثبيت السلاطين والولاة بصورة رسمية أو شكلية ، بعد أن أصبح تولى مثل هذا الملك او السلطان الحكم فى الاقليم الخاضع له أمرا لا مفر منه ، بحكم قوته وسلطانه الفعلى فى هـذا الاقليم .

فالخليفة وحده فى بغداد مثلا ، كان صاحب الحق الأوحد فى حمل لقبى خليفة وأمير المؤمنين . وعلى الرغم من أن سلطته الزمنية والفعلية على جميع أنحاء دولة الخلافة لم تكن محدودة فحسب ، وانما كانت غير موجودة فى بعض الأحيان ، (كما كان الحال بالنسبة للاندلس أو مصر وشمال افريقيا) ، وعلى الرغم من أن ملوك وأمراء هذه البلاد او سلاطينها كانوا أصـحاب السيادة الفعلية ، فلم يكن أحد منهم يجرؤ أن يلقب نفسه خليفة أو أمير المؤمنين ، مالم يكن هناك تناقض مذهبى دينى أو سياسى بينه وبين دولة الخلافـة فى بغداد ، كما حدث فى البلاد الثلاث المشار اليها . ففى وقت واحد من ذلك العصر قامت بالفعل خلافات ثلاث ، احداهما للعباسيين فى بغداد ، والثانية للأمويين فى قرطبة ، والثالثة للفاطميين فى مصر والشام . غير أن قيام مثل هذه الحالة فى تعدد الخلافة ، انما جاءت فى حقيقة الأمر نتيجة قيـام حالة استثنائية فى ظروف التاريخ الاسلامى فى العصر الوسيط ، مما لا يحمل معه تبريرا تاريخيا أصيلا للقول بعدم تطبيق نظرية السيادة الموحدة فى عصور الخلافة الاسلامية .

من ثم ، كانت النظرية العربية الاسلامية الصحيحة فى السيادة على الديار الاسلامية هى النظرية القائلة بعدم جواز تعدد السيادة القانونية فى الدولة الاسلامية المتلاحمة الأراضى والحدود ، على الرغم مما قد يقوم فى بعض أراضيها او بـلادها من سيادات فعلية . فهـذه السيادات الفعلية ، لا تملك فى حقيقة الأمر ما تملكه السيادة القانونية الموحدة لدولة الخلافة من مظـاهر السيادة العامة والسيطرة الشاملة على جميع البـلاد الاسلامية ، وخاصة فيما يتعلق بتحديد علاقاتها الخارجية مع دار الحرب .

وهذه فى حقيقة الأمر ليست نظرية اسلامية فحسب ، وانما هى نظرية عربية صـحيحة الفحوى والمضمون ، عاشت البلاد العربية باسمها وفى ظلها قرابة اربعة عشر قرنا من الزمان ، حتى قيام الحرب العالمية الأولى .

فالنظرية العربية الاسلامية الصحيحة فى السيادة هى القائمة على أساس وحدة الدولة العربية الاسلامية ووحدة السلطة القانونية القائمة عليها ، أشبه ما تكون بالدولة الفيدرالية التى تملك السيادة الخارجيـة والسلطات الرئيسية فيها الحكومة الاتحادية المركزية ، بينما تملك حكومات الدويلات الداخلة فى الاتحاد قسطا من السيادة ، يتفاوت حسب ما ينص عليه فى الدستور الاتحادى .

ومما لا شك فيه أن هناك تناقضا واضحا وصريحا بين هذا المفهوم فى وحدة السيادة القانونية لدولة الخلافة العربية الاسلامية ، كمفهوم أصيل لنظرية السيادة لدينا يستمد أصوله من التراث والتقاليد والقيم الفلسفية والاحكام التشريعية ذات العلاقة الوثيقة بالواقع العربى والاسلامى ، وبين نظرية السيادة المجزأة لكل قطر من الاقطار ودولة من الدول العربية المجزأة حاليا ــ وهو المفهوم الذى قام فى ظل المفهوم الغربى للسيادة القومية وتركز بضمان مصالح الاقطاع ووجود الاستعمار فى الوطن العربى ■

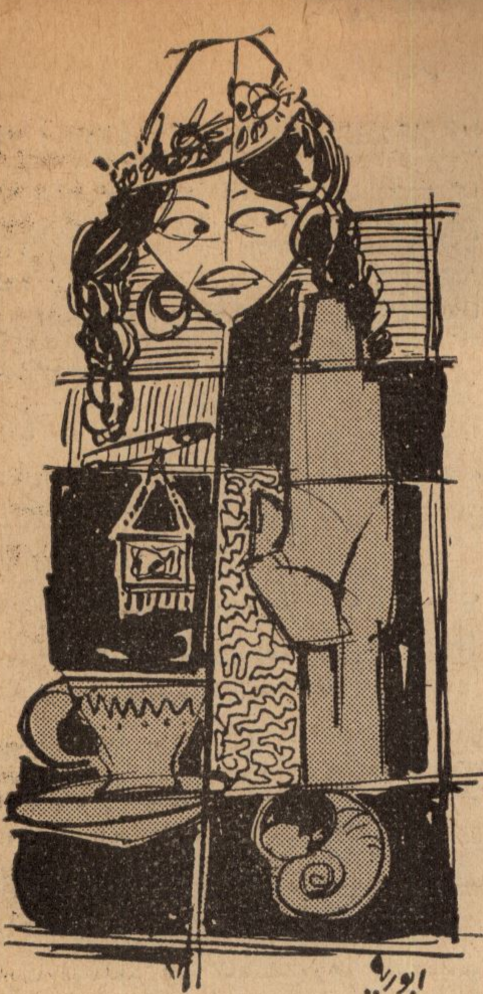

عوارض ينكرها الإسلام

إستطلاع الغيب

الدكتور محمد سعاد جلال

الجوهر الأساسى فى رسالة الاسلام ، الذى يرد اليه معظم تشريعاته وآدابه ، فى السلوك ، والعقيدة والعمل ، انما هو تحقيق انسانية الانسان للانسان وتخليص عقله ، وضميره ، من الخضوع والاسلام لغير الله تعالى ، ذلك أن الانسان ـ كما نطق القرآن الكريم هو خليفة الله فى الأرض ، فهو سيد هذه الأرض لايجوز أن يهوله من أمرها شىء ولا أن يفزعه شىء من ظواهرها المتقلبة ، منظر أو مسمع .. وخلافة الله ـ سبحانه وتعالى ـ للانسان فى الأرض ، تقاضيه أن يكون شديد التحقق بنعمته وكرامته ، وحريته فلا يتبرع بشىء من ذلك للوهم الغالب ، ولا للمجهول المثير ، كما أن هذه الخلافة تقاضيه أيضا أن يتفطن وأن يحيط علما بأسرار الكون ، الذى يدور من حوله ، حوادثه ، وظواهره فينم بذلك سلطانه ، فى مملكته وتبرز مظاهر خلافته وسيادته ، على مايتغلب حوله .

هذا هو وضع الانسان ، من الكون ، فيما تحتم طلبه ، رسالة الاسلام ، وتعمل لتحقيقه بآدابها وتشريعاتها ، ولكن الانسان برغم ذلك ـ ظل مغلوبا بآفة الخوف ، بتسلط على الانسان فى أكثر أمور الحياة ، ويفقده بذلك سداد رأيه وتوازن شخصيته ويمكن لسلطان الوهم والخرافة فى الامتداد الى عقله وتفكيره .

يخاف الانسان ، من المرض ، ويخاف من العجز . والشيخوخة ويخاف من الفقر ، والنقد والخطأ ، ويخاف من أشياء كثيرة ، وتضطره هذه الألوان من الخوف ، الى أن يساوم على التخلص من وقعها الضاغط بالتنازل عن ميزات كرامته ، وانسانيته ، فيلجأ الى الاستعانة بجماد صامت ، أو وهم مخدر ، ويهرب فى أطوائها من آثار الخوف التى تعتلج فى (أغوار نفسه) وتهمز اليه أن يستطلع أسباب الغيب ويستكشف المجهول فلعله بحيلة من الحيل أن يدفع عن نفسه ضرا مرتقبا أو يستعمل لها خيرا تسعى اليه ، أو على الأقل يلقى على النفس سكينة يعلم مايحتمل أن يكون ، تطرد عنها القلق المتبرم الذى نزرعه فى مداخلها البعيدة تحجب الغيب المجهول أو فى وضع الانسان نفسه بهذا الموضع مايستحق هناءته وبدل حياته ، ويعوق تقدمه .

أولا : لأن هذه الحال تنافى التوكل على الله ، وتفويض الأمر اليه وأشقى الناس وأتعسهم من حرم نعمة التوكل على الله ، وظن انه يستطيع بحكم اضطرابه فى الأسباب وحدها ـ دون النظر الى الله مسبب الأسباب وخالقها ـ أن يصيب فلاحا أو يفلت من مكروه •

ثانيا : لان هذه الحال أيضا ـ تمرض ارادة الانسان وتصيبها بآفة الوسواس والتردد ، والتشكك اذ يظل صاحبها • عند ارادة كل أمر ، بين الاقدام والاحجام • حتى يتكهن له متكهن أو يسحر له ساحر أو مستطلع له الغيب ناظر ، فى كف ، أو ضارب بودع على ارادته بل يستعمل ارادة غيره •

ثالثا : ولأن الالتجاء فى معرفة الأشياء وارادتها على أسباب غير علمية تعود الذهن على احترام الخرافة ، وتصرفه عن مزاولة النظر الواقعى ، ويزهد فى الأساليب العلمية التجريبية ، وهذه هى المصيبة الكبيرة التى أصابت المسلمين فى عصورهم المتأخرة فأوسعت المسافة بينهم ، وبين غيرهم من الأمم المتطورة فى أمور العلم الكونى ، وموضوعات الكشف والاختراع •

رابعا : ولأن واجب الانسان فى هذه الدنيا أن يعيش شجاعا جلدا ، لايبالى أحداث الدنيا ولا يتفزع من مفاجآتها ، فان ذلك أقوم له وأسعد لروحه وأدعى لأسباب نجاحه ، من أن يعيش خائفا رعديدا ، يتوقع المكروه فى كل خطوة يخطوها فيلجأ الى العرافين وفاتحى البخت ، ويلوذ بالكهنة ، والسحرة ومدعى علم الغيب فتتفرق نفسه بددا ويذهب عزمه شقاعا ، لا يتم له عمل ، ولا ينجح له قصد •

من أجل هذا كله ـ أيها السادة ـ حرم الاسلام على المسلمين تحريما قاطعا ـ الالتجاء والاستعانة بالكهان والسحرة ومدعى العلم الغيب بأى شكل من الاشكال كما حرم السحر ، والكهانة وأنواع الباطل ـ من هذا القبيل ـ كلها بمن يفعل ذلك تنديدا كبيرا حتى اعتبر بعض جوانبه كفرا ، روى أحمد والنسائى عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد »

فانظر الى أى مدى عنى الاسلام بسلامة التفكير الانسانى وجعل الانحراف الى جانب الخرافة والوهم كفرا بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فان الذى أنزل عليه ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله تعالى :

« قل لا يعلم فى السموات والأرض الغيب الا الله » • وقوله « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو »

ونفى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه علم الغيب ، فنص القرآن حكاية عنه :

« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك » •

وقد اهتمت الشريعة بهذه المسألة اهتماما كبيرا • لاتصالها المباشر بمقومات حياة الانسان الارادية ، والعقلية والاعتقادية ، فصدرت لها التشريعات والزواج ورتبت لها العقوبات التى تصل الى الحكم باعدام الساحر روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **حد الساحر ضربة بالسيف** » وروى البخارى ، وأحمد عن بحالة بن عبدة قال كنت كاتبا لمعاوية بن جزء ـ عم الأحنف بن قيس فاتى كتاب عمر قبل موته بشهر أو شهرين أن قتلوا كل ساحر ، وساحرة •

كما بينت السنة فى الجانب المقابل ، عقوبة من يصدق بالسحر ومن يسعى الى العرافين ، بأنه محروم من دخول الجنة • وبأن صلاته مردودة عليه ، وروى أحمد ومسلم عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر** » • ومن طريقتهما أيضا : « **من أتى عرافا فسأله عن شىء لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما** » •

أيها السادة :

هذا مثل واحد فى مسألة واحدة ، يكشف لكم عن موقف الاسلام من احترام العقل ومحاربة الأضاليل ، وحماية سريرة الانسان من الاذعان لغير الله وحده ـ خالق الكون ومدبره ، فليفتح لذلك أسماعهم وقلوبهم من يبتغون لأنفسهم فى هذه الحياة سبيلا رشدا •

من إعجاز القرآن ..

الإعجاز البياني

الدكتور حفنى محمد شرف

- ١٠ -

أثر البيان القرآنى فى النفوس :

لقد استطعنا أن نستخلص مما سبق أن اهم ما فى الاعجاز القرآنى لدى الخطابى انما يرجع الى حسن تاليفه والتئام كلمه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، فرسان الكلام وأساطين البلاغة .. وكذا يرجع الى نظمه العجيب وأسلوبه البديع المخالف لاساليب كلام العرب : نثرهم وشعرهم .

ولكن الخطابى لم يقف باعجاز القرآن عند بيان الفاظه وصحة معانيه ونظمه بل تخطى ذلك بحدود وأبعاد ، فبين أثر هذا البيان القرآنى فى النفوس وفى القلوب .

فقال ص ١٤ من ثلاث رسائل فى الاعجاز :

قلت فى اعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه الا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتاثيره فى النفوس ، فانك لا تسمع غير القرآن منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ومن الروعة والمهابة فى اخرى ما يخلص منه اليه تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى اذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب والقلق وتغشاها الخوف والفرق تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها فكم من عدو للرسول - صلى الله عليه وسلم - من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت فى مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الاول وأن يركنوا الى مسالمته ويدخلوا فى دينه وصارت عداوتهم موالاة وكفرهم ايمانا .

وها هو ذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خرج يريد قتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسار الى دار أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد - احد العشرة المبشرين بالجنة - فوجدها تقرأ سورة طه فلما وقع القرآن فى سمعه ووصل الى قلبه آمن وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما يقرر كتاب « دلائل النبوة » .

وها هى ذى قصة عتبة بن ربيعة مع القرآن وأثره فيه حينما أرسلته قريش الى محمد - صلى الله عليه وسلم - ليتفاوض معه على امور عينوها له ، فقرأ عليه المصطفى - صلى الله عليه وسلم آيات من سورة « السجدة » فتأثر أيما تأثر ، فهرع الى قومه يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى قالوا :

« لقد أقبل الوليد بغير الوجه الذى ذهب به » .. ومضوا يسألونه :

- ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائى انى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ، ولا بالكهانة يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها لى ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به .

قالوا : أسحرك يا أبا الوليد بلسانه ؟

قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا مابدا لكم .

مثال اخر : ويتضح من صنيع القرآن وأثره ل جبير ابن مطعم حينما سمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقرأ قوله تعالى فى صلاة المغرب من سورة الطور :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك ام هم المصيطرون » .

قال جبير : كاد قلبى يطير .. واسلم على يديه .

وان قصة فتح المدينة كما يذكرها كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج ١ » لعبرة أى عبرة ودليل أيما دليل على صدق ما يقال .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لما قرأ القرآن فى الموسم على النفر الذين حضروه من الانصار آمنوا به وعادوا الى المدينة فاظهروا الدين ولم يبق بيت من بيوت المدينة الا ودخله القرآن حتى روى - فى هذا الكتاب وغيره - أن الامصار فتحت بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن .

ويستطرد الخطابى فى بيان التأثير النفسى الآتى من جراء الاعجاز البيانى للقرآن الكريم فبين أنه لم يقف تأثيره على الناس فحسب بل تعداهم الى الجن .

فقد روى عن ابن عباس انه قال :

« انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب ، فرجفت الشياطين ، فقالوا : ما بالكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء الا ما حدث فاضربوا فى مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الامر الذى حدث ؟ فانطلقوا فضربوا فى مشارق الارض ومغاربها ينظرون ما هذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ ، وهو يصلى باصحابه الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك رجعوا الى قومهم « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا » .

ومصداق ما وصفنا من أمر القرآن يتضح من قوله تعالى :

« لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

ومن قوله :

« الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله »

ومن قوله :

« واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق »

وهكذا وجدنا الخطابى يضع يده على ناحية عظمى من اعجاز القرآن اذ يوضح لنا كيف نقرت كلمات الله حبات القلوب وهزت جوانب الوجدان وامتزجت بادق الاحاسيس واختلطت بارق المشاعر حتى جعلت من السامع عقلا يذعن وقلبا يخشع وخواطر تطمئن .

عمود البلاغة :

يرى الخطابى أن عمود البلاغة فى الكلام هو وضع كل نوع من الالفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به الذى اذا أبدل مكانه غيره جاء منه اما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام ، واما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة .

ذلك أن فى الكلام الفاظا متقاربة فى المعانى يحسبه اكثر الناس انها متساوية فى افادة بيان مراد الخطاب والامر فيها وفى ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك ، لان لكل لفظة منها خاصة تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها وان كانا قد يشتركان فى بعضها وسنكتفى بسياق بعض مما وقع فيه التشابه وفرق بينه الخطابى .

« فانت تقول :

« عرفت الشىء وعلمته ، اذا أردت الاثبات الذى يرتفع معه الجهل الا ان قولك عرفت يقتضى مفعولا واحدا كقولك عرفت زيدا وعلمت يقتضى مفعولين كقولك علمت محمدا عاقلا ، ولذلك صارت المعرفة تستعمل خصوصا فى توحيد الله تعالى واثبات ذاته فتقول عرفت الله ولا تقول علمت الله الا اذا أضيفت اليه صفة من الصفات ، فتقول علمت الله عدلا وعلمته قادرا »

وقد ذكر الاسنوى فى شرح المنهاج فرقا آخر ... وحاصله أن المعرفة تستدعى سبق الجهل بخلاف العلم ، ولهذا يوصف الله بالعلم ولا يوصف بالمعرفة لان وصفه بها يقتضى انه لم يكن عارفا ثم عرف ولا كذلك وصفه بالعلم فانه لا يقتضى سبق بالجهل وقد يستدل بحديث اختصام الملأ الاعلى ، فقد جاء فيه من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «رأيت ربى فى أحسن صورة ، فقال : يا محمد . قلت : لبيك ربى وسعديك . قال : اتدرى فيما يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت : لا ادرى فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردهما فى نحرى فتجلى لى كل شىء وعرفت »

وحقيقة البيان فى هذا أن العلم ضده الجهل والمعرفة ضدها النكرة .

وكذلك كلمتا الحمد والشكر ، فقد يشتركان أيضا الحمد لله على نعمه اى الشكر لله عليها ، ثم قد يتميز الشكر عن الحمد فى اشياء فيكون الحمد ابتداء بمعنى الثناء ، ولا يكون الشكر الا على الجزاء ، تقول حمدت هذا اذا اثنيت عليه فى أخلاقه ومذاهبه وان لم يكن سبق اليك منه معروف وشكرت زيدا اذا اردت جزاءه على معروف ابتداه اليك ثم قد يكون الشكر قولا كالحمد ويكون فعلا كقوله جل وعز : « اعملوا آل داود شكرا » .

واذا أردت أن تبين حقيقة الفرق بينهما اعتبرت كل واحد منهما بضده ، وذلك ان ضد الحمد الذم ، وضد الشكر الكفران ، وقد يكون الحمد على المحبوب والمكروه ولا يكون الشكر الا على المحبوب « ص ٣٤ من بيان اعجاز القرآن » .

وحاصل الفرق بين الحمد والشكر أن بينهما عموما وخصوصا وجهيا ، وبيان ذلك أن الحمد لا يكون الا قولا باللسان ، فهو من هذه الجهة خاص لكنه عام من جهة أنه لا يتعين أن يكون جزاء على معروف بل يصح أن يكون ابتداء .

والشكر بالعكس اى انه عام من جهة انه يكون قولا باللسان وعملا بالجوارح وخاص من جهة انه لا يكون الا جزاء على معروف ، ولهذا كان ضد الكفران المقتضى نكران النعمة وجحودها . قال تعالى :

« واشكروا لى ولا تكفرون » .. بخلاف الذم الذى هو ضد الحمد فانه لا يقتضى ذلك .

ومن أجل هذا التشابه تهيب كثير من الصحابة والتابعين تفسير القرآن حذرا وتحفظا ، ومن هؤلاء : أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وجندب بن عبد الله وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد ونافع مولى ابن عمر ، وعبيدة السلمانى مع علمهم باللغة والدين .

وها هو ذا الاصمعى ـ مع امامته فى اللغة ـ لا يفسر شيئا من غريب القرآن .

وقد حكى عنه انه سئل عن قوله تعالى : « قد شغفها حبا » فسكت وقال : هذا فى القرآن ، ثم ذكر قولا لبعض العرب فى جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهى لكم شغاف ؟ ولم يزد على ذلك « ص ٤٣ من بيان اعجاز القرآن » .

والشغاف بفتح الغين غلاف القلب وهى جلدة دونه كالحجاب وشغفه الحب : بلغ شغافه ، وقرأ بعضهم وهو ضعيف قد شعفها بالعين المهملة .

هذا وقد رد الخطابى على من يعيب القرآن لقلة غريبه فيه ، فكان بين الحين والحين يسوق لامثلة وشواهد لما قالوه ثم يتبعها بالتفنيد والبرهان مديرا رحى بحثه حول نظريته فى عمود البلاغة واعجاز القرآن .

قال الخطابى :

« واما ما ذكروه من قلة الغريب فى الفاظ القرآن بالاضافة الى الواضح منها ، فليست الغرابة مما شرطناه فى حدود البلاغة .. وانما المختار من النمط الاقصد الذى جاء به القرآن وهو الذى جمع البلاغة والفخامة الى العذوبة والسهولة » .

وها نحن أولاء نحب أن نبسط القول فى بعض هذه النقاط ثم نعقب على كل منها بما قاله الخطابى فيها .

فمنهم من عاب بعض ألفاظ من القرآن مثل قوله تعالى فى سورة «يوسف» :

« ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير »

قالوا : وما اليسر والعسر من الكيل والاكيال ؟.. انك لا تسمع فصيحا يقول : كلت يريد يسيرا الا انه يعنى أنه يسير العدد والكمية . هكذا يهرفون .

فيأتى الخطابى ويدحض ما قالوه مبينا خفاء وجه الحق عنهم لقصورهم وعدم ادراكهم ، واستمع اليه يقول :

« ان معنى الكيل مقرون بذكر البعير المكيل والمصادر توضع موضع الاسماء كقولهم : هذا درهم ضرب الامير وهذا ثوب نسج اليمن ، أى مضروب الامير ونسيج اليمن . والمعنى اننا نزداد من الميرة المكيلة اذا صحبنا أخونا حمل بعير ، فانه كان لكل راس منهم حمل واحد لا يزيد على ذلك .. و « ذلك كيل يسير » . أى متيسر لنا اذا تسببنا فى ذلك باستصحاب أخينا ، واليسير شائع الاستعمال فيما يسهل من الامور كالعسير فيما يتعذر منه ولذلك قيل : يسر الرجل اذا نتجت مواشيه وكثرة اولادها ومنه قول ابى اسيدة الدبيرى :

ان لنا شيخين لا ينفعاننا
غنيين لا يجدى علينا غناهما
هما سيدانا يزعمان وانما
يسوداننا ان يسرت غنماهما

وقد يراد بقوله « كيل يسير » أى سريع لاحبس وذلك أن القوم كانوا يحبسون على الباب وكان يوسف يقدمهم على غيرهم .

وقد قيل : ان معنى الكيل هنا السعر يقال : كيف الكيل عندكم ؟ أى كيف السعر ؟ وقد انشد عمر بن عمرو الشيبانى عن أبيه :

ان تك فى كيل اليمامة عسرة
فما كيل ميا فارقين باعسر

وقال بعضهم فى قوله تعالى « وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم » ان المشى فيه ليس بأبلغ الكلام . ولو قيل بدل ذلك أن امضوا وانطلقوا لكان أبلغ واحسن .

وهم فى هذا كما ترى يريدون استبدال كلمة باخرى أى أن العيب ناشىء من قبل الالفاظ كسابقه .

وهنا نرى الخطابى يشمر عن ساعده فيرفض دعواهم من أساسها فيقول :

ان المشى فى هذا المحل أولى وأشبه بالمعنى ، وذلك لانه انما قصد به الاستمرار على العادة الخارجة ولزوم السجية المعهودة فى غير انزعاج منهم ولا انتقال عن الامر الاول ، وذلك أشبه بالثبات والصبر المأمور به فى قوله « واصبروا على آلهتكم »

والمعنى كأنهم قالوا : امشوا على هينتكم والى مهوى أموركم ولا تعرجوا على قوله ولا تبالوا به . وفى قوله امضوا وانطلقوا زيادة انزعاج ليس فى قوله : امشوا والقوم لم يقصدوا ذلك ولم يريدوه ، وقيل : بل المشى ها هنا معناه التوفر فى العدد والاجتماع للنصرة دون المشى الذى هو نقل الاقدام من قول العرب : مشى الرجل اذا كثر ولده وانشدوا :

والشاة لا تمشى على الهملع

أى لا يكثر نتاجها ، والهملع : الذئب

كذلك اعترضوا على اللفظ فى قوله تعالى « هلك عنى سلطانية » لانه انما يستعمل لفظ الهلاك فى الاعيان والاشخاص كقولك هلك زيد وهلك مال عمرو ونحوهما فأما الامور التى هى معان وليست باعيان ولا أشخاص فلا يكادون يستعملون فيها .

ولو قال قائل : هلك عن فلان علمه أو هلك جاهه على معنى ذهب علمه وجاهه لكان مستقيما غير مستحسن .

ولم يترك الخطابى هذا وأمثاله دون القطع برأى فاصل فيه معللا لحسنه ومدللا على بلاغته ، تلك الاعتراضات كانت موجهة لالفاظ القرآن ، وهناك اعتراضات اخرى وجهت لتأليفه وقد عدها المعترضون من سوء التأليف ومن ضعف نسق الكلام .

وذلك كقوله تعالى فى سورة الانفال « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » عقب قوله « أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

وقوله تعالى فى سورة الحجر : « وقل انى أنا النذير المبين . كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين » .

وقوله تعالى فى سورة البقرة « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم »

ويمثل اعتراضهم الذى دفع اليه قصر النظر ، استعمال التشبيه فى كلمة « كما » بدون تقديم ما يشبه به فى كل الآيات السابقة .

وقد رد الخطابى على هذا كله بما لايدع مجالا للشك ممهدا له بذكر آراء المفسرين وأهل التأويل .

ففى قوله سبحانه « كما أخرجك ربك » الخ ...

قال بعضهم : ان الله سبحانه أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يمضى لامره فى الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لامره فى خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون . وذلك أنهم فى يوم بدر اختلفوا فى الانفال وحاجوا النبى - صلى الله عليه وسلم - وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانزل الله تعالى الآية وانفذ أمره فيهم وأمرهم أن يتقوا الله وأن يطيعوه ولا يعترضوا على ما يفعله من شىء فيما بعد ان كانوا مؤمنين .

ووصف المؤمنين ثم قال :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون » ..

يريد أن كراهتهم لما فعلته فى الغنائم ككراهتهم فى الخروج معك ، وقد حمدوا عاقبته ، فليصبروا فى هذا وليسلموا ويحمدوا عاقبته كذلك .

وقيل معناه : أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كقوله : « فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » .

وقيل ان « كما » صفة لفعل مضمر وأن تأويله : افعل فى الغنائم كما فعلت فى الخروج الى بدر وأن كره القوم ذلك .

ونظن بل نعتقد أنه بايراد هذه الآراء للمفسرين وتخريجها على يد الخطابى ذلك التخريج الحسن قد وضع الامر فى المسألة وبان وجه الصواب .

وأما قوله : « كما أنزلنا على المقتسمين » فان فيه محذوفا يدل عليه ظاهر الكلام ، كأنه قال : أنا النذير المبين ، عقوبة أو عذابا كما أنزلنا أى مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين .

من هذا كله نرى أن الخطابى لم يترك المعترضين النافدين من غير ان يضع الحق فى نصابه ومن ان يصيب شواكل المفصل ويطبق مفاصل السداد .

ولا غرو فهو الذى نصب نفسه مدافعا عن ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه التى هى فى نظره وفى الواقع كذلك أسس الاعجاز البيانى لكتاب الله القويم حقا : « انه لقول فصل . وما هو بالهزل » .

وهكذا نحس أن الصورة التى عنينا بالتقاطها لهذا الرجل أوشكت - فى نظرنا على الاقل - أن تتحدد

سماتها وان تتبين قسماتها وحسب الرجل انه وهو بصدد اثبات الاعجاز البيانى للقرآن الكريم ، لم يكتف بالحديث عن الفاظه وخلوها من الغرابة والتعقيد ومخالفة القياس بل وعن معانيهالتى فاقت كل كلام ثم عن نظمه الذى خلا من كل ما يشوبه من نقص أوافتعال فاضاف الى ذلك كله رده على المعارضين والناقدين وقد رأينا من ذلك نتفا يسيرة بينت لنا كيف كانالرجل واعيا لما يقول فاهما لما يحدث وعمن يحدث .

ولولا ضيق المجال لذكرنا بقية ما ذكره الخطابى من امر معارضة [illegible]لمة الكذاب للقرآن الكريم ور[illegible] عليه ولبينا كما بين: اى حكمة فىكلام مسيلمة حتى يتوهم ان فيه معارضة للقرآن او مباراة له على وجه من الوجوه ؟

لقد صدق الله العظيم حين قال : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

هذا وبعد ان عرضنا للخطابى وكتابه نستعين باللهفى اتمام ما بدأنا به فنقول :

أبو هلال العسكرى واعجاز القرآن

ما زلنا فى القرن الرابع ، وان كنا قد انتقلنا الى اخره فوجدنا ان افكاره التى سيطرت عليه من اوله الى منتهاه ظلت سائدة هى هى لم تتبلور أو تتحول ، اللهم الا فى القليل النادر عندما يتخصص عالم فىدراسة فكرة الاعجاز دراسة خاصة أو يتعرض لها اديب بليغ متخذا من دراسته الادبية والبلاغية وسيلة غايتها الوصول الى اعجاز القرآن .

ومنبين هؤلاء : ابو هلال الحسن بنعبدالله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ امام واديب لغوى طبقت شهرته الآفاق نصب نفسه لدراسة البلاغة والبيان .. وهو - وان لم يفرد كتابا خاصا لدراسة اعجاز القرآن - الا انه يرى فى مقدمة كتاب « الصناعتين » ان القرآن بليغ واعجازه ببيانه وأوجب دراسة البلاغة ما دامت هى الطريقالذى يوصل الى معرفة السر فى اعجاز القرآن ، وذلك حيث يقول :

« اعلم علمك الله الخير ان احق العلوم بالتعلم وأولاها بالحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذى يعرف به اعجاز كتاب الله .. وقد علمنا ان الانسان اذا اغفل علم البلاغة واخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التاليف وبراعة التركيب وما به من الايجاز البديع والاختصار اللطيف وضمنه من الحلاوة وجلله من رونق الطلاوة معسهولة كلمه وعذوبتها وسلاستها الى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها » .

والعسكرى فى هذا النص يرى أن بلاغة القرآن انما هى فى النظم وحسن التاليف والتركيب مع سهولة الالفاظ وجزالتها وعذوبة المعانى وسلاستها .

ويتقدم خطوة فى بحثه بما يجعله متفقا مع الخطابى ومتلاقيا معه وذلك حين لا ينسى الاثر النفسى له واحداثه تلك الحلاوة والطلاوة للقلوب مع الاشتمال على الايجاز البديع والاختصار اللطيف .

وقد دلل على ما ذهب اليه وذلك بايراده عدةالوان بلاغية بينفيهامدى توفرها فىالقرآن الكريم «الصناعتين ٣١٦ - ٤٣٠ »

فاذا آن لنا بعد هذا ان نطوى الحركة الفكرية التى ازدهرت ونمت فى اواخر القرن الرابع وأن نفتح صفحة التاريخ عند البشائر الاولى للقرن الخامس ، وهو القرن الذى بدأ ببدئه فتح جديد فى ميدان الترجمة والفلسفة والادب وغيرها .. أقول اذا آن لنا هذا كله امكننا ان نؤرخ - فى هذا العصر الذهبى - لداعىالدعاة أبى النصر هبة الله الشيرازى الملقب بالمؤيد فى الدين.

هذا الرجل الذى جند نفسه للرد على ابن الراوندى فى زعمه الذى خيل اليه فيه أن عجز العرب حينتحداهم القرآن ليس دليلا على البذة وأن الفصاحة اذا لزمت العرب لا تلزم العجم ، هكذا قال ابن الراوندى زورا وبهتانا .

ومن هنا فقد انبرى له هبة الله الشيرازى ورد عليه ردا مفحما ذكره الاستاذ كراوس فى مجلة « الاديب » ٢ ٣: ١٩٤٣ - ١٩٤٤ قال :

« ان الكلام الفاظ مقدرة على معان ملائمة لها والكلام كالجسد والمعنىفيهروحهمعلوم ان الاجساد منحيثكونها أجسادا لا تتفاوت كثيرا فانها وان رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو امر قريب وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التى هى المعانى فان نفسا واحدة ترجح الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة الى الامتيار « الامتداد » منها والقرآن كلام هو بمثابة الجسد ومعناه روحه الذى كنى الله عنه بالحكمة ، فلم يذكره فى موضع من الكتاب الا قرنه بالحكمة ، وقد قاربت أيها الخصم « يقصد ابن الراوندى الملحد » الاقرار يكون معجزا من حيث لفظه للعرب الذين هم اهل اللسان ثم أردفته بقولك : فما الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان فى شىء ، ثم يرد على هذا الجزء الاخير الذى يقوله ابن الراوندى بأن فى معناه المكنى عنه بالحكمة ما تقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبادات والحجة فيه أن ما كان ظاهره الذى هو بمنزلة الجسد لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الاعجاز فما يقال فى معناه الذى هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس اليها كلها فأين موقعها من الاعجاز »

ومن هذا النص نرى أن داعى الدعاة يجعل اعجاز القرآن ببيانه وبلاغته وان كان يتحدث عن البلاغة فيجعلها من اللفظ والمعنى على السواء وان كانتالمعانى عنده تحتل مكانا مرموقا فى صفة الاعجاز .

وكما نرى أن الهدف دينى قصد الرجل من ورائهالى اثبات الاعجاز للعرب وغيرهم لانه اذا كان قد أعجز العرب ببلاغته وفصاحته وأصبح من هذه النقطة حجة على كثرتهم اجمعين فهو حجة على غير العرب بما تضمن من حكم بالغة وتشريعات عادلة صالحة لكلزمان ومكان أو نقول اذا كان حجة على العرب وهم من هم فى الفصاحة والبيان فانه حجة على غيرهم منالاعاجم اذ لو فرض أن الاعجمى تعلم العربية ما برع فيها الى الحد الذى بلغ منتهاه العرب الخلص الذين أعجزهم بدورهم كتاب الله المبين .

وان كان من شىء يؤخذ على داعى الدعاة فهو انه لم يتطرق فى بحثه الى الجمال فى الالفاظ والتركيب كما لم يتطرق الى الفنية فى المعانى وطريقة تاديتها .

وقد يهون من شان هذا المآخذ أن الرجل اعتقد اعتقادا جازما - كما يتضح من اقواله - أن أهل الامصار عربا وعجما يتفق عجزهم وعجز من كانوا فى العصر الاول عن هذه المعجزة السامية التى صدق الله العظيم فى اخباره عنها وانه فوق ان ينال بالمعارضة اذ هو فوق طاقة البشرية جمعاء :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

عاشوراء

وما ارتبط بها

عند المسلمين عامة ..
وعند الشيعة بوجه خاص

الدكتور على عبد الواحد وافى

يسمى اليوم العاشر من شهر المحرم « عاشوراء » ، وقد يسمى التاسع كذلك « تاسوعاء » • والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان وليستا منقولتين من لغة أخرى • وقد روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام بعض أحاديث ندب فيها الى صيام تاسوعاء وعاشوراء واليوم الحادى عشر من المحرم • واستخلص ابن قيم الجوزية من الأحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط ، ويلى ذلك افراد عاشوراء بالصوم ، ويروى أن الرسول - عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة رأى طوائف اليهود فيها تصوم عاشوراء • فسألهم عن ذلك فقالوا اننا نصومه تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر • فقال عليه السلام : « نحن أولى بموسى منكم ،

وانى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له » • فصامه وحبب المسلمين فى صيامه •

ويقال أن النبى ــ عليه السلام ــ قد حرص على مخالفة اليهود فندب الى صوم التاسع مع العاشر • فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصومه ، قالوا يارسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع ، فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وأبو داود) •

ولا أكاد أطمئن الى هذه الروايات التى تربط بين صيام عاشوراء عند المسلمين وصيام اليهود ، ويبدو لى ضعفها من عدة وجوه أهمها ما يلى :

١ ــ أن ما يسمونه عاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من الشهر السابع العبرى (تشرين) ، الذى كان يسمى عندهم كذلك يوم « كبور » أى يوم الكفارة • وقد جاء أمر اليهود بصيام هذا اليوم وعدم مزاولة الأعمال فيه فى عدة فقرات من أسفار العهد القديم (أنظر من ذلك : سفر اللاويين) أصحاح ١٦ فقرة ٢٩ وتوابعها ، واصحاح ٢٣ فقرة ٢٧ وتوابعها ، « وسفر العدد » أصحاح ٢٩ فقرة ٧ » • ولكن هذا اليوم لا يوافق العاشر من شهر المحرم فى أية سنة من السنين التى قضاها الرسول عليه السلام فى المدينة • وذلك أن الرسول عليه السلام قد دخل المدينة على أرجح الأقوال يوم الاثنين ١٦ من ربيع الأول الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية • وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرين العبرى وهو يوم عاشوراء عند اليهود (حسب ما حققه محمود باشا الفلكى وغيره) • فلا يمكن أن يكون العاشر من شهر تشرين العبرى قد جاء فى العاشر من شهر المحرم العربى فى أية سنة من السنين العشر التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، سواء ذهبنا الى أن السنة العبرية كانت حينئذ سنة قمرية أم ذهبنا الى أنها كانت سنة شمسية • وذلك أننا اذا ذهبنا الى أنها كانت حينئذ سنة قمرية فان العاشر من شهر تشرين يجىء فى كل سنة من هذه السنين العشر فى اليوم نفسه الذى جاء فيه حينما قدم الرسول عليه السلام الى المدينة أى فى السادس عشر من ربيع الأول ، واذا ذهبنا الى أنها كانت حينئذ سنة شمسية فان العاشر من شهر تشرين يتردد مجيئه فى هذه السنين العشر بين شهور ربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة •

٢ ــ أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر الروايات التى نناقشها ، وانما يصومونه للاستغفار وطلب العفو عن الخطايا كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التى أشرنا اليها فى الفقرة السابقة •• بل أن اسم هذا اليوم عندهم ليدل على ذلك ، فهو يسمى عندهم « يوم كبور » أى يوم الكفارة •

*

هذا ، وقد روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ما يفيد أن صيام عاشوراء يرجع الى أصل عربى جاهلى لا الى أصل يهودى • فقد قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية • وكان رسول الله عليه السلام يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه • فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه (حديث متفق عليه من الجماعة) •

وانا أميل الى ترجيح هذه الرواية على الرواية السابقة التى ظهر لنا ضعفها والتى

تربط بين صيام يوم عاشوراء عند المسلمين، وصيام يوم « كبور » عند اليهود .

وتحافظ فرقة الشيعة الجعفريه (أو الاثنى عشرية أو الامامية) فى ايران والعراق بوجه خاص على احياء الأيام العشرة الأولى من المحرم ، وبخاصة يوم عاشوراء ، بالصيام والقيام والبكاء والنواح وتعذيب الجسم وترتيل الأوراد وتلاوة المراثى واقامة المآتم تخليدا لذكرى استشهاد الحسين ومن كان معه من آل البيت بالطف (أو كربلاء) ، فقد كان استشهادهم يوم عاشوراء من السنة الحادية والستين من الهجرة الموافقة لسنة ٦٨٠ ميلادية .

ويظهر أن هذه الفرق قد استغلت الأحاديث الواردة فى عاشوراء فأولتها على الوجه الذى يتفق مع حرصها على تخليد ذكرى استشهاد الحسين ومن كان معه من آل البيت ، مع أن الأحاديث والروايات التى سبقت الاشارة الى بعضها تدل على أن لصيام يوم عاشوراء وتعظيمه أصولا تختلف كل الاختلاف عما تذهب اليه هذه الفرق ، مع أن اجماع الثقات من فقهاء المسلمين منعقد على أنه ليس من تعاليم الاسلام اتخاذ أيام وفاة الأنبياء والشهداء والصالحين من المؤمنين أيام صيام ولا أيام مآتم وعزاء .

ويصحب احياء هذه الذكرى بالعراق وايران بعض مراسم وطقوس وتمثيليات تعبر بها هذه الفرق عن مدى ولائها العظيم لآل البيت ومبلغ حزنها العميق لما أصاب الحسين وأنصاره يوم كربلاء .

ففى الأيام العشرة الأولى من المحرم ، وخاصة فى يوم عاشوراء ، تقام فى المدن العراقية التى ينتمى معظم أهلها أو بعضهم الى المذهب الشيعى الجعفرى حلقات للرثاء فى المساجد والطرقات والمنازل تنتظم كل حلقة منها عددا كبيرا من الناس ، ويظل هؤلاء وقوفا معظم ساعات النهار والليل يستمعون الى متكلم بليغ يقص مأساة الحسين وينشد المراثى بصوت مؤثر حزين ، فيبكى جميع الحاضرين ، وتتدفق عبراتهم ، ويشتد نحيبهم ، ويعلو نواحهم وزفراتهم . وفى كل وقفة من وقفات رثائه ينهال المستمعون على صدورهم وظهورهم ضربا مبرحا بقبضات الأيدى وقطع الحديد والحجارة والسلاسل، بل ان منهم من يضربون جباههم بشفرات حادة ، فتتورم أجسامهم ، وتسيل دماؤهم ، بدون أن يبدو عليهم احساس بألم ، بل انه ليخيل لمن يتأمل أحوالهم أنهم يتلذذون بهذا العذاب — هذا الى مشاهد التضحية الصريحة بالأنفس تقربا الى على والحسين وآل البيت ، والى التمثيليات التى يجرونها لمحاكاة ما حدث للحسين وأنصاره وعرض مناظر أخرى من حياة على وزوجه الزهراء والخلفاء السابقين له . وبعض هذه المناظر يحكى أحداثا يعتقد العامة من الشيعة وقوعها مع أنها من مبتدعات العواطف وخلق الخيال . وقد شهدت أنا بنفسى هذه المراسم والطقوس والتمثيليات فى كثير من مدن العراق وفى بغداد نفسها سنة ١٩٣٧ .

وتكثر هذه الطقوس والمراسم والتمثيليات فى ايران ، وتزيد كثيرا عن نظائرها فى العراق فيما تتسم به من صفات العنف والروعة والرهبة والقدسية والجلال ، وفيما يلى وصف موجز لهذه الأمور نلخصه بتصرف مما كتبه الدكتور أمين عبد المجيد بدوى فى كتابه « القصة فى الأدب الفارسى » ، وقد استقاه من مشاهداته الخاصة فى ايران ومن مراجع كثيرة فارسية وغير فارسية رجع اليها فى هذا الموضوع

* * *

يبدأ الايرانيون مراسم التعزية فى مقتل الحسين مع شهر المحرم وتستمر حتى نهاية صفر ، فتتشح البلاد بأثواب الحداد وتعطل الملاهى . وأشد أيام التعزية وأرهبها هى العشرة الأولى من المحرم . فتقام مجالس العزاء فى كل مكان ، ويتجمع بها النسوة والرجال . ويقوم فى هذه المجالس متكلم بليغ حسن الأداء يقص مأساة الحسين ،

وينشد المراثى فى صوت حزين ولحن منغم ، فيغلب الناس البكاء وتجرى دموعهم حسبة عند الله • وقد يبكى المتكلم كذلك فيزيده هذا تأثيرا فيهم •

فاذا كان اليوم العاشر ، وهو أرهب أيام الحداد ، خرجت هذه الجموع فى فرق منظمة أشبه ما تكون بفرق الجنود فى الاستعراض فتسير فى الطرقات : بعضهم يضرب الصدور وبعضهم يضرب الظهور العارية بالسلاسل • وبعضهم يشج الرءوس بنوع من المدى ، ويسألون الله المغفرة بهذه الدماء السائلة من رءوسهم فى سبيل الحسين • ويتقدم هذه الفرق جماعات ينشدون عبارات محزنة بنغمات رتيبة ، على وقفاتها تضرب الصدور والظهور ويردد مقاطعها القوم بعدهم • فهم يقومون بدور النادبات فى مآتمنا الشعبية ، ولذلك يسمون « نوحه خوان » أى النائحون والمشهد رهيب يملأ النفس أسى ، والقلب شجى ، والجو ضجة وعويلا ، ويحس مشاهده اهتزاز الأرض تحت وقع الآلاف المشتركة فى هذه المواكب الصاخبة •

وتأخذ التعزية كذلك صبغة المسرحية وتؤدى لديهم التعزية المسرحية فى وضعين : وضع ثابت ، ووضع متنقل • فالمسرحية الثابتة أعدت لها مسارح شعبية خاصة فى معظم المدن والقرى • ويجهز كل مسرح من هذه المسارح بعدة أدوات من أهمها تابوت كبير ومشاعل توضع فى مقدمة المسرح ثم قوس الحسين ورمحه وحربته وعلمه • والانفاق على اقامة هذه المسارح وتجهيزها وتزويدها بالممثلين فريضة على ذوى اليسار يتقربون بها الى الله •

ولكل من القائمين بدور التعزية المسرحية تسمية خاصة وفقا للدور الذى يقوم به ، فمن يقوم بدور الحسين أو أحد شيعته يسمى « تعزية اخوان » أو « شبيه خوان » فان قام بدور يزيد بن معاوية أو أحد أعداء الحسين يسمى « مخالف خوان » • والذى يقدم للمسرحية بالخطب والأحاديث والمراثى المشجية المحزنة يسمى « بيش اخوان » •

وقل من الممثلين من يقبل القيام بدور « مخالف خوان » ، لأن القائم بهذا الدور البغيض كثيرا ما يتعرض لخطر عدوان الجمهور الواقع تحت تأثير الانفعال الشديد بمشهد المأساة ، فيضطر الى الفرار لينجو بنفسه ، وقد يلقى مصرعه •

ويلتف النظارة حول المسرح فى دائرة أو نصف دائرة يشهدون فصول المأساة فى حزن بالغ وتأثر عميق ، يصعدون الزفرات ويذرفون الدموع مدرارا •

وفى المنظر الأخير من المسرحية يجتمع آباء الحسين من آدم الى فاطمة حول الراس الشريف ، ويخاطب النبى فاطمة قائلا : « لا تثريب عليك فى بكاء ولدك المقتول المضرج بدمه الزكى • فقد غاب عنك سر هذا الاستشهاد ، وستجزين عليه يوم القيامة » (وذلك أن استشهاد الحسين قد ارتبط فى عقائد الشيعة – على مايظهر – بفكرة الفداء وغفران ذنوب الآثمين من المسلمين ، كما ارتبط بها صلب المسيح فى عقائد المسيحيين)

وأما المسرحية السيارة فتؤدى فى الطرقات ويؤديها الممثلون مشاة أحيانا ومهرولين أحيانا أخرى • ومن اهم مشاهدها الموكب المفجع الذى يحمل فيه رأس الحسين وابنه الطفل على زين العابدين ومن كان معه من النساء الى يزيد بن معاوية ، ومبيت الموكب بدير نصرانى ، واسلام راهب هذا الدير عند رؤيته رأس الحسين ، واستسلام أسد وتبجيله للرأس الشريف ، وتمر المشاهد الواحد تلو الآخر تباعا فى طرقات عينت من قبل ، ويصطف على جانبيها النظارة يذرفون الدموع ويعولون وينتحبون ويضربون صدورهم وظهورهم • ويدرب الممثلون على أداء أدوارهم هذه قبل ذلك بمدة طويلة •

مشارق الأخلاق العظيمة في القرآن الكريم

الأستاذ عبد الرحيم فرغلي البليني

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت « كان خلقه القرآن » .

أيها القارىء الكريم

أثبتت التجارب الصحيحة أن الأخلاق الكريمة ، هى مصدر السعادة ، ويتبوع الهناءة ، ومشرق الاعزاز .

فما من انسان وهبت له العناية الالهية نصيبا منها الا سما فى الوجود قدره ، وارتفع بين الناس ذكره ، وطار فى الخافقين صيته .

فهى المرقى للحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والنعيم المقيم .

لو اننى خيرت كل فضيلة
ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبيد منك وتنقضى
الا الثناء فانه لك باق

وما من أمة سمت باخلاقها عن السفاسف ، ونأت بها عن الخسائس ، وأعرضت بفضائلها عن نوازع الشر ، وبواعث البغى ، ونزوات السوء ، ومساقط الغى ، وخواطر الرذيلة ، الا اقتعدت غارب المجد ، وجلست فوق السها ، وفاخرت الأرض وطاولت السماء .

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأكبر شاهد على هذا حال الأمة الاسلامية التى توالت عليها الأرزاء ، وتظاهر عليها الأعداء ، وناصبها الاستعمار العداء حقبا من الزمان ، حتى قال بعض الباحثين وقتئذ : انها شرعت تزول .

ولكنها رغم كل هذا ، بقيت بواسطة أخلاقها ومبادئها ، ودينها وكتاب ربها ، وتعاليمها وهدى نبيها ، وتخلصت من المحن القاسية ، والفتن الغاشية ، والنوازل القاصمة .

وما دامت هذه الأمة العتيدة ، تمشى على قائمتين من دينها وأخلاقها ، وتطير بجناحين من كتاب ربها ، وهدى نبيها ، فلا بد أن تعود الى صدر الوجود ، وتستعيد سيرتها الأولى .

وها هى الشواهد قد ظهرت ، والدلائل قد بهرت ، بجهاد الثورة وانتاجها ، وثمراتها وخيراتها التى رفعت الأمة على قمة الوجود ، وتلفتت لها الأمم تلفت الاكبار والاجلال .

والأخلاق الكريمة ذات فروع واغصان ، واشعة وأضواء : كالحلم والأناة ، والصبر والاحتمال ، والصدق والوفاء ، والعطف والرحمة ، والكرم والبر ، والسماحة والمروءة ، والتقوى والاستقامة .

كل هذه الأوصاف من الأخلاق الفاضلة التى نشدها القرآن وطلبها ، ومدحها وأطراها ، وأضفى على أصحابها عاطر الثناء .

وها هو القرآن الكريم يثنى على لفيف سكن حب الخير قلوبهم ، وملأت بواعث البر نفوسهم ، وصرفت عن نوازع الشر عقولهم .

فيقول الله تعالى فى محكم كتابه — من سورة الشورى :

« والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون .

والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة ، وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون .

والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون .

وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين .

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » .

ونقول : ان مشارق هذه الآيات تطلع فى النفوس الطيبة شموس المغفرة عند الغضب ، والصفح عمن أساء وظلم ، والجزاء بالمثل عند المؤاخذة .

وهذا كله من تعاليم القرآن وهدايته التى تصقل النفوس ، وتهذب الطباع ، وتوجه العقول الى الخير والرحمة .

ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله قبل وفاته :

« لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وسنة رسوله » .

وفى آيات القرآن هدى كثير الى الصفات الفاضلة ، والخلال الكاملة ، التى يجدر بالانسان أن يتحلى بها .

فها هو القرآن يعد الصادقين والصادقات بمغفرة الذنب ، واعظام الأجر ، فى قول الله تعالى :

« والصادقين والصادقات ..... أعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » .

ويقول فى حادث هدهد سيدنا سليمان : « قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين » .

ويمدح قوما بالصدق فيما عاهدوا الله عليه ، فيقول :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وفى كل هذا توجيه عظيم الى الصدق ، لما فيه من النتائج الطيبة ، والثمرات المباركة ، والخيرات العظيمة .

قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق ، فانه يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . واياكم والكذب ، فانه يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يزال الرجل يكذب ، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم بالصدق وان رايتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاة ، واياكم والكذب وان رايتم أن فيه النجاة فان فيه الهلكة » .

وفيه ايضا ارشاد بالغ الى الصدق فى الوفاء بالعهد، خصوصا اذا كان العهد بين شعبين ، تجمعهما اللغة والدين ، والقومية والغاية ، والمقصد والهدف . فان الوفاء بالعهد يشد الأزر ، ويكبت العدو ، ويحقق الأمل، ويدعم البنيان ويعود بالخير العظيم .

ومن ثمرات الصدق أنه يغرس الثقة بالصادق فى قلوب الناس فيفوز منهم بالتقدير والاجلال ، والتبجيل والاكبار .

واذا فاز المرء بثقة الناس فقد انبلج صبح حياته وآذنت شمس عزه بالاشراق .

وها هو القرآن الكريم يخبر عن جزاء الصابرين والصابرات .

فيقول الله تعالى : « والصابرين والصابرات ... اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما » .

من سورة الأحزاب

ويمدح أهل الصبر والتجاوز بقوة العزائم ..

فيقول الله تعالى : « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » .

ويامر الرسول بالصبر واحتمال الأذى .

فيقول ـ جل شانه ـ : « واصبر وما صبرك الا بالله، ولا تحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

ويامر المؤمنين بالصبر والمصابرة فى الجهاد ، والمرابطة والاقامة فى الثغور ، لرد العدوان ، والذياد عن الاوطان ، وحماية الشرف ، والدفاع عن الكرامة .

فيقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

ونقول : ان هذه الأضواء التى تنبعث من مشارق الآيات ، تهدى الى التخلق بالصبر والاحتمال اذا جد الجد ، وخرب الأمر ، ووجب الجهاد ، وتطلب الوطن الحماية والوقاية .

فما الحياة الدنيا الا حياة كفاح ، لا تنتهى احداثها ولا يزول بلاؤها ، ولا يفوز فيها الا أهل الصبر والاحتمال ، واصحاب الحكمة والاناة ، الذين وهب الله لهم من هذا الخلق ، ما تقوى به عزائمهم على تحمل الصدمات وردها .

واقول : لقد مرت بالجمهورية العربية المتحدة احداث كثيرة ، وخطوب عديدة مريرة ، ثم قضت عليها الأناة والحكمة ، والصبر فى مزالق الفتنة ، ومرت من غير ضوضاء وجلبة ، وانقشعت كما ينقشع الظلام بنور الاصباح ، والضباب بالشمس المشرقة .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصبر على المكاره ، ويتجنب الغضب بقدر المستطاع . الا اذا انتهكت الحرمات ، فان الغضب يسرع اليه ، والكراهة تظهر فى وجهه .

لقد جاءه ذات يوم زيد بن حارثة يشفع فى درء الحد عن امرأة من قبيلة عظيمة سرقت . فغضب غضبا شديدا وقال له :

« اتشفع فى حد من حدود الله ، انما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون الشريف ، أما والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » .

واقول : ان هذا الصنيع من الرسول صلى الله عليه وسلم نعلم منه ان الاسلام قضى على المحسوبية ، وحارب الفوارق ، فليس فيه أمام الحق سيد ولامسود ، ولاعظيم ولا حقير ، بل الكل فى هذا عند الله سواء .

قال عليه الصلاة والسلام : « الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى وصالح الأعمال » .

وقال تعالى : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم مرة رجلا يقول :

« الطلاق يلزمنى ان فعلت كذا أو قلت كذا ، فغضب غضبا شديدا وقال : أتلعبون بدين الله وأنا بين ظهرانيكم ، من كان منكم حالفا فليحلف بالله أو ليذر » .

ثم ها هو القرآن الكريم يمدح سيد الكائنات بما فيه من جمال الأخلاق ، ومحاسن الصفات ، ومعالى الامور ، فيقول له ربه ـ جل شانه ـ « وانك لعلى خلق عظيم » وكيف لا يكون كذلك ، وهو الذى أوذى من قومه فصفح واضطهد فغفر ، وروع فصبر .

ورد أنه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الطائف الى الاسلام ، فاغروا به صبيانهم ، فضربوه بالحجارة حتى ادموا قدميه . فخرج هائما على وجهه ، يستغيث بالله ، ويفزع اليه ، ويشكو اليه بثه وحزنه ، فيجيئه ملك الجبال ويقول له : ان الله قد سمع قول قومك لك ، وردهم عليك ، وقد بعثنى اليك لأقول لك : ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت ، فيكون جوابه ، كلا . فاننى أرجو أن يخرج الله من أظهرهم من يعبد الله ويوحده .

ـ اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

اخلاق كماء السماء فى صفائه ، يبرد الغلة ، ويطفىء الصدى ، والنسيم العليل فى هدوءه ، يطرد الضيق ، ويبدد العناء . والذهب المصفى فى جلوته ، يبهر العين، ويسر النفس .

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها ، وما يتعشق الحكماء
المصلحون اصابع جمعت يدا
هى أنت ، بل انت اليد البيضاء

ومن جمال اخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم التى تدل على حلمه ، وسعة صدره ، وقوة أحتماله .. أن رجلا كافرا جاءه يتقاضاه دينه ، فجذب الرسول من ردائه ، حتى أثر فى رقبته ، فقام سيدنا عمر ليضرب عنقه ، فقال له الرسول : مهلا يا عمر ، أنا وهو أولى منك بغير هذا . تامره بحسن التقاضى ، وتامرنى بحسن الأداء . حينئذ أكب الرجل على قدمى النبى يقبلهما

ويقول : بابى وامى انت رسول الله حقا ؟ ثم اسلم وحسن اسلامه .

واقول : من هذا الخلق الكريم الذى كان يتجمل به سيد الخلق ، نتعلم الحلم مع المخالف ، والتسامح مع المعتدى ، والتجاوز مع الباغى ، الا اذا تمادى فى عدوانه، وأقام على طغيانه ، فان السيف حينئذ هو الحكم ، ولا يفل الحديد الا الحديد .

ولقد صدق الله تعالى اذ يقول :

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ولما كانت غزوة احد ، ورتب الرسول صلى الله عليه وسلم الجيش ، أمر حماة الظهر ألا يبرحوا مراكزهم سواء انتصر المسلمون أم انهزموا ،ولكنهم حينما لاحت بشائر النصر تركوا مراكزهم ، واشتغلوا بجمع الغنيمة ، فباء المسلمون بالهزيمة ، وكانت الغلبة لأعدائهم .

ومع ذلك فقد رحمهم الرسول ، وعاملهم باللين والرفق ، فمدحه الله تعالى بقوله :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

واقول : ان مشارق آيات القرآن باخلاق الرسول صلى الله عليه التى كان يتحلى بها ، والتى افاضتها عليه التربية الالهية ، وكان منها خلق الرحمة والعطف ، والحنان والحدب ، والحلم والسماحة ، هى التى استنار بها المسلمون الأولون ، وساروا فى هداها ، حتى كانت النتيجة أن وسعوا رقعة الدولة ، وملكوا الدنيا ، ونشروا أعلام الاسلام فى آفاقها ، وبعثوا أنواره فى الكائنات .

وكان من هؤلاء الاعلام سيدنا معاوية فقد روى عنه أنه كان يقول : لو أن بينى وبين الناس شعرة ما قطعت اذا شدوها ارخيتها ، واذا أرخوها شددتها .

وأعطى امرأة من أتباع سيدنا على قطيعا من الابل وكانت ضده فى غزوة صفين ، ثم قال لها ، لو كان على حيا ما أعطاك من هذا شيئا ، فقالت له : ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

ومن هؤلاء الأعلام عبد الله بن ابى بكره والى البصرة ، دخلت عليه امرأة ذات يوم ، فوقفت بين السماطين وقالت :

اصلح الله الامير وامتع به ، حدرتنا اليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها ، وأنا أعول صبية صغارا ، وآخرين كبارا ، فى بلقع شاسعة ، تخفضنا خافضة ، وترفعنا رافعة ، وقد مات الوالد ، وغاب الرافد ، فسألت فى احياء العرب : من الكاملة صفاته ، المعطى سائله ، الكافى نائله ، فدللت عليك اصلحك الله ، فانت بعد الله غيائى ، ومنتهى أملى . فاصنع معى احدى ثلاث :

اما أن تردنى الى بلدى ، أو تحسن صفدى .

او تقيم أودى . فقال : بل اجمعهن لك .

ومن هؤلاء الأعلام الأحنف بن قيس ، قيل له : ممن تعلمت الحلم يا أحنف ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى ، جىء له ذات يوم بابن قتيل ، وابن أخ كتيف ، وقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، وكان جالسا يحدث قومه ، محتبيا بحمائل سيفه ، فما التفت اليهم ، ولا قطع حديثه ،ولا قطب وجهه ، ثم بعد أن انتهى من حديثه توجه اليهم وقال :

لقد روعتم الفتى ، فكوا وثاقه . ثم قال له : يا بنى لقد أغضبت ربك ، وقصمت ظهرك ، ونقصت عددك ، اذهب غفر الله لى ولك ، وانشأ يقول :

أقول للنفس تأساء وتعزية
احدى يدى اصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه
هذا اخى حين أدعوه وذا ولدى

وبعد فهذه مثل من مشارق الأخلاق فى القرآن ، وهذه اضواؤه تملا قلوب الكثير من أتباعه .

وهذا هو التاريخ يعيد نفسه ، وهذه هى نبوءات الرسول تتحقق فى أيامنا هذه ، حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة » - ويقول : « لن تزال طائفة من أمتى قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

ويقول : « ان الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها أمرها . وفى رواية : أمر دينها » .

فهاهو رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، يطبق أخلاق القرآن ، وتعاليمه ، ومبادئه واحكامه ، وتشاريعه وأنظمته ، فيبنى دار القرآن ، وجامعة الاسلام . ويسير بالدين الى الأمام قدما . والعالم شاهد عدل ، والتاريخ رقيب عتيد ، والله لا يضيع أجر من احسن عملا .

بين
أستاذ الجيل
و
الأستاذ الإمام

الدكتور عثمان أمين

أكتب هذه الكلمة مشاركة فى احياء ذكرى أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد .. فقد كان من حسن حظى أن عرفته مديرا للجامعة المصرية فى أول عهدى بالدراسة فيها . وما زلت أذكر يوم ذهبت - مع فريق من زملائى طلاب الفلسفة بكلية الآداب - للتشرف بلقاء الأستاذ الكبير فى مكتبه بقصر الزعفران ، ولست أنسى ما أتحفنا به وقتئذ من حديث كان أشبه بمحاضرة ضافية عن عباقرة الفكر فى الشرق والغرب ، وما كان لهم من أثر عظيم فى تنوير الأذهان وتهيئة النفوس للطموح الى عالم أفضل : وكان هذا بالنسبة الى أول انطباع جميل عن أستاذ الجيل .

ودارت الأيام دورتها ، وشاء الله أن أحظى بالاستماع اليه مرة أخرى منذ بضع سنين ، حين ذهبت اليه بمكتبه فى مجمع اللغة العربية ، لأستطلع رأيه فى مسألة عامة كانت تشغل بال المثقفين فى ذلك الحين .. وفى حديث قصير ممتع ظفرت به منه - ويالها من لحظات أثارت ذكريات ! - استيقنت مما كنت أعلمه من قبل ، وهو أن الأستاذ الكبير مغتبط أوفر اغتباط بما أتيح له أن يشهد فى هذا العهد الجديد من تحقق أمنيتين قوميتين - كلتاهما عزيزة عنده أثيرة لديه - وكلتاهما لبثت تراود قلبه وعقله حقبة طويلة من الزمان .

أما الأمنية الأولى : فهى حكم البلاد بأيدى الخلصاء من أبنائها . وقد تحققت هذه الأمنية أمام بصر الأستاذ الكبير على أيدى رجال الثورة المباركة ، تلك الثورة التى قامت على رعاية الفكرة ، فغرست شجرة الحرية فى جميع الحقول ، وخاصة فى حقول التربية والثقافة والاجتماع والسياسة . ومضت الثورة الى غايتها تخطط وتبنى ، حتى أعادت الى الأمة ما افتقدته من الثقة بنفسها ، وحققت لها بالأعمال الباقية والشواهد الحية ما تهفو اليه من الشعور بكرامتها والاعتزاز بشخصيتها .

وأما الأمنية الثانية فهى ادخال تعليم الفلسفة فى المعاهد والمدارس العربية . وقد تحققت هذه الأمنية منذ أكثر من ربع قرن ،

بفضل يقظة الأحرار وقادة الفكر فى هذه البلاد، **فتقرر تدريس « مبادىء الفلسفة » فى المدارس الثانوية** • وقد كان لتحقيق هذه الأمنية فى التعليم أثر كبير فى حاضر الأمة العربية • وما من شك فى أنه سيكون لها أثرها فى مستقبلها القريب والبعيد • ذلك لأن أستاذ الجيل كان يؤمن ايمانا راسخا - شاركه فيه كثيرون من صفوة أهل الفكر فى هذه الأمة ، **منذ محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى عبد الرازق وعباس العقاد الى الرئيس جمال عبد الناصر** - كان يؤمن بأن الفلسفة ، صانعة التاريخ ، ذات أثر عميق فى حياة الأفراد والجماعات •

هذه بعض انطباعات نفسى عن الأستاذ الكبير ، وهى انطباعات مباشرة جاءت ثمرة للالتقاء به والحديث معه والاستماع اليه •

أما انطباعات ذهنى التى هى ثمرة البحث عن اتجاهاته وأفكاره فى صفحاته المطوية او منتخباته المنشورة فأستطيع أن أجملها فى قضية واحدة : **وهى أن أستاذ الجيل خليق ، عند تقييم الفكر المصرى المعاصر ، أن يكون هو خليفة الأستاذ الامام محمد عبده ومكمل رسالته الاصلاحية فى ميادين الأخلاق والسياسة والاجتماع** ، فقد كان أول ما برز اسم لطفى السيد فى « الجريدة » لسان « حزب الأمة »• وقد اشتهرت «الجريدة» فىعهد اشرافه عليها، باصرارها على الدفاع عن دعوة الاصلاح والتجديد التى نادى بها الأستاذ الامام فى العالم الاسلامى الحديث• **وجماع تلك الدعوة تنوير الأذهان لتزويد الأمة بأدوات الاستقلال الصحيح ، القائم على نشر العلم، وتزكية الوعى، والثقة بالذات ، والاعتماد على النفس، والتشبث بطلب الحرية ، والشعور بالكرامة الانسانية •**

وانه ليحلو لى أن أقتبس فقرات من خطبة سياسية له نشرت بعدد « الجريدة » الصادر فى الثانى من يناير سنة ١٩٠٩ ، قال رحمه الله « **ان الحرية الشخصية خلقت مع الانسان • ومهما كان الرق قديما فان الحرية أقدم منه • فليست الطبيعة هى التى أوقعت الانسان فى الرق ، ولا هى التى حدت حريته بالحدود التى تراها اليوم ، ولكن الذى حدها هو الضرورة النظامية أو ضرورة الاجتماع • الحرية أم الفكر ، أم العلم ، بل هى المقصود من معنى الحياة الانسانية • لذلك لم يخطىء الحكماء الأقدمون الذين كانوا لا يعتبرون العبد شخصا ، بل يعتبرونه آلة حية ، أو شيئا من الأشياء المملوكة ، فان الحياة بغير الحرية موت حقيقى • وعلى ذلك كان التساهل فى أمر الحرية الشخصية - يعتبر دائما تنازلا عن حقوق الانسانية وواجباتها أيضا** » (صفحات مطوية ، ص ٥٣) • وقال عن حرية الأمة : « ان الطبيعة قرنت حياة الأمة بحريتها العامة: فكما أن حرية الفرد هى المقومة لحياة الانسانية ، كذلك حرية الأمة وحكمها نفسها بنفسها هو المقوم الأول لحياتها ، بدونه لا تتم لها الحياة » (ص ٤٤) • ونظر لطفى السيد نظرة جوانية حقا حين حدد العلاقة بين « **الأمة** » و « **الحكومة** » فقال :

« **ان الحكومة عرض من أعراض الأمة ، وان الأمة تأخذ الدستور لا تعطاه : لأن الدستور ملك للأمة من يوم كونها أمة ، وأن كل أمة متى أجمعت على تغيير شكل حكومتها تحققت ارادتها من غير نزاع** » (ص ٤٦) • ورأيناه يعود الى الكتابة فى موضوع الحرية ، وتشبه أن تكون شغله الشاغل ، يهتف بها ويتحدث عنها فى كل مناسبة ، فيقول فى « الجريدة » فى عددها الصادر فى ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٣ : « **الحرية غرض الانسان فى الحياة ، كانت ولا تزال هواه الذى طالما قدم له القرابين ، وأنفق فى سبيله أعز شىء لديه ، أنفق فى سبيله المال والجاه والروح** •• » « **الحرية هى الحياة، بل أعز من الحياة** » « **فأى انسان خمدت فى صدره نار الحرية ، وأظلمت جوانب عقله من شعاعها الساطع ، جدير بأن لا يعتبر انسانا، وأن تسقط عنه تكاليف الحياة** » (المنتخبات، الجزء الثانى ، ص ٦٠) •

وكذلك كان أستاذ الجيل مكملا لرسالة الأستاذ الامام فى وجه آخر من وجوه الدعوة الى التوعية والتنوير : **فقد أسهم - رحمه الله - مع سعد زغلول ، وقاسم أمين ، وحفنى ناصف ومصطفى كامل - فى مواصلة الجهود لتحقيق**

امنية أستاذه الشيخ محمد عبده فى انشاء جامعة مصرية ، الى جانب الجامعة الأزهرية ، بحيث « تقوم على تعليم العلوم وفقا للمناهج الحديثة ، وتسهم فى تجديد الحضارة العربية القديمة ، بالدأب على الاقتباس من النتائج التى توصل اليها علماء الغرب فى العلوم والآداب والفنون » . والانصاف يستوجب فى هذا المقام أن ننوه بفضل الأستاذ الامام فى السبق الى التفكير والعمل على تحقيق مشروع الجامعة المصرية ، ذلك الفضل الذى شهد به ، بعد وفاة الامام ، كاتب فرنسى مرموق ، وسجله فى « مجلة العالم الاسلامى » الصادرة فى باريس، كما أثبته « دوجرفيل » مؤلف كتاب « مصر الجديدة » المنشور سنة ١٩٠٥ بباريس .

ولم يمض من الزمن الا قليل حتى تحقق المشروع بجهود الأحرار المستنيرين من أبناء هذه الأمة . فأنشئت « **جامعة الشعب** » سنة ١٩٠٨ ، واختير لطفى السيد عضوا بمجلس ادارتها . وتناوبت الجامعة بعد ذلك حظوظ مختلفة لا محل هنا للخوض فيها ، ثم أنشئت « **الجامعة المصرية** » تحت اشراف الحكومة سنة ١٩٢٥ ، فعين لطفى السيد مديرا لها .

وفى ١١ من يوليو سنة ١٩٢٢ ، أقيم بدار الجامعة احتفال كبير **لاحياء ذكرى الأستاذ الامام** ، وكان الذى ألقى كلمة الجامعة فيه ، هو **أحمد لطفى السيد** ، ومن توجيهاته السديدة فى ذلك الاحتفال قوله :

« **ان لنا نحن المصريين ، من جهة كوننا أمة متمدنة ، حقا ، نقتضيه من الانسانية جمعاء ، وهو مساواتنا بكل أمة متمدنة فى الحقوق الدولية ، وان علينا مقابل هذا الحق واجبا يلزمنا أداؤه ، وهو احتمال نصيب من المسئولية عن الارتقاء العام للانسانية فى مدارج الكمال من جميع جهاته . فكل عصر يجب أن يؤدى حسابا عما عمل لخير الانسانية ، وكل أمة يجب عليها أن تحمل نصيبها من المسئولية عن هذا العمل بقدر استعدادها . ومن الخطأ أن يظن بأن نصيبنا من هذه المسئولية ضئيل القدر خفيف الحمل ، بل الأمر على ضد ذلك : نصيبنا من المسئولية يجب عدلا أن يربو على نصيب كثير من الأمم . وربما عد غيرنا هذا القول غلوا فى تقدير قيمة أمتنا ومنافيا للتواضع المحمود .. ولكن الاجماع واقع على أننا سلالة معلمى الانسانية، الهادين الى طرائق كمالها من جهة العلوم والآداب ، ومن جهة أنظمة الحكم ومختلف الصناعات . فيجب أن يقع الاجماع أيضا على أننا من أشد الأمم استعدادا لاحتمال المسئولية عن الارتقاء الانسانى العام . ولا ينقصنا فى ذلك الا زوال الموانع الخارجية التى حالت منذ بضعة قرون بيننا وبين الظهور باحتمال هذه المسئولية والمشاطرة فى المجد العلمى العام . وعلى هذا الاعتبار يجب علينا أن نتخذ نهضتنا العلمية الحاضرة بشير الرجوع الى مضمار المسابقة العلمية العامة ، وان نوطد أنفسنا على العمل بجد للاستعداد لهذه المسابقة .**

ومن صنوف العدة أن نتبين صيغة مركزنا العلمى — وليس مركزنا العلمى شيئا آخر سوى تقدير ما أنتجت بلادنا من النوابغ الذين هم أركان نهضتنا الحاضرة ، أولئك هم مصابيح الماضى ، تنبعث منها أنوار الهداية الساطعة ، فتكشف للحال طريقه الى الامام فى ظلمات الاستقبال . وأكبر هؤلاء النبغاء هو أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده » (الاحتفال ص ٨ — ٩) .

لقد استطاع أحمد لطفى السيد ، الرائد الثانى للفكر المصرى ، أن يقوم فى توجيه حياتنا الفكرية والاجتماعية بدور كبير ، هو دور التوعية والتنبيه ، ويتناول حقيقتين رئيسيتين أشار اليهما فى كلمته التى أوردناها منذ قليل : **احداهما** أننا سلالة معلمى الانسانية ، **والأخرى** أننا مسئولون عن الارتقاء الانسانى العام . ومن أجل هذا كان أهم الجوانب فى رسالة الجامعة عنده هو «**المشاركة العامة فى رقى العلوم والمعارف** » ثم « **مساعدة التطور الاجتماعى بكل ما فى وسعها من ضروب التجديد** » (المنتخبات ص ٤٠) .

تحية زكية لذكرى نابغة الدقهلية ، بل لذكرى فقيد الأمة العربية ، ورائد من رواد الوعى الانسانى فى الشرق الاسلامى .

العروبة

فى شعر شوقى

الأستاذ عمر الدسوقى

العروبة هى تلك الآصرة المتينة التى تشد قلوب العرب بعضهم الى بعض مهما تناءت بهم الدار، وشط المزار .

وقد جاءت العروبة فى ركاب الاسلام الى وادينا الحبيب والى الشمال الافريقى ، ولم يمض قرنان من الزمان على دخول الدين الحنيف ارض الكنانة حتى صارت العربية لسان أهلها جميعا ، وصبغت هذه البلاد صبغة عربية خالصة وصارت معقل العروبة وحصنها الحصين كلما نابها خطب أو عدت عليها عوادى الزمن أو تآمر بها أعداؤها ، اذ حفظتها من الضياع الى الابد أيام سيطر الاتراك السلاجقة على الخلافة ببغداد ، وأيام اجتاح برابرة الشرق المغول الشرق العربى ، وقوضوا ما تبقى من آثار الخلافة ، وألقوا تراث العرب ومكتباتهم فى دجلة والفرات وصنعوا منها جسرا يعبرون عليه الى الشام ، وفرت جحافل المشردين والخائفين من العراق والشام الى مصر آلافا آلافا ، فتحت لهم مصر ذراعيها، وضمتهم اليها، كما تضم الأم الحنون أولادها الفزعين الى صدرها الرحيم ، وغصت بهم شوارع القاهرة ومساجدها ، وعوضتهم من فزعهم أمنا ، ومن تشردهم سكنا ، ثم نهدت الى هذا العدو المنطلق الى الغرب يدمر المدن والبلاد كالاعصار ، ووقفت امامه فى عين جالوت وقفة غيرت وجه التاريخ ، وردته الى بلاده خزيان أسفا ومهزوما مدحورا ، ولو اتيح له أن يقتحم هذا الوادى بجيوشه التى لم تهزم فى معركة من قبل لقضى على العروبة والاسلام . فيا لها من وقفة ، ويا له من انتصار للعروبة والاسلام !

وحين استولت جيوش الصليبيين على بلاد الشام ، وأسست امارات وممالك ، وارست قواعد الاستعمار الغربى باسم الدين ، والدين منهم براء ، ومكثت قرابة مائتى عام حتى كادت تشوه الوجه العربى الاسلامى فى بلاد الشام وتجتث جذور القومية العربية والدين قامت جيوش مصر بقيادة صلاح الدين الايوبى وقوضت ماشيدوا وضربتهم ضربة قاتلة فى حطين، فلم تقم لهم بعدها قائمة ، وبذلك حفظت للعروبة وجهها الكريم ، وللاسلام عظمته وشموخه ، وبرهنت مصر مرة أخرى على انها كنانة الله فى ارضه ، وعلى أنها حصن العروبة والاسلام الذى لم يقتحم ، والذى يرد عادية المغيرين ويقضى على أطماع المغامرين .

وفى العصور السوداء الحالكة ايام جثم الاتراك العثمانيين ، جفت دوحة الفصحى وتساقطت أوراقها الا بقايا لا تنشر ظلا ولا تعطى ثمرا اللهم الا فى مصر حيث كان الازهر يحتضن لغة القرآن ويغذيها ويحفظها من الضياع .

وحين ريع علماء الشام وكتابها وشعراؤها امام الاضطهاد التركى يجدوا ملاذا يلوذون به الا مصر فهرع اليها جم غفير منهم هربا بحريتهم ووجدوا فيها امنا ودعة وعيشا كريما ، واخوة صادقة .

واذا كان الاستعمار التركى ومن بعده الاستعمار الغربى قد ألهى الناس عن عروبتهم ، وشغل كل قطر بمصائبه ورزاياه ، وعمل الغربيون على تقطيع ما بين البلاد العربية من أواصر ، وخلق عداوات وهمية ، ومنافسات تافهة بين حكامها التافهين ، فان الشعوب العربية ظلت مؤمنة ايمانا راسخا فى حنايا قلوبهم بتلك الاواصر التى تشد بعضهم الى بعضهم ، واظهر ما يكون هذا الايمان عند المحن والشدائد التى تحل بقطر عربى ، فسرعان ما يفزع لمصابه العرب فى كل مكان وبخاصة فى مصر وهى الشقيقة الكبرى ، يتطلعون اليها فى لهفة يلتمسون لديها العزاء ومنها الرجاء ، وهى لا تضن ولا تبخل ، وان لم تتشدق بلفظ العروبة ، وانما كانت تؤمن بها ايمانا قويا ، وتعتقد ان العروبة صنو الاسلام وأن الاسلام أكبر دعائم القومية العربية .

وقد كان لفظ « الشرق » ضد الغرب من الالفاظ التى ابتدعها الاستعمار ، وتلقفها الكتاب والشعراء بدون وعى الى الهدف الاستعمارى البغيض من ترويج هذه الكلمة ، وان استعملوها بدل لفظ العروبة وظلت كذلك الى امد قريب تجرى على أسنة الاقلام وألسنة الخطباء حتى أدركوا أن « الشرق » كلمة فضفاضة وانها لا تبين عن تلك الاواصر المتينة بين الشعوب العربية فاستعملوا كلمة العروبة .

وقد ألهت الاحداث المحلية كثيرا من شعرائنا عن التلفت الى ما يجرى حولهم فى بلاد العروبة ، ولكن الشاعر الذى اتسعت آفاقه وثقبت بصيرته الملهمة الى لب الحقيقة ، وتطلع الى المستقبل ، فلم يدع حادثة ذات بال تقع فى أى قطر عربى الا انفعل بها وتأثر لها هو « شوقى » ، فقد كان لسان مصر العربية ، ورسولها المبين الى شقيقاتها فى السراء والضراء وفى ذلك يقول ونعم ما قال :

رب جاد تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معزيا بمآقى وطنى أو مهنئا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشرق وكان العزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح وأن نلتقى على اشجانه

كان يدرك كما ندرك اليوم ادراكا سابقا لاوانه ، ووعيا منه لم يشاركه فيه معاصروه من الكتاب والشعراء ، ان مصير هذه الامة العربية واحد ، وان

الخطر الذي يحدق بجزء منها سيصيب حتما بقية اجزائها ، وأنها في اقطارها المختلفة تمثل اسرة واحدة مترابطة يجمعها هذا الشرق العربي .

وما الشرق الا أسرة أو عشيرة
تلم بنيهـا عنـد كل مصاب

ويقول :

انما الشرق منزل لم يفرق
اهله ان تفرقت أصـقاعه
وطن واحد على الشمس الفصـ
ـحى وفي الدمع والجراح اجتماعه

لقد كان مصيرها واحدا في الماضي ، لاقت نوعا واحدا من الاحداث والحكام ،وعانت ما عانت على ايدي الظلمة العتاه من كل جنس ، فوثقت رابطة الالام والاحزان والدموع بين أعضائها ، ذلك الاحساس بالالم المشترك الذى يسببه مصدر واحد للجميع جعلها تدرك حق الإدراك انها وحدة لا تتجزأ ، وأن قضاياها واحدة مهما اختلفت دواعيها .

لقد احس شوقي بهذه الصلة القوية احساسا عميقا فيقول لاهل دمشق وقد عز عليه أن يستبيح حماها الفرنسيون ففاضت شجونه وعبراته أسى ولوعة لما أصابها وانشد قصيدته الخالدة التى جاء فيها ما يؤكد هذه الصلة :

نصحت ونحـن مختلفون دارا
ولكن كلنـا في الهم شرق
ويجمعنـا اذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

ويقول لهم في قصيدة أخرى :

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم
ونحن في الجرح والالام اخـوان

ومابدع تعبيره بصلة الرحم، وأخوة الالام والاحزان، ان الشعور بان العرب أسرة واحدة لا انفصام بين أبنائها تسود بينهم المحبة والرحمة ، ويعطف بعضهم على بعض عطف الاشقاء هو ما كان يسيطر على فؤاد شوقي ، فاذا دهت المصائب بلدا عربيا هزت الفادحة كيانه ، وادرك ان الرزء واحد وراح يعبر عن أساه كما يأسى أفراد الاسرة الواحدة اذا أصيب أحد أفرادها بكارثة ، وهذا لعمري ادراك سام لفكرة القومية العربية وفلسفتها ، وهو ما يحاول رئيسنا جمال عبد الناصر أن يوضحه لبعض حكام العرب ، ويمارسه فعلا اذا اعتدى على اى قطر عربي معتد حتى ولو كان في خلاف مع حكامه ، اذ يطغى هذا الشعور على كل شيء ، لان المسألة تتعلق بتلك الروابط السامية ، وبهذا المصير المشترك .

استمع الى شوقي يقول في ذكرى استقلال سوريا وشهدائها :

بني البلد الشقيق عزاء جار
اهاب بدمعه شجنا فسالا
وما زلنـا اذا دهت الرزايا
كارحم ما يكـون البيت آلا

وكان شوقي ينظر الى الوطن العربي كله نظرة واحدة، يضرب الاسطول الايطالى بيروت ، فيراع شوقي ويقول قصيدته التى مطلعها :

يا رب أمرك في الممالك نافذ
والحكم حكمك في الدم المسفوك

وفيها يقول :

لك في ربى النيل المبارك جيرة
لو يقدرون بدمعهم غسلوك

ولما ثار عرب ليبيا حين حاولت ايطاليا غزو بلادهم وتصدوا لها مع ما كانوا عليه من فاقة خلفها الحكم التركي البغيض ، قال شوقي معتزا بشجاعتهم ، مشيدا ببأسهم ، مكبرهم جهدهم في سبيل حريتهم وحرمانهم :

ومجاهدين هناك عند معسكر
ومن المهابة بين الف معسكر
موفين للاوطان بين حياضها
لا يسمحون بها وبين الكوثر
عرب على دين الابوة في الوغى
لا يطعنون القرن ما لم ينذر
ألفوا مصاحبة السيوف وعودوا
أخذ المعاقل بالعنا المتشجر
يمشون من تحت القذائف نحوها
لا يسألون عن السعير المطر
في أعين البارى وفوق يمينه
جرحى نجلهم كجرحى خيبر
من كل ميمون الضماد كأنما
دم اهل بدر فيه أو دم حيدر
جذلان هينة عليه جراحه
وجراحه في قلب كل غضنفر
ضمدت باهداب الجفون وطالما
ضمدت بأعراف الجياد الضمر
عواده يمسحون بردته
كالوفد مسح بالحطيم الاطهر

وقد أبلى عرب ليبيا في محاربة الطليان أعظم بلاء ، وقادهم في جهادهم البطل العربي العظيم عمر المختار ، ولم يلقوا السلاح الا بعد ان وقع عمر في قبضتهم ، فلم يحترموا سنه التى تيفت على التسعين ، ولم ينظروا اليه نظرة الجندى الكريم الى قرنه في السلاح ، واوحى لهم حقدهم عليه ، والمهم منه وما ذاقوه على يديه ان يقتلوه قتلة شنعاء فاعدموه شنقا في سنة ١٩٣١ فكان لاعدامه رنة أسى رددتها قلوب العرب في كل صقع .

وقد رثاه شوقي ابلغ رثاء بقصيدته التى يقول فيها :

ركزوا رفاتك في الرمال لـواء
يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم
توحى الى جيل الغد البغضاء
جرح يصيح على المدى وضحية
تتلمس الحرية الحمراء

وفيها يقول :

في ذمة الله الكريم وحفظه
جسد ببرقة وسد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظما
تبلى ولم تبق الرماح دماء
كرفات نسر أو بقية ضيغم
باتا وراء السافيات هباء

وهي من اروع قصائد الرثاء في أدبنا الحديث خلد فيه شوقي بطولة عمر المختار وإباءه وكيف مشى الى الموت مشية العزيز الكريم ، وخلد فيها كذلك خسة الطليان وشناعة فعلهم مع أسير عظيم وواسى أهل ليبيا ونصح ، وشجع على الجهاد حتى لا يضعضع عزمهم هول المصاب

ويرثي شوقي يوسف العظمة بطل ميسلون، والملك حسين ، وفوزي الغزى الزعيم السوري بقصيدة رائعة مطلعها :

جرح على جرح حنانك حلق
حملت ما يوهي الجبال ويزهق

وتضرب دمشق بالمدافع سنة ١٩٢٥ فيقول قصيدته الخالدة

سـلام من صبا بردى ارق
ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعـذرة اليراعة والقوافى
جلال الرزء عن وصـف يدق

وهكذا كان شوقى لسان مصر فى مواساتها وتهنئتهـا وشكرها، وفرحها فى كل مناسبة عربية،وبذلك كان شعره من اهم العوامل التى ساعدت على نمو الشعور بالقومية العربية .

وكان شوقى كذلك محبا بالعرب فخورا بمجدهم ويعهم على الحضارة ، وباخلاقهم الرفيعة ومثلهم العليا فى وقت ضلل فيه الاستعمار عقول الجماهير المثقفة فى البلاد العربية ، وزيف امامهم الحقيقة ، واوهمهم أن العرب جنس مهين ، حتى تنصل بعض كتابناوادبائنا من عروبتهم ، وفقد الناس الثقة بانفسهم ، وتنكروا لماضيهم وتراثهم .

وتطلعوا الى الغرب تبهرهم حضارته المادية وثقافتـه الدخيلة الا من عصم ربك من ذوى الايمان الراسخ بعظمة الجنس العربى وكرم معدنه ورفيع سجاياه وقدرته الخلاقة على البناء الحضارى فى مختلف ميادينه ، وقوة احتماله للمحن والارزاء يتقبلها فى صبر الابى ووقار الكريم ويخرج منها أصلب عودا وأشد بأسا .

والاعتزاز بالجنس العربى من اعظم عناصر القومية العربية ، وبخاصة حين تشـوه الحقائق ويعمى على الناس امرهم فى أصول قوميتهم ويضرب الاستعمار بمعاوله الهدامة ليحيى النعرات الاقليمية من فرعونية وبربرية وفينيقية واشورية ، حتى لا تجتمع كلمة العرب، وحتى لا يتطلعوا الى ماضى امتهم المجيد بعين الاعجاب فتزداد حماستهم القومية وتتحد مشاعرهم ضده .

وكان شوقى من هذا النفر القليل الذى ادرك وسط هذا الظلام الدامس من الاكاذيب حقيقة الامة العربيـة ورسالتها فى الماضى والمستقبل .

امة ينتهى البيـان اليهـا
وتئـل العـلوم والعلماء
كلمـا حثت الركاب لارض
حاور الرشد اهلهـا والذكاء
وعلا الحق بينهم وسما الفضـ
ـل ونالت حقوقهـا الضعفاء
ايرى العجم من بنى الظل والماء
عجبـا أن تنجب البيـداء
وتثير الخيام آساد هيجـاء
تراهـا آسادهـا الهيجـاء

وقد ردد شوقى هذا الاعجاب فى كثير من قصائده وفى كل مرة يضيف جديدا من سجاياهم الكريمة وبحسبى ان اذكر قوله :

هـذا هلالكم تكفل بالهـدى
هل تعلمون مع الهلال ضـلالا
سرت الحضارة حقبـة فى ضوئه
ومشى الزمان بنـوره مختـالا
وبنى له العـرب الاجاود دولة
كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعـوا له فوق السماء دعائما
من علمهم ومن البيـان طـوالا
الله جـل ثناؤه بلسـانهم
خلق البيـان وعلم الامثـالا
وتخير الاخـلاق أحسنها لهم
ومكارم الاخـلاق منـه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمـة
والاسد باسـا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعـا كلما
ذهبوا يمينا فى الورى وشمالا
ايام كان الناس فى جهلائهم
مثل البهـائم أرسلت ارسالا

وحرى بمثل هذا الشعر العلوى ان يبدد كسف الظلام امام العقول الضالة ، وأن يستعيد للناس ثقتهم بأنفسهم وبأمتهم واعجابهم بحضارتهم وتراثهم ، فتتجدد منهم العزائم وتنهض الهمم وتتحد المشاعر ، ويستانف الركب العربى سيره الكريم .

وقد وقف شوقى طويلا أمام الحضارة العربيـة فى دمشق والاندلس ، ونونيته فى دمشق من عيون الشعر العربى الحديث تلك التى يقول فيها :

قم ناج جلق وانشد رسم من بانوا
مشت على الرسم احداث وازمان
هـذا الاديم كتاب لا كفـاء له
رث الصحائف باق منـه عنوان
الدين والوحى والاخلاق طائفـة
منـه وسـائره دنيا وبهتان

ويشيد ببنى امية وما أقاموه من ملك ، وما اسسوا من حضارات فى الشرق والغرب ، وكثيرا ما نوه بهم لان حضارتهم كانت عربية خالصة ، لم يشركهم فيهـا الاعاجم كما كان شان بنى العباس .

بنو امية للابناء ما فتحـوا
وللاحاديث ما سـادوا وما دانوا
كانوا ملوكا سرير الشرق تحتهم
فهل سالت سرير الغرب ما كانوا
عالين كالشمس فى اطراف دولتها
فى كل ناحيـة ملك وسلطان
يا ويح قلبى مهما انتقلت ارسمهم
سرى به الهم أو عادته اشجـان
بالامس قمت على الزهراء اندبهم
واليوم دمعى على الفيحاء هتان
معادن العز قد مال الرغام بهـم
لو هان فى تربه الابريز ما هانوا
لولا دمشـق لما كانت طليطلة
ولا زهت ببنى العباس بغـدان

اما اندلسياته ووصـفه لحضارة العرب بالاندلس فاشهر من أن ننوه بها ، وبخاصة سينيته الرائعة التى يعارض بها البحترى ، وهى برهان ساطع على اعجاب شوقى بتراث العرب أيا كان موطنه ، وعظم اساه لما اصابهم ، وسعيه لاستنهاض الهمم حتى يحذو الابناء حذو الاباء ويكون لهم من ماضيهم الرائع عظة وحافز :

واذا فاتك التفات الى المـا
ضى فقد غاب عنك وجه التاسى

ان الحديث عن العروبة ومظاهرها فى شعر شـوقى لا تتحمله مثل هذه العجالة ، ولعل الحـظ يسعفنى فابسطه فى مقام آخر وبحسبى ان اقول : ان شعر شوقى كان فى ذاته رابطة قوية بين الشـعوب العربية وعاملا فعالا فى تهيئة النفوس لليقظة العربية الكبرى التى عمت اليوم ارض العروبة ، فرواه البدو والحضر من الخليج الى المحيط ، وترنموا به فى مجالسهـم واقتبسوه فى كتاباتهم وسمعوه غناء وشـاهدوه تمثيلا ، ولقد ادرك شوقى هذا وكان به فخورا فقال :

رواة قصـائدى فاعجب لشعر
بكـل محـلة يرويه خلق

ومعذرة اذا اعجلنى الوقت عن تتمة البحث وشكـرا لكم .

عندما بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم- برسالة الاسلام قابلته مكة واصحابها بحرب لا هوادة فيها، وكذبته واختلقت عليه شتى الادعاءات ، وآذته غاية الايذاء .. فلما هاجر الى المدينة أحسن أهلها استقباله وآزروه أحسن مؤازرة ، وضحوا فى سبيله وفى سبيل الاسلام بأرواحهم وأموالهم .

وكان لمكة فى ايذائها وحربها للاسلام والمسلمين فلسفة خاصة .. كما كان للمدينة فى مؤازرة النبى وصحبه وايوائهم والذود عنهم فلسفة خاصة أيضا .. وكانت هذه الفلسفات المتعارضة محكا قويا لشخصية النبى ومقدرته السياسية والاجتماعية . ومحكا كبيرا لقوة الاسلام وصدق الرسالة .

وقبل الحديث فى كل هذا أود أن أوضح بايجاز حال العالم عند أول البعثة المحمدية .

لقد كانت تتنازع العالم المتحضر - دينيا وسياسيا - قوتان كبيرتان ..

قوة المسيحية : وتمثلها الدولة الرومانية.

وقوة المجوسية : وتمثلها الدولة الفارسية .. وفى سبيل السيطرة والغزو والاستعمار ، كانت الحرب بين القوتين عارمة طاحنة .. ورغم اشتراك شبه الجزيرة العربية معهما فى الحدود الطبيعية ، فقد ظلت وكأنها واحة حصينة آمنة من الغزو الا فى بعض أطرافها. يحميها موقعها الجغرافى الممتاز .. مما كان له تأثير واضح فى تفكير العرب ، وفى فلسفة علاقتهم ببعضهم وبما جاورهم من الأمصار .

ولم تجد المسيحية مجالا - ولو ضيقا - بين عرب شبه الجزيرة رغم كثرة المبشرين المسيحيين .. وكان مما ساعد فى عدم جدوى الدعوة المسيحية بين العرب .. نشأة عدة أحزاب مسيحية متعارضة .. وقد استغل اليهود كرههم الطبيعى للمسيحية فأشعلوا نار الفتنة بين هذه الأحزاب مع التشكيك فيها جميعا .. فأصبح طبيعيا أن يظل العرب الذين يتصلون بنصارى اليمن والشام فى رحلتى الشتاء والصيف ، وبمن يفدون عليهم من نصارى الحبشة ، بعيدين عن أن ينتصروا لفريق على فريق .. مطمئنين الى وثنيتهم

التى ولدوا فيها وتابعوا آباءهم عليها ... ولم تكن نفوسهم قد بلغت من السمو ما يجعلها تفكر فى أكثر من أن تكتفى بوثن تخلع عليه أسباب التقديس .. لهذا ظلت عبادة الأصنام منتشرة مزدهرة عندهم .

أما مكة فانها كانت - على وجه الخصوص - صاحبة مكانة ممتازة .. فقد كانت كعبتها محط أنظار العرب . كما كان لمركزها الممتاز فى تجارة بلاد العرب كلها ما جعلها تعتبر عاصمة شبه الجزيرة .. وزاد حادث الفيل ونصرة الله لبيته العتيق من مكانة مكة الدينية .. وزاد تبعا لذلك فى مكانتها التجارية .. كما زاد أهلها انصرافا عن التفكير فى شىء غير الاحتفاظ بتلك المكانة الرفيعة الممتازة ومحاربة كل من يحاول الانتقاص منها أو الاعتداء عليها .

وزاد من حرص المكيين فى المحافظة على مكانة مدينتهم ما كانت تتيحه لهم من جاه وترف على أوسع صورة يتصورها الذهن للترف فى هذه المنطقة الصحراوية الجرداء . فاغرموا بالشراب والجوارى والعبيد وكل ما يمكن أن تصله أيديهم من ملذات الحياة ومتعها .. ولم يكن أشهى الى نفوسهم من أن يجعلوا سمرهم وشرابهم فى سرة المدينة حول بناء الكعبة .. وتطل الأصنام المنصوبة حول الكعبة بعيونها الحجرية على مجالس السمر .. وللسامرين فيها من الحماية أن جعلت الكعبة بيتا حراما ومكة بلدا آمنا .. وللاصنام على السامرين ألا يدخل مكة كتابى الا أن يكون أجيرا لا يتحدث بشىء فى أمر دينه ..

ولم يكن يؤذى مشاعر أشراف مكة ويفسد عليهم متعهم الا ما كان يقال يومئذ عن نبى يظهر بين العرب .. حتى أن أبا سفيان قد عتب يوما على أمية بن أبى الصلت كثرة ترديده لما يذكره الرهبان من هذا الأمر .

فلما بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله عليه سورة المدثر ، كان أصدق وصف لجلال الموقف ، وخطورة المهمة التى وكلت الى النبى قوله لخديجة - رضى الله عنها - وهى تهدىء من روعه: انقضى ياخديجه عهد النوم والراحة ، فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس ، وأن أدعوهم الى الله والى عبادته .. فمن ذا أدعو ؟ ومن ذا يستجيب لى ؟

يا لروعة التصوير وعظمة الشعور بالمسئولية .. لقد صدق حدس رسول الله .. فلم يكن ما جاء به بالأمر الهين فى مكة .. ظل فيها ثلاثة عشر عاما يدعو للاسلام - والاسلام لا يدخل فيه الا القليل من الناس ، وكفار مكة يجربون معهم كل ألوان التعذيب والتكذيب والايذاء على محمدا يرجع عن هذا الأمر أو على الأقل يخلى بينهم وبين أصنامهم .. وتحمل النبى وصحبه كل شىء بقلوب ثابتة الايمان عامرة بالأمل فى نصرة الله آخر الأمر .

ومنذ ذلك الحين لم يعد أشراف مكة ينعمون بما كانوا ينعمون به من قبل من أسباب الدعة والترف والهدوء .. فرغم قلة عدد المسلمين وضعف قوتهم الا أن هذا الدين الجديد كان خطرا كبيرا يهدد كيان كفار مكة ومكانتهم ومكانة مدينتهم ..

وما دام كل ما جربوه مع المسلمين لم ينل من ايمان محمد وصحبه ولم يمنع الاسلام من من الانتشار ولو قليلا. فانه أمام كل هذا وعنادا فى المحافظة على القديم والعزوف عن كل ما يتعارض معه ، لم يكن هناك الا تجربة أخيرة يستريحون بها من محمد ودين محمد .. يقتلونه يدا واحدة .. لا دية بعدها ولا ثأرا .. حتى تعود الحال بمكة وأهلها الى ما كانت عليه من قبل .

ولكن الله خيب ظنهم ، ورد عليهم مكرهم ، فامر نبيه بالهجرة الى المدينة.. قال تعالى :

« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

هكذا كان حال مكة حتى الهجرة .. أما حال أهل المدينة فكان يختلف عن ذلك .. كان فيهم المشركون من الأوس والخزرج .. كما كان فيهم اليهود ... وقد تمكن اليهود من الوقيعة بين الأوس والخزرج وجعلوا فيهم

حربا دامية اذا هدأت آثاروها حتى يستمر لليهود فى المدينة مكانتهم وتضعف قوة غيرهم .. ثم اذا اختلفوا معالمشركين من أهل المدينة عيروهم بوثنيتهم وهددوهم بأنه سيخرج من بلاد العرب نبى يدعو الى الله وحده ، وأن دين هذا النبى سيكون على شاكلة دينهم ، وهم بذلك سيتحالفون معه ويتبعونه ثم يقتلون باقى أهل المدينة معه قتل عاد وارم. وقد نجحت حرب الأعصاب هذه فى اخافة المشركين بالمدينة بعد أن أنهكتهم الفرقة والحروب .. وأثرت فى نفوسهم أيما تأثير .. حتى انه عندما خرج نفر منهم الى مكة فى موسم الحج وعرض محمد - صلى الله عليه وسلم - عليهم دينه .. كان أن أجابوه وأسلموا .. فلما جاءوا مكة فى العام التالى بايعوه بيعة العقبة الاولى التى ازداد بها الاسلام فى المدينة انتشارا ، مما دعاه - صلى الله عليه وسلم - الى التفكير فى الهجرة ومعه أصحابه الى المدينة ..

وانه اذا كان قد رضى من قبل هجرة بعض المسلمين الى الحبشة المسيحية ، فلا شك أنه انفع للاسلام والمسلمين أن يهاجروا الى مسلمى المدينة ..

ولهذا انتهز النبى فرصة العقبة الثانية .. ولم يكتف فيها بالدعوة الى الاسلام ، بل جعل منها حلفا يدفع به المسلمون عن أنفسهم الأذى بالأذى والعدوان بالعدوان .. وعاهده مسلمو المدينة على حرب الاسود والاحمر وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى ألا يخافوا فى الله لومة لائم .

ولما أذن الله لنبيه فى الهجرة وانتشر هذا الخبر بين أهل المدينةخرجوا جميعا لاستقباله بعد ما سمعوا من أخبار هجرته ومن تآمر كفار مكة للحيلولة دون هذه الهجرة . ومن احتماله فى أشد القيظ لهذه الرحلة ... كما كان يثيرهم ما انتشر من خبر دعوته فى أنحاء شبه الجزيرة وما تقضى عليه الدعوة من عقائد ورثها أهلها عن آبائهم وأجدادهم .. وكانت عندهم موضع التقديس ، ثم كان يثيرهم أكثر أنه هاجر من مكة الى المدينة ليقيم بها .. ومن ثم أخذت كل طائفة وكل قبيلة ترتب على هذا المقام من الناحيتين السياسية والاجتماعية آثارا شتى .

ومن هذا لم يكن المسلمون وحدهم فى موكب استقبال النبى بالمدينة ، انما شاركهم فى هذا الشرف العظيم المشركون واليهود ، ليروا هذا الذى سبق أن بايعه مسلمو المدينة فى العقبة على نصرته وعلى حرب الأسود والأحمر ..

ومما تجدر ملاحظته أنه مع وجود الحرب والتنافر بين أوس المدينة وخزرجها فان النبى قد وجد قبائلها وبطونها تصبو الى حياة فيها من السكينة ما يجنبها الحزازات التى مزقتها وما يهيىء لها فى المستقبل طمأنينة تطمع معها فى أن تكون أوفر من مكة ثروة وأعظم جاها ..

والنبى كانت دعوته فيها توفير الطمأنينة لجماهير المسلمين بعد أن حرموا منها من قبل فى مكة حتى يسود الاسلام بنوره .. فألف بين الأوس والخزرج ، وبين الأنصار والمهاجرين ، وآخى بينهم اخاء جعل له حكم اخاء الدم والنسب .

أما اليهود فقد بادروا الى حسن استقباله ظنا منهم أنه فى مقدورهم استمالته اليهم وادخاله فى حلفهم والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب حتى تقف فى وجه النصرانية التى أجلت اليهود - شعب الله المختار - عن فلسطين أرض الميعاد .

أمام هذه الانفعالات المختلفة ، والرغبات المتباينة ، وبدأ بعد الهجرة طور جديد من أطوار حياة محمد - صلى الله عيه وسلم - لم يسبقه اليه نبى من قبل .. هنا يبدأ الطور السياسى الذى أبدى محمد فيه من المهارة والمقدرة والحنكة السياسية ما يثير الدهشة والاجلال والاحترام .. فقد كان أكبر همه أن يصل بالمدينة الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر أنحاء الحجاز.

الرحلة الناصرية إلى اليمن

وأثرها في

الإسلام

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

ان الرئيس جمال عبد الناصر رمز حى لمبادىء الحق والعدالة والانسانية ، واكبر معبر عن آمال الامة العربية ، ولسان صدق ينطق بما يجيش فى صدور امته ، وقد وهبه الله قوة روحيـة وقدرة عظيمة على حل المشكلات بفضل ايمانه بالله وبحق امته فى حياة العزة والكرامة والقى محبته فى القلوب فصدق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« وخيار أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتدعون لهم ويدعون لكم » فقد زار سيادة الرئيس اليمن السعيد زيارة جمعت الصفوف والقلوب ووحدت الكلمة والغاية ، ورفعت الروح المعنوية فى نفوس المحاربين المرابطين المدافعين عن الحق والعاملين على اعلاء كلمة الدين ورفع لواء القومية العربية كما انها ضاعفت ثقة الامة بقوتها وتماسكها وصدر خلالها دستور اليمن وكثير من المنشئات العمرانيـة والمعاهد الدينية واصبح المؤمنون اخوة واقترب النصر الكامل بتطهير ارض العروبة من الاستعمار والصهيونية ويومئـذ يفرح المؤمنون بنصر اللـه الذى ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم

ولقد كانت هذه الزيارة الميمونة ذات طابع خاص ميزه الله بالبهجة والجلال وتجلت فيه المبادىء الاسلامية التى تثلج صدور المؤمنين وتغرس فى نفوسهم اصـول العزة النافعة فى دينهم ودنياهم .

اما وقـد جاء فى الحديث الشريف عن رسـول الله عليه وسلم انه قال « ان لهـذا الخير خزائن . وان لهذه الخزائن مفاتيح فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر »

فان زيارة رئيسنا الملهم للجمهورية العربية اليمنيـة كانت مفتاح خير وبركة على العروبة والاسلام ، ومانعة شر خطير من دعاة التفرقة والانقسام ، ازداد به الثوار ايمانا بربهـم وتمسكا بحقوقهم وازداد به المستعمرون وعملاؤهم فزعا ورعبا ظهر فى جميع تصرفاتهم ، وتحققت آمال الشعوب فى التحرر والحياة الكريمة ، واضطربت خطط الاستعمار وانكشفت أساليبه الذميمة واستبشر الاحرار وحزن تجار الحروب والدمار . قال تعالى « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

تجلت مبادىء الاسلام التى قامت عليها الامة الاسلامية عزيزة قوية موحدة . المبادىء التى حـاربها المستعمرون واضعفوها حتى يضمنوا تسلطهم على المنطقة ويصرفونا عن حقوقنا ومقوماتنا وقوميتنا العربية . ولما وجـد المستعمرون أعوانا من المنافقين ومرضى القلوب اطمأنوا الى مخططاتهم وظنوا أنهم تمكنوا من قتل الروح الوطنية والامجاد الاسلامية ـ ولكن ارادة اللـه اقوى ومشيئته اعظم ولابد ان تعلو ارادة الله كما قال سيادة رئيسنا فى احدى خطبه القوية باليمن .

جاء ديننا بتوحيد الكلمة وجمع الصفوف وامر بالاتحاد والائتلاف ونهى عن التفرق والخـلاف ، اتحاد القلوب والمشاعر ووحدة الاهداف والمقاصد وتماسك شـعوب الامة كلهـا مهما تعددت الوانهم ولغاتهم وأجناسهم حتى يكونوا قوة يرهبها الاعداء ولا ينفذ بين صفوفها مستبد غاشـم فجاء المستعمر يقيم السدود بين الاخوة ويضع الحـدود وسط الامة ويقيم من الوطن الواحد دويلات وعروشا يحركها وفق اطماعه حتى اقتطع الارض المقدسة بفلسطين وجمع فيها شراذم الصهيونيين ليضرب العرب والمسلمين ويمزق شملنا اجمعين « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.ولايحيق المكر السيىء الا باهله»

زعماء القبائل اليمنية فى استقبال الرئيس جمال عبد الناصر

فما ان قامت ثورتنا سنة ١٩٥٢ حتى تجاوبت معها القلوب وتطلعت اليها الشعوب وصار نورها كالبرق يبدد الظلم ويوقظ الغافلين النيام ويهدم مابناه المستعمرون ويجمع مافرقوه ويضم ماشتتوه ووقفت جمهوريتنا العربية المتحدة بجانب الاحرار فى كل بلد ينشد التحرر ويسعى للاستقلال وساندت الثورة اليمنية فانتصرت على الاستعمار والرجعية وزعزعت القواعد الاجنبية وحققت مبدأ القومية العربية وأعادت الرابطة الاسلامية وبعثت الروح الوطنية وكتبت الوحدة بين العرب بالدماء والارواح وصدق فينا قول الله سبحانه: « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

ان الاسلام تحرير للانسان وكرامته واستقلاله — فالتوحيد عدم الخضوع لغير الله ورفض العبودية لسواه وابعاد الضيم ومحاربة الظلم ونبذ التحكم واستغلال الشعوب • وقدصار شعار المسلم الدائم « اياك نعبد واياك نستعين » .

والحريات وكرامة الامة تحتاج الى قوة تحميها من المعتدين وترهب الطامعين « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » الحق على جلاله ووضوحه يضيع اذا لم تكن وراءه قوة تحمل الظلمة على احترامه والاسلام دين السلام مع المسالمين • ودين الجهاد لصد المغيرين وقتال المعتدين « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » •

وهانحن أولاء نقول للمستعمرين الطغاة :

ان حقا على الله ان لا يرفع شيئا فى هذه الدنيا الا وضعه وهو عزت قدرته يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته • وقد قذف فى قلوبكم الرعب واذن لمجدكم بالمغيب على يد الرئيس جمال عبد الناصر بعد ان عثتم فى الارض فسادا حينا من الدهر لم يكن شيئا قليلا وقد أخذ على نفسه العهود والمواثيق الكفيلة بطردكم من ارض العروبة والاسلام ورد الحقوق المغتصبة الى اهلها كاملة غير منقوصة •

وكيف لا يكون ذلك وقد حمل رئيسنا حياته بين كفيه يوم أن قاد ثورتنا الناهضة الى طريق النور والحرية والخلاص وصار كل مواطن يرددها كلمة مدوية : اليوم يوم الاشتراكية والحرية والعدالة الاجتماعية • فلارجعية ولا استعمارية ولا رأسمالية ولا اقطاعية ولا عنجهية ولا استبدادية ولا استعبادية ولا سلطان لدولة اجنبية ولكن السلطان لله والضمير والوطن •

أما اليهود الذين جاء بهم الاستعمار من شذاذ الآفاق الى اسرائيل فقد اقترب الوعد الحق واليوم الموعود الذى نسحقهم فيه ونمزقهم شر ممزق . ونعيد فلسطين السليبة الى أهلها •

واذا كان الصهيونيون قد فرحوا فيما مضى بما ظنوه نصرا أسندوا فيه الى حراب غيرهم فسيندمون لامحالة يوم تغيب هذه الحراب عنهم وأحوال الدهر كثيرة ومن انذر فقد اعذر وان غدا لناظره قريب •

وما على الانجليز الان ان يحفظوا البقية الباقية من كرامتهم ان كانوا مؤمنين بانتسابهم الى هذه الكرامة ويمتنعوا عن سياستهم الرخيصة فى اليمن وعدن وكل بلد عربى يدنسه احتلالهم وبغيهم فينتظروا الطرد المخزى والهزيمة المحققة من السيد الرئيس جمال عبد الناصر قائد العروبة الى النصر المبين •

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » •

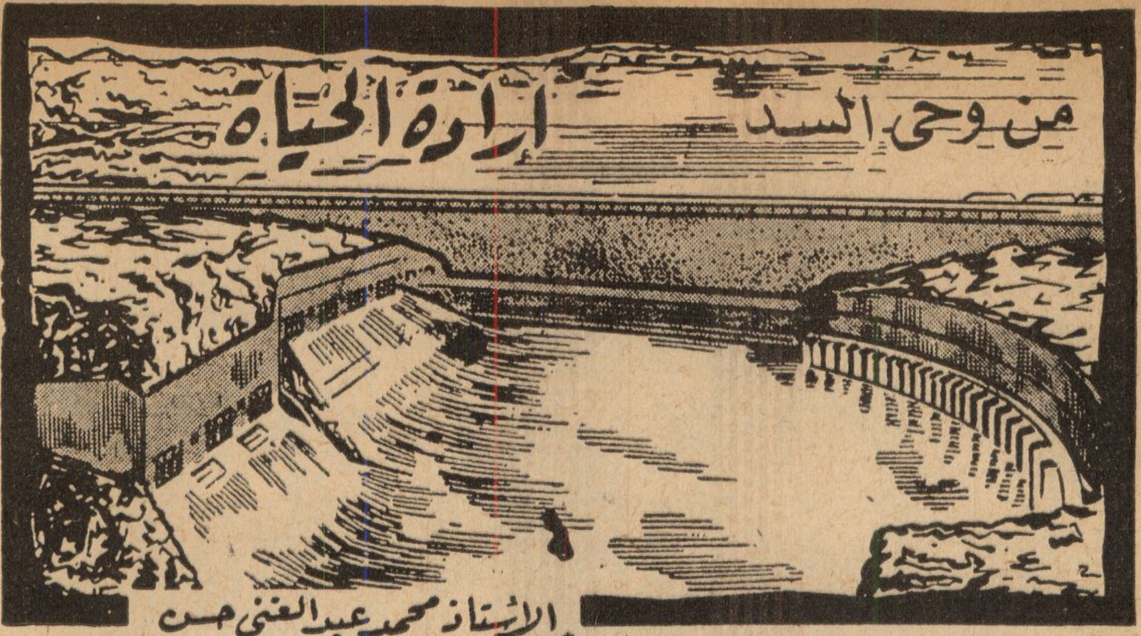

هناك على ربوة عالية فى أسوان ، تطل على النهر الذى يوشوش الجنادل الرابضة فى وسط مجراه ، فتكاد تنحنى لتستمع الى نجواه .

هناك ، رأيت من بعيد انعطافة النيل ، وجزيرة النباتات فى حضنها ، بأشجارها الخضر ترتفع الى السماء ، فى ابتهال وكبرياء .

هناك ، رأيت على امتداد البصر فى الضفة الشرقية للنهر ، أرضا ممتدة جرداء ، وقد نتأت فوقها ـ على المدى المنبسط ـ صخور عبل ، توحى اليك ألوانها وتقاطيعها الصارمة بالصلابة والصلادة والقدرة الهائلة على النضال .

هناك ، وفى خلال الأيام الخمسة التى قضيتها مع أهل الفنون والآداب فى أسوان ، كنت استيقظ والقوم رقود ، فأصعد على قمة الربوة ، لأرى الشمس وهى تطلع من وراء الهضاب ، وقد عادت من رحلتها الخالدة فى السفينة ، فأتذكر قول الشاعر المصرى القديم وهو يقول فى انشودة مخاطبا اله الشمس :

ـ « استيقظ بسلام أيها الواحد المطهر ! انك تنام فى سفينة الليل ، وتستيقظ فى سفينة الصباح ، لأنك أنت الذى تشرق على الآلهة ، ولا اله يشرق عليك ! »

وكانت الشمس كل صباح تظهر أمامى عند مطلعها وهى نقية مغتسلة ، كما كان المصريون القدماء يتصورونها ، وهى تغسل نفسها عند خروجها من منطقة الظلام ، ولا أدرى كيف كانت شمس أسوان تفتننى فى شروقها أكثر مما تفتننى فى ضحوتها ، ورائعتها ، وأصيلها ، وغروبها ، مع أنها الشمس فى كل حال ..

لعل الشروق ميلاد ، والغروب موت ، وأنا أفرح بمولد الحياة ، ولا أحب موت الحياة ..

وعلى الربوة التى كنا ننزل فيها فى أسوان تركزت نظراتى فى اثنين من واهبى الحياة للوادى فى اعتقاد القدماء ! الشمس والنيل .

أما الشمس فهى ربة العظمة ـ كما تقول أنشودة آمون رع ، وهى التى تهب الناس الحياة عند ما تطلع ، وتجعل كل العيون تفتح ، ويخلق النور من كرمها ، ويبتهج الآلهة بجمالها . وأما النيل فهو ـ كما تقول أنشودة النيل القديمة ـ الذى يعطى الشراب الأماكن المقفرة النائية عن الماء ، ونداه هو الذى ينزل من السماء ، وهو الذى يمد الصانع (بتاح) بكل أسباب القوة والنجاح ، فيجعل مصانعه ناجحة ..

ولم يخلف النيل العظيم وعده ، ولم تتخلف مصانع (بتاح) عن الدوران منذ آلاف السنين ، فان واهب الحياة لا يجوز له أن يتخلف يوما عن امداد الناس بأسباب الحياة .

ولكن مصانع (بتاح) بالأمس ، غير مصانع السد العالى والكهرباء اليوم .. انها غير الشادوف والساقية والطنبور والمعمل الصغير .. انها أشياء جبارة ضخمة ، عملاقة ماردة ، تليق بعصر التحرر الجبار الذى خلقناه ، وتناسب الدفعة الثورية القوية التى صرنا اليها ، والتى حققتها ارادة الانسان القوى المصمم ، وهى من ارادة الله العلى الكبير ..

وانطلقنا الى منطقة السد ، أو الى موقعه ، وفى أكثر من طريق رأينا الجبل الأعبل الداكن قد انشق وانفلق كما انشق البحر لموسى

الكليم ، فاذا به طرقات وممرات ومجازات .
ولكن فى هذا العمل الجبار - قد يكون جبروت العلم ، وسلطان العقل ، وضخامة الآلة ، وتلك ليست وحدها دلائل الاعجاز .

ان طرقا كثيرة قد شقت فى جبال الألب ، وأنفاقا كثيرة قد فجرت وخرقت فى بطون تلك الجبال ، كما شقت طرق وأنفاق فيما عدا قمم الألب من شواهق الجبال ، ولكنها لا تعدو أن تكون مظهرا من مظاهر العلم المتجبر ، والعقل المسيطر . ولكن الطرق والأنفاق فى مواقع السد العالى تحمل - على جبروتها - شيئا أقوى من جبروت العلم ، وأقوى من سلطان العقل ، وأشد من هدير الآلات ..

انه ارادة الحياة ...

ان ارادة الحياة صيحة كبرى تبعث الموتى من القبور ، وتردهم الى يوم النشور .

ان ارادة الحياة صور ينفخ فيه ، فاذا الناس من كل حدب ينسلون ..

ان اردة الحياة قوة أقوى من الموت ، ومن هنا كان حرص الفراعنة على الخلود .

وما أصدق شاعرنا العربى أبا القاسم الشابى الذى عبر عن ارادة الحياة بقوله :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

ولقد استجاب القدر لمصر العربية الاسلامية الناصرية اليوم ، أكثر مما استجاب لمصر الفرعونية الرمسيسية منذ آلاف السنين ..

ورأيت النيل الخالد فى موقع السد العالى وأيدى الشعب القوية المريدة الجبارة تتصرف وتجتال فيه ، وتسخره بالعمل ، وتتحكم فيه بالارادة ، وهو بين قبضتى هذه اليد مستكين ومستسلم ، خاضع لمشيئة الارادة ، كأنه لعبة يديرها اللاعب ، أو كرة يضربها الضارب ، أو طفل يداعبه أبوه ، أو صغير يهدهده ذووه .

وأقول الحق ! لقد أدركتنى فى موقع السد العالى عزة وشموخ ، وغمرنى شعور بالزهو والمباهاة ، لأنى - أنا ذلك الزائر العابر - أخ لهؤلاء المردة الذين يشتغلون فى السد على مدار الليل والنهار المتواصلين . حتى فقدوا تقسيم الزمن عندهم الى ليل ونهار ، لان الزمن استحال عندهم الى موعد موحد متكامل بالانجاز .. انهم لا ينظرون قط الى ما صنعوه ، ولكنهم يتطلعون كل مطلع شمس الى ما بقى فى ذمتهم للتاريخ أن يصنعوه ..

وكم تمنيت وأنا بثياب الزيارة الأنيقة النظيفة فى مزدحمهم ومجال عملهم الدءوب لو كنت واحدا منهم ، أقوم بعمل يسجل نصيبى فى البناء ، وتشريفى بالمشاركة فى الانشاء ..

وعز على جدا فى موقع السد العالى أن يكون حظى من تلك الزيارة التى هيأها لنا المجلس الأعلى للفنون والآداب مجرد مفتخر قائل عن اخوانه بناة السد : أولئك اخوانى فجئنى بمثلهم ، كما قال الفرزدق من قبلى : أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ..

ورأيت النيل بين يدى أبناء النيل الحديث يعالجونه بالتطويع ، ويقفون أمام مجراه المتدفق بالمرصاد ، فلم أملك نفسى من أن أقول فى اندهاش :

- يا سبحان الله ! هذا النهر الذى كان الها يعبد ، أصبح عبدا يسخر ! وهذا المارد الذى كان معبودا يتقرب اليه بالعبادة ، ويتزلف اليه بالقرابين ، وتذبح له الماشية ، وتسمن له الطيور ، وتقدم له التقدمات العظيمة ، وتصاد له الغزلان فى الصحراء ، ويكافأ بكل طيب ، أصبح كانسان ضعيف مسلوب الارادة ، تتحكم فيه ارادة الحفدة الأقوياء ..

ولكنهم حفدة كرام بررة ، رفعوا ارادتهم فوق كل اعتبار ، ولم يعقوا أبا قديما ، لأنهم يعرفون جيدا معنى الوفاء ..

انهم رأوا فى انطلاق ماء النهر بلا حساب ، سفها فى التصريف ، وسوءا فى التدبير ؛ واهدارا لخير كثير ، وتضييعا لنعمة وافرة .

انهم أدركوا أن النعمة لا تدوم الا بالحفظ، ولا تكثر الا بالصيانة ، فوضعوا قيودا على النهر الذى لم يكن يعرف القيود ولا السدود .

واذا كان القيد فى ذاته بغيضا ، فان تقييد مياه النيل بالسد العالى هو القيد الذى يستهوى الأحرار ..

لأنه سيحرر الوادى من العوز والضياع والخسار .

كما تحررت ارادتنا أمام قيود الاستعمار .

ولاة الأمر وسلطانهم فى تغيير الأحكام

الدكتور محمد سلام مدكور

احتجبت عن قراء منبر الاسلام فترة شغلتنى فيها اعباء كثيرة ، وصرفتنى عنها بعض الاعتبارات ولما وصلتنى عدة رسائل من جهات مختلفة من قراء منبر الاسلام الكرام احسست بان المجلة ربطت بينى وبين قرائى برباط من الحب جعلنى أزداد حنينا اليهم ، واتخلص من بعض مشاغلى أو اتخفف من اوقات راحتى على قلتها لاخلو الى القلم وأعاود الاتصال بقرائى مستجيبا لهم وشاكرا .

كما انه مما حبب الى سرعة العودة الى الكتابة فى المجلة ما يلمسه كل من يتصل برئيس تحريرها من اخلاص تام وايمان صادق وحماس متدفق للدعوة الاسلامية دون كلل ولا ملل ، لا يفل من عزمه اى عامل ولا يقلل من جهده اى اعتبار فلم لا نضحى ونحن من أهل الشريعة الاسلامية وخدامها بكل ما يشغلنا عن هذا الميدان ونكافح مع المكافحين والله هو المعين .

كنت اقرأ قول الله عز وجل فى سورة النساء « يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تاويلا » وتاملت طويلا السر فى ان هذه الآية اردفت طاعة الله وطاعة الرسول بطاعة أولى الامر ، كما استرعى انتباهى أن الأمر بالطاعة تكرر مع الرسول دون اولى الامر

واستعرضت فى نفسى الآيات الاخرى التى امرتنا بالطاعة فوجدتها قاصرة على التوجيه الى الامر بطاعة الله والرسول كما أن الأمر بالطاعة فيها لم يتكرر « قل اطيعوا الله والرسول » ، « ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، « ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم » ، « وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا » ، « أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » ، « اطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا » ، « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله » ، « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » كما ان هناك من الآيات ما تامر بتقوى الله وطاعة الرسول « فاتقوا الله وأطيعون » ، « انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون » ، « ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون » كما يبين أن طاعة الرسول من طاعة الله « من يطع الرسول فقد أطاع الله »

ويبدو من النظر أن الآية الأولى انفردت بامرين :

الأول : أنها قرنت بالأمر بطاعة الله وطاعة الرسول اولى الأمر .

الثانى : أن الامر بالطاعة فيها ذكر بجانب الله وتكرر ذكره بجانب الرسول دون أولى الأمر اكتفاء بالعطف على الامر بالطاعة السابق .

فنظرت الى الآية التى تسبقها فوجدتها بداية كلام جديد يختلف عن سابقه الذى كان عمن كذبوا بالكتاب الذى أوتوه وحادوا عن الحق والصراط المستقيم . أما هى فقول الله تعالى « ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها ، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا . يايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .. »

فادركت أن هذه الآيات تعالج قواعد الحكم فى المجتمع وتبين ما ينبغى أن يكون عليه التنظيم الاجتماعى ، وتحدد السلطات كى لا يبغى الناس بعضهم على بعض فى مجريات الحياة وشئون الدنيا . وخاصة أن الأمانة المامور بادائها تشمل كل النواحى أمانة الفرد للفرد ، والفرد للجماعة والحاكم للمحكومين والرعية للراعى ، وكل مخاطب بالتكليف ، كما أن الحكم بالعدل المامور به جاء بالعدل بين الناس جميعا فلم يخص المسلمين بذلك دون غيرهم ، وانما وجهنا الى أن العدالة حق لكل انسان دون نظر الى اى اعتبار آخر فالعدل أحد الأمانات الكبرى التى يجب أن ترد للناس جميعا ، واقتضى ذلك وضع معيار يتحقق معه الأمانة والعدل على الوجه الأكمل دون تاثر بالهوى والغرض فيبين لنا الله جل شانه أن المجتمع الانسانى لا بد له من تشريع عادل يحتكم اليه الناس ، ولا أعدل من شرعة الله . وأنه لا بد من يسهر على تنفيذ حكم الله بين الناس ويقوم المعوج منهم وينتصف للمظلوم ويروع الظالم فكان قول الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فكان فى هذا النص الكريم الاساس الكامل لنظام الحكم فى الاسلام وأنه لله ورسوله الذى أوتى الكتاب ومثله معه جاء فى الحديث الشريف « ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه . الا رب رجل شبعان على أريكته يقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه حلالا استحللناه وما وجدناه حراما حرمناه » واضافت اليه بعض الروايات « ألا وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

فالله سبحانه واجب الطاعة وشريعته هى الدستور الأساسى ، وطاعة الرسول فى كل تشريع ياتى به واجبة لانه الأمين على رسالة ربه المدرك لها البصير بها وهو لا ينطق عن الهوى ، وتكرار الامر بالطاعة معه اذن : ايذان باستقلال أوامره بوجوب الطاعة وان لم تكن من أوامر الكتاب الكريم أما أولوا الامر فطاعتهم مستمدة من طاعة الله ورسوله لا تفترق عنها ، وفى حدود أوامر الشرع واتجاهاته فى تحقيق مصالح الناس .

ووجهتني هذه اللفتة الى مسائل اخرى ..
فمن هم أولوا الأمر الذى يقصدهم النص الكريم ؟
وما مقدار الحاجة اليهم ، وهل يوجب الاسلام اقامة دولة ويلزم اقامة حاكم لها ؟
وما مدى وجوب طاعتهم ..؟
وما مدى سلطانهم فى دائرة الأحكام الشرعية ؟
وهل يجوز لهم الزام الناس بحكم معين قالت به بعض المذاهب أو بعض الفقهاء ؟
وهل يجوز لهم تقييد المباح بجعله ممنوعا أو يلزم به ؟
وهل يكون هـذا لو صح حكمـا شرعيا يأثم المكلف بمخالفته ؟

ثم انتهيت بعد هذه التأملات الى أن يكون لقائى مع قراء منبر الاسلام فى هذا الموضوع ، فهو الذى سيربطنى بالقارىء لأمد بعيد التزم فيه بالوفاء مهما كانت المشاغل والاعتبارات ما دام الله يمدنا بعونه وتوفيقه .

فمن هم اولو الأمر فى الآية :

يطلق الولى فى اللغة بعدة اطلاقات : يقول صاحب القاموس . الولى المحب والصديق والنصير ، وولى الشىء كان له عليه ولاية ، وهى الامارة والسلطان .

وفى مصطلح علماء الاسلام يختلف تعبيرهم عن ولى الأمر اختلافا متقاربا الى حد . فيروى أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ عن جابر ومجاهد أنهما قالا : أولو الأمر أهل القرآن والعلم ، وانه اختيار مالك والضحاك . وقال ابن كيسان هم اولو العقل والرأى الذين يدبرون أمر الناس . ويرى القرطبى أن الأصح انهم الفقهاء والعلماء .

بينما يختار الامام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ أن المراد باولى الأمر اجماع أهل الحل والعقـد بدليل أن الله أمر بطاعتهم جزما فلابد من وجود العصمة فى أوامرهم ولا يكون هذا الا فى الاجماع ، وهذا ما اتجه اليه الامام محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ وانتهى اليـه فكره بعد طول النظر والبحث كما يروى عنه فى تفسير المنار تلميذه السيد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤

على أن الرازى نفسه نقل ان المراد بهم السلاطين والأمراء لأن أوامرهم نافذة على الخلق فهم أولو الأمـر على الحقيقة .

ونقل المفسرون عن ابى هريرة انه قال : انهم الأمـراء والولاة ، وقيل ان ذلك رواية عن ابن عباس ويتايد ذلـك بما رواه على عن النبى صلى الله عليه وسلم « على الامام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الامانة فان فعل فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا »

كما يتايد بحديث الصحيحين من ان النبى عليه السلام بالغ فى الترغيب فى طاعة الأمراء فقال : من اطاعنى فقـد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد اطاعنى » ، ويتايد ايضا بحديث البخارى عن انس أن رسول الله قال : « اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله »

ويقول ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ : ان أولى الأقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة

ومثله قول ابى اسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ : ان ولى الأمر من يقوم بشأن المسلمين فى أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم . وأيد ذلك بقول العلماء ان طاعة الامام واجبة على الرعية فيما وافق الحق »

ويروى عن احمد بن حنبل فى بيان المراد باولى الامر روايتان : فنقل عنه انهم الأمراء كما نقل عنه انهم العلماء ما نراه :

وتحقيق الأمر فى أولى الأمر فيما نرى ان الاية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول فالعلماء يبلغون أمر الرسول والأمراء ينفذون فتجب طاعتهم . وقـد أورد شهاب الدين محمود الالوسى مفتى بغداد المتوفى سـنة ١٢٧٠ هـ اشكالا على ارادة العلماء من أولى الأمر . هو أن معنى « فان تنازعتم فى شىء » ان تنازعتم ايها المؤمنون انتم واولى الامر منكم فى امر من أمور الدين فراجعوافيه كتاب الله وسنة رسوله. فهذا يلائم حمل اولى الامر على الامراء دون العلماء لان للناس والعامة منازعة الامراء فى بعض الامور وليس لهم منازعة العلماء المجتهدين » ثم يقول : « وحمله كثير - وليس ببعيد - على ما يعم الجميع لتناول الاسم لهم لان للامراء تدبير أمر الجيش والقتال ، وللعلماء حفظ الشريعة وما يجوز وما لا يجوز.

وهذا المعنى هو ما قاله الامام تقى الدين احمد بن شهاب ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ » اولو الامر صنفان : الأمراء والعلماء « كما قال » ان المراد بالامراء أصحاب الأمر وذووه وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة ، واهل العلم والكلام

وأيضا نجد احمد بن ادريس القرافى المالكى المتـوفى سنة ٦٨٤ هـ يقول : ان أولى الامر مراتب كثيرة أورد منها خمس عشرة مرتبة مع بيان ماينا سب كل مرتبة من السلطة والمكانة ، ومن هذه الرتب الامانة الكبرى وهى تخول فى جميع ابواب القضاء وفى الاموال والدماء ، وهذه الأبواب جزء منها لأنها تتناول أهلية القضاء واهليـة السياسة العامة .

ثم يقول : ان للامام الاعظم ان يقضى ويفتى ويزيـد على ذلك انه يفعل ما ليس بفتيا ولا قضاء كجمع الجيوش وانشاء الحروب وحوز الأموال وصرفها فى مصارفها وتولية الولاة وقتل الطغاة الى امور كثيرة . فكل امام قاض ومفت ولا عكس

وقد فرق القرافى بين الامانة والرسالة فقال : ان الفرق بين الرسالة والامامة ان الامام هو الذى فوضت اليـه السياسة العامة فى الخلائق ، وضبط معاقد المصـالح ودرء المفاسد وقمع الجناة وقتل الطغاة ، فصارت السلطة العامة التى هى حقيقة الامامة مباينة لحكم القاضى من حيث هو حكم فغير معقول اطلاق لفظ الامامة على غير المفوض له السياسة العامة الا على سبيل المجاز ، وقـد تحقق وصف الامامة للرسول عليه السلام بما كان يفعله مما هو من خصائصها كقسمة الغنائم وتفريق اموال بيت المال وترتيب الجيوش وقتل الجناة ونحو ذلك ، وأما الرسالة فليس يدخل فيها الا مجرد التبليغ عن الله وهو معنى منفصل عن تفويض السياسة العامة ، وكثيـر من الرسل لم يكن لهم وصف الامامة

هذا وقد عنى علماء المسلمين ، والمشتغلون منهم خاصة بالسياسة الشرعية التى هى كما يقول ابن عقيل الحنبلى ما كان من الافعال بحيث يكون الناس معه اقـرب الى الصلاح وأبعد عن الفساد وان لم يشرعه الرسول صراحة ولا نزل به وحى .. عنى هؤلاء ببيان ما يجب توافره فى الامام الاعظم من شروط وهى فى جملتها تنحصر فى اشتراط الاسلام والذكورة والرشد والعدالة والكفاية وسـلامة الحواس ، على انه ليس بضرورى ان يكون وصل فى العلم الى درجة الاجتهاد اذ فى وسعه الاستعانة بالعلمـاء المتخصصين ، ولا ان يكون وصل فى العدالة الى درجة الورع بل يكفى أن يكون حريصا على أن تصل الحقوق الى أربابها

والى اللقاء فى العدد القادم

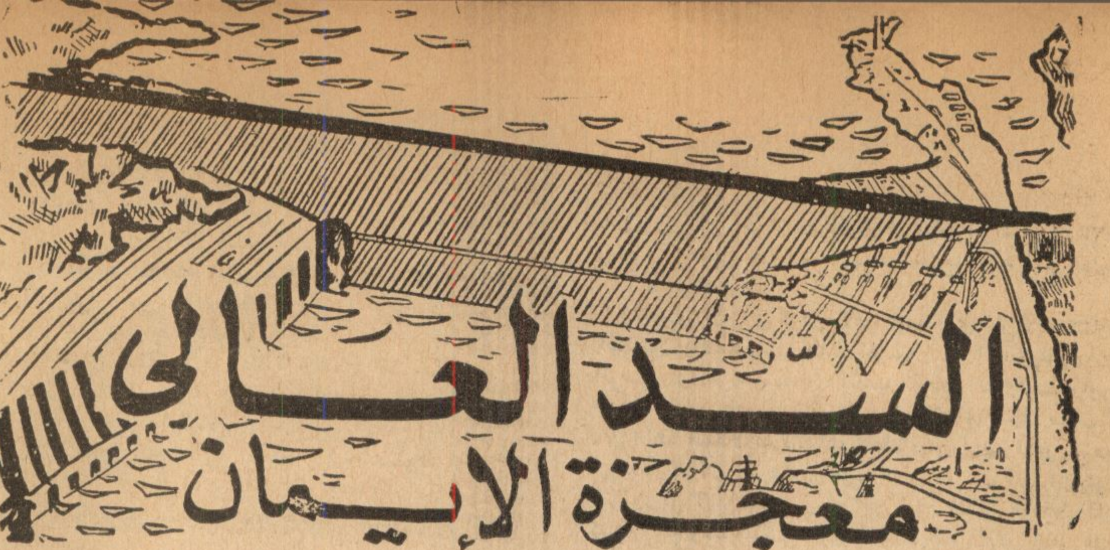

السد العالى معجزة الإيمان

الأستاذ الدكتور هلال السيد الخطاب

من روائع المصادفات أن يتفق حلول المحرم مع بدء الاحتفالات بالسد العالى ، وكل منهما رمز لمعجزة كبرى تختلف فى أسبابها ولكنها تتفق فى الباعث عليها .. فلقد كانت هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بدء تحول الدعوة الاسلامية من السر الى العلن ، ومن السكون الى الحركة ، ومن الفردية الى الجماعية .. ولقد ربط الله الناس فى هذه المرحلة بنور الايمان بالدعوة ، والايمان بالرسول ، والايمان بأن الدين الذى يدعو اليه فيه اصلاح لأحوال معتنقيه ، ولولا الايمان ما تحمل المهاجرون مشقة ترك المال والأهل والولد .. ومصاحبة الرسول اليتيم الفقير ..

والسد العالى فى العصر الحديث معجزة ايمان من نوع جديد ، ايمان بأصالة الشعب المصرى وعراقة مقوماته ، وايمان باخلاصه والتفافه حول قائده ، وايمان بثبات هذا الشعب واخلاصه مهما بدت الظروف حالكة مظلمة ..

وليست معجزة السد فى أنه اضخم عمل هندسى تم فى القرن العشرين ، بل انه معجزة فى الظروف التى مرت عليه منذ أن كان فكرة تراود خيال المفكرين فيه ، الى أن أصبح حقيقة واقعة .. ولولا الايمان ما أمكن أن يكون السد العالى قائما نفتتح أول مراحله فى هذا الشهر المبارك ..

وليس بخاف على أحد أن معدل زيادة السكان فى مصر قد ارتفع تدريجيا منذ بداية هذا القرن زيادة واضحة مما ترتب عليه أن زادت كثافة السكان فى مصر زيادة واضحة هائلة وصلت فى سنة ١٩٦٣ الى أكثر من ١٦ مليون نفس عما كان عليه فى سنة ١٩١٧ ، ولا بد أن يكون لهذه الزيادة السكانية مصدر للقوت .. ولقد حاولت مصر جهد طاقتها أن تزيد من المساحة المزروعة فيها فانشأت السدود والقناطر وعملت على تعلية خزان أسوان أكثر من مرة ومع ذلك لم تزد المساحة المزروعة فى خلال خمسين عاما أكثر من نصف مليون فدان لعدم تزايد المساحة أو الانتاج بالنسبة للزيادة الواضحة فى عدد السكان .. وكان لهذا أثر واضح فى مستوى حياة الناس ورخائهم فانخفض القدر المتاح لهم من السلع الرئيسية والخدمات وبدت على كثير من سكان الريف علامات سوء التغذية وضعف الصحة .

ولا ننسى أن عدد الذين ماتوا من أثر اصابة محافظة قنا ببعوضة الجامبيا التى نقلت بنوع خطير من الملاريا الى هذه المحافظة فى سنة ١٩٤٧ كان أقل من الذين ماتوا نتيجة نقص التغذية فى تلك الآونة ، بل ان التقرير الصحى نص على أن أسباب الموت من المرض يرجع أساسا الى ما يعانيه سكان هذه البلاد من فقر غذائى ..

ولقد كانت العقلية المسيطرة على البلاد فى تلك الأيام عقلية رجعية تسير وفق روتين من الوعود الكاذبة تلقى الى الشعب الحائر على سبيل تسكين الآلام ، دون علاجها بأسلوب

مخلص يزيل الأسباب ، ويهيىء فرصا أفضل للعمل أمام الشعب .

ولذلك لم يكن عجيبا حينما تسلمت الثورة أمانة العمل لصالح هذا الشعب أن تفكر فى أول ما يعانيه من آلام، لتحقق له أهم مايحتاجه من دواء . وإحصائيا وواقعيا يعانى هذا الشعب من نقص المواد الغذائية مما جعل هناك سباقا نحو استيرادها نتيجة للسباق الهائل فى عدد السكان عاما بعد عام . وقد وضح من أول لحظة أن الحل فى النهوض بالزراعة هو زيادة المساحة المزروعة من المحاصيل بوجه عام ليتوفر فائض فى المواد الغذائية يسمح برفع استهلاك السكان من الحبوب والمواد الغذائية الاخرى ، وبالتالى يسمح بانتاج فائض من المحاصيل الصناعية مما يترتب عليه تدريجيا الاستغناء عن استيراد تلك المواد .

واذا كان خيال انشاء السد قد اصطدم فى مراحله الاولى بعقبة الحصول على رأس المال الذى يكفى لانشائه ، مما جعل الذين قدروا السد من الناحية الرأسمالية ييأسون من وجود أمل فى تنفيذه - فان الذى قرر السد العالى من الناحية الروحية وان اثره شامل على شعب عرف عنه القدرة على تحمل الصعاب والصبر الطويل فى سبيل تحقيق ما يريد ، ولولا أن الايمان قد ملأ فؤاد قائد مصر الملهم لما أقدم بجرأة أذهلت العالم على تأميم قناة السويس ، لتوفير المال للسد العالى ، وهنا تبلورت أهم مرحلة حاسمة فى تاريخ مصر السياسى والاقتصادى ، فقد كان الخيال الباعث على تحقيق السد العالى قويا نتيجة الايمان بما تجنيه البلاد من فوائده ونتيجة للايمان بأن مصر القوية بالعاملين من أبنائها يمكنها أن تعتمد على سواعدهم فى تحقيق المعجزة .. اى معجزة .. معجزة صد العدوان الثلاثى .. ومعجزة ثبات الشعب ووحدته ، ومعجزة البدء فى أكبر عمل هندسى قام به الانسان فى العصر الحديث .

وليس السد العالى معجزة ارادة تحققت فحسب ، بل ان آثاره المستقبلة فى الزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية لا يمكن مهما اتسع خيال الباحث أن يلم بها ، فصورة التطور فى أى ناحية من النواحى السابقة ستتم بسرعة وبضخامة يعجز أى فدد عن ملاحقتها .. وقد تكون الأرقام فى هذه الحالة هاديا الى مقدار التطور ولكنى أنبه الى أن تلك الأرقام مع دلالتها الكبيرة على الحد الأدنى لما ينتظر من نوايا السد الا أنها تغفل جانبا هاما وهو تفاعل الانسان المصرى الجديد بتفكيره وعمله وأمله مع الناتج المادى من أرض أو كهرباء ..

ويمكن بيان المزايا المادية لما سيحدث فى الزراعة نتيجة للسد العالى بالأرقام فيما يلى :

١ - زيادة المساحة المنزرعة بمقدار يصل الى مليونين من الأفدنة .

٢ - تحويل مساحة تزيد عن ٧٠٠ الف فدان من أراضى الرى الحوضى الى رى مستديم ممكن أن يزرع مرتين فى السنة بدلا من مرة واحدة .

٣ - استقرار مناوبات الرى وامكان زراعة الارز بما لا يقل عن ٧٥٠ ألف فدان سنويا .

٤ - تحسين حالة الصرف فى الجمهورية لخفض مستوى الماء الأرضى لا سيما فى مناطق الوجه القبلى دون الحاجة الى انشاء طلمبات صرف ..

٥ - حماية البلاد من أى خطر للفيضان مع توفير الماء اللازم لمختلف الزراعات فى الأوقات المناسبة .

واذا كان لا بد أن نبين ما يجنيه كل مصرى على حدة من السد العالى فان التقديرات الأولية للدخل الصافى منه تساوى ٢٤٠ مليون جنيه ، أى أن نصيب كل فرد فى هذه الامة سيبلغ ما لا يقل عن تسعة جنيهات وربع جنيه سنويا ، أى أنه سيحقق زيادة سنوية فى دخل كل فرد لا تقل عن ٢٥ ٪ من متوسط نصيب دخل الفرد الحالى .

ومع تسليمنا بكل ما سبق الا أن تفاعل الانسان المصرى الجديد هو العنصر الهام فى الانتاج سواء فى الأراضى الجديدة المضافة أو الأراضى المحولة ، أو الاراضى المحسنة ، وفى نظرى أنه لا يمكن - بل لا يصح التفكير - أن الزراعة فى الأراضى الجديدة ستسير على نفس

المنوال والأسلوب والعقلية التى تزرع بهـا الأراضى القديمة .. بل ان فلاح السد العـالى لا بد أن يكون فلاحا ممتلئا بالايمان لحـق نفسه فى التطور ولحق بلده فى النهـوض والارتقاء مع ازالة آثارالماضى باقطاعه واستغلاله .. ورغبة ملحة فى ألا تعود .. وفلاح السد العالى لا بد أن تكون له دراية كافية بالأساليب الزراعية المختلفة وأن يكون له رغبة أكيدة فى المسكن النظيف والاستفادة من الكهرباء ليس فى معيشته بل فى عمله وأن يكون وجـود السد العالى باعثا على تكوين الأسرة السعيدة القليلة العدد الخاليـة من الأمراض ، التى تتمتع بفنون العمل المختلفة وفنون الثقـافة المتعددة .

ومن الناحية الزراعية التطبيقيـة سيغير السد العالى عوامل الانتاج التى عاش الفلاح المصرى مفكرا فيها أجيالا طويلة ، فتوفير الماء للأراضى المتاحة كان هو أساس السياسـة الزراعية وأساس عمل الفلاح وقوام مشغوليته وتفكيره ..

وكانت الظروف مواتية لأن يعتمد الفـلاح على الخصيب الذى يحمله طمى النيل كل عام منتظرا ورود الماء ليحيى الأرض لتنبت من كل الثمرات ..

أما بعد السد فالماء موفور وليس هنـاك مشكلة فى وجوده متى اقتضت ظروف الزراعة واحتياجاتها ولذلك سيكون جهد كل مزارع أن يحسن استخدام المـاء وأن يهيىء فرص النماء أمام نباتاته بأن يراقب احتياجهـا الى البوتاسيوم والمغنسيوم والمنجنيز والحـديد وذلك بالاضـافة الى حمض الفوسفوريك والأزوت ..

ولا شك أن النهوض بالزراعة متوقف على مايبذل الآن من جهد من اعداد الفنيين العاملين فى الزراعة فى كل خطوة من خطوات الانتاج فلتعتبر مرحلة ما بعد السد العالى مرحلة لانتهاء عهود الاهمـال والاسراف والاتكال ، وعلى وجه العموم لا بد أن يتمسك كل مواطن بمثل عليا واضحة عند الاقدام على العمل .

اذ لا يصح أن يوكل الانتـاج الزراعى الى الفاشلين فى كل صـناعة أو الذين قصرت مواهبهم عن العمل فى مهن أخرى تحتـاج الى كفاءة ذهنية عالية ، والزراعة بعد السد العالى تتحمل المسئوليات الآتية :

١ ـ الانتاج بما يكفل تغطية ما وضـع من مدخرات الأمة من الأموال والجهد العضـلى والنفسى فى السد العالى والتى لا يمكن الاقدام على ما يوازيها قبل فترة طويلة .

٢ ـ تحقيق الأهداف المرجوة من تطويـر المجتمع الفـلاحى من ناحيتى الاسكان الريفى والظروف الاجتماعية القروية .

٣ ـ وضع التطور الصناعى فى البلاد على أساس متين قوامه توفير المواد الخام الزراعية اللازمة للصناعة ، وتوفير المواد الغذائيـة للقائمين بهـا ، ولذلك وجب أن تتغير فى أذهاننـا صورة الفلاح الحالية من أنه طيب صابر مستسلم ، فهـذا غير مطلوب من فلاح السد العالى لأنى أعتقد أن فلاح السد العـالى لا بد أن يكون فوق طيبته وصـبره متحفز مؤمن كل الايمان بمثل وأهداف اجتماعيـة تحفزه على العمل وتدفعه الى الرغبة المستمرة فى التطور ، ولا بد ان نفكر ويفكر الفـلاح أن التيار الكهربائى المتولد عن السد العـالى والذى يصل ثمن الكيلو وات فيه الى ٢ مليم لا يمكن أن تمر أسلاكه فوق الحقول دون أن تستفيد بها أقصى فائدة فى المزارع والصناعات الصغيرة ، بالاضافة الى ما خطط لاستخدامه من الصناعات الثقيلة أو المتوسطة .

ولا يمكننى أن أتصور النـاتج الحقيقى للمـزايا المادية لهذا التفـاعل الحقيقى بين الأراضى المستقبلة والأفكار المتطورة والانسان المصرى الجديد ، فان الانتاج الزراعى فى هذه الحالة لا بد أن يأخذ صورة جـديدة يتوقف حجمها وجمالها على الايمان بمستقبلنا ، وعلى الايمان بحق الأجيال القادمة فى أعماقنا .

أما الكسب المعنوى لبناء السد العالى الذى يعتبر بحق مفخرة الجيل الحاضر فانه كما قال فيلسوف الاشتراكية العربية الرئيس جمال عبد الناصر مثل لما يمكن للارادة العربية أن تحقق متى آمنت بأهدافها وأخلصت فى العمل لتحقيقها .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » .

... ان عمليات استصلاح الأرض الجديدة لا يجب أن تتوقف ثانية واحدة ، ان الخضرة يجب أن تتسع مساحتها مع كل يوم على وادى النيل وينتهى الوصول الى الحد الذى تصبح فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق ضفافه الى حياة خلاقة لا تهدر هباء ولا تضيع ..

« الميثاق »

يمثل السد العالى عملا تاريخيا جبارا يهدف الى زيادة كمية بعض موارد الانتاج الرئيسية زيادة من شأنها أن تدفع بكميات وأنواع السلع والخدمات المنتجة والمتاحة الى مستوى مرتفع تزداد به رفاهية أفراد الشعب مما يحقق للمجتمع عامة حياة أفضل ومستوى أعلى من النعيم .

ان الأساس الاقتصادى لتطور المجتمع يعتمد اعتمادا رئيسيا على ثلاثة عناصر وهى :

١ - الموارد الانتاجية المتاحة .

٢ - مستوى التكنولوجيا المستخدمة فى استغلال الموارد .

٣ - عنصر الادارة الذى ينظم عملية الاستغلال والتوزيع .

فاذا ما نظرنا الى الأفق القريب لوجدنا أن السد العالى سوف ينتج أو يخلق نوعا من الموارد الاقتصادية الرئيسية ، وهو القوى الهيدروليكية الكهربائية ، وسوف ينظم اتاحة نوع آخر من هذه الموارد وهو المياه التى عن طريق تخزينها سوف تزيد كمية المنافع الاقتصادية الانتاجية لهذا المورد زيادة كبيرة على مدار السنة .

ويعتبر الماء مورد طبيعى له خصائص يختلف فى بعضها عن الأرض كعنصر انتاجى .. وأهم هذه الخصائص هى قابليته للنقل والتخزين والتجزئة والفقد والاستعمال المتعدد والمتكرر ، كما نجد أن هذا المورد فى سبيل اشباعه لرغبات وحاجات الانسان يستخدم فى عدة أوجه أهمها :

١ - استهلاك الانسان ..

٢ - نقل الفضلات ..

٣ - انتاج الغذاء ويتضمن ذلك صيد الأسماك ومنتجات البحار والانتاج الزراعى عن طريق الرى .

٤ - توليد القوى .

٥ - الترفيه ..

٦ - الملاحة ..

ولكل هذه الخصائص والاستعمالات « البديلة والمستقلة » المتعددة لهذا المورد الهام ومع زيادة الطلب عليه نتيجة لزيادة السكان وتطور المدنية نجد أن « اقتصاديات الحياة » أصبحت ميدانا بحثيا هاما بدأ المسئولون فى الاهتمام به عند دراسة أوجه استخدام المياه لرى الأراضى المنزرعة والقابلة للاستصلاح بمناطق الجمهورية .

سوف يؤدى استخدام القوى التى يولدها السد العالى الى الارتفاع بمستوى تكنولوجيا الانتاج بمختلف فروعه عن طريق انشاء الصناعات الانتاجية المتكاملة التى يمتد أثرها الى جميع القطاعات الاقتصادية .

تتلخص المنافع الاقتصادية للسد العالى فى القطاع الزراعى فى زيادة المساحتين الزراعية والمحصولية للجمهورية ، وفى استخدام القوى اللازمة لدعم الحياة فى الريف الحالى والمستقبل .. فاذا ما نظرنا الى الطريق الذى يوصلنا الى هذه المنافع نظرة مدققة لظهرت لنا تفاصيل التطور الاقتصادى الزراعى الذى ينطلق باتمام انشاء السد العالى .

يؤدى التوسع فى الرقعة الزراعية عن طريق استصلاح حوالى ١ر٢ مليون فدان وزيادة المساحة المحصولية لحوالى ٧٥٠ الف فدان بأراضى الحياض الى رفع الكفاءة الانتاجية

للعامل الزراعى وبالتالى زيادة نصيب الفرد من الانتـاج الزراعى القـومى ·· وعلى حسب الدراسات المستفيضة التى استخدمت المقننات المائية وحصر وتصنيف الأراضى أساسا عـاما لها ، وزعت الرقعة الزراعية المزمع اضافتهـا على مناطق الجمهورية كالآتى على وجه التقريب ٥٥٢ ألف فدان فى شرق الدلتا ، ١٥٦ ألف فدان فى شمال وسط الدلتـا ، ٢٩٠ ألف فدان فى غرب الدلتا ، ١٩٧ ألف فدان موزعة على محافظات الوجه القبلى ·

هذا وقد اتخذت بعض الاعتبارات التفصيلية لاختيار الأراضى التى سوف تستصلح بمياه السد العالى وهى :

١ ـ درجة صلاحية التربة وسرعة استجابتها للاستزراع ·

٢ ـ قلة المقنن المائى للرى ·

٣ ـ ملاحظة مقدار الرفع المناسب لمياه الرى ·

٤ ـ تجميع الأراضى فى مساحات معقولة تسمح بتنسيق أعمال الاستصلاح وتنفيـذ مشروعات الرى والصرف ·

٥ ـ سـهولة الاتصـال بالمناطق الآهلة بالسكان أو القرب منها ·

٦ ـ اعطاء أولوية لأراضى التوسـع التى تتكلف مشروعات الرى والصرف والتعميـر اللازمة لها أقل من غيرها ·

يلاحظ ان هذه الاعتبارات تؤدى فى مجموعها الى خفض تكاليف استصلاح الأراضى سواء من ناحية كمية راس المال اللازم او طـول الفترة اللازمة لاتمام المرحلة الحدية للاستصلاح ·· وبما أن العـائد لرأس المال المسـتثمر فى الاستصلاح يحسب على أسـاس نسبة المتبقى من الدخل الكلى بعد خصم المصاريف الجارية الى جملة راس المال المستثمر نجد أن هـذه النسبة سـوف ترتفع اذا انخفضت تكاليف الاستصلاح ··

وللتعرف على نوع وكمية العائد من عملية الاستصلاح يؤخذ فى الاعتبار أهداف الفرد أو العائلة الريفية وأهداف المجتمع أو الدولة ·· فبالنسـبة لأفراد الزراع او العائلة الريفيـة سوف يحقق المنوال الحيازى السـائد فى أراضى الاصلاح الزراعى لزراع « أراضى السد العالى » وجود مزارع عائلية صغيرة تتناسب مساحتهـا مع خصوبتها والقيمة السوقيـة لمنتجاتها ·

وعن طريق الاستفادة من القوى الناتجة من السد العالى سوف يتيسر استكمال العناصر الانشائية اللازمة لاقامة وتنمية المجتمع الزراعى ·· وبذلك يمكن القول بأن عائد السد العالى بالنسبة لأفراد الزراع هو ارساء القواعـد لحياة تكتمل فيهـا المقومات الاقتصـادية والاجتماعية لمجتمع زراعى سليم ·

أما بالنسـبة للدولة فان الغـاية التى تستهدفها نتيجة لاستفادة القطاع الزراعى من منافع السد العالى فهى مستمدة من مصدرين :

الأول : الهدف الفردى الخاص برفـع مستوى معيشة جمهرة الزراع عن طريق اقامة وتنمية مجتمع زراعى مكتمل العناصر الاقتصادية والاجتماعية ·

والثانى : تقوية القطاع الزراعى كدعامة تقوم عليها الصناعة وتتخذها أساسا غذائيا وتمويليا لها وخصوصا فى بدء نشأتها · فعن طريق توجيه الاستغلال الزراعى فى الأراضى المستصلحة بمياه السد العالى مع تنظيم الدورة لرفع الكفاءة الاستغلالية للموارد يمكن التحكم كما ونوعا فى المنتجات الزراعيـة المطلوب اتاحتها :

١ ـ لسد حاجات الصناعة من المواد الخام

٢ ـ ولتحقيق الرغبات الاستهلاكية للشعب المتطور فى دخله وفى تفضيله الاستهلاكى ·

٣ ـ ولتوفير فائض من السلع الزراعيـة ذات القيمة التصديرية العالية والتى يتـم استبدالها بالسـلع والأدوات الراسـمالية اللازمة للتطوير الصناعى والنمو الاقتصـادى بصفة عامة ·

وبذلك يكون السد العالى قد سـاهم فى تحديد معالم بنيان اقتصادى جديد عن طريق خلق وتنظيم اتاحة بعض الموارد الانتاجيـة الأساسية التى تساهم بدورها فى توسـيع الرقعة الزراعية رأسيا وأفقيا وزيادة كميات وتحسين أنواع السلع والخدمات التى تنتـج وتستعمل فى القطاع الزراعى ·

دكتور عمر وهبى

موكب النور في الشعر الروحي المعاصر

الأستاذ على الجمبلاطى

اكتب هذا المقال وقوافل الحجيج تتدفق من كل حدب ، وجيش الضياء يتحرك صوب مكة المكرمة ، وكتائب النور تغذ المسير اليها فى وله وحنين ، تلك الرحلة المقدسة التى يؤدى فيها المسلمون شعائر الله وقد شملتهم جميعا غلالة من السعادة والبهجة والسرور كلهم يبتغى التعطر بشذى الرسول الحبيب والتضمخ بذكراه العطرة فى منابع الروح والطهارة .

وهناك يرفلون فى حلل الطاعة ويتاوبون الى ربهم فى خشوع وضراعة ، هناك حيث الرحمة والمغفرة حيث قال الرسول - عليه السلام -: «ماروْى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا ادحر ولا أحقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة » .

وهى ذكريات عزيزة على المسلمين ، ذكريات محملة بالمعانى والمبادىء ذكريات موحية بالقيم المثلى موجهة الى المثل العليا .

ولقد قصدت أن أستكمل هذا الجمال والكمال بعرض ذلك الكون المنغم المنعم بموسيقى الحب الربانى وسط هذا الاشراق النفسانى فكان التراث الروحى العميق والادب المثالى الرفيع والهدى المشرق المتين للشاعر الروحى المعاصر « عمر بهاء الدين الاميرى » فى ديوانه الشامخ « مع الله » .

وشاعرنا فى ديوانه هذا امام من ائمة المتصوفين وقمة من قمم الشعر العربى وقد وضع على مائدة الفكر الانسانى ذلك الزاد الحبيب زاد الاستهواء الوجدانى بما أضفى على العبادات من أضواء جميلة ساحرة وبما فجره فى الذكر والمناجاة والمحبة من ينابيع حلوة عذبة جياشة ، وهو يذكرنا هنا بسميه شيخ شعراء العشق الالهى الصوفى الكبير « شرف الدين عمر بن الفارض » فكلاهما ينحدر من أسرة سورية عريقة وتغلب على كل منهما طبيعة العزلة ، وكلاهما انيس العشرة جميل الطلعة كريم فصيح العبارة رقيق الاشارة وشعرهما من أقوى ما عرف الادب العربى متانة وقوة وأصالة تفيض أبياته بالحماسة والعاطفة كما تتميز بالرونق والجمال .

وديوان شاعرنا « عمر بهاء الدين » تسابيح تتردد أصداؤها من الملا الاعلى فتنطلق القلوب والارواح سابحة فى أجوائها هاتفة بألحانها فى صدق وعذوبة وايمان .. ولقد طالعنى فى الصفحة الاولى انه أول ديوان ينشره الشاعر وانه يحوى الجانب الالهى من شعره وأن قصيدته « شعرى » تتصدر الديوان لتعرض الوان شعره وفنونه ويقول فيها :

انه سبحة الى الله عبر النور
فى جو قدسه معصومه
انه فطرة الى المجد ترنو
والى العلم والحجا منهومه
انه ثورة على كل بغى
وانتصار لامة مظلومه
هو رفق وشدة وصلاة
وذنوب وخشية وعزيمه

وهو بهذا يحدد اتجاهاته فى شعره الالهى الذى يباين شعراء الصوفية المتجردين وشطحاتهم ويعبر عن فطرة موصولة بالعلم والعقل وثورة على الطغيان ومثل عليا موروثة عن أكرم أرومة ثم هو صراع بين الجسد والروح فى غير انفصال عن الحياة وفيه تحليق فى عوالم وأفلاك مجهولة فى الحس مدركة بالحدس مع الله ثم هو اشعاعة الروح القوية واشراقة النفس المؤمنة وانعكاسة الفيض الالهى وصدى بالغ لحق اليقين .

وهذا الديوان الفذ هو الديوان الرابع من الدواوين التى نظمها الشاعر مسايرة لمدارج حياته أولها «أصداء الطفولة » ثم « بواكير الشباب » ثم « قصتى مع الشعر » ثم تلت هذا الديوان دواوين أخرى بلغت الستة عشر ديوانا وفى ديوانه « مع الله » نرى الشاعر مع الله بروحه وشعوره وخفق الرؤى والفكر ، وقد انتظم الديوان ثلاثا وستين قصيدة ومقطوعة من روائع الشعر الروحى المعاصر الذى أحال زهد الناس الى محبة ورهبتهم الى رغبة وتعقيدهم الى بساطة وفلسفاتهم الى ايمان وفقههم الى تعبد وأخلاق وحياتهم الى خفقة قلب ووثبة روح ورفرفة أجنحة تتسابق فى التحليق والتصعيد نحو المثل الاعلى .

ولقد نظم منها احدى وخمسين مقطوعة فى أيام رمضان منذ عام ١٣٦٩ حتى عام ١٣٧٦ هجرية ، نظم بعضها فى كراتشى حين كان سفيرا لسوريا فى الباكستان وبعضها فى مكة والمدينة وجدة يوم أن كان سفيرا فى السعودية وفى الباكستان استلهم روح شاعر الاسلام الاعظم « اقبال » وفى السعودية تنسمت روحه من الروضة الغراء عرفا عن أشرف الخلق ونظم بعضها فى حلب الشهباء مسقط رأسه ، وبعضها بدمشق معقل العروبة وبعضها فى بغداد مهد التراث الاسلامى وبعضها فى الاسكندرية العاصمة الثانية للجمهورية العربية المتحدة قاعدة الحرية وطليعة الثورة العربية وحارسة الاسلام .

وقبل أن نستعرض قصائد شاعرنا ومقطعاته فى رحلته المقدسة نرى الارهاص لها بأبيات نظمها «ابن الفارض» فى نشوة روحية عميقة يتغنى فيها بالتلال والاودية التى بجوار مكة المكرمة وقد رأى فى منامه أنه زاره :

وجباله لى مربع ورماله
لى مرتع وظلاله أفيائى
وترابه ندى الذكى وماؤه
وردى الروى وفى ثراه ثرائى
وشعابه لى جنة وقبابه
لى جنة وعلى صفاه صفائى

وهنا نستمع الى شاعرنا «عمر بهاء الدين الاميرى» وكان فى كراتشى واستيقظ بعد منتصف ليلة عرفة هائج النفس ثائر الشباب وكان قد تعرض فى تلك الامسية الى اغراء كثير فذكر اقامته على التقوى فى باريس وهو طالب ، وذكر مواقفه فى الحج فى مثل هذه الليلة منذ عام مضى وذكر ما تعرض له قبل ساعات وفى غمرة

الحيرة وسوار النفس وأدار الظما أنشأ القصيدة « ضراعة ثائر » ومنها :

آه يا ويح وقفتى فى ديار
قدس الله تربها من ديار
خضت هول السماء سعيا اليها
وطويت البحار اثر البحار
فكانى وقد حللت رباها
جوهر خالص من الاوضار
نقيت من طبيعة الترب نفسى
حين حلت فى روضة المختار
فغمرتنى أنواره فكانى
[illegible] من عناصر الانوار
وكانى - والبيت يشرق حولى
شامخ المجد فى سنا الاسحار
ذاب جرمى فى ماء زمزم حتى
خلتنى طرت من خلال ازارى
جاوز الروح بى معالم أرضى
فالسموات والعوالم دارى
فقيامى فى الحجر لاح سجودا
وسجودى سبح مع الاقمار
وانطلاقى أسعى هدوء مريح
ووقوفى سياحة فى البرارى
وضجيج الحجيج حولى سكون
وبسمعى جارة الاحجار

وفى هذا اللحن السماوى الذى يحدثنا فيه عن «مكة المكرمة » نرى شاعرنا قد غلبت على نفسه نشوة صوفية تفيض على المظاهر الكونية فتنفض عنها غشاوة التراب وتصفو من شوائب المادة وتحيلها بفلسفة الحب الالهى الى أرواح حساسة مسبحة عابدة فيقول :

رب ذى شوق لبيت الله قد أشرع فلكه
هجر الاوطان والاهل بلا رأى رعنكه
حسب القربى من الله بأن يسكن بكه
كل هذا الكون بيت الله قد أبدع سبكه
والذى فى قلبه الله فانى عاش مكه

ثم يحدثنا عن قدسية « الكعبة » ومنزلتها فى مذهبه فيدلنا على أن تصوفه لم يكن انطواء على النفس وانكماشا فى ساحات الحياة وانما كان انفساحا فى حياة القلب وقوة دفعها الى خالد الاعمال فيقول :

الكعبة الشماء فى مذهبى
قيمتها ليست بأحجارها
والقرب من خالقها ليس فى
تشبث المرء بأستارها
قدسية الكعبة فى جمعها
أمتنا من كل أقطارها
وانها محور أمجادها
وانها مصدر أنوارها
وكعبة المؤمنين فى قلبه
يطوف أنى كان فى دارها

ثم يكرر هذه المعانى فى عزة وشموخ عن « الكعبة » فى قصيدته « مدى » وهى أنشودة ترتفع بالقيم الانسانية وتسمو بها وبعث للقوى الروحية والعقلية والقلبية على أشد ما تكون الحركة والدفعة :

ليست الكعبة مرمى بصرى
أو مدى قلبى فى خفقته
هى صرح شامخ من حجر
عزة التاريخ من عزته
أثر يبرز مجد الاثر
محور الاسلام فى دورته
موئل يرمز عبر الدهر
لهوى المؤمن فى وجهته
وهى لى منطلق للنظر
يتعالى ثم من ذروته
دائرا فوق مدار القمر
والنجوم الزهر فى رحلته
بصر قد فاق كنه البصر
اذ سما لله فى نظرته

ونلمح فى نظم شاعرنا غير قليل من الحالات النفسية وخطرات الضمير والوجدان فى نطاق أشواق النفس وأشجان العاطفة ، كما نرى قوة روحية تكمن وراء كل حركة وخاطرة هى معرفة ويقين وألحان ومواجد ، كما نرى ذلك فى حديثه عن « الحجر الاسود » وكأنما قد تذكر وهو يقبله ما كان من النبى عليه الصلاة والسلام حين جاشت نفسه وانفعلت بالذكريات فبكى عليه صلوات الله وهو يقبل الحجر وقال « يا عمر هنا تسكن العبرات » فقال شاعرنا فى منظومته « صلة » :

الحجر الاسود قبلته
بشفتى قلبى وكلى وله
لا لاعتقادى انه نافع
بل لهيامى بالذى قبله
« محمد » أطهر أنفاسه
كانت على صفحته مرسله
قبله والنور من ثغره
يشرق آيات هدى منزله
قبلت ما قبله ثغره الناطـ
ـق بالوحى ابتغاء الصله

وهناك بين الصفا والمروة من شعائر الله ، وفى العاشر من رمضان ، شهر الهدى والفرقان حيث يسمو الصائم بفطرته ووجوده عن مفاهيم كونه المعهود ويرقى بروحانيته فى سموات عالم من خلود نسمع دعاء الشاعر وقد نظمه نفحة من نفحات الرضوان فكان ملابا من الادب الثجاج وفوحا من الشذى العطر ونفحا من الارج العبق فيقول فى مقطوعته « عمرة » :

عبدك يا رباه لبى واعتمر
طوف بالبيت العتيق وذكر
دعاك فى السعى وصلى وشكر
عبدك يا رباه ذو الذنب « عمر »
فاغفر له انك أولى من غفر

وفى المدينة المنورة نستمع الى هذا اللحن الربانى الذى يموج بمثاليات عالية تصعد بالجنس البشرى درجات ودرجات ونلمح فيه الانطلاق والاشراق بايمان ملىء بالفيض والالهام والفناء فى المثل الاعلى فى شعر عربى بالغ الجمال والابداع وفى تسام وتصعيد وتحليق ومناجاة وذكر وطاعة وقرب وتأمل وتفكير يجعله وثبة وجدانية فى صور شائعة من الصور الشعرية الرمزية لخواطره النفسية وقد وقف يصلى فى الروضة الغراء فهام قلبه بين السموات والافلاك يترنم بهذه الانشودة :

اتئد يا امام لا [illegible] الرأس
سراعا من السجود لربى
أنا لما تنسم الروح عبر الافـ
ـق عرفا عن أشرف الخلق ينبى
وتطلعت خاشعا مستهاما
بجنان مرآه مشرب
فتراءت [illegible] قلبى أنوار
نبى الهدى الرسول المربى

« البقية ص ١١٢ »

عبد الناصر صانع السلام

دروس فى الثورة المصرية

٢ – إقامة عدالة إجتماعية

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية ... ان الحرية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق الا بفرصة متكافئة امام كل مواطن فى نصيب عادل من الثورة الوطنية »

(من الميثاق)

ليس من شك فى أن من أبرز أهداف سياسة الرئيس عبد الناصر الاجتماعية والسياسية هى رعاية السلام والعمل الثورى وصنعه . ولقد عرفنا مجهودات صانع السلام الجبارة فى صنع السلام العالمى بين الدول والأمم والشعوب ، أما عن سياسته السلمية الداخلية لاقامة العدالة الاجتماعية فهى أعمق وأعم وأشمل .

ولقد كان عبد الناصر دائما داعية للسلم الداخلى والمصالحة ، فكان دوما يقف فى مواجهة أية انحرافات دموية فى الخط الثورى التنظيمى للضباط الأحرار – قبل بدء الثورة الفعلى – موقفا معارضا ، كما كان يقف برأى صلد أمام أية انحرافات عن الهدف الاسمى الذى يسعى اليه ، وساعده على ذلك ما كان يتميز به من دقة الفهم والادراك الواعى للامور ... وكانت الأيام دواما تثبت رجاحة فكره وبعد نظره . وأكبر دليل على ذلك وقوفه ضد الاتجاهات التى ظهرت عقب الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وما تلاها من هجوم على معسكرات الانجليز فى منطقة القنال ، حيث أعلنها صريحة – بين صفوف الضباط الاحرار – أن المقصود من هذا كله هو التعرف على مدى قوة الثورة الكامنة ، المدفونة فى نفوس الشعب ، والكشف عن الحركات التحررية الوطنيةالسليمة ليتسنىللاستعمار القضاء عليها ... وبذلك رأى وصمم على أن لا تقوم جماعة الضباط الأحرار بأى عمل يكون من شانه كشف القناع عن هذا التنظيم، حتى انمسئولا كبيرا بالحكومة البريطانية صرح آنذاك بقوله « ان أعقل هيئة فىمصر هى الجيش » ولو علم ذلك المسئول لقال موضحا « الضباط الأحرار » .

وهكذا نرى أن عبد الناصر – كان ولم يزل – يتسم يبعد النظر والادراك الواعى لمجريات الأمور فى كلياتها تاريخ الشرقوجزئياتها ، وقد اعترف له بذلك أساتذة الأوسط السياسى .

بهذا الوعى وذلك الادراك قرر عبد الناصر منذ اليوم الأول للثورة ، أن على الثورة أن تستمر حتى ترسى البناء على أساس قويم من الكفاية والعدل لتدعم صرح الوطن ، فأعلن مبادىء الثورة الستة التى لخص فيها بايجاز معبر واضح شامل أهداف البناء الكبير .. وقد عرفنا هذه الاهداف فى مقالنا الأول وتناولنا واحدا منها بالدراسة ، وموضوع اليوم هو مناقشة هدف آخر تحقق كله على مدى عمر سنوات الثورة التى لم تكمل بعد عامها الثانى عشر وهو « اقامة عدالة اجتماعية » ، فكيف تسنى تحقيق هذه العدالة الاجتماعية بين أفراد الشعب وجماعاته فى سنوات الثورة المشرقة ، وما الخطوات التى سارت عليها فى طريق الكفاية والعدل ؟

لنتعرف على ذلك لابد لنا أن نلم الماما قصيرة بأحوال المجتمع المصرى قبل الثورة .. فقد كانت مقدمات الثورة وبذورها تكمن فى الفوضى الاجتماعية التى شملت البلاد فى ذلك الوقت .

قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كانت أحوال مصر الاجتماعية تتمثل فى مجتمع تتكون قاعدته الضخمة من « الفلاحين » المعدمين الذين لا يملكون ولا يعلمون ... فئة لم يكن لها أى كيان أو تقدير فى مجتمع ما قبل الثورة ، سواء من الحكومات المتتالية – اللهم الا فى خطب العرش أو فى الدعاية الانتخابية – أو من السادة الذين كانوا يملكون كل شىء .. الارض بما ضمت فوقها وتحتها من تربة وناس ومحاصيل ... بل ان كلمة فلاح فى تلك الفترة كانت مرادفة للمهانة والذلة والمسكنة ..

والى جانب تلك القاعدة الضخمة من الفلاحين كانت هناك قاعدة أخرى لا تقل عنها ضخامة ولا خطرا ، وهى طبقة العمال ... بناة الاهرام فى الزمان الماضى ، وبناة السد العالى فى الزمان الحاضر ... أولئك العاملون فى صمت الصامدون للفح الشمس المحرقة وزمهرير البرد

القارس .. تلك الفئة التى كانت فى الواقع فرعا من فروع شجرة الوطن الكبرى ... الفلاحين ... أليس العمال - فى واقع الامر - هم سكان أرضنا الطيبة الزائدون عن طاقة الارض المستثمرة ؟

ان العمال والفلاحين هما عماد هذه الأمة وأساس نهضتها وتقدمها ، والركيزة التى ترتكز عليها بلدنا ، ولكنهما مع ذلك كانا فى المؤخرة .. كما مهملا ... فقبل ذلك اليوم المجيد فى تاريخ شعبنا العظيم كان العمال والفلاحون يسامون سوء العذاب، وكانوا يعيشون عيشة كفاف واملاق .. حتى أن مستوى الدخل العام للفرد فى مصر - فى ذلك الوقت - كان يعتبر ثراء عريضا بالنسبة لهم . فلم يكن دخل الفلاح الفرد فى السنة ليزيد بأى حال من الأحوال عن الجنيهات الثلاثة ، بينما كان متوسط الدخل العام للفرد هو ٣٧ جنيها . وكانت الغالبية لا تملك الأرض أو الزرع ، بل ولا مقدرات نفسها ولا أهلها ... فقد كانوا تابعين يحكمون بالسياط ، لا رأى لهم ولا كرامة .. يخدمون كل مالك .. أى مالك للارض حتى أن ملكية هؤلاء الفلاحين كانت تنتقل من سيد الى سيد اذا تم بيع للارض .

ولم يكن حظ العمال أحسن حالا من اخوتهم عمال الأرض وزارعيها .. كانوا يلقون نفس المعاملة السيئة والظلم والضيق ... وكان هذا الظلم ينشر ظلاله ، لا على الريف وحده ، أو على عمال المصانع دون سواهم ، بل عم الجميع فشمل المواطنين جميعا ... لا حرية ولا ولا ديمقراطية ولا فرصة متكافئة ... لا شىء سوى الظلام ...

نستطيع أن نخلص من ذلك فنقول ان الثورة اشرقت على شعب أكله الفقر والجهل والمرض وعاش مئات السنين احس خلالها أن الظلم هو المبدأ وأن العدل هو الاستثناء. جاءت الثورة فوجدت مجتمعا طبقيا ينقسم الى طبقتين : طبقة العبيد وهم المحكومون وطبقة السادة وهم الحكام.. ويندرج تحت هاتين الطبقتين طبقات أخرى عديدة منها طبقة أصحاب الارض ويقابلها طبقة الاجراء المعدمين وطبقة أصحاب المصانع وتقابلها طبقة العمال الذين ارتبطت حياتهم بما كانوا ينالون من قروش قليلة لا تغنى ولا تسمن من جوع .. طبقة رأس المال المستغل والطبقة المستغلة ... طلعت الثورة على شعب تفرق بين طبقاته - التى خلقها الاستعمار ومكن لها عملاؤه - فجوات هائلة وفروقا شاسعة . فكان الشعب واقعا تحت ضغط الاستغلال الاجتماعى والسياسى والتحكم فى أرزاقه والتفرقة بين أفراده وتضليله واذلاله .

لمواجهة ذلك كله يقول عبد الناصر منذ قيام الثورة عبأنا جهودنا وركزنا نشاطنا فى سبيل تهيئة الجو الصالح لقيام حياة ديموقراطية تسودها العدالة الاجتماعية فى المجتمع المصرى .

ولتحقيق هذه الغايات نعتبر المبادىء الاتية مبادىء أساسية :

١ - رفع مستوى معيشة الفرد ، ماديا ومعنويا .

٢ - القضاء على الاقطاع الذى جعل الجزء الاكبر من أراضى البلاد فى يد فئة قليلة من الملاك ، وقد تم هذا باصدار قانون الاصلاح الزراعى .

٣ - تخليص اقتصادنا القومى من قبضة الاحتكار الذى يحرم الفرد من حريته والدولة من سلطانها .

٤ - نشر العدالة الاجتماعية على أساس تكافؤ الفرص .

ونحن اذا رمينا ببصرنا اليوم الى مجتمع ما بعد الثورة الى المجتمع الجديد «الذى يبنيه الشعب العربى فى مصر على دعائم من الكفاية والعدل» - كما يقول دائما عبد الناصر فى خطبه وكما تحقق فعلا - اذا نظرنا الى هذا المجتمع لوجدنا الفرق شاسعا بينه وبين مجتمع ما قبل الثورة .. فالبشر يعلو وجوه القوم .. عمالا وفلاحين ... لم يعد هناك سادة وعبيد وحكام ومحكومون ... بل ان الشعب قد أصبح الحاكم .. فتحرر زراع الارض ومفلحوها من ربقة عبودية صاحبها ، فأصبح هو المالك الحقيقى للارض .. ونفس الشىء تم بالنسبة للعمال وأصحاب رأس المال بعد أن أصبح العامل هو صاحب المصنع ، وذلك بما كفلته له الثورة من حقوق فى ظل المجتمع الجديد .

وذلك كله كان تنفيذا للسياسة الاقتصادية التخطيطية الشاملة التى نادى بها وصمد دفاعا عنها وحققها فعلا رسول السلام .. فقد كان عبد الناصر ينادى بالاصلاح الجذرى الشامل فى المجتمع ... فيقول فى الميثاق :

« ان الله الذى جلت حكمته .. وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة »

« ان حرية كل فرد فى صنع مستقبله وفى تحديد مكانه من المجتمع وفى التعبير عن رأيه وفى اسهامه الايجابى فى قيادة التطور وتوجيهه بكل فكرة وتجربته وأمله فى حقوق أساسية للانسان لابد أن تصونها له القوانين »

وكنتيجة طبيعية لا منها، كانت حتمية الحل الاشتراكى - التى نص عليها الميثاق - بالنسبة للمشاكل التى كانت تعوق البلاد عن التقدم فى ظل مجتمع تسوده العدالة والرفاهية .. ولما كانت الثورة قد قامت لتصحيح الاوضاع بين أفراد الشعب فقد ألغت الرتب والالقاب وعملت على اذابة الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ومنها قوانين الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية التى كفلت للعامل الزراعى حقوقه .. بل وردت اليه ما كان قد سلب من هذه الحقوق . فمنحت لكل معدم خمسة أفدنة ، ونظمت العلاقة بين مالك الارض ومستأجرها لتحمى الاخير من التحكم والاستغلال ، وأنشأت الجمعيات التعاونية فى جميع قرى الجمهورية لتمد الفلاح بحاجاته من البذور والسماد لفلاحة الأرض ، وكذلك منحت المعدمين من الفلاحين الماشية والبذور على أن يسدد ثمنها بعد بيعه المحصول .. عمت الاصلاحات ريفنا الجميل فتحول الى جنة خضراء بعد أن دخلته المياه النقية والكهرباء وبنيت فى كل قراه الوحدات المجمعة التى تضم مستشفى ومدرسة ووحدة بحث اجتماعى ، وهكذا كفلت لابناء الريف العلاج المجانى والتعليم وبحث مشاكل الريف على أساس أكاديمى .

كذلك مدت الثورة يدها للعامل فحررته من قبضة الاحتكار وتحكم رأس المال المستغل وحددت العلاقة بين صاحب العمل والعامل بما يكفل للاخير حقوقه ومطالبه، وأيضا كفلت الثورة للعامل الرعاية الاجتماعية والصحية وتأمين المستقبل ، وانتهى تحكم رأس المال بدخول العمال أعضاء فى مجالس ادارة الشركات والمؤسسات وحددت لهم نصيبا فى الارباح مقداره ٢٥٪ .

وهكذا نجد أن الدولة - دولة الثورة - قد لجأت الى الحل الاشتراكى كحتمية لابد منها لتوفير العدالة الاجتماعية بين أفراد الشعب ولتنظيم العلاقة بين رأس المال وأدوات العمل .. وبينه وبين المستهلك الذى يمثل الشعب بكافة طبقاته .. اذا كانت هناك طبقات ؟ لان سياسة الدولة الاشتراكية باستهدافها اذابة الفوارق بين الطبقات ساوت بين جميع أفراد الشعب فلم تعد هناك طبقات .

وبذلك كان الطريق الاشتراكى هو الوسيلة الحتمية لمواجهة التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، بل هو الطريق الوحيدة للقضاء على الرأسمالية المستغلة ورواسبها التى عانينا منها دهرا طويلا من الزمان .

« البقية ص ٢٠٠ »

الإسلام في معركته الكبرى

الإسلام بين مناهج البحث والتعصب

للأستاذ أنور الجندي

عملت الثقافة الغربية فى خدمة الاستعمار ، وعمل الفكر الغربى فى خدمة السياسة واستهدفت الثقافة الغربية والفكر الغربى ، الغزو الثقافى وتغريب العالم الاسلامى ، بتحويله عن القيم والمفاهيم الاسلامية والعربية الى قيم جديدة ذات طابع مادى خالص ، ووضع « التبشير » الخطط الذكية واتخذ من (الاستشراق) أداة له ، ومهما قيل من هدف التبشير الذى تطور مع الزمن وجدد وسائله ، فانه يعمل على الاقل الى اثارة الشكوك والشبهات فى الفكر العربى الاسلامى مما ينقل المسلمين والعرب من « بؤرة » الايمان والثقة بمقدساتهم وقيمهم وتراثهم الى منطقة « الظل » التى تتحول الى الاستهانة والسخرية والاسقاط النهائى من مجال التقدير والاعتبار لكل المفاهيم .

وليس من هدف التبشير فى الأغلب تحويل المسلم من دينه الى المسيحية فالاسلام مسيحية وزيادة ــ على حد تعبير جمال الدين الافغانى ــ ولكن الهدف أبعد وهو نقله الى الالحادية والمادية والتحلل واللادينية ، فلا يصبح شيئا يبقى على مقومات أو أهداف واضحة ، وينساق فى مجال الحياة لا شىء يرده ولا شىء يحده ولا حافز يدفعه وبذلك يقضى على الاسلام والقرآن واللغة العربية والقيم والمقومات والمثل العليا التى قام عليها (الفكر العربى الاسلامى) .. والتى أوجدت هذا التراث الضخم من الفكر، وهذا التاريخ العريض من الكفاح والبطولة .

* ولا شك أن الاستعمار العسكرى قد انتهى أو أوشك من العالم الاسلامى كله وأن الاستعمار الفكرى يزحف زحفا كبيرا فى كل مكان ليفرض النفوذ الثقافى غير الاسلامى العربى متمثلا فى ثقافات الغرب والشرق والصهيونية جميعا ، وكلها مقومات تختلف مع الأسس النفسية والفكرية والاجتماعية التى يعيشها فكرنا وعالمنا وبيئاتنا .

ونحن لا نرفض الثقافات المختلفة ولكننا نقومها على غير أساس الاستيراد وفرض النفوذ وسلطان الدول القائم وراءها .. نحن لنا « شخصية ومقومات وطابع هو « الأساس » الذى يقوم عليه كياننا فهذا أولا يبقى واضحا صريحا ، ثم نتقبل من كل الثقافات والآراء ما يزيده قوة وحياة وتطورا وسيرا مع موكب

الحضارة الانسانية ، ولكن دون أن يطغى على طابعنا أو يحوله أو يجعله تابعا أو عميلا أو صورة بالكربون •

ومن هنا جاء موقفنا من « مناهج البحث الغربى » وتطبيقها على الاسلام واللغة العربية ، فالتبشير قوة ضخمة ما تزال مندفعة تعمل فى منطقتين من أهم مراكز الاسلام وهما قلب أفريقيا وشمال شرقى آسيا تعينها قوى وموارد ونفوذ، ومن ورائها مخطط مرسوم ، ومعاهد تخرج الدعاة ، ودراسات لها طابع واضح فى التشكيك والانحراف والتعصب •

وفى ميدان الاستشراق والبحث العلمى يبدو الخير والشر ، وحسن النية وسوء النية، والانصاف والجحود ولكن كلمات الشر وسوء النية والجحود هى التى يحملها التبشير ويذيعها ويركز عليها •

ونحن أحيانا ننظر الى العلماء والباحثين نظرة التقدير وبذلك نقبل أبحاثهم دون أن تتنبه لما فيها من انحراف، وهم أيضا من الدقة والقدرة بحيث يدخلون الزيف فى رفق ، وبعد أن يكسبوا ثقة القارىء فى صورة الاستهلال المنصف أو الهيكل العام غير المنكشف ، وقد تحولت أبحاثهم الآن طورا جديدا ، فبعد أن كانوا يحملون على الاسلام واللغة العربية فينفرون منهم الباحث الاسلامى العربى ، عادوا فغلفوا دعواهم بعناوين لامعة مشوقة، وأسلوب فى العرض دقيق ماكر تختفى فيه السموم ، ولا مانع من تقدير الاسلام ومدحه والاعتراف بفضله فى عشرات الصفحات فى سبيل ادخال سطر واحد ، أو عبارة واحدة تكون هى لب لباب الافتراء والتشكيك واثارة الشبهات •

وقد وقع كثير من تابعى أبحاث المستشرقين فى العالم الاسلامى فى هذا الفخ ، فروجوا هذه الآراء ، عن جهل أو عن انخداع وروجها بعضهم عن سوء قصد عامدا متعمدا بدافع الانحراف الفكرى ، والتبعية أو مخاصمة هذه المقومات ••

* * *

وامامنا نموذجان احدهما من رجال التبشير والآخر من رجال الاستشراق نعطى بهما صورة الانحراف والتعصب فى مناهج البحث الغربى عن الاسلام واللغة العربية •

أولهما « زويمر » زعيم حركات التبشير فى العالم الاسلامى كله سنوات طويلة ، قدم الى « البحرين » عام ١٩٠٠ تقريبا ، ومنها انطلق الى مختلف أنحاء العالم الاسلامى وقد وجد من مقاومة المسلمين مادعاه الى الانتقال الى «الاحساء» غير أن ذكاء أهلها وتنبههم حمله على العودة الى البحرين محتملا ما يلقاه من الاعنات ، مطلقا على نفسه ضيف الله والأهالى يلقبونه بضيف ابليس •

وقد فتح فى أول أمره مكتبة صغيرة ثم تخصص بعد قليل فى بيع الكتب التبشيرية ، ولم يلبث بنفوذ بريطانيا أن أسس مدرسة ومستشفى صغيرا لنشر دعوته ، وكان سبيلهم استغلال فقر المسلمين ومعالجتهم مجانا وتوزيع الكتيبات عليهم ، كما كان من عملهم اثارة القبائل وتوزيع الأسلحة بالمجان لاثارة الفتنة بينهم •

وكان « زويمر » متعصبا بالغ التعصب طاف العالم الاسلامى كله وبحث شئون التبشير فيه ، ورأس المؤتمرات التى عقدت عام ١٩٠٦ و١٩١١ و١٩٢٤ وكانت الحرب العالمية الاولى فرصته المثلى فى توسيع نطاق عمله ، حتى بلغ الغاية فى ذلك عام ١٩٣٢ فى القاهرة عندما اقتحم الجامع الأزهر ووزع منشوراته على الطلبة فى فصول الدراسة •

وألف كتاب « الاسلام : ماضيه وحاضره ومستقبله » ، وأدرج فيه معلومات مضللة عن نفوذ المبشرين فى أقطار الاسلام وعن تعداد المسلمين ، ومن رأيه عدم مجادلة المسلمين بالبراهين العقلية بل الدخول عليهم من الجهة القلبية لاستجلاب عواطفهم واستمالة أهوائهم على حد تعبير الأمير شكيب ارسلان •

ومع أنه بروتستانتى فقد كان يستجمع البعثات الكاثوليكية والارثوذكسية ويدعو الى توحيد العمل فى شن الغارة على الاسلام وانتهاز فرصة الضعف الذى حل بالاسلام بعد الحرب العالمية « الاولى » •

واعلن زويمر اهتمامه بأواسط افريقيا والنيجر ودعا الى توسيع نطاق العمل بها ، وأبدى تخوفه من اتساع نطاق الاسلام فى أواسط افريقيا وأطرافها •

* ومن رأيه : ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية فريتين : فرية تشييد وفرية هدم « الامر الذى لا مرية فيه هوأن حظ المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد المسلمين ومبادئه الاخلاقية فى البلاد العثمانية وبلاد أخرى ، هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا عبرة باحصائيات التعميد فى معرفة من تركوا دينهم من المسلمين لأننا واقعون على مجرى الامور ومتحفظون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامى من قلوبهم •• »

ويقول : « يتساءل اللورد كرومر هل يبقى الاسلام اسلاما اذا أدخل عليه الاصلاح ، وأنا أقول بصفة قطعية انه لا يبقى كذلك ، لأن الاصلاحات تجهز عليه فالاركان الأساسية الموجودة فى الدين الاسلامى كالحج وتعدد الزوجات والطلاق لا تستطيع أن تثبت فى وجه تيار المدنية الغربية الجارف » •

وعن الاسلام فى افريقيا يرى « أن الموقف صار حرجا للغاية بسرعة تقدم الاسلام فى مركزه الواسع فى الشمال ومعاقله التى فى السواحل الى الجنوب والغرب الافريقى ، ولقد اخطأ المبشرون فى تقديراتهم السابقة لأنه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التى كانوا يحسبونها خالية من الأديان المعروفة ، هى اما اسلامية محضة أو أنها على أهبة الدخول فى الاسلام •

* * *

وهذه صورة العالم الاسلامى التى يرسمها له فى تقريره سنة ١٩١١ حيث يشير الى أنه لم يبق غير ٣٧ مليون مسلم تحت سلطة حكومات اسلامية ، أما الباقون فان السلطة السياسية انتقلت من يد الخلافة الاسلامية الى يد انجلترا وفرنسا وهولندا وروسيا ، وان احتلال الجيش الفرنسى لمنطقة (واداى) الافريقية أعظم حدث سياسى فى هذا العصر ، لأن (واداى) كانت أهم مركز فى افريقية لانتشار الاسلام ، وعلى ذلك فان هذا المركز قد أصبح تحت سلطة أوربية تحتفظ به •

* وأشار الى أن الاسلام أخذ يتنبه فى ظل ثلاث حركات اصلاحية :

(١) تقريب الأفكار من الجامعة الاسلامية • (٢) اصلاح الطرق الصوفية • (٣) افراغ العقائد والتقاليد القديمة فى قالب معقول ، وهو التغير الذى حدث فى الاسلام عندما اكتسحت أهله الأفكار العصرية والحضارة الافرنجية ، وقال : ان فى العالم (سنة ١٩١١) حركتين متناقضتين يحمل علم الحركة الاولى: رجال الصوفية والمشايخ فى اليمن والصومال والبوادى وشعارهم الرجوع الى التعاليم المحمدية ، والحركة الثانية يتولى رعايتها أنصار الاصلاح ومبشرو الاسلام الجديد فى الهند وجاوه وفارس •

* وعنده أن مدينه مكة والطرق الصوفية : هما من أكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، فاذا كان فى افريقيا عوامل أخرى فهى الأحوال المساعدة التى يتصف بها الاسلام ، ومركز بلاده الجغرافى وارتقاء الشعوب الاسلامية فى السودان عن الشعوب الافرنجية • والتجارة فى هذه الأصقاع كلها بيد القبائل الاسلامية ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث فى هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الاسلامى وحضارته الراقية ، وللاسلام فى أفريقيا صديق يساعد على انتشاره هو الاستعمار الأوربى فان الذى يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الأمراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أنه يقرر الأمن ويمهد السبيل للمسلمين فالاستعمار يسلب عن المستعمرات السلطة الاسلامية السياسية ولكنه يزيد الاسلام نفوذا ، وما زال الشيخ والدرويش هما صاحبا النفوذ فى افريقيا •

* ويقول زويمر: ان التقسيم السياسى الذى طرأ على الاسلام سيمهد السبيل لأعمال المدنية الأوربية ، ومن المحقق أن الاسلام يضمحل من

الناحية السياسية وسوف لا يمضى غير زمن قصير حتى يكون الاسلام فى حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوربية ٠

***

ويعيد زويمر « صورة العالم الاسلامى » عام ١٩٢٤ فى مؤتمر المبشرين المنعقد فى القدس حيث أشار الى ان تجاربه تخول له ان يعلن ان الطريقة التى سار عليها المبشرون حتى الآن لا توصل الى الغاية المنشودة وقال « لقد صرفنا من الوقت شيئا كثيرا ، وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة ، وألفنا ما استطعنا أن نؤلف، وخطبنا ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى ٠٠ فالذى نحاوله من نقل المسلمين عن دينهم هو باللعب أشبه منه بالجد ٠

وقال: وعندى أننا يجب أن نعمل حتى يصبح المسلمون غير مسلمين ٠٠ ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شىء الا فى موضوعنا هذا ، لأن هدم الاسلام فى نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم ٠

وأعلن أن الأحوال السياسية فى جميع البلاد الاسلامية أصبحت ملائمة لأعمال التبشير ، وان العراقيل من بعض الحكومات قد أزيلت ، وان الحرب العظمى جعلت العديد من المسلمين على صلة مباشرة بالحضارة الغربية ، وهم يزورون الأقطار الاوربية زرافات ، وألوف من الطلاب المسلمين يهاجرون من آسيا ليتعلموا فى أوربا وسيل من العمال والصناع يتدفق من شمال افريقيا على فرنسا ويبلغ عدد الذين يزورون باريس سنويا أكثر من الذين يحجون الى مكة ، وأنه لا بد من عمل جهود لايجاد الاستعداد الفكرى والذهنى لقبول جهود المبشرين عن طريق ادارات التربية والتعليم والمعارف والصحف والكتب والسينما والمسرح ٠٠ وقد وسعت وسائل النشر الحديثة المجال لنمو الصلة بين المسلمين والحضارة الغربية

* وقال ان التطورات الحديثة الحادثة بنطاق واسع فى جميع أنحاء العالم الاسلامى قد دعت بالضرورة لأن يتخذ « التبشير » شكلا جديدا ملائما للحالة الجديدة فى الشرق الاسلامى ٠

وقد أمكن أن نتبين بدلائل قاطعة أن الاسلام قد انتقض غزله وحاق به الضعف وتفككت حزمته ، وعلى الاجمال أصبحت الروح القومية تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها ، فان المسلم التركى على سبيل المثال أخذ ينقلب ليصير تركيا أكثر منه مسلما ٠

وكان لالغاء الخلافة تأثير عميق ليس فقط فى تركيه بل فى جميع العالم الاسلامى ٠

وقد أخذت الظواهر تتكاثر فى جميع النواحى لتدل بصفة قاطعة على انحلال الرابطة الاجتماعية فى الاسلام ، وآثار هذا الانحلال نراها جلية فى تطور مكانة المرأة وعلى الأخص فى المدن ٠ ومن ثمار هذا الانقلاب النسائى العدول عن الزواج المبكر والتوسعة فى الحرية على المرأة ٠

* أما الانقلاب الفكرى فى الاسلام فظاهر لا يحتاج الى بيان ، فأينما أدار الانسان وجهه وجد تعطش المسلمين للمعارف ، وطلب العلوم، وتتكون الآن عقلية جديدة فى المسلمين هى نتيجة التحاك والاتصال بالعلوم الغربية والحضارة الغربية ، وفوق كل هذا ، الأمر العظيم الذى يقف الانسان عنده حائرا معتبرا هو انحلال العروة الدينية فى الاسلام ، حتى أنك ترى من المسلمين من قد أصبحوا فى عماية من أمرهم لا يدرون كيف يتقدمون ، ولا كيف يتأخرون لوقوعهم فى الحيرة ٠٠ » ا ٠ هـ

***

هذه هى أفكار « صمويل زويمر » المبشر الأكبر الذى رسم مناهج الدعوة الى تغريب العالم الاسلامى ، وعمل فى الميدان أكثر من ٣٥ عاما وعقد عديدا من المؤتمرات فى الجزائر والقدس والقاهرة ٠٠ ولكن كيف تبدو آراؤه اليوم بعد اكثر من ثلاثين عاما ٠٠ ؟

انها فى الحق تبدو مجرد أوهام وتكهنات لم تصدق ، فان الاسلام لم تنحل عروته ، والتجار المسلمون والطرق الصوفية استطاعوا

ان يغزوا افريقيا غزوا قويا لم تستطع امامه بعثات التبشير المزودة بالجـاه والمال تقدما يذكر .

ولم تؤثر القومية على روح الوحدة الاسلامية بل زادتها قوة ، ولدينا فى العالم الاسلامى الآن منظمة القومية العربية ممثلة فى الجامعـة العربية ومنظمة العمل الاسلامى الموحد ممثلة فى « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » وكلها تسير فى هدفها دون تعارض •

ولم تصدق آراؤه التى استقاها من الخبرة الطويلة فى نتائج بث الأفـكار المسمومة والمغرضة عن الاسلام واللغة العربية واستطاع العرب والمسلمون أن يكشفوا زيفهـا ، وأن يردوا عليها وأن يتجنبوها •

والهدف الأكبر الذى سعى اليه وهو اثارة الشكوك عن طريق الطلاب الذين يسافرون الى أوربا قد باء بالخسران ، فان أكثـر الذين حملوا لواء الدعوة الى الاسلام والدفاع عنـه تعلموا فى أوربا ولا زلنا نذكر الدكتور يحيى الدرديرى ، ولطفى جمعه والدكتور غلاب وعلى مظهر ، ومنصور فهمى ، والدكتور هيكل ، وعمر الدسوقى ومالك بن بنى ، أو فى معاهد الارساليات : كالدكتـور فروخ والدكتـور مصطفى الخالدى وقد تحول كثيرون ممن أثرت فيهم خدعة الاستعمار ، والغزو الثقافى ، وبقى الآخرون فى الظل وقد كشـفهم المسلمون وتحاموهم ، ولم يضعف الاسلام بانحـلال الخلافة بل قامت دولة اسلامية هى الباكستان وزاد عدد المسلمين حتى بلغ الآن ٤٥٠ مليونا •

وبذلك سقط منهج الفـكر والبحث فى الاسلام عند أمثال هؤلاء الدعاة الذين كشفوا عن هدفهم فى القضاء على روح الاسلام وقيمه ومفاهيمه •

والى نظرة أخرى على آراء مستشرق له مقام كبير فى مجال البحث العلمى هو « هنرى لامانس » •

الاشتراكية فى الإسلام

الأستاذ محمد علم الدين

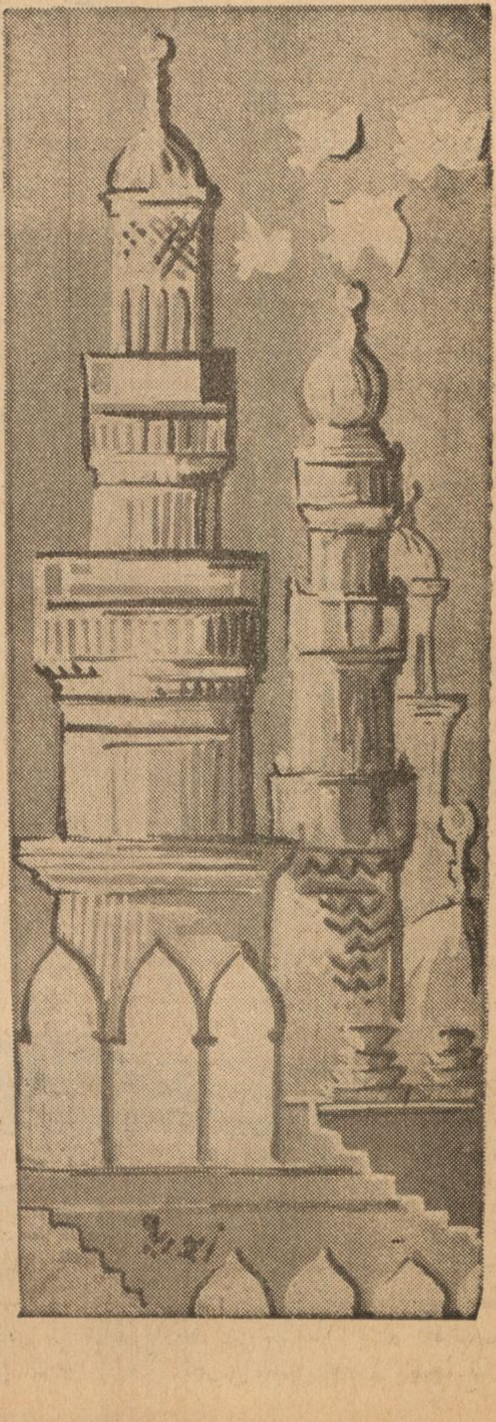

١ ـ ان الذين كتبوا فى الاشتراكية الاسلامية ركزوا كتابتهم على الزكاة فى الاسلام وأنها مظهر الاشتراكية فيه وقليل من زاد على الزكاة صدقات التطوع وصنوف البر ، ولكن فى هذا تضييق لاشتراكية الاسلام التى تشمل كل مرافق الحياة ، ويمكن ارجاعها الى عنصرين أساسيين ، هما : الاشتراكية النفسية ، والاشتراكية المالية .

الاشتراكية النفسية لها شقان : ايمان نفسى وتطبيق عملى بالنفس ، والايمان النفسى يكون بايمان المرء بانه عضو فى مجتمع ، وأن صلته به قائمة على تبادل المنافع وعلى المطالبة بالحقوق وأداء الواجبات ، وأنه ما دام المجتمع قد أدى للفرد حقوقه فواجب الفرد أن يؤدى للمجتمع حقوقه التى هى واجبات الفرد كاملة غير منقوصة ، وهذا الايمان النفسى سبيله فى غرسه التربية والتعليم والتوعية من الآباء والمعلمين والبيئة وكل وسائل الاعلام التى ينبغى أن تتلاقى جميعا على تقرير هذه الحقيقة فى أذهان جميع المواطنين وبخاصة الناشئة منهم حتى تجرى منهم مجرى الدم وتنطبع فى أذهانهم ثم تنتقل الى مرحلة السلوك والتطبيق العملى وهى الشق الثانى والعمل الاشتراكى الايجابى بالمجهود الجسمى ثم تأتى بعد ذلك الاشتراكية المالية .

٢ ـ والاشتراكية الحقة هى خلق المجتمع الفاضل ، فلا يتصور مجتمع فاضل بغير اشتراكية ، كما لا نتصور الاشتراكية بغير مجتمع فاضل ، فهما متلازمان ، والمجتمع بغير اشتراكية مجتمع فاسد طبقى ، فيه أنانية وانعزالية واستقلال وظلم اجتماعى ، وفيه حقد وحسد وتناقض المصالح .. والمجتمع الاشتراكى فيه مساواة وعدل اجتماعى وتعاون على البر والتقوى وفيه تراحم وتكافل .

ـ والمؤمن بالاشتراكية لا يرى لنفسه ميزة تميزه على سائر المواطنين وتجعل له حق الاستعلاء عليهم والنظر الى من هم دونه علما أو مالا أو جاها بازدراء ، بل هو عكس ذلك تماما ، كلما من الله عليه بنعمة تواضع للمواطنين وأشركهم فيها ، فان من الله عليه بالصحة سخرها للانتاج ومساعدة المجتمع ، وان من عليه بالعلم والمعرفة جعل التعلم مشاعا وأبان للناس ولم يكتم ما علمه الله ، وان من عليه بالجاه سخره لمصلحة الناس ، وان من عليه بالمال أعان المحتاج وانفقه فى سبيل الله ..

- وقدوتنا واسوتنا خاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام كان على عظيم منزلته عند الله وعند الناس يكره ان يقف الناس له ويجلس حيث ينتهى به المجلس ، ويحمل امتعته ويساعد اهل بيته ويزور الفقراء والاماء وكان اهل الصفة من صحابته فقراء ، وقد رباه ربه على ان يهتم بالفقير أكثر من الغنى ، وبالضعيف أكثر من القوى وعاتبه فى ابن أم مكتوم الاعمى فى سورة قرآنية هى عبس وتولى ، وقد نهى الله المؤمنين والمؤمنات عن ازدراء اى مخلوق او السخر منه فلعله اكبر منزلة ودرجة عند الله ، والآيات القرآنية فى ذلك فى سورة الحجرات : « يايها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » . وقد صار المؤمن يحترم الناس ولا يسخر من احد ولا يعيبه ولا يلمزه بما يكره مخافة أن يعد من الفاسقين .

٣ - والمؤمن بالاشتراكية يحب الناس ويقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ويستشير الناس ولا يستبد برأيه ، كما يقوم بالعدل والقسط بين الناس ، ويرى العدالة فى تكافؤ الفرص للجميع وأن يلى الاعمال خير الناس واصلحهم لها ، لامحاباة ولا انحراف ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى محكم كتابه : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ، وان تلووا او تعرضوافان الله كان بما تعملون خبيرا » .

وهذه الآية الكريمة جديرة منا بكل درس وعناية وفهم، وان تنزل فى العقل والقلوب وتخرج الى حيز التطبيق العملى ، ففيها العدالة الاجتماعية بأجلى صورها وفى الآية من القوة والتأكيد الشىء الكثير ، فهى تخاطب المؤمنين عامة ثم تستعمل اسلوب الامرفى كونوا وأسلوب صيغة المبالغة فى قوامين ، وفيها تعميم القسط والعدل فليس شىء أولى بالعدل من شىء بل هو كل شىء : فى الاحكام ، وتولية الوظائف العامة ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع ، فى التعليم والبعثات وفى الاعانات والاستيراد والتصدير ، والمداواة ، وضروب التعامل بين الناس ،كما فيها تطبيق العدل على النفس والوالدين والاقربين بحيث لا يعطى نفسه ولا والديه ولا أقربائه فضلا عن صحابته حقا ليس لهم ويحرم المستحق حقه ، وهذا هو العدل الالهى ، كما ختمت الآية بتهديد المخالف وأن الله خبير وعليم بما يعمل من انحراف ومحاباة ومحاسبه على ذلك .

٤ - ان كل فرد من القوى العاملة سواء أكان فلاحا ام عاملا ام مثقفا أم ذا راس مال وطنى لن يكون اشتراكيا الا اذا عرف موضعه فى امته ، وأن من واجباته نحو أمته أن يبذل لها ، ويزيد ثروتها وانتاجها ويصون مكاسبها ، ويدفع عنها كل أذى داخلى او خارجى قدرما يستطيع وان يؤمن بانه مسئول عن كل ذلك مسئولية كاملة امام نفسه ووطنه وربه ، ولذلك يجب ان تتركز التوعية على هذا الاحساس والشعور وأن تتضافر على ذلك جميع القوى حتى لا تكون الاشتراكية مجرد شعار ، بل تكون ايمانا عملا وتطبيقا فى كل تصرفات الحياة داخل البلاد وخارجها .

- فاذا تمت التوعية على هذا الاساس ، وآمن كل فرد بانه عضو فى جسد المجتمع كما نبه الحديث الشريف المؤمنين «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر البدن بالسهر والحمى » وأن خير المجتمع سيعود عليه وشره سيعود اليه ، كانت الاشتراكية المالية أمرا سهلا ميسورا على النفس التى سمت عن الانانية والذاتية واصبحت اجتماعية اشتراكية ، والتوعية فى الناحية المالية ينبغى الا تقتصر على الزكاة بل تنصب على ان حق الله متعلق بالمال كله ، فالمال مال الله والانسان خليفة عن الله فيه يتصرف فيه على النحو الذى يرضى الله ، ولا يرضيه الا العدل الاجتماعى ، واكتفاء المرء بالقدر الضرورى من المال ثم انفاق المال فى سبيل الله .

والدليل على ان المال مال الله والانسان خليفة عن الله فيه قوله تعالى فى سورة الحديد : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . وقوله : « ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض » أى انكم فى حياتكم خلفاء عن الله فى الاموال التى لكم وستتركونها بعد موتكم حيث يرثها الله ويحاسبكم عليها .

والدليل على أن حق الله متعلق بما زاد عن حاجة الانسان الاصلية قوله تعالى فى سورة البقرة : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » والعفو هو الزائد عن حاجة الانسان الاصلية له ولمن يعولهم من زوجة وأفراد .

٥ - واسوق للذين يقصرون حق الله فى المال على الزكاة التى هى ربع العشر كل عام مرة قول حجة الاسلام الامام الغزالى فى احياء علوم الدين : انقسم الناس فى بذل الاموال ثلاثة أقسام :

أ) قسم صدقوا التوحيد ولم يشركوا بحب الله حب المال فنزلوا عن جميع أموالهم لله لم يدخروا درهما ولا دينارا كما جاء ابو بكر الصديق للرسول عليه السلام بجميع ماله وترك لاولاده الله ورسوله .

ب) وقسم دون هؤلاء ، ادخر لنفسه قدر حاجته دون تنعم ، وصرف الفائض عن الحاجة فى وجوه البر ولم يقتصر على الزكاة ايمانا منه بأن لله حقوقا فى المال غير الزكاة كما فى آية ليس البر فى سورة البقرة : « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة » وأن على المسلم الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته من غير مال الزكاة .

ج) قسم ثالث اقتصر على أداء الواجب لا يزيد عليه وهذا أقل الرتب وعليه اقتصر العوام ، لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للاخرة .

فلينظر الذين ينادون بان حق الله فى المال متعلق بالزكاة فقط كيف ان الامام الغزالى رحمه الله قد وصم من عمل بندائهم بانه من العوام وبالبخل والميل للمال وضعف حب الآخرة مع أن الله يقول : « وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا » .

- ونحن اذا نظرنا الى جمهرة صحابة الرسول عليه السلام والتابعين لهم باحسان وجدناهم من القسم الثانى من تقسيم الامام الغزالى الذى يدخر لنفسه دون اسراف وينفق الباقى فى سبيل الله . ويصور هذا

ابلغ تصوير قول الصحابى الجليل عبادة بن الصامت رضى الله عنه مقدم وفد عمرو بن العاص للمقوقس لدى فتح مصر « ليس غزونا عدونا ممن حارب الله ورسوله لرغبة فى الدنيا ولا طلب الاستكثار منها ، وما يبالى أحدنا ان كان له قنطار ذهب أو كان لا يملك الا درهما ، لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعته وشملة يلتحفها ، فاذا كان لايملك الا ذاك كفاه وان كان يملك قنطار ذهب انفقه فى سبيل الله واقتصر على الذى يكفيه لان نعيم الدنيا ليس مقيما ورخاءها ليس رخاء ، انما النعيم والرخاء فى الآخرة » .

وهذا قول واضح قاطع يجب ان نؤمن به جميعا وننزل عليه جميعا ونطبقه جميعا فهو من صميم الاشتراكية الاسلامية المالية المحققة للعدالة الاجتماعية .

٦ ـ والاسلام لا يقر الغنى الفاحش اذ لا تقف مساوئه عند حد ، فهو يطغى صاحبه : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ويحمله على الشح المفضى للكفر وظن الخلود : « يحسب أن ماله أخلده » والالهاء عن الطاعة والبر : « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » والترف المفضى لهلاك الامم : « واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » واستعمال المال سلاحا للتجويع وتغيير العقائد : « لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا » واصفار الفقراء : «أنا أكثر منك مالا واعز نفرا » ومعاداة الرسالات وكل اصلاح : « وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم » .

كما ان الاسلام لايقر الفقر المهين الذى يغل الملكات والمواهب والمثل العليا ويحمل صاحبه على المهانة وقبول الضيم والسخط على القدر وكراهية المجتمع والاستعداد لبيع الشرف والذمم .

من يهن يسهل الهوان عليه — مالجرح بميت ايلام

٧ ـ ان قوانين يوليه ٦١ الاشتراكية استهدفت أغراضا نبيلة يقرها الدين جميعا » فهى توسع نطاق ملكية الشعب ، وتحد من طغيان رأس المال وتجعل العمال والموظفين يشتركون فى التخطيط لمستقبلهم الاقتصادى والاجتماعى ، وتفسح مجال العمل للعاطلين ، وتقرب بين الدخول حتى لا يكون التفاوت بينها صارخا ، وكلها أهداف دينية وهى من أخص واجبات الدولة التى تقوم على العدل بين المواطنين ، وما الدولة الا اسرة كبيرة وان من أهم واجبات رب الاسرة أن يمنع طغيان احد افرادها على الآخرين وان يرده أن طغى الى الصواب .

٨ ـ ولقد اصبح واضحا لكل ذى عينين ان الاشتراكية التى اصبحت جزءا من كيان الوطن العربى اشتراكية غير مستوردة وليست شعارا ورمزا كاشتراكية الغرب الغارقة فى الراسمالية والطعنات والعنصرية وليست متطرفة ملحدة منكرة للذاتية والملكية والقيم الواجبة كاشتراكية الشرق ، بل هى نابعة من تراثنا الروحى وقيمنا الاخلاقية الاجتماعية ، وهى اشتراكية مثالية جمعت المحاسن ومحت المساوىء وهى لا تلبى مطالب الجسد فقط بل تلبى مطالبه ومطالب الروح والعقل والنفس الانسانية الآدمية .

ا ـ فبينما توفر للجسد مطالب المطعم والمشرب والملبس والمسكن والتداوى وسائر مقومات الحياة الجسدية اذ هى توفر للعقل مطالب العلم والبحث والكشف والاختراع والثقافة والباب مفتوح على مصراعيه لكل مستعد للوصول الى أسمى مراتب العلم والبحث وقد صار التعليم بجميع مراحله بالمجان فى هذا العهد الاشتراكى السعيد ، ثم توفر للانسان مطالب الروح والايمان والعقيدة الصحيحة وجوانب الخلق الكريم والوجدان السليم وتوفر للنفس الآدمية الكرامة الانسانية والمساواة والعدالة الاجتماعية .

ب ـ واشتراكيتنا تستند الى اسس من الديمقراطية السليمة والتعاون الصحيح ، والمواطنون جميعا متساوون فى الحقوق والواجات ، ولهم حرية الرأى والنقد والمشاركة فى الحكم المحلى فى مجالسه على اختلاف مستوياتها ، وكل رأى سليم معتد به وكل مطلب صحيح يأخذ طريقه الى التنفيذ . والشعب كله يتعاون فى جلب المصالح ودرء المفاسد وافراده شركاء فى الامال والالام والمصير ، وهم كما صورهم الحديث الشريف كركاب السفينة ان تعاونوا نجت ونجوا وان اختلفوا هلكت وهلكوا .

جـ ـ واشراكيتنا ترتكز الى ركيزة من الدين الذى يجعل الناس سواسية كأسنان المشط والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح والذى يؤلف ويجمع ولا يفرق ويجعل المؤمنين اخوة والناس جميعا أقرباء يرجعون الى أب واحد وأم واحدة وقد خلقوا ليتعارفوا لا ليتناكروا و « المؤمن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف » وكل مؤمن رباه الاسلام على تحمل المسئولية نحو المجتمع والمجتمع كله قائم على التكافل ورعاية المصالح العامة والاخذ بيد الكل والضعيف وابن السبيل واليتامى والمساكين وهم أمانة فى عنق المجتمع ، وكل ما خلق الله من شىء فهو للبشر جميعا : « وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا » الذين يجمعون السلطة فى أيديهم ويكتنزون الاموال ويفرقون الامة ويجعلونها طعنات مفسدة فى الارض يبغضهم الله ولهم سوء العذاب « تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا » وعلى حكام المسلمين ان يردوا هؤلاء جميعا الى الصواب .

د ـ ان معركة الاشتراكية هى معركتنا جميعا ويجب ان نؤمن بها جميعا وندافع عنها جميعا وان نعمل جاهدين على تطبيقها فى سائر نواحى الحياة باخلاص ودفعها الى الامام دون انحراف حتى تعم البلاد العربية ، وفى ظل الحياة الاشتراكية ستتغير العقليات الرجعية والمفاهيم المنحرفة فالحياة فى ظلها :

١ ـ تعاون وتراحم ومشاركة لا تضارب وقسوة ومصارعة ، والفخر بالعمل لا بالحسب والنسب .

ب ـ خدمات متبادلة والموظفون خدام الشعب لاسادة ولا عبيد .

جـ ـ الحرية مقيدة بالصالح العام والمواطن ايجابى لاسلبى ولا انعزالى ولا مستغل .

د ـ ان الميثاق الذى قدمه السيد الرئيس للمؤتمر الوطنى للقوى العاملة واقرته الامة يقرر : « ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على ارضه بالحرية والحق ، وبالكفاية والعدل ، وبالمحبة والسلام وان العلم هو سلاح الثورة لكسب النصر الثورى ،

وان العمل شرف وحق وواجب وحياة ، ومعنى ذلك اننا فى معركة بناء الوطن على النحو الذى صوره ونحتاج الى الوسائل التى ذكرها من العلم والعمل والانتاج ، والذى يطلبه السيد الرئيس هو عين مايطلبه الدين فهو يريد منا العلم بالكون واسراره والاستفادة بكل قوة فيه كما يريد منا العمل الجاد وابتغاء أعالى الامور والبعد عن سفسافها والاسلام لا يتصور المرء السليم فى الجسم والعقل الا عاملا فى حقول الانتاج او حارسا على الانتاج ولا يتصور عاطلا قادرا على العمل أصلا ، أنظر الى قول الله تعالى فى سورة المزمل : « علم ان سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » فالمسلمون فى هذه الآية ثلاثة أقسام : مرضى ، وضاربون فى الارض يبتغون من فضل الله وهذا كناية عن العمل فى حقل من حقول التعليم والتجارة والزراعة والصناعة .. الخ .. ومقاتلون فى سبيل الله وحراسة الوطن وما ينتجه . فيبلغهم هذا كل مسلم وليكن اما عاملا واما جنديا مادام سليم الجسم .

اما العاطل بالوراثة او المتهرب من العمل فليس بمسلم ولا محل له فى الوطن الاشتراكى .

وبعد ..

فلقد كانت الدولة بين أن تقر الظلم الاجتماعى والاستغلال والطغيان وتحكم رأس المال وبين ان تقر العدل الاجتماعى والاشتراكية السليمة ، ولقد اختارت الثانى وما كان ينبغى لها ان تختار سواه ، وهى جديرة منا بكل تأييد ، وعلى الشعب أن يعرف حقوقه ومكاسبه ويدافع عنها ويعض عليها بالنواجذ وبخاصة بعد ان جعلته الثورة حامى الثورة ومجلسا للثورة وأعلنت ثقتها فيه التى لاحد لها كما جاء فى الميثاق :

« وان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه - وها نحن اولاء امام اشراك الامة فى التخطيط والرقابة والتنفيذ عن طريق مجالس الاتحاد الاشتراكى العربى من مجلس القرية الى مجلس الامة ، وكل ما نرجوه ان المواطن الواعى القادر على الخدمة العامة يتقدم ويندمج فى الجماعة ويضع يده ومجهوده فى أيدى ومجهود المواطنين ولا ينطوى على نفسه ولا ينعزل ولا يقف متفرجا ثم يقول للناس : ماذا عملتم فسيقولون له وماذا عملت والوطن وطننا جميعا فان اشد ما تبلى به الامة الانعزاليون المتفرجون طويلوا اللسان فى النقد قصيروا الباع فى العمل انهم هدامون لا بناءون ونحن فى عهد بناء وتشييد لاضخم بناء تاريخى هو اعادة مجد العرب وادراك عهد العزة وكما جاء فى الميثاق : « ان الانسان الفرد سوف يقرر مصير امته على الحقول الخصبة وفى المصانع الضخمة ومن فوق السدود العالية وبالطاقات المتفجرة بالقوى الهائلة المحركة ، وان معركة الانتاج هى التحدى الحقيقى الذى سوف يثبت فيه الانسان العربى مكانه الذى يستحقه تحت الشمس » .

فمن اراد المجتمع الاشتراكى فليندمج فيه ولينعم بمسؤولياته كاملة فى ظل الاتحاد الاشتراكى العربى ومن كره المجتمع الاشتراكى فليرحل غير ماسوف عليه .

سدد الله الخطا ووفق الرئيس جمال لصالح الاعمال .

الحكمة الطبية في تحريم المسكرات

الدكتور يوسف محمد عبده

هذا هو ثالث مقال فى هذه السلسلة التى التى تضمنتها آيات القرآن الكريم والسيرة النبوية المثالية فى مجال الارشاد الطبى

قال الله تعالى « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » حرم الاسلام الخمر وكل مسكر ، ووراء هذا التحريم حكمة بالغة ، لأنه كما عنى بمقومات الجوارح المنفردة والجسم عامة لأنها الأداة المنفذة للأفعال كذلك عنى عناية فائقة بجوهرة الجسم ومايسمو بها فى كل المقامات « الا وهى العقل » لأنها مصدر التوجيه ومنبع الاحساسات السامية ولأنها أساس التكريم والتكليف الذى خصه الله سبحانه وتعالى للانسان ، وفضله به على سائر المخلوقات : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » هذه الجوهرة يجب أن تصان من كل مايشينها أو ينقص من طاقتها أو يحد من أداء وظيفتها ولا بد أن نذكر فى هذا المجال أهم الأماكن المميزة فى تكوين مخ الانسان فعلى فص المخ فى الجزء القشرى منه توجد خلايا ومراكز الادارة العليا التى تصدر عنها كل ما يتعلق بالارادة والعزيمة والذكاء وخلافه من كل المواهب السامية هذه الصفات هى أغلى ثمار العقل لهذا كان لزاما أن ندرس أثر الخمور والمسكرات على وظائف المخ وغيره من الأعضاء لنعرف مدى الحكمة الالهية فى هذا التحريم ، ولا بد أن نتعرف تبعا لذلك على أنواع الخمور ونقارن بينها لنفصل بهذا التعرف على حقيقة ارتباط تكوينها بتأثيرها .

الخمر سميت كذلك لأنها نتيجة عملية تخمر فمن البلح والعنب والشعير والبصل وغيره يمكن أن نحصل على أنواع مختلفة منها اذ انه نتيجة لذلك يتكون الكحول الذى يختلف نسبته فيها والذى يعزى تأثير الخمور اليه فنجد أن نسبته فى البيرة حوالى ٦٪ ثم يتزايد فى الأصناف الأخرى مثل البراندى والكونياك .

ولعل المتسائل يسأل لماذا يقبل الناس على المغيبات ويخالفون أمر الله فيها ؟ انهم يطلبون نشوة سلبية عارضة ووهموا أن الانسلاخ من الحياة وكدحها ومتاعبها على هذه الصورة يريح أعصابهم ويدخل عليهم سرورا مزيفا لاينبثق عن أعماق الضمير المستريح ولا يستمد العون من الله الذى بيده العون

وحده فكأنى بهؤلاء القوم قد انحدروا من سماء السمو البشرى بعقله الواعى الموجه الى درك التحلل من القيم الروحية وما فيها من متع لأن تأثير الخمر ينصب على مراكز المخ العليا التى تهيمن على الارادة والعزيمة وكل المواهب السامية فى الانسان فهو يضعف قوتها ويخدرها الى حين وتختلف قوته ومدته حسب نوع المخدر وكميته ورد الفعل فى الشارب لهذه السموم هناك ناحية أخرى جديدة بالذكر والتمحيص للخمر قال الله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما »

لعل المتسائل أن يسأل عما فى الخمر من فوائد فيما ذكره القرآن ، والجواب على ذلك مادة الكحول التى هى مصدر التأثير فى الخمر لها بعض المنافع الطبية ، ففيها تذاب كثير من العقاقير التى تستخدم فى التداوى ، وقليله يفتح الشهية ويساعد على اتساع الشرايين وجلب الدفء

ولكن ألهذه المنافع المحدودة يترك الناس ليكتووا بنار مضارها

هناك حقيقة أخرى يمكن ان تكون محل مقارنة فى هذا الموضوع ، فالحيات والعقارب لسمومها بعض المنافع ، ومن السموم الناقعات دواء أيكون هذا داعيا لأن تترك الناس تلدغهم العقارب والحيات لينالوا شيئا مما يرجى من علاجها ؟ ..

ان الطب يتدخل فى ذلك فتحضر هذه السموم بالطرق العلمية السليمة التى تقلل من ضررها وتزيد من فائدتها العلاجية ثم توصف وتعطى للفئات من المرضى الذين يرجى لهم الانتفاع بهذا العقار وان ماطبق على هذه السموم يجب أن يشمل الخمر فلا تحلل الا لضرورة طبية يقرها العلم والضرورات تبيح المحظورات ولمدة محدودة بمقادير معينة هذا يعطى ما يمكن أن ينتفع الناس من الخمر والنتيجة النهائية أنها محرمة قطعا . الا فيما تقتضيه الظروف الطبية الطارئة

على أن للخمر مضارا كثيرة على أعضاء مختلفة من الجسم :

أولا الجهاز الهضمى ـ تتأثر المعدة تأثيرا مباشرا به فينتج عن شرب الخمر المستمر التهاب مزمن فى جدار المعدة يمتد الى الخلايا المفرزة للخمائر والنتيجة لذلك سوء الهضم المستمر .

والقولون والأمعاء الغليظة ، ينتج فيها التهاب مزمن أيضا يزيد من سوء الهضم السابق ذكره والكبد وهو من أهم الأعضاء فى الجسم يتأثر الى حد كبير بالخمور والنتيجة النهائية لهذا التأثير هو تليفها وما ينتج عنه من مضاعفات مثل الاستسقاء وهبوط الكبد الذى لابد أن ينتهى بالموت فى أغلب الأحيان

ثانيا وفى الجهاز الدورى يؤدى استمرار شرب الخمر الى .

١ ـ تصلب الشرايين وفقدان مرونتها ،وما ينتج عنها من :

أ) ارتفاع ضغط الدم .

ب) الذبحة الصدرية .

ثالثا ـ الأمراض العقلية .

لقد ثبت من الاحصائيات فى مستشفيات الأمراض العقلية أن أكثر نسبة فيمن فقدوا عقولهم وأصيبوا بالجنون وخسروا بذلك الهبة الكبرى التى وهبها الله للانسان .

والتى يسمو بها على كل المخلوقات كان نتيجة لادمان هذا المسكر .

هناك نواح اجتماعية لايمكن اغفالها ، فكم من جرائم ارتكبت تحت تأثير الخمر وكم من بيوت عامرة دكها ادمان أربابها على الخمور هذا عن الخمر ، أما عن المسكرات الأخرى مثل الحشيش والافيون فالتحريم يشملها أيضا لاسباب تزيد فى نواح وتنقص فى أخرى عما ذكر فى الخمر ولكنها تنتهى الى نتيجة حتمية وهى التحريم اليس فى كل ماذكر اظهار للحكم الالهية فى التحريم وانه انما قصد منه خير الناس ونفعهم وابقاء على نعمة الله الكبرى لهم وهى العقل ولمثل هذا فليتدبر العاقلون وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

الإسلام وطن المغتربين

الدكتور عفيفي محمود

« أتيح لكاتب المقال أثناء رحلته فى انجلترا أن يلمس عن قرب نشاط الجمعيات الاسلامية المنتشرة هناك .. والتى تضم آلاف المسلمين من مختلف أقطار العالم الاسلامى يؤدون رسالة الاسلام فى قلب الجامعات البريطانية » .

تضم جامعات بريطانيا بضعة آلاف من الشبان الذين ينتمون الى مختلف اقطار العالم الاسلامى كالهند وباكستان وايران وتركيا والصين وزنزبار والملايو ... بالاضافة الى بضع مئات من الدول العربية وفى مقدمتها مصر والسودان والعراق والأردن وتونس والمغرب والجزائر . وقد وفدوا أساسا الى هناك بقصد التخصص فى مختلف فروع العلم والمعرفة ... ولكن ما ان جمعتهم قاعات الدرس ومعامل البحث حتى تعارفوا وتآلفوا على اختلاف أجناسهم وألسنتهم ومشاربهم ... ذلك أن هناك رابطة أقوى من جميع روابط اللغة والوطن جمعت بينهم وألفت بين قلوبهم ، تلك هى رابطة الدين الاسلامى الحنيف .

وقد التام شمل الطلبة المسلمين فى كل جامعة من الجامعات البريطانية الكبرى فى اتحاد منظم يحمل اسم « الجمعية الاسلامية » .. وقد تعددت هذه الجمعيات وانتشرت فى مدن بريطانيا فهناك واحدة فى جامعة لندن وثانية فى جامعة اكسفورد وثالثة فى جامعة ريدنج ورابعة فى جامعة ليدز وخامسة فى جامعة ادنبره عاصمة اسكتلندة وغيرها ، حتى بلغ عددها فى العام الماضى ثلاث عشرة جمعية لها تشكيلاتها وانظمتها ، ولكل منها كيانها الخاص كجمعية رسمية فى اتحاد الجامعة تحصل منه على كل التسهيلات اللازمة لممارسة أوجه نشاطها المختلفة ، فلها قاعة لعقد اجتماعاتها وندواتها ومكان خاص فى لوحة الاعلان لنشر أخبارها .

وقد امتدت بى الاقامة فى مدينة « ليدز » بمقاطعة « يوركشاير » شمالى انجلترا عاما دراسيا أتيح لى فيه أن ألمس عن قرب مختلف أوجه النشاط التى تقوم بها الجمعية الاسلامية هناك .

فمن وقت لآخر كانت تعقد الندوات الثقافية حيث تناقش أهم القضايا الأخلاقية ، التى تكون لمناقشتها بين شباب الجامعة أهميتها الخاصة فى مثل ذلك المجتمع المادى البعيد عن القيم الأخلاقية والروحية ، وتلقى المحاضرات للتعريف بالاسلام ودرء الشبهات عنه بأسلوب علمى ومنطق هادىء . وتصدر الجمعية الاسلامية بجامعة ليدز نشرة دورية باللغة الانجليزية تعطى صورة عن رسالتها واهدافها .

وفى ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع كانت تنحى مقاعد الدراسة من احدى المحاضرات جانبا ، ويتوافد عليها طلاب الجامعة المسلمون لأداء شعائر الصلاة ، حيث تلقى خطبة الجمعة باللغة العربية وتوزع ترجمتها الانجليزية على من لا يتحدثون العربية من المسلمين .

وبالاضافة الى ذلك فقد اتخذ المسلمون فى مدينة ليدز لأنفسهم مسجدا صغيرا فى حى «تشابل تاون» وهو الحى الذى كان مستعمرة لليهود الى وقت قريب . ولم يبق فيه من آثارهم اليوم الا ناد بجوار حدائق « بوزلنج تورب » فى أطراف المدينة .

وفى المناسبات الدينية المختلفة كمولد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وعيد الهجرة تقام احتفالات تتسم بالطابع الاسلامى – الذى يكون له رواؤه الخاص فى جو الغربة – ويدعى الى هذه الاحتفالات أساتذة الجامعة ورئيس الاتحاد ويتحدث فيها الطلاب المسلمون بلغة انجليزية راقية شارحين لأساتذتهم وزملائهم الانجليز تاريخ هذه المناسبات وحكمة الاسلام فيها . وفى نهاية الحفل توزع الحلوى الشرقية على المدعوين .

أما فى عيد الاضحى المبارك فقد بلغ نشاط الجمعية الاسلامية ذروته فاقيم حفل عشاء كبير فى مطعم الجامعة حضره مندوب عن مديرها ودعيت اليه الهيئات الثقافية والدينية غير الاسلامية وبعض رجال الصحافة .

وفى صبيحة يوم العيد نحرت الذبائح على الطريقة الشرعية فى مذبح المدينة وتوافد أكثر من ألف مسلم على القاعة الكبرى فى دار البلدية التى أعدت لهم لكى يؤدوا فيها شعائر الصلاة .. وتجاوبت اصداء أصواتهم فى أرجاء القاعة تشق طريقها صاعدة الى السماء تحمل اليها نداء ألف مسلم وهم يرددون فى نفس واحد كلمات ذلك الدعاء الدينى الحبيب :

« الله اكبر ..! الله اكبر ..! الله اكبر ..! لا اله الا الله .. ولا نعبد الا اياه .. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .. »

وبعد انتهاء شعائر الصلاة تصافحت الايدى وتبودلت التهانى وقد نسى الجميع غربتهم وحرمانهم من أهلهم وديارهم ، وأنست قلوبهم وأرواحهم الى حظيرة الاسلام ، وأنعم بالاسلام وطنا للمغتربين .

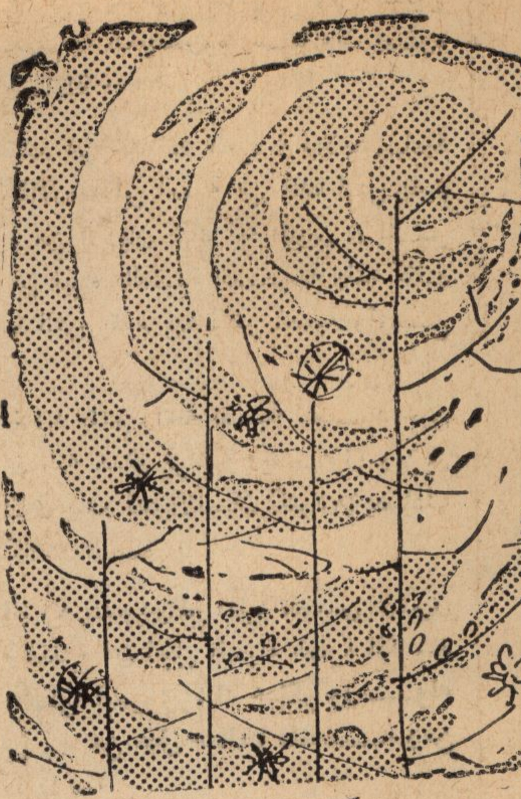

ان معظم الناس فى أى مجتمع من المجتمعات سواء اكان بدائيا أم من المجتمعات المعاصرة يرون أن الدين أمر لا بد منه وأن ممارسة النشاط الدينى أمر عام وظاهرة شائعة . والعقيدة الدينية بصورة ما وجدت لدى الانسان منذ وجد الانسان وهذا يرجع الى الحقيقة القائلة بأن الدين يخدم حاجات انسانية عامة ويحقق للفرد والمجتمع ألوانا من السلوك والقيم تحقق له توازنه. ففى المجتمعات البدائية نبت الدين ليمكن الفرد من مواجهة كثير من مشكلات الحياة ومتاعبها وأصبح الدين بالنسبة له فى فهمه غير المحدد والمضطرب وسيلته لحماية نفسه من قسوة الطبيعة المحيطة به ، من أمراضها وعواصفها

سيكولوجية الإسلام

الدكتور محمد صلاح الدين على مجاور

وحيواناتها ومن القحط والجدب والجوع والحرمان وغير ذلك من الظواهر المضنية المتعبة والتى لم يكن له من سلطان عليها وقد كانت فلسفته أن يرجع هذه الظواهر المخربة والتى تهدد وجوده وكيانه ووسائل عيشه الى قوى خارقة وفى محاولاته لحماية نفسه منها كان يلجأ دون فهم أو ادراك الى اله يتخيله أو آلهة يتصورها ويقيم لها الحفلات ويقدم القرابين ويتلو الأدعية وما شابه ذلك من ألوان الطقوس طالبا عفو الآلهة ودفع ما نزل أو ينزل به من أمراض أو كوارث .

هذا البدء غير المحدد للاتجاه الدينى وهذا الاضطراب فى فهم العقيدة والذى أصبح بحكم التطور الدينى والعقيدة الصحيحة فى عداد الخرافات قد تطور على مدى الزمن بمجىء الرسل مبشرين ومنذرين حتى تبلور فى تلك الأسس الدينية والى ما نسميه بالقيم الروحية لحياتنا الحاضرة •

فالدين اذن ظاهرة طبيعية اجتماعية وجدت مع الانسان منذ نشأته وأصبحت واحدة من تلك الظواهر التى تؤثر فى الانسان بدرجات متفاوتة عبر تاريخه الطويل وتوجه سلوكه وتسهم فى بناء قيمه على مر الأجيال حقيقة أن هناك صراعا بين مادية وروحانية أو بين دينية أو لا دينية ولكن هذا فى حقيقة أمره لا يغير من الواقع الملموس ، فالدين اتجاه أساسى فى حياة الغالبية العظمى من سكان العالم بل ان **هؤلاء الذين يتجهون اتجاها غير دينى يشعرون فى قرارة أنفسهم وبين الحين والحين بعجزهم عن تفسير كثير مما يتعلق بأنفسهم او بالعالم من حولهم ويحسون فى كثير من اوقات حياتهم ان هناك قوة غالبة موجهة وأنهم أيضا فى حاجة الى النجدة من هذه القوة خلال الأزمات •**

ان الصراع الفلسفى القائم على الصعيد العالمى بين من يناهضون الدين ومن يناصرونه انما هو صراع فى الواقع على أى الحياتين أولى بجهد الفرد ونشاطه فأصحاب الاتجاه المادى يرون أنه لا حياة هناك الا الحياة الحاضرة فهى لهذا احق بنشاط الفرد وجهاده من أجل العيش فى مستوى ملائم • والاتجاهات الأخرى ترى أن الحياة الآخرة هى حياة الخلود والبقاء فهى أولى بالجهد والنشاط والاتجاه نحو الخالق **والاسلام فى فهمه للدين يقف موقفا وسطا ويؤمن باهمية كل من الحياتين وهو يرمى الى ان يمكن الفرد من أن يدرك الطريق الأكثر ملاءمة للتعامل مع كل منهما وليوضح له مكانه ودوره فى علاقته بربه وفى علاقته بالمجتمع الذى يعيش فيه فهو فى الواقع عقيدة وسلوك، فلسفة ومنهج ومن ثم كان مبدؤه « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »** • وكان حتما أن يتعمق المشتغلون **به فى فهمه عقيدة وما يتصل بها وسلوكا وما** يرتبط به وأن يعرفوا السبيل أقوم السبيل الذى يمكنهم به أن ينشروه رسالة وأن يعمقوه أسلوبا ومعاملة •

والاسلام فى خدماته الفردية والاجتماعية يقوم بوظائف أكثر أهمية من تلك التى يقوم بها غيره من الأديان ذلك أنه الدين الأكثر ارتباطا من غيره بالعقيدة الصحيحة ولذا كانت الوظائف التى يقوم بها أكثر أهمية وأوسع مجالا •

أولا : انه يقدم راحة نفسية للفرد حين يعرف ان الله هناك يراقبه ويعاونه ويزيل التوتر الذى يبدو لدى الانسان لكثرة ما يصادف من مشكلات الحياة •

ثانيا : انه يقدم دوافع ذاتية للجنس البشرى للعمل والكفاح من أجل الحياة الحرة الكريمة **« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »** •

ثالثا : أنه يجعل من الأشخاص أفرادا اجتماعيين توحد بينهم عقيدة التوحيد النقية الصافية وتحكمهم قيم ومعايير يرتضونها فيما بينهم •

رابعا : أنه يساعد الفرد على التكيف للحياة وعلى مكانه فى المجتمع واهتمامه بتأدية دوره فى أمانة وثقة واخلاص •

خامسا : أنه يقيم علاقات اجتماعية أساسها المحبة والثقة والوفاء ، علاقات مثالية اذا ما اتبعت هذه القيم •

سادسا : أنه يبنى عديدا من القيم والمعايير هى من غير شك تمثل أعلى المستويات والمجتمع يتبنى هذه المعايير والقيم ويستخدمها فى اطاره الاجتماعى موجهة للسلوك الانسانى فيه بحيث تكون النتيجة النهائية التكامل والتنظيم للمجتمع وفى بناء القيم قد يعمل الدين أولا والمجتمع يستجيب ويتبنى وأحيانا يعمل المجتمع فى تفاعله معاييره وقيمه ثم يأتى الدين فيدعم من هذه القيم والمعايير ما يتلاءم مع اتجاهاته وهذا من غير شك يكشف عن الدور الكبير الذى يقوم به الدين فى التأثير

على النظام الاجتماعي السائد ولا عجب فالاسلام عقيدة وسلوك •

سابعا : انه يستخدم كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي والضبط الذاتي وبخاصة فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي •

ثامنا : انه يساعد الفرد في عملية التكامل الاجتماعي والذاتي • والقيمة الوظيفية للاعتقاد الديني في ضبط السلوك تبدو عميقة متسعة فكما يقول أحد الكتاب « **ان الخلق والفضيلة وثيقا الصلة بالدين** » فالخطأ والذنب من وجهة نظر المتدين أمر ضد قوانين الاله فالدين قوة مؤثرة لها تأثيرها على فلسفة الحياة بالنسبة للأفراد وفكرة الشخص عن الاله وعن علاقته به تسيطر بدرجة كبيرة على سلوكه وعندما يتشرب المرء هذه الافكار تصبح جزءا من حياته الداخلية وبهذا تأتي القوة الدينية المؤثرة من الداخل وبذلك يتكون الضمير الديني وبتكوين هذا الضمير يأتي الدافع القوى نحو فعل الخير والبعد عن الشر • وان كان لا يلزم أن يكون بين الخلق والدين تلازم •

والاعتقاد الديني ـ كما ينص الاسلام ـ من غير شك يمكن أن يقدم شعورا بالأمن والاطمئنان موجها للحياة الاجتماعية ودافعا لكل ما هو حق وصحيح ولكن هذه الحصيلة المرغوب فيها تعتمد بدرجة كبيرة على ما يمنحه البيت والمؤسسات التربوية والدينية للناشيء من فهم صحيح للاسلام ومبادئه وأفكاره واتجاهاته •

وفوق هذا كله من الأدوار التي يؤديها الاسلام للفرد والمجتمع نجد الاعتقاد الديني فيه بصفة خاصة حاميا لهؤلاء الذين يبحثون عن العدالة في مجتمع ما من الوقوع فريسة لفلسفات مادية تعيش على تحطيم القيم وازدراء الدين نفسه وتؤمن بالهدم والتدمير وتحاول بالغش والتمرد والخداع وباسم المادية البحتة أن تبث في الشباب روح التمرد على الآخرين واحتقار ما يقره المجتمع من قيم ومثل • فالاسلام من غير شك يقدم الكثير من الاجابات عن التساؤل الحائر لدى الكثيرين ويميل الى أن يتزود الشباب بالمناعة ضد هذه الاتجاهات •• **هذا والدين أساسا يرمي الى أن يزيل رواسب التفكير البدائي ويبعد بالفكر الانساني عن مستوى الخرافات ويلاحظ أن الذي اكتسب السلامة العقلية من الناحية الدينية يقيم بينه وبين الخرافات سدا منيعا ، والمهم أن الاسلام يميز الدين من الشعوذة والعقيدة الصحيحة من الأوهام والضلال وهو وسيلة الانسان للملاءمة بين حياتيه الأولى والآخرة وأن يعمل لا بارادته فحسب بل مراعيا في عمله أيضا ارادة الله ، فواجب القائمين على التربية الدينية من المؤسسات أو المدارس أو الأسر أن يحموا الدين من الشعوذات الشائعة والتي قد تعوق الفهم الصحيح لهذا الدين •**

ان الأهمية السيكلوجية للسنوات الأولى من النمو الانساني تتطلب أن يكون هناك تركيز على الدين في مرحلة الطفولة واهتمام به حتى ينشأ الطفل متدينا • وتكوين الضمير الديني في هذه المرحلة يستمد كثيرا من بذوره واتجاهاته من مصادر بدائية تعود كلها الى الرغبة في اشباع حاجاته وبالضرورة فالطفل لا يولد متدينا فكل انسان يولد على الفطرة وهو منذ ولادته يقع في صراع مع البيئة المحيطة به وهو في صراعه هذا ينشد اشباع حاجة من حاجاته ولعل أول هذه الحاجات النفسية هي الاطمئنان فالطفل المطمئن الذي لا يخشى شيئا من ظروف البيئة المحيطة به لوجود من يحميه تكون انفعالاته سارة فيشعر بالحب للناس ويرى حبهم له ويحس بالصداقة والمرح وعلى العكس من ذلك فالطفل غير المطمئن تكون انفعالاته غير سارة فيحس بالخوف والشك والغيرة والغضب لأتفه الأسباب •

ولا شك أن مثل هذه الانفعالات تكون الشخصية عبر الحياة • ولذا كان من الضروري جدا الانتباه الى مثيرات هذه الانفعالات •• والانسان طفلا كان أم كبيرا في بحثه عن الاطمئنان يعتمد بدرجة كبيرة على الآخرين وبخاصة أبويه في طفولته ثم على الاخرين في المجتمع الذي يعيش فيه • هذا الاعتماد يلازم الفرد مدى حياته والاعتماد على الخالق سبحانه من وجهة نظر الاسلام أسمى انواع الاعتماد

وهو المحور الأساسى للحياة الدينية كلها وبهذا يتحقق بهذا الاعتماد الاطمئنان الذى يمكن الفرد من التكيف مع مجتمعه بنجاح •

والفرد كذلك فى حاجة الى خبرات جديدة ويميل الى استكشاف العالم ما يقع تحت حسه وما لا يقع وللدين علاقة بهذا الكون الذى يريد الفرد التعرف عليه فهو يمده بالاجابات الصحيحة عما يثار لديه من اسئلة ويكشف له عن الكثير مما خفى عليه سواء أكان ذلك فى العالم الواقعى أم فيما وراءه • وفى ازدياد للخبرات فيما يتعلق بهذه الجوانب •

كذلك يحس المرء دائما ومنذ حداثته بالحاجة الى التقدير فهو يحب أن يرى نفسه مقدرا من الآخرين محترما فيما بينهم وهذه الحاجة وان لم تبد واضحة فى السنتين الأولى والثانية من الميلاد الا أنها تبدو واضحة فى سلوك الطفل بعد أن يتم ادراكه لجزء من المجتمع المحيط به وهو اذ يرى نفسه مقدرا يحس بالراحة النفسية التى تسبغ عليه الأمن وتحقق له السكينة وتوفر له الاستقرار • **ولا شك أن مبادىء الاسلام وما فيها من تقدير للفرد وايمان به من أقوى الدعائم فى خلق الشخصية المتزنة المتكاملة التى يهدف الاسلام دائما الى أن يكون كل أفراد مجتمعه يمتلكونها • ان الاسلام ينمى فى الفرد دائما احساسه بذاتيته وشعوره بكيانه حتى يتم هذا التكامل فى أسمى صوره التى تكون شخصية الانسان •**

ولا ننسى أن هناك حالة من الصراع بين الأفكار الدينية والأفكار المادية تبدو بوضوح لدى الشباب وهم يأخذون هذه الأمور بجدية دائما لأنهم لم يعرفوا بعد كيف أنه كان من السهولة على كثير من الكبار أن ينتقلوا من مرحلة الصراع هذه الى مرحلة الثبات والاستقرار والدور الخطير للتربية الدينية أن تعمل على أن يخرج الفرد من مرحلة الصراع هذه الى مرحلة الاستقرار دون شعور بآلام نفسية ودور الآباء والمؤسسات التعليمية والدينية فى هذا دور خطير ومسئولية كبيرة •

وبعد فهذه لمحات عن سيكلوجية الاسلام يمكن أن توجز فى جمل قصار •

أولا : انه دين يتطلب تلاؤما بين الايجابية والسلبية ، بين دوافع الحياة ودوافع الموت وفى هذه الناحية يدعو الى الشجاعة والفكر الروحى من ناحية ويقدم للفرد راحة واطمئنانا من ناحية أخرى •

ثانيا : أنه يهدف الى تكوين الشخص المتكامل ليتم خلق المجتمع المتكامل •

بقية مقال موكب النور

هام قلبى بين السموات والافلاك
يسعى اليـــه من كل درب
ثم لما سجدت فى الروضة الغراء
أرمى عن كاهــــلى عبء ذنبى
خلت قلبى ألقى النياط جذورا
فى جنان الهوى لغرسة حبى
فانشد يا امام لا ترفع الرأس
سراعا تـــكاد تجتث قلبى

وأخيرا فانى أعترف أن هذه العجالة كانت تحية لموكب النور الذى أسعده الله يحج مشارق الهداية ومطاف الملائكة وشهوده هيئة الامم الاسلامية المتحدة التى يسودها الاخاء والوئام والامن والسلام .

أما تقديرنا للشاعر الروحى المعاصر « عمر بهاء الدين الاميرى » فقد سبقنا اليه مجمع الاستشراق فى موسكو والبروفسور « ابربرى » استاذ الادب بجامعة كمبرج حيث ترجم بعض قصائده ، ووزارة الخارجية الالمانية التى ترجمت الديوان وقدمت له بمختارات من الشعر الالهى الالمانى فى ألف عام وقالت : « تحيــــة للديوان وصاحبه وتقديرا له باعتباره أنه أثبت وجود الادب الروحى اثباتا انسانيا عاما فى الانتاج الادبى المعاصر فى زمن طغت فيه الاتجاهات المادية وتحكمت فى مختلف مرافق الحياة » وحسبه تقدير امام مفكرى الاسلام والعروبة فى العصر الحديث استاذنا المرحوم العقاد له فى رسالة بعث بها الى الشاعر يقول :

« ديوانكم مع الله آيات من الترتيل والصلاة يطالعها القارىء فيسعد بسحر البيان كما يسعد بصدق الايمان وهو دعاء يتكرر ويتجدد ولا يتغير وثوابكم من الله عليه يغنيكم عن ثناء الناس وانه على الثناء موفور وعمل مشكور فتقبلوا منى شكره واغنموا من الله أجره »

الإسلام والمساواة

الأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

المساواة من القضايا الاساسية التى وجه الاسلام اليها عنايته ، وجاهد النبى صلوات الله عليه فى سبيل تحقيقها وطبع النفوس على تقبلها والعمل بمقتضاها . ذلك لان المساواة حق انسانى عام يشترك فيه كل بنى الانسان بحكم انسانيتهم التى برأهم الله عليها .

والاسلام وهو دين الانسانية ما كان له أن يترك هذا الجانب الهام فى حياة البشر بدون أن يسلط عليه الاضواء ، ويبدد الظلام الذى يكتنفه ، ويحسر الاوهام التى تراكمت من حوله على مر العصور ، يؤكدها حب التعالى والسيطرة وتنازع الناس فى اصولهم حتى تحولت المجتمعات الانسانية كلها الى طبقات وطوائف تفصل بينها حواجز منيعة من التقاليد الباليةوحب السيطرة والاستعلاء

وقد بلغ من عنف هذه الحواجز أن بعض القبائل العربية كان يعتقد ان دماء الرؤساء بما امتازت به من سمو وتفوق تشفى من بعض الامراض المستعصية على حد قول شاعرهم

.. وماؤهم من الكلب الشفاء

وبدأ الاسلام لاول لحظة يزيل من النفوس هذه الاوهام المسيطرة بتذكيره للانسانية أن أصلها واحد ، ومن كان متحد الاصل ليس له أن يدعى أنه يمتاز على غيره ممن يشاركه فى الانحدار من ذلك الاصل الواحد .. (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام .. » « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فالناس متساوون فى الحقوق والواجبات لاتفاضل بينهم الا على اساس مايقدمونه من عمل نافع . ومايبدونه من كفاية ونجاح فى تحقيق الخير العام لبنى البشر جميعا .. الناس سواسية كأسنان المشط .

اما ماتقوم عليه المجتمعات من تمايز على اساس اللون او الجنس أو الطبقة أو الطائفة التى ينتسب اليها الفرد فهذه أسس منهارة ظالمة تعاند الطبيعة الانسانية ولا تتفق مع مكانة الانسان الذى كرمه الله بالعقل وسخر له قوى الكون ينتفع بها ويوجهها لخير المجتمع البشرى وسعادة الانسانية .

ولا ينسى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يعلن للناس دستور الاسلام وأسسه فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع ـ ان يؤكد هذه الحقيقة ويضعها تحت أسماع المسلمين جميعا فى هذا الموقف الجامع تاكيدا لآثارها وحرصا على أن تحتل من نفوس المسلمين مكانة التقديس والرعاية الكاملة . حين يقول « ايها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد . كلكم لآدكم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب »

وبهذا أكد النبى فى نفوس أصحابه المساواة التامة فى القيمة الانسانية بين الناس جميعا ، وكان صلوات الله عليه لايدع أمرا يلمح فيه انتقاصا من هذه القيمة أو اهدارا لها الا أخذ يدافعه بعنف ويرفضه بشدة فلم يكد يرى اباذر الغفارى يقف موقفا يعير فيه آخر بسواد امه حتى يبدو الغضب فى وجهه ، ويقول (طف الصاع طف الصاع ـ يعنى تجاوز الامر حده ـ ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح » ويستشعر أبو ذر مقدار ماوقع فيه من خطأ فيضع خده على الارض ويقول لمن كان يعيره منذ لحظات . قم فطأ على خدى .

ويتقدم النبى خطوة اخرى ليؤكد هذه القيمة تأكيدا عمليا حتى يألفها المجتمع ويأخذ بها فيزوج ابنة عمته القرشية الحسيبة من مولاه زيد بن حارثة

ارسى النبى قواعد المساواة منذ اربعة عشر قرنا فى عالم تقوم مجتمعاته على التمايز الطبقى والعنصرى ، وانساب أصحابه فى مشارق الارض ومغاربها يعلنون للناس أن لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى والعمل الصالح ونعم الناس فى ظل ظليل من المساواة .

هذا هو ماحققه الاسلام منذ أربعة عشر قرنا . وهذا يدعونا الى أن نلقى بأبصارنا الى ماتعانيه الانسانية على أيدى دعاة الحضارة الزائفة من اضطهاد عنصرى ذميم وتفريق ظالم بين بنى البشر قائم على الاختلاف فى اللون وكم جرى من أحداث على مسرح هذه البلاد كان سببها التمسك بهذه الفروق الجائرة التى لم ينزل الله بها من سلطان ، ووضعت حدود لتفرق بين البيض والسود

فى دور التعليم والمصحات والمواصلات واماكن الطعام • فاذا ماحدث وتخطيت هذه الحدود قامت قيامة البيض وهاجت الفتنة وسالت الدماء ، يقع هذا فى القرن العشرين فى بلاد تزعم انها زعيمة العالم المتحضر ، ولا زالت هذه الفوارق الظالمة توجد هوة عميقة بين افراد المجتمع الامريكى ولم تستطع عقليته ان تتغلب عليها حتى الآن • وعلى الرغم من هذه الوصمة التى تدمغ المجتمع الامريكى ومن يؤمن معه بالتفرقة العنصرية فانهم لايكفون عن ادعائهم العريض فى انهم يحرصون على حقوق الانسان وينادون بها • ونسوا او تناسوا انهم يهدرون اقدس هذه الحقوق وهو حق المساواة بين بنى الانسان جميعا •

وفوق ذلك كله جاءت عبادات الاسلام كلها تؤكد فى قلوب المسلمين هذه الحقيقة وتطبع عليها مشاعرهم حينما يقفون جميعا بين يدى الله فى صلواتهم يتجهون اليه بالمناجاة ويولون وجوههم شطره ليس هناك مكان للكبير وآخر للصغير ولا موضع للابيض وآخر للاسود بل الكل بين يدى الله سواء •

وكذلك الحال فى الصيام والزكاة وسائر العبادات الاخرى واظهر ماتتجلى المساواة فى الحج حينما ينتظم الجميع فى ملبس واحد لامجال فيه للتفاضل ولا للتباهى بالغنى والجاه والسلطان ولا لاى مظهر من مظاهر الدنيا وزينتها الفانية الزائلة فالكل يرتدى ازارا ورداء من صنف واحد ولون واحد وعلى هيئة واحدة لانهم اتجهوا وجهة واحدة وقصدوا ربا واحدا وهتفوا بنداء واحد • لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك . لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وفى هذا الجو المشبع بالروحانية السامية تهفو القلوب الى بارئها تناجيه وتستمطر رحماته وترجو رضاه وتامل ان تحل عنده فى محل القبول • وقد نزعت عن نفسها كل مظاهر التمايز والتطاول والتعالى فى هذه الحياة •واقبلت نحو رحابه فى خشوع وخضوع وامل واسع عريض أن تعود من هذه الرحلة وقد نالت حظها من رضاه وتزودت بطاقات من الخير والهدى والايمان تعينها على ان تحقق الخير فى محيطها وتكون عاملا من عوامل النجاح والاستقرار فى هذه الارض بما اكتسبته فى هذه الرحلة الروحية البعيدة الاثر فى صفاء النفس وقوة الارادة ونقاء الروح

من هذا المظهر المشبع بكل الوان المساواة يخرج المسلم الى معترك الحياة الواسع العريض وقد ثبت فى يقينه واستقر فى ضميره ان لافضل لاحد على احد الا بما يقدم للمجتمع من خير وما يبذل من جهد وطاقة فى سبيل اسعاد الانسان وتحقيق خير البشر ، فلا يجد بعد ذلك فى وجدانه سبيلا الى النقص من حقوق الآخرين او محاولة الاستعلاء عليهم واذا ماحدثته نفسه بشىء من ذلك فان رصيد الهدى والحق والخير الذى يعمر به وجدانه لايلبث ان يلفته عن هذه النزعة ويعيده الى سبيل الانسانية الراشدة •

وبعد ان يثبت الاسلام فى نفوس المسلمين القيمة الانسانية لبنى البشر كما راينا ياخذ فى اقرار هذه المساواة فى الحقوق والواجبات العامة فى هذه الحياة لانها نتيجة منطقية لتحقيق القيمة الانسانية فكل الناس امام الحقوق والواجبات سواء يطالب بها الكبير كما

يطالب بها الصغير ويلتزم بادائها الغنى كما يلتزم الفقير بل يزيد الغنى من التزامات الغنى تبعاته نحو افراد المجتمع الآخرين ، بل تزداد المساواة فى الحقوق والواجبات وضوحا اكثر من ذلك حينما تساوى بين الحاكم والمحكوم على السواء • ولعل الاصل فى ذلك هو ماروى ان امراة من بنى مخزوم سرقت ووجب عليها الحد فاهم ذلك عشيرتها وحاولوا أن يكلموا رسول الله ليعفيها من اقامة الحد عليها وتوسلوا اليه باسامة بن زيد رضى الله عنهما وكان يسمى حب رسول الله لمكانته عنده • وماكاد اسامة يكلم النبى صلوات الله وسلامه عليه فى ذلك حتى بدا الغضب فى وجهه الشريف وقال له : أتشفع فى حد من حدود الله يااسامة ؟ ثم دعا الناس الى المسجد وخطب فيهم قائلا : ايها الناس انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد • والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها •

وبهذا القول الحاسم ارسى الرسول صلوات الله وسلامه عليه قواعد المساواة فى اقامة الحدود والاخذ بالتبعات مهما كان الامر ومهما كانت شخصية الجانى ومركزه الاجتماعى لان حق المجتمع وامن الجماعة مقدمان على كل اعتبار •

وهذا التوجيه هو الذى استوحاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما جاءه احد المسلمين يشكو له تصرف عامله ابى موسى الاشعرى وتجاوزه الحد بعدوانه عليه بالضرب فما كان من عمر الا ان بعث الى ابى موسى يدعوه ان يمكن الرجل من حقه ويعطى القصاص من نفسه له ان تبين ان الحق معه • ولم يجد ابو موسى مفرا من الاستجابة لامر الخليفة لانه امر الاسلام ، وحاول وجوه الناس ان يصرفوا الرجل عن القصاص من الوالى فابى كل الاباء ، وجلس ابو موسى الوالى والامير وصاحب السلطان امام رجل من عامة الناس لياخذ حقه ولم يقدر سلطان الولاية ولا جاهها ان يمنعا ابا موسى من أن يعطى الحق من نفسه لرجل ضعيف كل سنده امر الاسلام ومبادئه وبدا السلطان والجاه والامارة ضعيفا امام قوة الحق وعظمته ومبادىء الاسلام وسلطانها وفى ذلك المجلس الذى تهيا فيه ابو موسى ليقتص منه لم يحل بينه وبين القصاص مانع من موانع الارض وقوتها تشرق فى نفس المعتدى عليه عظمة الاسلام وهيبته وينااله طائف من عزة الحق ولذة العفو عند المقدرة يعلن انه قد عفا عن الامير وتنازل عن حقه لله لا لاشىء سواه • بعد ان يتبين للجميع ان الحق فى منطق الاسلام هو الغالب والحاكم والموجه للامير وللرجل العادى •

ولعل فى قصة جبلة بن الايهم آخر ملوك غسان دليلا آخر على حرص خلفاء الاسلام على أن يرسوا قواعد المساواة بين الناس وينتزعوا من اذهانهم الى الابد التفاخر بالانساب والاحساب والاعتزاز بالجاه والسلطان حينما لطم جبلة رجلا من فزارة لانه وطأ ازاره فحله وهو يطوف بالكعبة فشكاه الرجل الى عمر فاستدعى عمر جبلة واخذ يساله عن دعوى الفزارى ومن خلال المناقشة يتبين تمسك عمر بتحقيق المساواة كما جاء بها الاسلام فقال له عمر :

ما الذى دعاك ان لطمت اخاك هذا الفزارى •

- انه ليس باخى انى ملك وهو سوقه

- ان الاسلام قد سوى بينكما

-لقد كنت ارجو ان اكون فى الاسلام اعز منى فى الجاهلية

- وهو كذلك ، فاما ان ترضيه واما ان اقتص منك

وتمضى القصة الى غايتها • والذى يعنينا منها ان نتبين مدى حرص الاسلام ورجاله على تحقيق هذه المساواة وتركيز معانيها فى نفوس افراد المجتمع وتحطيم الحواجز التى صنعها البشر من الاعتزاز بالقبلية والجنس واللون تلك الفروق التى ماانزل الله بها من سلطان •

على هامش .. انتصار كلاى

الاسلام دين السماحة والمساواة

الأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد

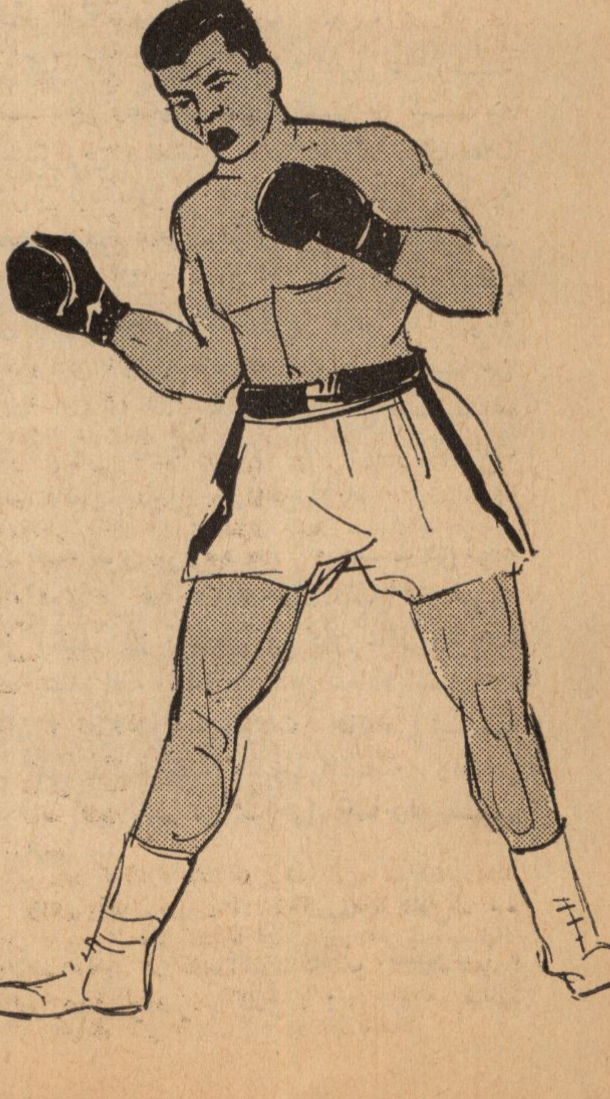

انه لحدث جلل قمين حقا بانه يهز ضمير العالم ، ذلك الذى تفجر ـ من فوق « منبر » عجيب ! ـ مدويا ، رائعا ، مجلجلا ٠٠ على أديم « حلبة مصارعة » رياضية ٠٠!

أجل ٠٠ تحت بهرج الأضواء الساطعة ٠٠ وفى مواجهة الكثير من عدسات آلات التصوير على اختلاف شكولها وألوانها ، من سينما وصحافة وتليفزيون ٠٠ وبين هدير الهتاف الجماعى من آلاف الحناجر تحيى البطل الزنجى الأمريكى « كاسيوس كلاى » وتبارك انتصاره الفذ الباهر على الملاكم العنيد العتيد، قوى المراس بعيد الصوت ، « ليستون » !

و ٠٠ ماذا كان ينتظر من « رياضى شاب » مثل « كلاى » أن يقوله وسط دوامات تلك والمعمعة من المغريات التى تخلب لب الكهول ـ بله الشباب ـ وتدير الرءوس ، أكثر الرءوس زكانة وتعقلا ؟! ٠

لو أنه ـ ذلك الفتى الأسود الذى انتزع ـ أخيرا ـ نصرا كذاك ٠٠ مؤزرا مبينا ، عمل له بجهد مخلص ، ودأب يحدوه الايمان العميق بأنه ـ لا بد ـ واصل الى الهدف الذى اختطه بادىء ذى بده لنفسه ، ووضعه منذ أول الشوط نصب عينيه ٠٠ أقول لو أنه وقف مبهورا مشدوها فى خضم تلك الضجة الكبرى يتمتم ببعض كلمات الفخار والزهو ٠٠ لما كان من المستغرب أن يصدر عنه مثل ذلك الكلام العادى المعاد ، من حيث انه ـ مثلا ـ ما انتصر الا لأنه يسير على نظام كذا وكيت ٠٠ و ٠٠ و٠٠ الى آخر كل ما ألفناه يقال فى مثيلات هاتيك المناسبات الجسام !

أما الذى قرع الآذان ، وبهر العيون ، وهز النفوس ، وشغل الصحائف فنبه غوافى الضمائر ٠٠ فهو أن «كلاى» نفسه ، ذلك الزنجى الفتى ، المنتصر فى ساحة الانتصار ، لم يكن عاديا ٠٠ ومن ثم فلم يأت قوله عاديا ٠٠ ولا معادا معتادا! ٠٠!

لقد وقف «كلاى» بين مظاهر ذلك العباب الزاخر بالأضواء ، والهتافات تكاد تنشق لها

الحناجر ، والتصفيق الحماسى يدمى الأكف •• •• بهدوء وباعتداد •• وببساطة المؤمن الواثق ذى الايمان القوى الذى لا يحتاج مزيدا من ضجيج لتثبيت قوته •• أعلن « كاسيوس كلاى » أنه يشهد الجمع الغفير على أنه اعتنق دين الحق والسماحة والمساواة •• أعلن لكل ملايين العالم أنه ، من أجل قضية بنى جنسه من زنوج أمريكا ممن لم ينتصف لهم - بعد - قانون له ما لكل ما للقانون من هيبة ورسوخ ومضاء •• أشهر اسلامه !•• وأشهد الملأ على أنه مسلم •• مسلم •• وأنه سيؤدى - بمشيئة الله - فريضة الحج هذا العام !

ان هذا الحدث العظيم له من الأبعاد ، والدلالات الجوهرية ، أكثر بكثير مما ينبىء به مجرد ظواهر الحدث نفسه •• فليست المسألة هنا أن الاسلام كسب الى حظيرته « فردا » فاء وأناب فأضاف الى الملايين « واحدا » عددا •• ان المعنى ليس بـ « الكم » بقدر ما هو بـ « الكيف » ، اذا جاز لنا فى هذا المقام استعارة مثل هذه الاصطلاحات التى يتداولها نقاد الأدب ••

فالاسلام - دين العزة والسماحة - يعلمنا كيف أن الله - سبحانه وتعالى - عندما يخاطب « محمدا » نبيه الكريم ، يقول - سبحانه - له: « فذكر انما أنت مذكر •• لست عليهم بمسيطر » •• والله جل وعلا يأمر النبى بأن يعلن فى تبيان ووضوح لمن لم يفىء الى الحظيرة أن : « لكم دينكم •• ولى دين » •• لا اكراه ! •• والآية الكريمة الثانية تضفى على المعنى الأول أصالة القوة والتوكيد : (لست عليهم بمسيطر » •• لا سيطرة فى الاسلام •• فليدخل فى دين الله - أفواجا ، أو فرادى - من غمر الايمان الحق كل حنايا قلبه •• عندئذ ما أسعده ، وما أسعد الاسلام به !

فانه لأكرم للدين - أى دين - أن يفرد جناحيه يستظل تحتهما « عبد » جاء طائعا مقتنعا مختارا •• من أن يزدهى تيها واختيالا بفئة من عشرة أو عشرات سيقوا اليه سوقا ، بدوافع أخرى غير دافع اليقين ، والايمان ، والاقتناع ••!

و « كلاى » كواحد من أبناء جلدته •• ذاق مرارة الاضطهاد العنصرى فى بلد « متحضر ! » مثل أمريكا •• للسود فيها أحياء وحدود لا يتجاوزونها على غير ما للبيض من كل الميزات « البشرية » •• فجرع المسكين غصص الهوان مضاعفة العلقم !••

فهو - وهو « الملون » المنبوذ - قد أرهف حسا ، حتى لتتجسد فيه وحده كل آلام ومشاعر « الملونين » من بنى قومه •• وقادة الظلم الصارخ الذى يجالده ويكابده الى تخطى حدود ميدان « الحلبة » الى آفاق أخرى أسمى وأرحب •• فراح ، ومن قديم ولا ريب ، يقارن بين التعاليم والنواميس ، ويزن المناهج ، ويفاضل بين الرسالات ، حتى قر على قرار ، ومن ثم أسر فى نفسه أمرا ••

وأكاد أجزم بأن ايمان « كلاى » ليس غيره أولا ، هو الذى أمد عضلاته الفتية قوة خارقة فوق ما لها من قوة ••

كما أكاد أتخيل ابتسامة المقبل على تحد هائل رهيب كانت ترتسم على شفتيه السمراوين الغليظتين وهو ينازل جبارا عتيا مثل « ليستون » •• فما أن كانت الضربة القاضية فى الجولة الأخيرة حتى أخذت الابتسامة الغامضة الموارة بخفى المعانى تنطلق الى آخر حدود انطلاقاتها على أديم ذلك الوجه البرونزى الوسيم الصلد ، وانفرج الفم عن تلك الصيحة الداوية التى ما برح صداها يترجع فى الآفاق ، يرج الأسماع ويثير التعليقات والى المقبل الطويل من آتى الأيام ••

تحية لدين عزة مسماح •• بسيط فى قوته •• قوى فى غير عنف •• لا فضل فيه لعربى على أعجمى الا بالتقوى •• دين عادل أكرمنا فيه عند الله أتقانا •• دين عماده المساواة ، وأن لا تفرقة ولا عنصريات ، فالناس فيه - كلهم - سواسية كأسنان المشط •• والناس فيه - كل الناس - أحرار كما ولدتهم أمهاتهم ••

ذلكم - لا ريب - ما تذوقه « كلاى » •• ذلكم - لا جدال - هو « الفاعل المعنوى ! » الذى هدى ونصر « كلاى » !

محرم الحرام

الأستاذ محمود لطفي عبد الكريم

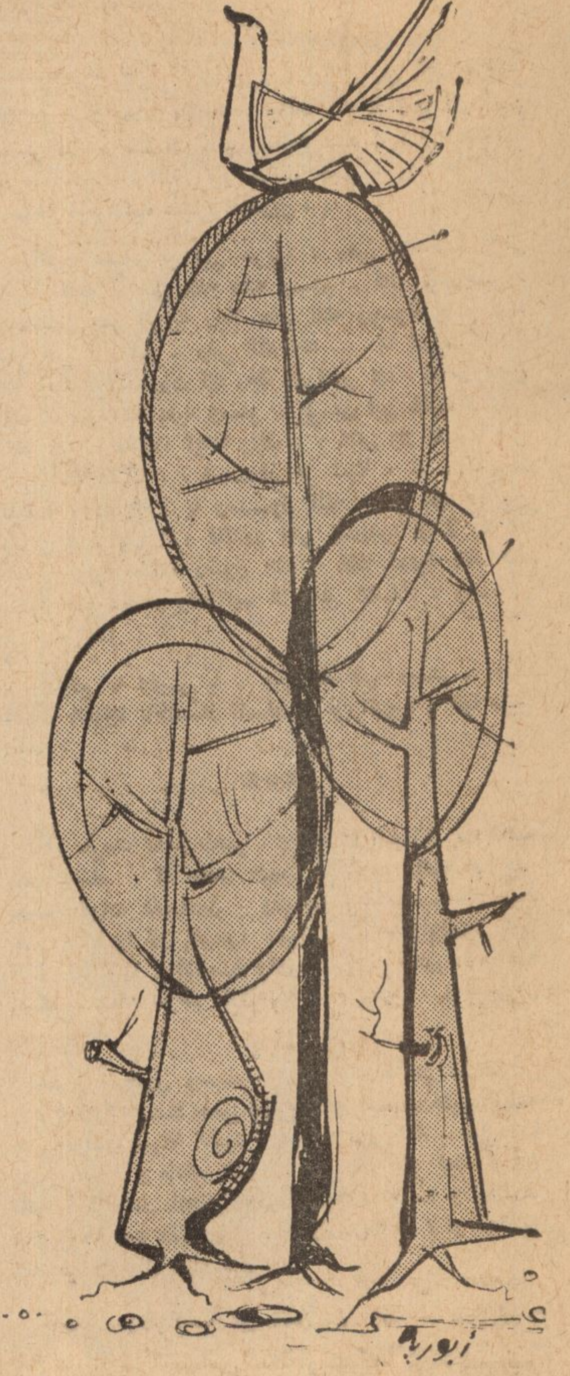

شهر المحرم هو اول العام الهجرى ، وهو كذلك اول التاريخ الهجرى فى راى الجمهور ، وقال محمد بن حزم : ان التاريخ الهجرى يبتدىء من شهر ربيع الاول ، وهو الشهر الذى قدم فيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة .

واول من ارخ بالهجرة يعلى بن امية باليمن ، كما روى ذلك امام احمد بن حنبل باسناد صحيح

وقيل : عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سنة ست عشرة من الهجرة .

وشهر المحرم هو احد الاشهر الحرم الاربعة ، التي حرم الله فيها القتال على الناس بقوله تعالى : (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم) وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

وقد رغب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى صيامه ، واخبرنا أن الصيام فيه أفضل من الصيام فى أى شهر آخر ، عدا شهر رمضان .

اخرج مسلم عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (افضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)

ومن ايام المحرم يوم عاشوراء ، وهو يوم له مكانته العظيم بين الايام .

وفى فضل صيام هذا اليوم وردت عدة احاديث .

منها مااخرجه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه .

وما اخرجه مسلم عن قتادة ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : « يكفر السنة الماضية » .

وقد وقعت فى هذا الشهر المبارك حوادث ذات بال ، منها غزوة خيبر ، التى آتم الله فيها نعمته على المسلمين واظفرهم بيهود خيبر ؟

وقد وقعت هذه الغزوة فى شهر المحرم من السنة السادسة على راى مالك ، أو من السنة السابعة على راى الجمهور ، وهذا الخلاف مبنى على الخلاف المتقدم فى مبدأ التاريخ الهجرى ، فمن اعتبر مبدأ التاريخ

الهجرى شهر ربيع الاول قال : ان غزوة خيبر كانت فى السنة السابعة ، ومن اعتبره المحـرم قال : ان تلك الغزوة كانت فى السنة السادسة

وتتلخص حوادث هذه الغزوة فى ان النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد انصرافه من الحديبية فى شهر ذى الحجة اقام فى المدينة عشرين يوما ، ثم سار الى خيبر فى الشهر التالى ، وهو شهر المحرم ، وفى الطريق من الحديبية الى المدينة نزلت عليه سـورة الفتح ، ومن آياتها (وعدكم الله مغـانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه) ، اى خيبر ، فهو وعد من الله لنبيه بانـه سيعطيه خيبر .

ولما قدم - صلى الله عليه وسلم - خيبر وراه اليهود وهم خارجون صباحا الى حقـولهم ملأ الرعب قلوبهم ، وكروا راجعين مذعورين الى حصونهم ، وفتحها - عليه الصلاة والسلام - حصنا بعد حصن ، حتى اذا لم يبق الا حصـون الكتيبة ، والوطيح ، والسلالم ، شدد المسلمون عليها الحصار ، فطلب اليهود الصلح على ان يجلوا عن مدينة خيبر ، وعن كل مافيها من مال وارض وسلاح ، فقبل - صلوات الله وسـلامه عليه - ولكنه استبقاهم ليزرعوا الارض بنصف مايخرج منها ، لخبرتهم بالزراعة .

ويؤخذ من ذلك جواز المزارعـة بجزء مما يخرج من الارض ، وليس هذا من باب المؤاجرة ، فى شيء ، بل من باب المشاركة ، وهو نظير المضاربة المباحة .

وكان من جملة السبى صفية بنت حيى ، فعرض عليها النبى - صلى الله عليه وسلم - الاسلام - فاسلمت ، فاعتقها وتزوجها .

***

وقد حدثت فى هذه الغـزوة امور ، منها مايعتبر من معجزات النبى - صلى الله عليه وسلم - ومنها ما تضمن بعض الاحكام الشرعية .

ومن اهم هذه الامور :

(١) ماحدثنا به سلمة بن الاكدع قال : خرجنا مـع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى خيبر ، فسرنا ليلا ، فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع : الا تسمعنا من هنيهاتك ؟ فنزل ، وجعل يحدو بقوله .

اللهم لولا انت ما اهتدينا
ولا تصـدقنا ولا صلينا
فاغفر فدى لك ما اقتفينا
وثبت الاقدام ان لاقينـا
وانزلن سـكينة علينـا
وانا اذا صيح بنا اتينـا
وبالصياح عولوا علينـا
وان ارادوا فتنـة ابينـا

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا السائق ؟ قالوا : عامر ، فقال : رحمه الله (كانـه ينعيه) ، فقال رجل من القوم : وجبت وجبت يا رسول الله لعامر ، يارسول الله ، لولا امتعتنا به ؟

ولما اصطف الفريقان خرج مرحب اليهودى بسيفه وهو يقول

قد علمت خيبر انى مرحب
شاك السلاح بطـل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلتهب

فنزل اليه عامر وهو يقول :

قد علمت خيبـر انى عامر
شاك السلاح بطل مغامر

فتبارزا ، ولكن المنية عاجلت عامرا ، فقتل ، وتحقق ما اخبر به النبى - صلى الله عليه وسلم -

***

(٢) اخبر - صلى الله عليه وسلم - بان الله سينصر المسلمين فى هذه الغزوة ، وذلك انه لما نزل المسلمون بخيبر قال - صلوات الله وسلامه عليه - : (الله اكبر خربت خيبر ، الله اكبر خربت خيبر ، وانا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) .

واخرج مسلم عن ابى هريرة - رضى الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم خيبر : (لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه) ، قال عمر - رضى الله عنه - ما أحببت الامارة الا يومئذ ، فتساورت لها رجاء ان ادعى لها ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن ابى طالب - رضى الله عنه - فاعطاه اياها وقال : (امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك) ، فسـار على شيئا ، ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسـول الله ، على ماذا اقاتـل الناس ؟ ، قال : (قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله تعالى) .

وقد وقع ما اخبر به - صلى الله عليه وسلم - حيث انتهت الغزوة بانتصار المسلمين على اليهود ، كما سبق بيانه

***

(٣) حرمت لحوم الحمر ، وذلك ان النبى - صلى الله عليه وسلم - لما حاصر اليهود طال هذا الحصار حتى نفدت اقوات المسلمين ، واصابتهم مخمصـة شديدة حتى اضطروا لان يذبحوا حمرا انسية ، واوقدوا عليها النار لياكلوها ، فلمـا رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - ذلك امرهم باراقة ما فى القدور ، ومنعهم من اكلهـا .

اخرج البخارى ومسلم والامام احمد عن سلمة بن الاكوع قال : لمـا امسى اليوم الذى فتحت عليهم فيه خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ماهذه النيران ، على اى شيء توقدون ؟) قالوا : على لحم الحمر الانسـية ، فقال : (اهرقوها واكسروها)) ، فقال رجل : يا رسول الله ، او نهريقها ونغسلها ؟ فقال (او ذاك)

واخرج هؤلاء ايضا عن انس بن مالك - رضى اللـه عنه - قال : اصبنا من لحم الحمر - يعنى يوم خيبر - فنادى مناد رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - : ان الله ورسوله ينهاكما عن لحوم الحمر ، فانها رجس ، او نجس .

***

(٤) كان احد العبيد يرعى غنما لسيده اليهودى ، فلما رأى اهل خيبـر قد تقلدوا اسلحتهم سالهم عما

سيفعلون ، فقالوا : نريد ان نقاتل هذا الذى يزعم أنه نبى ، فطابت نفسه لذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذهب اليه بغنمه ، فقال ما تقول ، وما الذى تدعو اليـه ؟ قال : ادعو الى الاسلام ، وأن تشهد ان لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، وألا تعبد الا الله ، قال : فمالى ان شهدت وآمنت بالله عز وجل ؟ قال : لك الجنة ان مت على ذلك ، فاسلم ، ثم قال : يانبى الله ، ان هذه الغنم عندى امانة ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اخرجها من عندك ، وارمها بالحصباء فان الله سيؤدى عنك أمانتك ، ففعـل ، فرجعت الغنم الى سيدها .

ولما التقى المسلمون ـ بعد ذلك ـ باعدائهم استشهد ذلك العبد ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين رآه بعد استشهاده : لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير ، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ولم يصل لله سجدة قط .

ويؤخذ من ذلك أن العبـرة بالخواتيم ، وان جميع ماأسلفه الانسان من سيئات تمحـوه التوبة ان مات عليها صاحبها ، ولم يصل ركعة واحدة .

ويؤيد هذا ماأخرجه الامام احمد عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (الاسلام يجب ماقبله) .

وما اخرجه الترمذى عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر)

***

(٥) فى هذه الغزوة حاولت زينب بنت الحارث قتل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاهدته شاة مسمومة ، واكثرت من السم فى الذراع لما علمت ان الذراع احب اللحم اليـه ، فلمـا انتهش من الذراع اخبره « أى الذراع » بانه مسموم ، فلفظ القطعـة التى كانت فى فمه ، ثم قال : اجمعوا لى من ها هنا من اليهود ، فلما صاروا بين يديه قال لهم ، انى سائلكم عن شىء ، فهل أنتم صادقى فيه قالوا : نعم يا ابا القاسم ، فقـال : من ابوكم ، قالوا : ابونا فلان ، قال : كذبتم ، ابوكم فلان ، قالوا : صدقت وبررت ، قال : هل انتم صادقى عن شىء ان سالتكم عنه ؟ قالوا : نعم يا ابا القاسم ، وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ، فقال : من اهل النار ؟ فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم ، اخسـؤوا فيها ، فوالله لانخلفكم فيها ابدا ، ثم قال : هل انتم صادقى عن شىء ان سالتكم عنه ؟ قالوا : نعم قال : أجعلتم فى هذه الشاة سما ؟ قالوا : نعم ، قال : فمـا حملكم على ذلك ؟ قالوا : اردنا ان كنت كاذبا نسـتريح منك ، وان كنت نبيا لم يضرك ، وجىء بالمرأة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : أردت قتلك ، فقال : ماكان الله ليسلطك على ، فقال بعض اصـحابه : الا تقتلها ؟ قال : لا ، ولم يؤاخذها على مافعلت .

وبقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك ثلاث سنين ، وقال فى وجعـه الذى مات فيه : مازلت اجدمن الاكلة التى اكلت من الشاة يوم خيبر ، فهذا أوان انقطاع الأبهر منى .

ويؤخذ من ذلك ان مثل هذه الحالة لا يجب فيهـا القصاص ، لان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يمت بالسم ، وانما مات بالحمى كما هو معلوم .

***

واخيرا ، فانى ـ من اعماق قلبى ـ اهنىء المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها بالعام الجديد ، واسأل الله العلى القدير ان يحقق فى هذا العام آمال العرب والمسلمين وان يمكنهم من القضاء على مابقى من آثار الاستعمار .

في رحاب القرآن الكريم

أللهِ خليفة ؟

الأستاذ عبد العزيز العلى

سبق أن نشرت كلمة تحت هذا العنوان بالعدد ١١ من السنة ٢١ من مجلة « منبر الاسلام » الغراء ، استعرضت فيها جل ماقيل فى الخلافة بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكتب اللغة ٠٠ وكذا ما يقارب الخلافة فى المعنى كالوراثة والوكالة ، واثبت بالأدلة القرآنية والمعانى اللغوية أن تداول الخلافة والوكالة والوراثة فيما بين البشر جائز وممكن ، انما الله - العلى القدير جل شأنه - هو وحده الأول والآخر والسلف والخلف ، والوارث الذى لا وريث له والوكيل الذى لا وكيل له ٠

وان الخلافة والوراثة والوكالة تاتى بعد موت السلف أو غيابه أو انشغاله ، وهذه جميعها صفات يتنزه عنها - العلى القدير - الذى لا اله الا هو ، اليه المرجع والمصير ومنه البدء واليه النهاية :

« ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »٠

وقد يكون فى كتابتى هذه ثورة على ماجاء فى بعض معانى الخلافة التى لا تنبغى ولاتصح بجلال قدس البارى - عز وجل - والتى لا يتطرق اليها الكثير الا بعد اثبات ما ذهبنا اليه من معانى الخلافة ، ثم يستعرض الجانب الآخر - الذى لا يقره الدين ولا الفطرة السليمة والسجية المستقيمة - بشىء من اللبس والابهام والتكلف ، والناس منذ أقدم العصور خصوم لكل جديد فى بادىء الأمر ولو جاء بهذا الجديد انسان عادى معرض للغفلة والخطأ ٠٠

على أن المكابرين للحق والعاشين عنه موجودون فى كل قطر وعصر وشأنهم فى ذلك شأن الخفافيش التى لا تبصر النور ، بل هم أشد لمحاولة اطفاء النور وطمسه، وقد وصفهم البارى ـ عز وجل ـ بقوله ـ سبحانه :

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » •

ومن فضل الله ـ جل سبحانه ـ على هذه الأمة الاسلامية أن أرسل اليها رسولا واحدا اختتم به جميع الرسالات ، وكتابا اختتم به الوحى على أى بشر من بعده ، وتفضل عليها بالشهادتين « لا اله الا الله محمد رسول الله» أى لا معبود بحق سوى الله ولا رسول بعد محمد ، فانقطع الوحى بهذا الرسول العظيم ، وهذا الكتاب الكريم ، بل حتى الشياطين الجنية منعت من استراق السمع كما جاء فى كتاب الله قوله سبحانه :

« وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » ••

« وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » •

ورغم هذا فقد ابتلى الاسلام والمسلمون بفئات منسوبة اليه ومحسوبة عليه تعتقد أنها مكشوف لها الحجاب وأنها ترى ما لايراه الآخرون ، وحجتهم هذه لا تمشى الا على البسطاء من الأتباع والمريدين ، وذلك ليقطعوا البحث أمام الباحثين ويسدوا الطريق أمام الدارسين ، ويقفلوا باب المناقشة أمام الفاهمين والعاقلين ، وربما اعتقد البعض ان تفكيره وخواطره أفضل من العبادة وأقوى من الوحى ، وربما اعتقد البعض منهم أنه هو الموحى والموحى اليه فى آن واحد ، حمى الله الاسلام والمسلمين من هذه الفئات المغالطة التى جاءت من الأعاجم ، وكنتيجة حتمية لما ابتلى به أهل الكتاب فى مثلهم من قبلنا •

وان الأمة الاسلامية ابتليت بالتأخر والذل والهوان منذ ظهور هذه الفئات الباطنية الضارة ولا عودة لعزة الاسلام ومجده الا بالعودة الى سيرة السلف الصالح والسير على نهجهم ، والتمسك بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ، ونبذ كل ما خالف الكتاب والسنة من الرؤى والالهامات والخواطر • وقد أكمل الله ـ جل سبحانه ـ هذا الدين الحنيف برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالقرآن الكريم لقوله ـ جل سبحانه ـ :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » •

ولم يبق بعد ذلك الا الفهم المؤيد من كتاب الله ، وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمدعوم من اللغة والعلم والمنطق السليم •

وأعود فأقول ان لكل خلف سلفا ، ولكل سلف خلف الا الله ـ جل سبحانه ـ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم •:•

وان موسى ـ عليه السلام ـ استخلف أخاه هارون على قومه عندما غاب عنهم لميقات ربه :

« واذ قال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى » ••

ولم يسم أبو بكر الصديق خليفة الا بعد انتقال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى الرفيق الأعلى ••

واذا كانت طبيعة ضيق رقعة الأرض ، والاكتشافات العلمية لبواطنها تستدعى أن يكون هناك أوادم قبل أبينا آدم فالمخلوقات على ما يظهر كانت أطوارا ، أى أنه اذا كانت السلالات فى كل طور من هذه الأطوار هى القاعدة فالابداع هو الأصل ، كما جاء فى قصة أبينا آدم ـ عليه السلام ـ : « وخلقناكم أطوارا »•• « هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده » والأرض كما يقدرها المحصون الآن بأنه من الصعب أن يمر عليها مائة سنة أخرى اذا لم تحدث معجزة حيث يقدر سكان الأرض بعد مرور مائة سنة ببضعة عشرة بليون نسمة ، وهذا ما يعجز الأرض وامكانياتها الحالية المعروفة استيعابهم واطعامهم واسقاءهم وتنفسهم •:•

والله ـ جل سبحانه ـ هو علام الغيوب •

حياة القلقشندى وعصره

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

- ٩ -

ما كتبه العلماء والأدباء والمؤرخون المعاصرون :

تناولت معظم الصحف والمجلات العربيـــة فى مصر وغيرها من الاقطار العربية الشقيقة الكتابة حين طالعتنا دار الكتب المصرية بالجزء الاول من هذه الموســوعة الخطيرة ، وأصبح اسم مؤلفها العالم الجليل ،والكاتب المنشىء البليغ ، تردده الاوساط العلمية فى مستهـل القرن العشرين ، فكان هذا لونا من الوان الانصـاف والتقدير ، للقلقشندى ، بعد غيبة طويلة فاصلة .

فمن هذه المجلات مجلة ((المجمـع العلمى)) التى تصدر بدمشق فى المجلد الرابع الصادر فى سنة ١٩١٤ ص ٢٢١ .

ومجلة ((لغة العرب)) التى تصدر فى العراق بالسنة الرابعة ص ١٠١ .

ومجلة المقتطف ((عدد مايو سنة ١٩١٤)) ص ٤٩٧

ومجلة الهلال السنة الثانية والعشرون ص ٧١٧ .

وكتب عنه الباحث المؤرخ المحقق المرحوم ((جرجى زيدان)) فى كتابه ((تاريخ آداب اللغة العربية)) ج٣ ص ١٤٤ ما نصه :

((صبح الاعشى يمتاز باحرازه كل ما يتعلق بالانشاء وأدواته وشروطه .. فهو خزانة علم وادب لا مثيل لها))

وكتب عنه فى ((مجلة الهلال)) الجزء التاسع من السنة الثانية والعشرين الصادر فى أول يونية سنة ١٩١٤ م ((رجب سنة ١٣٣٢ هـ)) ما نصه :

((صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ان اسم هـذا الكتاب لا يفى ببيان موضوعه ، اذ يتبادر الى الذهن انه يبحث فى الانشاء وشروطه ، لكنه اعم من ذلك كثيرا لان مؤلفه شهاب الدين القلقشندى المصرى المتوفى سنة ٨٢١ هـ جعل موضوعه صناعة الانشاء ، وما يشترط على اصحابها احرازه من العلوم والآداب والفنـون ، ويدخل فى ذلك فى كل العلوم والفنون الأدبية والاجتماعية والشرعية والاقتصادية واللغوية التى كانت معـروفة فى عصره ، وقوانين ديوان الانشاء ووظائف أصحابه ، ومعرفة الازمان والاوقات وسياسة الممالك وجغرافيتها، وشروط المكاتبات وأحوال الولايات وطبقاتها ومصطلحاتها، والبيعات ومعانيها والوصايا والمسامحات ، وتحـويل السنين والايمان والصلح والنصوص الواردة فيـه ، وعادات العرب وأخلاقهم وآدابهم ، وتاريخ ديـوان الانشاء وما يتعلق به ، كالبريد وتاريخه وأبراجه فضلا عن الفنون المتعلقة بفن الانشاء نفسه . فالكتاب خزانة علم وأدب كالموسوعة الكبيرة، فيه مواد أدبية وجغرافية وتاريخية لا تجدها فى سواه من كتب العرب)) .

وكتب عنه العالم الباحث المحقق المرحوم الدكتور ((صروف)) فى مجلة المقتطف ((المجلد الخامس والاربعون)) ص ٦٠٤ ما نصه :

((هذا الكتاب عبارة عن دائرة معارف لجميع مايحتاج اليه المنشىء من العلوم والفنون الادبية والاجتماعيـة والشرعية والاقتصادية واللغوية)) .

وكتب عنه الباحث المحقق الدكتور حسن ابراهيـم حسن فى كتابه عن الفاطميين فى مصر ((ص ١٩)) ما نصه :

((ومن اهم المصادر وامتعها فى الدولة الفاطميـــة كتاب ((صبح الاعشى)) فى صناعة الانشا لابى العباس احمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م ففى هذا السفر الطويل، وخاصة الجزء الثالث ، كلام مسهب عن الفاطميين ، ومواسمهم وأعيادهم ، ومراسـمهم وعاداتهم ، ومذهبهم ونظم الحكم عندهم ، وفضلا عن ان القلقشـندى قد اخذ معلومات عن مصادر عاش مؤلفوها فى عهد الفاطميين انفسهم ، مما جعل لهـا قيمة كبيرة من هذه الناحية بحيث تصور لنا مبلغ

الثروة والرخاء فى مصر الفاطمية ، وما احاط الخلفاء من ابهة وجلال ، فان اسلوبه يمتاز بشىء كثير من الوضوح والدقة والاتقان » .

وقبل طبع هذه الموسوعة الجليلة القى العالم الجليل المرحوم « على بهجت » رئيس لجنة حفظ الآثار العربية محاضرة قيمة عنها فى مؤتمر اللغات الشرقية المنعقد بمدينة روما فى أوائل شهر أكتوبر سنة ١٨٩٩ م ، وكان أحد المندوبين اللذين بعثت بهما الحكومة المصرية فى ذلك العهد لحضور هذا المؤتمر .

وقد نشر هذا البحث فى مجلة « الموسوعات » فى العدد الرابع من السنة الثانية الصادر بتاريخ ١٥ شعبان سنة ١٣١٧هـ « ١٨ ديسمبر سنة ١٨٩٩م » ص ١١٤ - ١٢٣ .

وكتب عنه الباحث المحقق الدكتور عبد اللطيف حمزة فى كتابه القيم « القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى » ص ٤١ ما نصه :

« نشأ أبو العباس القلقشندى نشأة علمية سليمة ، وتربى تربية صحيحة ثم توجه الى الاسكندرية واقام بها مدة من عمره فى طلب العلم على مشهورى العلماء فى زمانه ، واشتغل فى أثناء ذلك بفنون اللغة العربية والادب حتى اجتمع له من ذلك مقدار وافر .

وفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة - حينما كان مقيما بثغر الاسكندرية - أجازه الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن أبى الحسن المشهور « بابن الملقن » بالفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه ، كما أجاز ابن الملقن لابى العباس كذلك بان يروى عنه كل تاليف له فى الفقه والحديث ، وأن يروى كل ما جازت له روايته كالكتب الصحاح الستة ، ومسند الشافعى ، ومسند أحمد بن حنبل ، وغير ذلك من الكتب التى هى أصول الفقه الاسلامى .

وترى - أيها القارىء - صورة من هذه الاجازة العلمية التى كتبها « ابن الملقن » لتلميذه أبى العباس مثبتة فى كتابه « صبح الاعشى » .

جلس أبو العباس القلقشندى بعد ذلك للتدريس ، فانتفع به كثيرون ، وبدا للناس فقيها يميل الى الاجتهاد ، ويحاول أن يضع لعلم الفقه أصولا وقواعد ، ويظهر أن أبا العباس كان يأمل من وراء جهوده فى تدريس علم الفقه ووضع الكتب فيه أن ياتى يوم ينتقل فيه من التدريس الى القضاء ، وان كان أهل الورع والتقوى من أسلاف هذا الرجل فى الازمنة المتقدمة يتحرجون دائما من وظائف القضاء ويفضلون عليها دائما وظائف التدريس ، ويتناقلون فيما بينهم حديثا نبويا ، أو قولا مأثورا هذا نصه : « قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » .

أما المعلمون فهم ورثة الانبياء والمرسلين ، ومن ثم لا نعجب من أن يفضل الكثيرون من علمائنا الاقدمين أن يكونوا أساتذة ومدرسين على أن يكونوا قضاة وحاكمين ..

وألف القلقشندى عدة كتب فى علم الفقه ، ولم يكتف بالعناية بعلم الفقه ، بل أخذ نفسه كذلك بالتمرس بفن الادب ، وألف طائفة من الكتب والرسائل الادبية ..

وفى سنة احدى وتسعين وسبعمائة - أى فى سن الخامسة والثلاثين اختير أبو العباس القلقشندى للعمل فى ديوان الانشاء ، واذ أسفر ذكاء أبى العباس أو جادت قريحته بطائفة أخرى من الكتب تتفق وهذا العمل الاخير .. وكان منها كتابه المشهور « صبح الاعشى » ... الخ » اهـ .

وكتب الباحث المحقق الاستاذ ابراهيم الابيارى فى التقديم الذى كتبه لكتاب « نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب » ص ى مانصه :

« والغريب أن هذا الرجل الذى عمر عمره بتواليف نفيسة ، لم يسبقه متقدم فى تفصيله فى بعضها ، ولم يلحقه متاخر ، مضى ولم تعمر الآذان بحديثه ، واذا ما فيها لا يعدو غير لقبه ، تقيمه الالسنة فى القليل ، وتخطىء فيه فى الكثير ، يجهله الكافة بكل ماله ، ويعلمه الخاصة ببعض ما هو له ، وما هو أول موطن جهلناه ، ولا آخر عالم منا غاب عنا حديثه .

ولا أدرى أتلك شنشنة قديمة لقناها من اخزم ، أم هى بدعة الفترة الجاهلة ، التى فصلت بيننا وبين العلم ، فانفصلنا عن أهله ولم نعرفهم .

وأغلب الظن أننا ضحايا تلك الشنشنة وهذه البدعة فقديما عرض المؤرخون لابى العباس فلم يذكروا عنه الا القليل ، لا لان الزمن باعد ما بينهم وبينه فعفى آثاره ، فلقد لفهم واياه عصر واحد ، ومضى وآثاره بين ايديهم لم يجف مدادها .

فنجد « المقريزى » يذكر حديثه فى أسطر ، ويقفى من بعده « العينى » فلا يزيد الا القليل ، ويعرض « السخاوى » لاكبر موسوعة له ، وهى « صبح الاعشى » فيصفها من سماع لا عن معاينة فيجعلها فى أربعة مجلدات ، ويذكرها « حاجى خليفة » فى « كشف الظنون » سبعة ، وهكذا هى ، ولا تزال دار الكتب المصرية تحتفظ بهذه المجلدات السبعة الكبار ، كما لا تزال « المكتبة الزكية » تحتفظ بمثلها . ويذكر « أبو العباس » شيئا عن وصف الكتاب فى مقدمته له فيقول : « وقد رتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة » . ولكن « السخاوى » لا يلتفت اليه .

لهذا ندعى أن « السخاوى » يصفه عن سماع لا عن معاينة ، وما كان بينه وبين أن يعاين الا قليل من الجهد يتكلفه ، أو قليل من الانصاف يدفعه .

وهكذا مضى « أبو العباس » لم يحفظه الخلف القريبون ، وكاد أن يضيعه الخلف المبعدون ..... الخ » اهـ .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نختتم ترجمة « حياة القلقشندى وعصره » بصورة من هذه « الاجازة العلمية » بالفتيا والتدريس على مذهب « الامام الشافعى » رضى الله عنه ، كتبت « للقلقشندى » حين أجازه أستاذه العالم الجليل الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر المشهور « بابن الملقن » سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وهو بالاسكندرية ، وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة ، وهذا نصها :

« الحمد لله الذى رفع للعلم مقدارا ، وأجرى نعمه على العلماء وأعلى لهم منارا ، أحمد حمد من هدى الى الحق فجعله شعارا ، واستضاء بنور الهدى فلجأ الى مولاه فى حالتى سره وجهره افتقارا . واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له تصديقا واقرارا ، وأن محمدا عبده ورسوله ارسله والاصنام قد عبدت جهارا ، والكفار قد أعرضوا عن الحق استكبارا ، فقام بأمر الله انتصارا ، وقهر من أعرض عن الله اغترارا ... الخ .

« اما بعد » فقد وضح لذوى الابصار والبصائر ، واتضح عند ذوى الاسرار والسرائر أن منزلة علم الشريعة عند الله تعالى أعلى المنازل ، وفضله أفضل المآثر وآثر الفضائل .. فقد أعظم الله تعالى من حفظها من عباده المنة ، اذ جعله وقاية لهم من مهالك الجهل وجنة . قال تعالى : « وقل ربى زدنى علما » . فنبهه على أن العلم أقوى أسباب العبادة ، اذ خصه به وحضه على أن يطلب منه الزيادة .. وقال تعالى : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . فأوضح بذلك ان الاولياء من خلقه العلماء ، اذ وصفهم وخصهم بأنهم الخائفون منه الاتقياء . وقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

ولما كان فلان ــ ادام الله تسديده وتوفيقه ، ويسر الى الخيرات طريقه ــ ممن شب وشبا فى طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالاخلاق المرضية الجميلة الجليلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء ، والقادة من الاكابر الفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، والى نيل السعادة ــ ان شاء الله تعالى ــ يفضى ، استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ــ العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العلامة الحبر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده ، جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء سراج الدين ، مفتى الاسلام والمسلمين ابو حفص عمر ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الامام العالم العامل الاوحد الكامل القدوة المرحوم نور الدين أبى الحسن على ، ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى .. ادام الله تعالى النفع ببركته ، وأشركنا والمسلمين فى صالح ادعيته . وأذن وأجاز لفلان المسمى فيه ــ أدام الله تعالى معاليه ــ أن يدرس مذهب الامام المجتهد المطلق العالم الربانى أبى عبد الله محمد بن ادريس المطلبى الشافعى ــ رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ــ وأن يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه ، وأن يفيد ذلك لطالبيه حيث حل واقام ، كيفما شاء ومتى شاء واين شاء ، وأن يفتى من قصد استفتاءه خطا ولفظا على مقتضى مذهبه الشريف المشار اليه لعلمه بديانته وامانته ومعرفته وأهليته ولذلك وكفايته .

فليتق ــ ايده الله تعالى ــ هذه الملة الشريفة ، وليترق بفضل الله تعالى ذروة هذه المرتبة المنيفة ، وليعلم قدر ما انعم الله عليه ، وأسدى من الاحسان الوافر اليه ، وليراقبه مراقبة من يعلم اطلاعه على خائنة الاعين وما تخفى الصدور . ولا يستنكف أن يقول فيما لا يعلم : لا أعلم . فذلك قول سعد قائله . وقد جاء « جنة العالم لا أدرى ، فان أخطاها اصيبت مقاتله» . فالله تعالى يرزقنا واياه التوفيق والتحقيق ، ويسلك بنا وبه أقرب طريق ، ويهدينا الى سواء السبيل ، فهو حسبنا ونعم الوكيل » اهـ .

ثم كتب له الشيخ تكملة لهذه الاجازة سمح له فيها بان يروى عنه جميع الكتب التى ألفها ، وأذن له أن يشرحها لطالبيها ، ويفتح الطريق لجميع الراغبين فيها .

ومن هذه الكتب : « جامع الجوامع » و « شرح صحيح الامام » و « البدر المنير فى تخريج الاحاديث والآثار الواقعة فى الشرح الكبير » للامام أبى القاسم الرافعى . واجاز له كذلك رواية الكتب الستة المعروفة فى الحديث وهى : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

الأستاذ عبد الحميد بلبع

وفى الحق أن هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة حدث ليس عاديا كما يبدو لأول وهلة عند النظر فيه أو الاستماع اليه من أنه مجرد انتقال شخص طارده خصومه حتى هاجر من بلد الى بلد أو من أقليم الى اقليم ــ نعم ليس حدثا عاديا لان التامل فى أحداث رسول الله كلها يوحى الينا أنه ــ ماوعى التاريخ أروع ولا أغرب منها . ولا تمخضت الليالى عن حدث عجب مثلها فهذا حادث هجرته ــ من مكة الى المدينة قد اكتنفه من الخوارق ماصرف عن رسول الله خصومه ولنأخذ العنكبوت مثلا من أمثلة متعددة لهذه الخوارق فقد روى المؤرخون أن العنكبوت نسج على باب الغار الذى آوى اليه رسول الله وصاحبه ليلة الهجرة بعد أن دخلاه ولما رأى أحد الخصوم الباحثين عن محمد العنكبوت على باب الغار صاح فيمن معه قائلا وما أرابكم فى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ، وبهذا ــ نجا الرسول من خصومه ونجت الدعوة كذلك من عدوان مكة

بالهجرة ونجحت فى طريقها الى حيث تم لها مأراد صاحبهامن الانتشار والازدهاروبالهجرة ولدت أمة وقضى على أمم ومن أجل هذه النتائج الضخمة الناجمة عن هذا الحدث الفذ كان هذا الحدث جديرا بالدرس والبحث حقيقيا بالنظر والفكر حريا بالتعمق والاستيعاب والنقص للاسباب الداعية اليه والآثار المترتبة عليه ذلك الذى حفز العلماء والكتاب أن يطرقوا بابه وقد طرقوا وكتبوا فيه فعلا ، كتبوا فيه منذ فجر النهضة الاسلامية متناولين اطرافه باحثين عناصره وأسبابه رجاء الوقوف على مداه والكشف عن أسراره وتقصى آثاره تلك الآثار التى ظهرت فى انحاء شتى من نواحى الحياة والتى ظهرت كذلك فيما انبنى على هذا الحادث من التنظيم العجيب الشامل لشئون المجتمع الانسانى أفرادا وهيئات

نظر كل من العلماء والكتاب لهذا الحادث من زاوية خاصة كتب عنها منها فكتب عنه فريق من زاوية أنه فداء وتضحية فى سبيل المبدأ والدعوة وتناوله فريق آخر من زاوية أنه حدث سياسى له جلاله وخطره فى المجتمع وبحث فريق الحادث من زاوية ما اكتنفه من وقائع خارقة أحدث السمع وبهرت النفس مما يؤيد أن الحادث من صنع الله وتدبيره وتوجيهه لرسوله وما الى ذلك مما أبدع فيه الكاتبون وأعرب فيه العلماء جزاهم الله خيرا لقاء مابذلوا من جهد •

وفى رأيى أنهم — رغم ما بذلوا من فكر وأوسعوا فى البحث وتعمقوا فى الدرس — ما وصلوا من الحادث الى غايته ولم يشارفوا شيئا من نهايته فانه حدث ذو عمق بعيدالغور ينطوى على أسرار دقت على الفكر وعلت عن الفهم وقد تكشف للعالم بعض هذه الأسرار فايقظ طائفة منه من سباتها ورفع عن أبصارهم غشاوتها ومزق عن قلوبهم أكنتها فأحزنها — ما رأت نفسها عليه من ماض مظلم وما يحوطها من تعاسة وشقاء وتطلعت بعد الى مستقبل يرد للبشرية اعتبارها ويلم شعثها ويحفظ لها أخوتها ووحدتها ويضعها حيث اراد الله لها من خلافه فى أرضه وتمكين لدينها فى خلقه وتبديلها من خوفها أمنا ومن فرقتها وحده ومن ذلتها عزة ومن رقها حرية وقد فتح الله لها بالهجرة الباب الى هذا كله وحقق لها مارغبت ومنحها ما أملت فكانت خير أمة أخرجت للناس •

ولعل هناك أسرارا وآثارا أخرى للحادث لم تنكشف بعد ولاتزال مكنونة فى ضمير الغيب وستجليها الأيام فى وقتها المناسب الذى يعلمه مدير الحادث سبحانه والقائم على رعايته وتنفيذه فأنه بمصائر الأمور عليم ومما يدعو الى التفاؤل أنه قد تنبه الوعى — الدينى والاجتماعى وتجدد النشاط الثقافى وتطور الفكر الاسلامى فى هذا العهد ممايبشر بعودة مجد الاسلام والمسلمين ان شاء الله •

ولست أقصد فى كلمتى هذه أن أعرض لشىء من وقائع هذا الحادث العظيم • ولا التحدث عما كشف من اسراره وحكمه فقد تحدثت بما فتح الله به على فى هذه المناسبة الكريمة فى عدد مضى من المجلة الكبرى «منبر الاسلام» ، ولكن حلول شهر المحرم من كل

عام يبعث فى النفس الحنين لهذه الذكرى العطرة على صاحبها « افضل الصلاة والسلام » حفاوة بها وبهجة بانتصارها الذى حققته فى انتشار الدعوة الى الله كما حققته فى أنحاء شتى من نواحى الحياة وفى جوانب عديدة من شئون المجتمع الانسانى أفراده وجماعاته - لذا - أحب أن لايفوتنى الحديث عن هذه المناسبة - الكريمة ولو فى جانب من جوانبها تعبيرا عن الشعور . وتعميما للنفع واشادة بعظمة صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام ورجاء يقظة الضمير الايمانى وتوسيع افق الوعى الدينى والانتفاع بوحى هذه الذكرى فى حياتنا ومعاملاتنا وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

الهجرة مأخوذة من الهجر ضد الوصل والهجر الترك والتحول يقال هجر فلان الشىء أى تركه جانبا لايعول عليه ويبدو أن هذا الهجر كما يكون فى المحسوسات يكون كذلك فى المعنويات يقال هجر فلان وطنه كما يقال هجر فلان عادته وخلقه وأصل الهجرة هجر الوطن وكثيرا ما يطلق لفظ الهجرة على الرحلة من البادية الى القرية ثم صار بغلبة الاستعمال عرفا خاصا بالهجرة من مكة الى المدينة وقد كانت الهجرة الى المدينة فى أول الاسلام فرضا عينيا على كل من أسلم قادرا عليها وذلك لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم فيها الى مجتمع كبير وأيضا لينجو من يهاجر منهم بدينه ونفسه من عدوان الكافرين وكان التخلف عن الهجرة مع القدرة عليها كبيرة من الكبائر بل عده بعضهم كفرا لذا كانوا يتسابقون اليها ولم يتخلف عنها الا النزر اليسير ولا شك أن الهجرة على هذا النحو مظهر من مظاهر الكفاح الدينى والنضال الاسلامى لذا كانت الهجرة مفخرة عظمى من مفاخر المسلمين المكيين الذين هاجروا ومنقبة كبيرة من مناقبهم العديدة ويكفى فى فضلها قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حديث طويل فى بيان فضل الأنصار « والله لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار » الحديث لذا امتدح الله المهاجرين بقوله « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » وندد بالمتخلفين عنها مع القدرة عليها بقوله « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة ، فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » لما نزلت هذه الآية بعث بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا بها اذ ذاك فسمع بها رجل اسمه جندع بن ضمرة وكان شيخا كبيرا مريضا فقال والله ما أنا ممن استثنى الله فانى لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى الى المدينة وأبعد منها والله لا ابيتن بمكة أخرجونى فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال « اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على مابايعك رسولك ثم مات . فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو وافى المدينة كان أتم وأوفى أجرا وضحك منه المشركون وقالوا ماأدرك ماطلب فنزل قوله تعالى « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما .

وقد انتهى حكم الهجرة بفتح مكة فلم يعد واجبا على أحد من المسلمين أن يهاجر الى المدينة بعد فتح مكة حيث ان الهجرة كانت لغرض وقد تم والحمد لله ومع ذلك لم يشأ الله سبحانه أن يحرم المسلمين مما كان يسبغه عليهم من الخير والفضل أيام الهجرة بل ابقاه لهم وأجراه عليهم بالجهاد فى سبيل النية الصادقة المخلصة فى الأعمال يوضح هذا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لاهجرة

بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » قال النووى فى شرح هذا الحديث « يريد أن الخير الذى انقطع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة واذا أمركم الامام بالخروج الى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فأخرجوا اليه » أهـ كلامه ولا شك أن منع النفس من مقارفة شهواتها وتجنيبها من مباشرة متعها ولذائذها جهاد أى جهاد فانه صراع عنيف بين المـرء ونفسـه هى تبغى الاقدام والفعل وهو يريد الاحجام والترك وهذا نضال وجهاد له اجره وثوابه اذا صدقت فيه النية وخلصت السريرة لله وفى الله « انما الأعمال بالنيات وأنما لكل امرى مانوى » الحديث وكما أن ترك المعاصى جهاد هو كذلك هجرة لأنه سبق ان الهجرة من الشىء تركة ومفهوم أن المعاصى بغية النفس ورغبتها واذا تركها الانسان فقد هجرها وعلى هذا يكون تطهير الصدر من الأحقاد والأضغان هجرة وتطهير النفوس من الأثرة وحب الذات وهجرة وترك التجسس على العورات هجرة وتجنب النفاق ومخاصمة المنافقين هجرة والامتناع عن السعى بين الناس بالفساد وبذر الشقاق والبغضـاء فى صفوفهم — هجرة وهكذا اجتناب كل ما نهى االله عنه هجره يؤيد هذا قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » أى المهاجر هو هاجر معصية الله ابتغاء مرضاة الله وهل يعنى ذلك هجر بلد المعصية كذلك كما هجر المهاجر الأول مكة بلد الشرك .

للعلماء فى هذا رأيان بعضهم يوجب ذلك ويعنى على المؤمن أن يهجر المعصية ويهاجر من بلدها الى بلد خال منها حيث لافـرق بين الهجرتين والبعض الاخر يرى الاكتفاء بترك المعصية مع البقاء فى بلدها مع محاربتها قدر المستطاع ويبدو أن النصوص تظاهر الرأى الثانى فهذا قوله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان » ليس فيه سوى التكليف بانكار المنكر فحسب — وهذا قول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم » يلقى ضوءا على هذا الرأى ويوضحه قول رسول الله فى حديث أبى ثعلبة الخشنى وقد ساله ابو أمية الشعبانى عن هذه الآية فقال ثعلبة أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله — صلى الله عليه وسلم فقال « ائتمروا بالمعروف وتنـاهوا عن المنكر حتى اذا رأيت — شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة ودع العوام » وليس ترك المعصية هجرة فحسب بل هو هجرة وجهاد مما تقدم وتارك المعاصى مهاجر مجاهد له فضل المهاجـرين وثواب المجاهدين « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وانى أهيب بالمسلمين وقد يسر الله لهم السبيل وأبقى ما منـح آباءهم من ثواب وأجر وفضل أهيب بهم أن لا يفوتهم فضل الهجرة ولا ثواب الجهاد وكلاهما محل مرضاة الله ومفخرة المسلمين الأولين ، وليستعن المسلم على الهجرة والجهاد بذكريات السابقين وما كان لهم فى ميدان العمل والتعامل مع الله والناس من جهد وتضحية ليرى أنهم هاجروا من الباطل الى الحق ومن الوثنية الى التوحيد وليرى أن مالاقوه من خصومهم من عنت وايذاء لم يزدهم الا ايمـانا وتثبتا حتى امتدحهم الله وذكرهم فيمن عنده ليستعن المسلم بهذه الذكريات الخالدة ولايدعها تمر به كأنها صفحة بيضاء ولا تسترعى النظـر أو صيحة فى صحراء لاتطرق الأذن ليستعن المسلم بهذه الذكريات فانها أعظم حافز وأقوى دافع فان الذكريات صـفحات التاريخ تتلو علينا أمجاد الماضين ومثل السابقين نهتدى بها فى ظلمات الفتن ونتخذها دروعا نتـقى بها ضربات الزمن وان صدقت النيـة وحسنت الاسوة فيما نعمل نجد هناك نصر الله الذى وعد به المؤمنين فنرفع أيدينا قائلين « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

والله ولى التوفيق والهادى لأقوم طريق ✪

من ذكريات

الهجرة

كيف بك اذا ألبست سوارى كسرى ؟!!

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

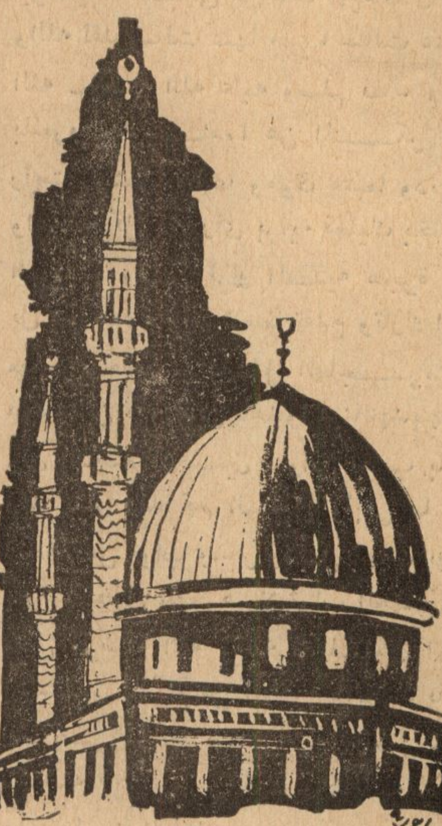

تنقضى الأيام والسنون ، وتتوالى الأعوام والدهور ، ولا تزال هجرة النبى والمسلمين من مكة الى المدينة تاركين الأهل والولد ، والدور والمال ، توحى الى النفوس المؤمنة الذكريات والعبر ، التى تهز الأعطاف ، وتستولى على المشاعر ، وتبشر المؤمنين المجاهدين فى سبيل العقائد الصحيحة ، والمثل العليا الكريمة ، بانتصار الحق ، وزهوق الباطل وأن النصر للصابرين ، وأن العاقبة للمتقين ، وأن من اعتمد على الله ، وراقبه فى علانيته ، ونجواه، كفاه ورعاه ، وأذل خصومه وعداه ، وأن وقاية الله ـ سبحانه ـ تغنى عن الدروع السوابغ ، والحصون الشواهق ..

وقد تجلت عناية الله ـ تبارك وتعالى ـ بنبيه ، وصفيه محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من لدن خروجه من داره بالبلد الحرام الى حين وصوله الى مهاجره بطيبة ـ المدينة ـ التى طابت وطاب المقام بها ، وقد كانت هذه العناية أمرا محسوسا حينما خرج الرسول على المشركين من داره وقد أغشى الله أبصارهم ، وأخذ على مشاعرهم فلم يشعروا به وحينما وقف المشركون على باب الغار والنبى وصاحبه بداخله حتى قال الصديق : **والله يا رسول الله لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا. فيرد عليه الرسول : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » !**

وحينما أدركه سراقة بن مالك بن جعشم يريد أن يأتى به حيا أو ميتا طمعا فى الجعل الكبير الذى رصدته قريش لذلك ، وسأكتفى اليوم بقصة سراقة اذ فيها عبر ، وتمخضت عن معجزة نبوية ذلك أن قريشا لما فاتها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعجزهم أن يدركوه ، جعلوا لمن يأتى به حيا أو ميتا جعلا كبيرا ـ مائة ناقة ـ وهو جعل ينقل الرجل من الفقر الى الثراء فى هذا العهد ، وبينما سراقة جالس فى مجلس من مجالس قومه ـ بنى مدلج ـ اذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال : يا سراقة انى رأيت آنفا أسوده

ـ أى أشخاصا ـ بالساحل أراها محمدا وأصحابه ، فعرف سراقة أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثنى عزم مخبره والحاضرين عن ادراكهم ، فقال : انى رأيت فلانا وفلانا ـ يبتغون ضالة لهم ، فلبث فى المجلس ساعة ، ثم قام فأمر جاريته أن تأخذ فرسه وتلقاه ، بعيدا عن القوم ، وأخذ رمحه وخرج مستخفيا ، ثم ركب فرسه وصار ينهب الأرض نهبا حتى صار على مرأى ومسمع من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه أبى بكر ، **وكان رسول الله يقرأ القرآن ولا يلتفت ، بينما أبو بكر يكثر من الالتفات خوفا على رسول الله من الطلب ، وهنالك تجلت عناية الله بنبيه ، فساخت قدما فرسه فى الأرض فخر عنها ثم زجرها ، وتابع السير وراءهما طمعا فى هذا الجعل السخى ، فساخت قدما فرسه فى الأرض مرة أخرى وسقط عنها ، ولكن رغبة الظفر بالجعل جعلته يتابع السير ، فساخت قوائم فرسه فى الأرض مرة ثالثة ، فداخله رعب عظيم ، وناداهما بالأمان ، وأيقن فى نفسه حين لقى ما لقى أن الله سيظهر أمر رسوله ويتم دينه ولو كره الكافرون .**

ولم يجد بدا من أن يخبر الرسول بالحقيقة، فقال : ان قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبره بما يريده به الناس، وعرض عليه وعلى أصحابه الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئا ، ولكن أخذ عليه الرسول العهد أن يخفى أمرهم ، ويرد الطلب عنهم ، فسأل سراقة النبى أن يكتب له كتاب أمن ، فأمر النبى عامر بن فهيرة فكتب له وقد وفى سراقة بما عاهد النبى عليه فصار ينكص كل من لقيه عن طلب النبى وصحبه ، وأخفى الأمر حتى أيقن أن الركب النبوى قد وصل الى المدينة واصبح فى مأمن من الطلب، فصار يحدث القرشيين بما رأى وما سمع ، حتى أقض مضاجعهم وأدخل الحزن على أنفسهم ، ومما قاله لأبى جهل وقد لامه أن ترك النبى :

أبا حكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فاننى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

وقد صدق حدسه وظنه ، وهكذا خرج جاهدا حاقدا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أول النهار ورجع آخره وهو يخذل عنه ، وينافح عنه ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

ولم يقف الأمر فى قصة سراقة بن مالك بن جعشم عند هذا الحد بل أخبره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنبوءة أخرى ما كانت تخطر على بال انسان الا أن يكون نبيا يوحى اليه ، وقد جاء الواقع التاريخى ، فصدقها وكشف عن سر الاعجاز فيها فقد روى الثقات أن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال لسراقة وقد هم بالرجوع : « **كيف بك ياسراقة اذا لبست سوارى كسرى** » ؟!!

فقال سراقة متعجبا : كسرى بن هرمز ؟!!
فقال النبى : نعم .

فرجع سراقة وهو فى حيرة من هذا الأمر، وتواردت على نفسه الهواجس والخواطر وشتى الخلجات النفسية : محمد بن عبد الله الذى لم يجرب أحد عليه كذبا قط ، ولم يعهد عنه المجازفة فى القول ، والذى خرج مستخفيا من قومه يخشى الرصد ، ويخاف الطلب يعدنى سوارى كسرى ملك فارس ، انه للأمر العجب !!

وتدور الأيام دورتها ، ويتألق نجم المسلمين ، ويواتيهم النصر بعد النصر ، وتعلو كلمة التوحيد ، وتتقرر معالم الشريعة فى الجزيرة ، وما هى الا بضع سنوات حتى دخل المسلمون « مكة » بلد الله الحرام منتصرين ومكبرين ، وحامدين وشاكرين ، ويقابل سراقة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرجعه من « **حنين** » وهو بالجعرانة ، فيطلعه على كتاب الأمن فيقول له رسول الله :

« اليوم يوم الوفاء والبر » فيسلم سراقة ويحسن اسلامه •

وتجرى عجلة تاريخ الفتوحات الاسلامية مسرعة لا تلنوى على شئ ، حتى كان زمن خلافة الخليفة العادل العبقرى عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فيفتح الله سبحانه على المسلمين بلاد فارس على سعتها ، وتدول دولة كسرى ، ويؤتى بغنائم فارس وفيها سوارى كسرى ، وبساطه ، وتاجه ، وجواهره التى قدرت بألوف ألوف الدراهم والدنانير ، ويقف الفاروق عمر متعجبا من أمانة القوم فيقول : **« ان قوما أدوا هذا لذووا أمانة » فينطق الله** أحد الصحابة الكبار بالحكمة فيقول له على ـ رضى الله تعالىٰ عنه ـ **« انك عففت فعفت الرعية »** ويقسم عمر الغنائم بين المسلمين ولم ينله منها شىء •

ويتذكر الفاروق عمر والمسلمون مقالةرسول الله صلى الله عليه وسلم لسراقة فى الهجرة ، فيؤتى بسراقة بن مالك بن جعشم ويلبسه الفاروق سوارى كسرى ، وأمره برفع ساعديه وقال له قل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم ، اعرابيا من بنى مدلج ، ورفع بها عمر صوته ، وتبعه سراقة رافعا بها صوته ، ثم اركب سراقة ، وطيف به فى المدينة اظهارا لمعجزة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان يوما مشهودا •

وهكذا صدق الله نبوءة نبيه ، ونصر عباده الصالحين ، وأذل دولة الظلم والمفسدين ، وكتب العزة لرسوله وللمؤمنين ، وصدق العلى العظيم « وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » •

الهجرة

فى الأعوام القليلة قبيل الهجرة ، ابدى الكفر من ضروب العسف والارهاب ما وصل به الى قرار الحرمان من حق الحياة ، أوالحصار بكل ماتفيده كلمة الحصار من معان ، متمثلا فى معاهدة تعتبر المسلمين ومن يمالئهم او يعطف عليهم جماعة واحدة فى مواجهة سائر الناس ، وعلى أهل مكة ألا يبيعوا هذه الجماعة أو يبتاعوا منهم شيئا ، وعليهم الا يزوجوهم أو يتزوجوا منهم . وكتب بذلك العهد صحيفة علقوها فى جوف الكعبة •

قال السهيلى : ـ كانت الصحابة اذا قدمت عير الى مكة يأتى أحدهم الى السوق ليشترى شيئا من الطعام ، قوتا لعياله ، فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار ! غالوا على أصحاب محمد ، حتى لا يدركوا معكم شيئا ، وقد علمتم ما لى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسارة عليكم • فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا ، حتى يرجع أحدهم الىٰ أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شىء يطعمهم به • ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس •

حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا •

بين الهزيمة والانتصار

الأستاذ ابراهيم عوضين

ويظل هذا الحصار الاقتصادى الاجتماعى العام ثلاثة أعوام .. ينمو مع الأيام عنفه ، وتزداد قسوته ، وتتفاقم أخطاره حتى يضطر المسلمون الى الاستطعام مما لا يتصور فيه الاستطعام .

روى يونس عن سعد بن أبى وقاص قال : خرجت ذات ليلة لأبول ، فسمعت قعقعة تحت البول ، فاذا قطعة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ، ثم أحرقتها ورضضتها وسففتها بالماء ، فقويت بها ثلاثا .

* * *

أقدمت قريش على عهد المقاطعة مترددة فى أول أمرها ، لخوفها من عشيرة محمد ، ولوجود من يجاملهم من قادتها وكبرائها ، ممن كانوا سببا فى نقضها فيما بعد – ولكنها أباحت لنفسها أكثر من ذلك بعد أن مات أبو طالب – عم محمد – الذى سخر جاهه وسلطانه وعلاقته بسادة قريش فى الدفاع عن ابن أخيه والذود عنه ، والذى كان عاملا هاما من أجله ثار من ثار على صحيفة المقاطعة .

روى أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : **ما نالت منى قريش شيئا أكرهه ، حتى مات أبو طالب .**

وعن ابن مسعود قال : « بينا رسول الله يصلى عند البيت – وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جذور بالأمس – فقال أبو جهل : أيكم يقوم الى سلا جزور بنى فلان ، فيضعه بين كتفى محمد اذا سجد . فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبى – صلى الله عليه وسلم – وضعه بين كتفيه ، فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر .. لو كانت لى منعة طرحته عن ظهره !

والنبى ساجد ، مايرفع رأسه ، حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت – وهى جريرية – فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم » .

ويوغل أهل مكة فى كفرهم ، ويضاعفون من عنادهم ، حتى يصلوا المدى فى هذا الطريق، وحتى يحس المسلمون بالخطر المتزايد ، فيندفع رسولهم الكريم – قلقا على من آمن – ذاهبا الى الطائف ، رجاء أن يجد لدى ثقيف شيئا من أمن ، يواصل معه الدعوة ، ويطمئن به على من آمن .

وانتهى – عليه الصلاة والسلام – الى الطائف بعد أن قطع نحو خمسين ميلا سيرا على قدميه .

ولكنه – عليه الصلاة والسلام – لم يجد فيها قلبا يخفق للحق ، ولا أثرا لعقل يتفتح للنور .

فردوه ردا منكرا ، وأغلظوا له الجواب .

ثم عاد بعد عشرة أيام قضاها فى محاولات يائسة ... عاد مطرودا ، فأوى وصاحبه زيد ابن حارثة الى ظل كرمة فى الطريق التماسا للراحة ، وكانت أحجار صبيان الطائف قد أدمت أقدامه – عليه الصلاة والسلام – وشجت رأس زيد حين حاول الدفاع عنه .

ولكن شأن جسمه لم يكن يشغله عن آلام نفسه الجريحة ، وما يجره وراءه من مآس تتلاحق من غير انقطاع .

فهتف من أعماق نفسه يقول : **« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس .. أنت أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين .. وأنت ربى ... الى من تكلنى ؟!.. الى بعيد يتجهمنى ؟ ... أم الى عدو ملكته أمرى ؟**

ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ..غير، ان عافيتك هى أوسع لى ..

أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك ، أو أن ينزل بى سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك ..»

* * *

٢ - وفى ذلك الحين من الأعوام القليلة قبيل حادث الهجرة - التقى محمد - وكان دائم الحركة والسعى فى المواسم - بنفر من أهل يثرب عند العقبة، ألان الله قلوبهم للدعوة.

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله اظهار دينه ، واعزاز نبيه ، وانجاز موعده له خرج رسول الله فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار.

فعرض نفسه على قبائل العرب - كما كان يصنع فى كل موسم - فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسول الله قال لهم: من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم الى الله ، وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن .

قال : فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا : انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك !

فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك !!

ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا .

ولكنهم عادوا فى العام التالى ومعهم مثل عدتهم .

وعزم الاثنا عشر رجلا على الاجتماع برسول الله ، ليوثقوا معه اسلامهم ويؤكدوه .

وتم اللقاء بالعقبة فبايعوه على الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الأعمال . والبعد عن مناكرها .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى « الا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف .. »

ولما تمت البيعة قفلوا عائدين الى يثرب ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى أن يبعث معهم أحد الثقات من رجاله ، ليتعهد نماء الاسلام فى المدينة ، ويقرأ على أهلها القرآن ، ويفقههم فى الدين ، ووقع اختياره على مصعب بن عمير ، ليكون هذا المعلم الأمين .

ولم يكن مصعب - فى عمله ذلك - كأولئك المرتزقة من المبشرين الذين يبعثهم الاستعمار الغربى بين يدى زحفه على بلاد المشرق حتى يقبع الواحد منهم تحت سرير مريض ، ليقول له : هذا الدواء تقدمه لك العذراء ، وهذا الرغيف يقدمه لك المسيح . أو يجلس خلف جدار مدرسة ، لينحرف بالناشئة من خلال الثقافة المشوهة التى ينشرها بينهم .

لم يكن مصعب - مبعوث محمد مع الطليعة من أهل يثرب - واحدا مثل هؤلاء اللصوص الأفاقين .

لقد كان وراءه نبى مضطهد ، ورسالة تعتبر ضد القانون السائد ... !

فما كان فى يده من وسائل الاغراء شىء يطمع طلاب الدنيا ، وانما هى لمحات من نور الايمان، وقبس من هدى النبوة ، يمازجها اخلاص لله .. فاذا بالقلوب ترق ، واذا بالعقول تتفتح ، واذا باليثربيين يدخلون فى دين الله أفواجا.

ويعود مصعب - والموسم الجديد على الأبواب - يخبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالفتح الجديد ، ويبشره بأن جموعا غفيرة اعتنقت الاسلام بعد اقتناع من شغافهم وبصر أنار أفكارهم ، وسوف يرى - عليه السلام - من وفودهم فى هذا الموسم ما تقر به العين .

* * *

٣ - وفى الوقت الذى ظن فيه مشركو مكة أنهم حصروا الاسلام فى نطاق لا يعدوه ، وأنهم

- بما صنعوه مع المسلمين من ضروب العسف والتعذيب والارهاق - قد شغلوهم بأنفسهم عن مواصلة المد الاسلامى .. فلم يعد الأمر يقلق المشركين ، أو يثير مخاوفهم .

فى هذا الوقت كان المسلمون فى طريقهم الى تحقيق أخطر كسب وأكبر نجاح .

وصلت جموع المسلمين - من أهل يثرب - الى مكة ، وفى نفوسهم من الايمان الثائر ما فيها .. ذلك الايمان الذى دفعهم الى أن يتساءلوا :

« حتى متى نترك رسول الله يطوف بأحياء العرب ، فيطرده هذا ، ويعيبه ذاك ؟! »

قال جابر بن عبد الله : فرحل اليه منا سبعون رجلا ، حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه فى شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين ، حتى توافينا ، فقلنا : يارسول الله ! علام نبايعك ؟ قال : تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وأن تقوموا فى الله لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى ، فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة .

فقمنا اليه ، واخذ بيده اسعد بن زرارة - وهو أصغر السبعين بعدى - فقال : رويدا يا أهل يثرب ، فانا لم نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وان اخراجه اليوم مناواة للعرب كافة . وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، واما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه !! .. فبينوا ذلك ، فهو أعذر لكم عند الله !

فقالوا : يا أسعد ! أمط عنا يدك ، فوالله لانذر هذه البيعة ولا نستقيلها .

فقمنا اليه رجلا رجلا فبايعناه .

***

بهذا اليقين المؤمن ، والروح القادية المستبسلة تمت بيعة العقبة الثانية التى كانت فاتحة عهد جديد ، والتى كانت خطوة كبرى فى طريق الدعوة المضطهدة الى التحرر والاستقرار .

ويبدو للباحث أن العواطف الفائرة لم تكن وحدها التى توجه الحديث أو تملى العهود ، فان حساب المستقبل دوجع مع حساب اليوم ، وان الغرم المتوقع نظر اليه قبل الغنم المأمول .

بهذا الايمان العميق ، وتلك الروح الخالصة المتيقنة ، اجتمع جند الحق ، فتحالفوا على أن يقسموا ظهر الصهيونية ، ويقضوا على الشرك وينتهوا بالجاهلية ومفاهيمها الى الفناء .

ولكن شيطانا من شياطين الشرك استمع - وهو يجول بين مضارب الخيام ومنازل الحجاج - الى الضجة المنبعثة قريبا من العقبة ، واستطاع أن يقف على جلية الخبر ، فصرخ ينذر قومه : « ان محمدا والصباء معه قد اجتمعوا على حربكم » .

قال كعب : فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا فى منازلنا ، فقالوا : يامعشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وانه والله ما من حى من العرب أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

قال : فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون ما كان من هذا شىء ، وما علمناه .. وصدقوا ، لم يعلموا !

قال كعب : وبعضنا ينظر الى بعض . بيد أن القرائن تجمعت على أن ما قيل حق ، فخرجت قريش تطلب الأنصار ففاتوهم ، ولم يدركوا غير سعد بن عبادة ، فعادوا به مغلولة يداه الى عنقه ، وأخذوا يجذبونه من شعره ويلكزونه ، فانقذه منهم جبير بن مطعم والحارث بن حرب اذ كان سعيد يجير لهما قوافلهما بالمدينة .

***

٤ - وبدا كأن الكرة انتقلت مرة ثانية الى أيدى المشركين ، ليتحكموا فيها ، وليوجهوها

الوجهة التى ترضى عقولهم الجامدة ، وأفكارهم العفنة .

ولكن فاتهم أن الأمور تبدلت، وأن للمسلمين اليوم دارا أخرى تهفو الى لقيـــاهم ، وأن للمسلمين اليوم اخوة يتوقون الى تعويض ما فاتهم من سبق الى الاسلام ، وجهـاد فى سبيله .

فاتهم أن المسلمين اليـوم – فى تقبلهـم الاضطهاد والعنف – غيرهم بالأمس فى ذلك .

لقد كان المسلمون بالأمس قلة مستضعفة لا قوة فى يدها ، ولا ملجأ تحتمى فيه ، الا ان يكون الحبشة ، ولذا صبروا على الاضطهاد مضطرين ، حتى يأتى الله بالفرج .

أما اليوم فقد تغيرت الأمور ، وأصبح المسلمون قوة ، لهم ملجأ لا يبعد عن موطنهم كثيرا ، ولذا فصبرهم على الاضطهاد ليس الا انتظارا لأمر الله ورسوله .. حين تأتى اللحظة المناسبة للمعركة الفاصـلة ، أو للخطـوة الحاسمة .

قال العباس بن عبادة – لمـا انكشف أمر العقبة للمشركين – : يارسول الله ! والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا ، فقال رسول الله : **لم نؤمر بذلك . ولكن ارجعوا الى رحالكم .**

وفى الوقت الذى ظن فيه المشركون أنهم يقبضون على زمام الأمر فى مكة ، وأنهم قد فضحوا تدبير المسلمين .. فى هذا الوقت نفسه بدأ المسلمون يخطون خطوات أكثر جراة ، واعمق ايمانا، وأحسم عملا فى مواجهة التدبير المكى ، والتآمر الوثنى .

فقد ندب رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – المسلمين للهجرة الى المدينة .

روى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله – وهو يومئذ بمكة – للمسلمين **« قد اريت دار هجرتكم ، اريت سبخة ذات نخل بين لابين »** فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ، ورجع الى المدينة من كان هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين .

فلم تكن الهجرة بقصد الفرار من العسف والفتنة فحسب ، وانما كانت تعاونا فى اقامة مجتمع الاسلام الفاضل ، ولذا أصبح كل مسلم قادر يحس بأن فرضا عليه أن يشارك فى بناء هذا الوطن الجديد ، وأن يبذل جهـده فى تحصينه ورفعة شأنه .

وتلبية لذلك الاحساس ، وتحقيقـا لذلك الواجب ، هرع المسلمون من مكة وغير مكة ، ميممين شطر يثرب ، غير ملقين بالا الى ما يخلفون وراءهم ، ولا الى من يخلفون من أهل ونشب ، يحدوهم اليقين ، وترفع رءوسهم الثقة .

ونظر المشركون فاذا ديار بمكة كانت عامرة بأهلها قد أقفرت ، ومحال أمحلت .

مر عتبة والعباس وابو جهل على دار عامر ابن ربيعة بعد ماغلقت ، فقد هاجر رب الدار وزوجه وأخوه – وكان رجلا ضرير البصر – ونظر عتبة الى الدار تخفق أبوابها يبابا ، ليس بها ساكن ! فلما رآها تصـفر الريح فى جنباتها قال :

وكل دار وان طالت سلامتهـا
يوما ستدركها النكباء والحـوب

ثم قال : أصبحت الدار خلاء من أهلها .

فقال أبو جهل للعباس : هذا من عمـل ابن أخيك ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا .

* * *

٥ – وما كان أبو جهـل وأضرابه بالذى يستسلم للهزيمة فى يسر ، وهو الطاغيـة العاتى .

نظر المشركون فوجدوا المهاجرين يتركون مكة فى تلاحق مستمر ، حتى كادت تخلو من المسلمين .

وهذا الأمر يعنى – الى خراب مـكة – ان الاسلام أصبحت له دولة يشع منها ، وحصن يأوى اليه ، ويحتمى به .

وتجسمت أمام أنظار المشركين المخاوف من جديد ، وزايلهم الغرور الذى طالما تزيوا بارديته ، ولكنهم اندفعوا فى طريق أشد من الغرور وأعنف .

فما زال محمد بمكة - وهو سيلحق بالمهاجرين حتما - فلم لا تقضى عليه قبل أن يدركهم ، وبذلك العمل يضمنون قلب الأمر - من جديد - رأسا على عقب ..

واجتمع طواغيت مكة ليقولوا فى ذلك الأمر مقالتهم . واستقر - بعد مناقشات - رأيهم عند اقتراح أبداه أبو جهل ، رأى فيه أن يأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ، ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ، ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد ، فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ، ولن يقوى بنو هاشم على حرب قريش كافة ، فاذا لم يبق أمامهم الا الدية أديت اليهم .

ورضى المؤتمرون بهذا الحل ، وانصرفوا ليقوموا على انفاذه .

وفاتهم أن محمدا لا يقف فى مواجهتهم وحده .

« واذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك ويمكرون » .

« ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

وبينما هم يدبرون قتل محمد على هذه الصورة ، دبر محمد - عليه السلام - خطة خروجه من مكة .

وسارت الأمور على ما قدر هو ودبر .

ولم يرق المشركين أن يعرفوا بالهزيمة ، ويستسلموا لها ، فلاحقوا محمدا ، وانطلقوا فى آثار المهاجرين ، يرصدون الطرق ، ويفتشون كل مهرب ، وينقبون فى جبال مكة وكهوفها ، حتى وصلوا قريبا من غار ثور ، فارتاع أبو بكر وهمس يحدث رسول الله : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا !

فقال الرسول : يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟!

وكان نصر الله خاتمة المطاف :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين » .

« اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ، ان الله معنا » .

« فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها » .

« وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

وازداد استياء قريش ، وجن جنون طواغيتها ، فجعلت دية كل واحد منهما جائزة لمن يجىء ، بهما أحياء أو أمواتا .

وحاول من حاول تحقيق ذلك الربح ، والحصول على الجائزة ، ولكن الجميع رجعوا خائبين .

بينما محمد وصاحبه يصلان الليل بالنهار .

وفى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول لثلاث عشرة سنة من البعثة وصل محمد مع صاحبه وصديقه .

* * *

وبدا للرائى وجه الحياة المدنية باسما هادئا مطمئنا ، ينظر الى المستقبل نظرة الأمل الرحيب بينما بدا وجه الحياة المكية خاسئا عابسا مضطربا ، يجلله الخزى ، ويسرى فى جوانبه الخسران والحسرة .

لقد كانت الهجرة - فى ظاهرها - انسحابا منظما ، اضطر اليه القائد اضطرارا .

ولكنها كانت فى الحقيقة - هجوما عنيفا ، حطم بواسطته القائد كل معاقل أعدائه ... وما بقى لم يكن سوى انتفاضة النهاية تصدر عن الطائر المذبوح .

كانت كذلك الهجرة ، فقضت على البقية الباقية - لدى المشركين - من الأمل المراود ، والرجاء اللامع .

فاذا احتفل المسلمون بيوم الهجرة ، فهم انما يحتفلون بذكرى يوم تحقق للمسلمين فيه أخطر كسب حصلوا عليه مذ بدأ الدعوة الى الاسلام رسول الاسلام - عليه الصلاة والسلام - من غير أن يشهر واحد من المسلمين سلاحا .

فنجاح المسلمين فى الحصول على وطن لهم هو أخطر كسب يصيبونه فى ذلك الحين ... فى الوقت الذى اشتدت فيه عداوة قريش لهم ، وتجمعت فيه كلمتهم على حرب الاسلام وماجت فيه عناصر الشرك من الطائف الى مكة ، تكيد للاسلام ، وتتفنن فى ايذاء المسلمين .. حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ..

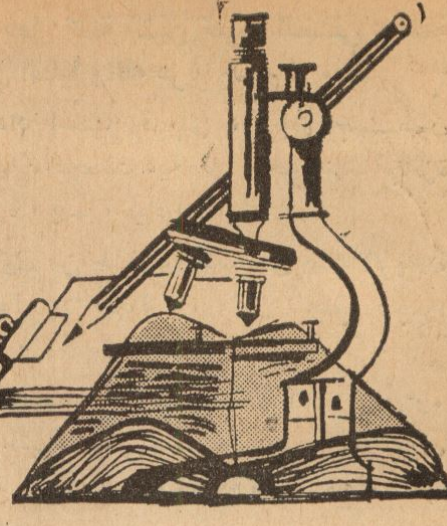

القرآن والعلم الحديث

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

وهذا مدح من الله للانسان وان جاء فى معرض الذم وهو ضرب من ضروب البلاغة والمعنى أن الانسان ظلوم لنفسه لكنوده وكفرانه بنعم مولاه مع ماتفضل الله به عليه من ضروب النعم العقلية والجسمانية التى ارتقت به عن أفق الحيوان الى افق الانسانية الراقية وجهولا بقيمة مايحمله من أمانة الله فيه من كفايات للمعرفة : والامانة على التحقيق هى المعرفة وقيل أنها الشهوة وهو خطأ محض لان الشهوة تحملها ايضا البهائم ، والانسان امتاز عن الجماد والنبات والبهائم بما فيه من عقل وقلب يوصلانه الى العلم والمعرفة .

والآن فلنتحدث عن الانسان وما حباه الله به من مواهب حرم منها ماعداه فيما اقلت الارض وأظلت السماء من كائنات .

فالانسان هو الكائن الاوحد فى سائر وحدات البيعة الذى يتوسط مجموع الكائنات مابين طبيعية وروحية والهية ، فهو بمظهره الجسمانى كائن طبيعى موضوعى تعروه العوارض والفواعل الطبيعية كأى كائن فى عالم الموضوع .

واما من جهة حياته وروحه وفكره ، ومن جهة الحوافز الكامنة فيه للادراك والمعرفة سواء من طريق العقل أو من طريق الوجدان والقلب فهو كائن شاعر مدرك مفكر . وبذا يعتبر كائنا الهيا أرقى من سائر الحيوانات وهى جنسه ، ومن سائر الملائكة وهى جنس روحى مجرد ، ومن سائر الجن والشياطين وهى جنس مستجن فى الوجود نارى النشأة والطبيعة . وعلى ماذا أسست مكانة الانسان فى الوجود ؟!

ذلك لان الانسان جامع لكل هذا ، وقد فضل على الجميع بشىء واحد . هو طينته البشرية وبنشاط واحد هو كيف تسمو بواسطته كائنات الطبيعة كلها فتتصل بالشئون الروحية والالهية « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين » أى خلقناه فى احسن تقويم فطرى وروحى ثم رددناه الى الارض أسفل سافلين ليبتلى بالخير والشر معا وذلك لاجتماع الخير السماوى والشر الارضى فيه ولقول الله تعالى ايضا « وهديناه النجدين » « اما شاكرا واما كفورا » .

فالانسان من جهة وضعه الوجودى فى رتبة بين الملك والحيوان ولذا هو متصل بعالم الوجود الاعلى بطرف ، ومتصل بعالم الوجود الادنى فى أعلى رتبة منه بطرف آخر .

وأما وظيفته التى خلق لأجلها والواقعة فى السؤال : لماذا خلق الانسان ؟ فهذا ماسوف نجيب عنه فيما يأتى : -

وقد علمت أيها القارىء ان الفرق بين القوة والنور - النور الذى تكون عنه الادراك ، والنور الذى تكونت عنه الاشياء المدركة - هو فرق نسبى أو فرق لفظى يساوى الفرق فى قولك نفس الشىء وذاته .

فاذا تكونت المادة بحركة الطاقة ، واستعدت لان يتكون منها كائن أرقى ، تضامن مع نشاط القوة الطبيعية نشاط الحياة فى تنشئة الكائن الارضى النامى على مختلف اجناسه وأنواعه من نبات وحيوان وانسان .

ومن ثم يتعين وجود الكائن الحى فاذا تتطور ذلك الكائن الحى تبعا لسنة الترقى وتنوعت خلاياه وتعددت وظائفه وتدرجت من البساطة الى التركيب والتعقيد كما فى الانسان مثلا ، ظهرت فيه رويدا رويدا مع المبدا الحى الذى ينميه ويكسبه خصائص اخرى كالفكر والارادة والابتكار « الالهام » .

فاذا تكاملت شخصية الانسان واتحدت أضواء الصفات الالهية فيه بأضواء الصفات الطبيعية الناشئة عن غرائز الجسم ، أصبح كائنا انسانيا سويا داركا مريدا مميزا .

ويكون مع ذلك متعاطفا مع غيره أو متنافرا بحسب حكم تكوينه . ولهذا وذاك يصبح فؤاده مرآة تنعكس عليها سائر أضواء الصفات الالهية كالحياة والعلم والادراك والارادة ، والقدرة .. الخ . وكذلك سائر الصفات الطبيعية النباتية والحيوانية التى ورثها من جبلته الطينية . وبهذا وذاك يقرب الوجود الامكانى الكونى من الوجود الالهى . وهكذا يشرف العالم الادنى على العالم الاعلى ، ويتجلى العالم الاعلى بأضوائه على العالم الادنى . ويظل الانسان اجتماعيا بطبيعته ومفكرا بادراكه

وملكيا بروحه والهيا بقلبه وشيطانيا بغرائزه الدنيا وبشذوذ جبلته ان لم تكن سوية .

وهنا يجتمع نور الادراك ونور الايجاد الاشعاعى الكونى فيبين الوجود عن علته ويدل بسائر دلائله وشواهده للانسان عن الحقيقة التى تظهرها الخبرةالانسانية من الناحية الذاتية والموضوعية ، دالة على سببه وغايته التى ينزع اليها متطورا ومندفعا بما طبعه عليه مكنونه وسببه الاول ـ من نشاط فعلى ومن نزعات نفسية وغرائزية متسامية

وعليه فما عسى ان تكون وظيفة الانسان العليا فى هذا الوجود ؟! سوى المعرفة ، لان المعرفة يجب ان تكون أعلى وظيفة للانسان فى الوجود لانه موضع الصلة بين الارض والسماء بين الخليقة وخالقها وذلك بما خص الله به فؤاده من ادراك وعلم بالحقائق النسبية ، أو المطلقة فتصير فى الذات الانسانية عرفانا كونيا ـ طبيعيا ، وعقليا ، والهيا ، عن طريق الوعى البصيرى القلبى والادراكين العقلى والحسى ، وبما يصل الى ذهنه من صور الاشياء الكونية وكيفاتها ، وما يتبع فى ذاته من ادراك عقلى الهى ، ثم ان للانسان وراء ذلك وظيفة ذاتية هى حفظ وجوده النوعى وبعبارة أخرى استمرار الحياة ومتابعة ناموس الترقى .

وبالمعرفة يدرك العقل أنه مدرك للناحيتين الالهية والطبيعية ويعى مفاهيمها ومدلولاتها . وكيفية ذلك ان الادراك الحسى يحول له الاحاسيس من صور كونية الى معانى ومدارك عقلية ملائمة ومتناغمة مع التعقل والتصور العقليين .

وبهذا وذاك يتصل الوجود الطبيعى الامكانى بالوجود الالهى الوجوبى عن طريق ذات الانسان ومافيها من كفايات ادراكية حسية وعقلية وبصيرية كما بينا .

ودرجات المعرفة أربعة هى :

الادراك الحسى الموضوعى : وبه تنتقل أطياف الاشياء الكائنة فى عالم الموضوع الى الذهن عن طريق فريعات الاعصاب الحسية والسمعية والنظرية والشمية والذوقية فتصير فى الذهن عمليات ادراكية معقولة بعد ان يطرح الذهن من عملياته أغلفتها الطيفية المحسة كالالفاظ والاصوات والذبذبات وغير ذلك .

الادراك العقلى الذاتى : وموضوعه المقارنة والتحليل والتركيز والتركيب للقضايا الادراكية عن طريق منطقة الذاتى الضابط لمنهج تفكيره . فهو يعلل الحقائق ويستقرىء ابعاضها او يستنتج منها نتائج بناء على مقومات عقلية ذاتية أو بديهية وجودية يؤلفها من خبراته فى عالم الذات وعالم الموضوع وينتج بذلك نتيجة ناشئة عن الخبرتين الذاتية والموضوعية . والى هذا الحديث تكون نهاية العلم وبداية الفلسفة . وبعبارة اخرى تاسيس النظريات القابلة للتطبيق العلمى وتكون الخبرة العلمية الواقعية مؤسسة على نظريات الفلسفة فيتناول العلم تلك النظريات كشىء قابل للتطبيق العلمى الاستقرائى فيطبقها بتجاربه العلمية المخبرية وغير المخبرية فاذا ماتناولها باحثا عن علائقها قوانينها وأساليب اجتماعها وافتراقها والاسباب المؤثرة عليها استنتج من كل هذا الاستقراء نتائج علمية تكون فى مجموعها فلسفة للمعرفة العلمية ، وبذا يعود العلم الى احضان امه الفلسفة .

وبهذا وذاك يكون الانسان هو المخلوق الوحيد الذى تسامى فى ذاته جميع وحدات الكائنات لمواجهة خالقها ومبدعها ومجال هذا البصيرة أو الوجدان أو الحس او الذوق الفطرى ، قل ماشئت ، ثم تنعكس تلك الاضواء ثانية على سائر كفايات الذات حاملة صور بقية الوحدات الكونية أو النقط الوجودية وكيفياتها وخصائصها وتميز بينها فيصير الكم والكيف والحد والحيز والصورة واللون ، علما عقليا ومعرفة .

اقول ـ ماذا يكون الفرق بين الانسان سيد الطبيعة ومسخرها وهو أعلى كائن فيها وبين أحط الكائنات ، اذا لم تكن له وظيفة أسمى من وظائفها ومؤهلاتها جميعا ؟! واذا لم يكن للانسان مثل هذا الغرض يستهدفه وتوجيه عليه رتبته الكونية التى تميز بها فى سلم الخليقة ؟! فما هو الغرض ؟

الا أن يكون ذلك الغرض هو العلم والمعرفة . ثم حب الخير لذات الخير ، لان الخير فى ذاته هو الترقى الذى ينشده قانون التطور . وبه الاخلاق وهى الاحسان الى غيره من المخلوقات والقيام فيها بالعدل والقسطاس ، وأيضا القيام بما يكون قد وضعه على نفسه من التزام لغيره ممن يعول من الناس ، وذلك قياما بوظيفته الثانية التى هى العمل على استمرار الحياةوقانون الترقى واطاعة الناموس الالهى ، الدينى

وماذا تنتظره سوى ذلك من كائن ليس فوق ذاتيته من سائر وحدات الطبيعة الا ذات الله نفسها وان كان فى الوقت نفسه مخلوقا ككل كائن خاضع لنظام الطبيعة ؟!

فاذا قام الانسان بذلك الواجب المقدس نحو الله اولا ثم نحو نفسه ، ثم نحو سائر أبناء جنسه ، ثم نحو بقية الكائنات الطبيعية (حيوانها ونباتها وجمادها) .

اقول ـ لو قام الانسان فى كل ذلك مقاما وسطا عادلا محسنا : لتنزلت على قلبه وفؤاده من لوامع المعرفة وسوانح الرحمة ما يسعده ويطمئن له فؤاده وتقر به عينه فيغمره من السرور والسعادة واللذة مايحسده عليه كل من لم يوفق الى فعله ومسلكه ولو حيزت اليهالدنيا بحذافيرها !

وجهتنى هذه المناسبة الكريمة الى أن اتحدث عما يدور فى خواطرى نحو ابتداء هذا العام الجديد الذى يبدو أنه عام خير وبركة على العروبة والاسلام جميعا ، فالسير يدل المسير ، والمقدمات تلد النتائج •

اذا نحن رجعنا بذاكرتنا الى ما كان يدور فى العالم الاسلامى والعربى فى العام المنقضى ، ولا سيما فى ابتداءاته لوجدنا غير ما نجد اليوم ، فلقد كان فى الجو بعض الغيم ، ظن به انه معوق عن السير ، مفرق للرأى ، مبدد لصفاء القلوب ، واذا به يذوب تحت حرارة الشمس المشرقة ، والاخوة الصادقة ، وكأن لم يغن بالامس ، وكأن لم يكن شيئا مذكورا ، وفى هذا الطريق السوى يسير الوطن العربى والاسلامى الى أهدافه الكبرى •

* * *

لى وقفة تاريخية فى التحدث عن هذه السنة الجديدة ، والحديث عن السنة القمرية لا يعدو أن يكون حديثا عن مؤرخى المسلمين ، وما أثبتوه من موسوعاتهم واسفارهم ، مع اضافة ما يعن لى أن أضيفه من جديد شاهدته ، وحديث رأيته رأى العين ، وللتاريخ والمشاهدات مقتضيات لا ينبغى لنا التفريط فيها ، وذكريات لا يغفل شأنها ، وفى الاطلاع على التاريخ استرواح ، وفى روايته ارتياح ، وفى ربطه بالأحداث الجديدة تبيين وافصاح •

شهر المحرم من الشهور التى لها أحاديث طويلة عند علماء العرب والاسلام ، مثل ان يقولوا انه فى اليوم السادس عشر منه جعلت القبلة الى بيت المقدس ، وفى السابع عشر أغار أصحاب الفيل على الكعبة المكرمة ليهدموها ، فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، الى غير ذلك فيما نسبوا الى أكثر أيامه من وقائع وأحداث ، كما

نسبوا الى بقية أيام الشهور كلها مثل ذلك أيضا .

فوق هذا فان القرآن الكريم قد عده من الشهور الاربعة الحرم ، فى قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم .. » .

والقرآن الكريم فى ذلك هو امام المؤرخين ، فقد جعل رجب الفرد ، وذا القعدة وذا الحجة والمحرم هى الأربعة الحرم ، التى انقضت أسباب حرمتها بانقضاء هذه العود التى كانت حياة العرب فيها حياة اقتتال واحتراب ، وغنائم واسلاب ، وحياة هذا شأنها ليست هى الحياة الطبيعية المطمئنة ، فاقتضت حكمة المولى القدير ان يكون لهؤلاء المتناحرين ابدا - اوقات يستريحون فيها من هذا التجالد الذى كان موضع فخارهم فى أشعارهم :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول

وان تكون لهم هدنة يعصمون فيها ارواحهم واموالهم ، حتى ان الرجل منهم فى الاشهر الحرم - كان يلقى قاتل ابيه او اخيه ، او سالب امواله ، او الجانى على حريمه ، فلا يحاول ان يمسه بسوء ، لان حرمة هذه الشهور الأربعة كانت تملأ موضع العقيدة من أفئدتهم ، فلا يجدون عنها منصرفا ، ولذلك كانوا ينزعون الأسنة من رماحها ، لتكون معطلة عن القتل والاحتراب ، مخافة أن يوسوس الشيطان لاحدهم : فينقض العهد والميثاق ، ويفسد حرمة هذه الشهور .

ان الاسماء التى اختاروها للاربعة الحرم ناطقة بأن هذه الشهور هى شهور حرم حقا ، فشهر رجب سمى بهذا الاسم لان الناس يرجبونه ، أى يهابونه ويعظمونه ، فلم يكن يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قعقعة سلاح ، ومن هذا الباب أنهم وصفوه بانه شهر الله الاصم ، والاصم من الايام والشهور هو الذى لا يتسامع فيه باى صوت للملهوف ، او شاك ، أو مظلوم ، وسمى ذو القعدة بهذا الاسم لانهم كانوا يعقدون فيه عن الحرب والقتال ، وعن كل اعتداء ، مهما توفرت فى نفوسهم اسباب الضغائن والاحقاد .

وسمى ذو الحجة بهذا الاسم لانه شهر حج بيت الله ، وهذا البيت كان معظما عند العرب فى الجاهلية ، كما هو معظم الآن عند المسلمين ، وهذا البيت العتيق هو الذى اقامه ابو الانبياء ابراهيم ، وابنه اسماعيل عليهما السلام ، أخذا من قول القرآن الكريم : « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا ..** » ولذلك كانت سدانة هذا البيت ، وخدمته ، ورعاية شئونه - مفخرة كبرى لمن تؤول اليهم هذه السدانة فى الجاهلية والاسلام ، واما اسم المحرم فهو صريح فى الذى قصدت به تسميته من حرمة وصيانة ، ويبدو لى ان أسماء الشهور هذه المتعددة لمعنى واحد - كان يصح ان يطلق عليها اسم واحد منها لولا ان القرآن الكريم قد نص على أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، والتعبير بلفظ « عدة » يفيد العدد وان كان المراد منها واحدا .

* * *

لاتمام الحديث التاريخى اذكر ان اليوم العاشر من المحرم يسمى يوم عاشوراء ، ولذلك قصة ، فقد رووا عنه صلوات الله عليه وسلم أنه لما قدم الى « يثرب » - وجد قوما من اليهود يصومون هذا اليوم ، فسأل عن سبب ذلك ، فاخبروه بانه اليوم الذى فلق الله فيه البحر ، فنجا موسى عليه السلام ومن معه ، وغرق فرعون ومن معه ، فقال صلوات الله عليه : أنا احق بموسى منهم . ولهذه الاحقية راى عليه الصلاة والسلام ان يصوم المسلمون هذا اليوم ، ولا يزال الكثيرون منهم على سنة صيامه للآن ، ولا ريب أن الصيام يتبعه عادة شىء من الاحسان ، ومن الصدقات ، ولذلك عدوا يوم عاشوراء من

الايام الطيبات ، وكان يحب هذا اليوم جميع المسلمين ، لولا انهم تفرقوا فى تقديره بعد مقتل الحسين واليك القصة :

اتفق ان قتل الامام الحسين كان يوم عاشوراء ، وهناك اختلف المسلمون فى تقديره ، فبعضهم حسبه يوما ابيض عليهم ، لانهم قتلة الحسين ، وقد اقاموا فيه الضيافات والمآدب ، واعز بهم بنى امية الذين هم القتلة ، واما آل البيت فانهم اتخذوه يوم نحس مستمر ، يوم عزاء ونواح وبكاء ، وفى هذا المعنى تقول بنت عقيل ابن أبى طالب :

ماذا تقولون اذ قال النبى لكم
ماذا فعلتم وانتم آخر الامم

بعترتى وباهلى بعد مفتقدى
منهم اسارى وصرعى ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكم
ان تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى

وقد اتخذه الشيعة يوم عزاء ، ينوحون فيه ويندبون ، وقد يبخعون انفسهم بسيوفهم ، ولقد ادركت ما كانت تقوم به الجالية الايرانية فى القاهرة يوم عاشوراء ، من التجمعات الكبرى ، فى مواكب مرصوصة ، يستلون فيها سيوفهم ، ويضربون بها جباههم الى ان تدمى ، صائحين : حسن حسين ، الى أن ينتهوا الى المسجد الحسينى ، فيزداد بهم الوجد والصياح ، وضرب الجباه بالسيوف ، ومعهم اطباؤهم ، يخففون ما يمكن تخفيفه من جراحهم .

اما مشاهداتى عن عيد راس السنة فهى كثيرة ، اذكر منها ما زال عالقا بذاكرتى ، وكانه وقع بالامس .

كانت الحركة الوطنية تغلى مراجلها فى القلوب ، وعلى الالسنة ، وفى المجتمعات والاندية ، وفى شعر الشعراء ، وكتابة الكتاب ، وقد زادها موت مصطفى كامل اشتعالا جماعيا ، بعد أن كان هو وحده فى حياته يحمل رايتها خفاقة بيديه القويتين ، ولذلك استحدث فى الجو العربى الاحتفالات لهذا العيد الذى كان شعراؤنا يتخذونه ميدانا وطنيا محببا الى نفوس الشباب خاصة ، ولا زلت اذكر قصائد شاعر الشعب ، حافظ ابراهيم فى هذه الاحتفالات الوطنية التى كانت تقام فى ارحب الامكنة ، واكبرها تقديرا ، مثل ممثل « محل التمثيل » الشيخ سلامة حجازى بحى الازبكية ، واذكر ان اول ما سمعت منه القصيدة التى مطلعها :

اطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا

وفى السنة التى بعدها قال قصيدته التى مطلعها :

كن انت بعد اخيك خير هلال
واضىء لمصر سبيل الاستقلال

وفى السنة التالية قال قصيدته التى مطلعها :

لى فيك حين بدا سناك واشرقا
امل سالت الله أن يتحققا

وجميعها موجودة فى ديوانه فليرجع اليها من يشاء ، والظاهرة التى كانت فى شعر حافظ هى جعله هذه القصائد كسجل جامع لاحوال العرب والمسلمين عن السنة الماضية كلها .

اما شوقى فلم يؤثر عنه فى هذه المناسبات الا قليلا ، كأن يقول فى عيد راس سنة ١٣٢٩ :

العام اقبل قم نحى هلالا
كالتاج فى هام الوجود جلالا

تتنافس الآمال فيه كانه
ثغر العناية ضاحك الآمالا

وما زالت الاحتفالات بهذا العيد جارية الى أن حجبتها الحرب العظمى ، اما فى ايامنا وفى ثورتنا المباركة فهى فى معانيها ثورات ، وفى مغازيها انتفاضات ، وحى على الفلاح .

قطوف

الاستاذ علي الجندي

الهداية فى القرآن .

الهداية فى القرآن الكريم ، تقع على وجوه .

أحدها بمعنى الدلالة والارشاد ، يقال : هداه الطريق ، وللطريق ، والى الطريق . وهذا الوجه عام لجميع المكلفين ، فانه سبحانه هدى كل مكلف الى الحق ، بأن دله عليه وأرشده لأنه كلفه الوصول اليه ، قال - تعالى - وهديناه النجدين ، (انا هديناه السبيل) الى غير ذلك .

ثانيها : ان يكون بمعنى زيادة الألطاف التى بها يثبت على الهدى ، ومنه قوله - تعالى - (والذين اهتدوا زادهم هدى) أى شرح صدروهم وثبتها .

ثالثها : أن يكون بمعنى الاثابة ، ومنه قوله - تعالى - (يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم » وقوله - تعالى - «والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم » .

والهداية التى تكون بعد قتلهم هى اثابتهم لامحالة ، لأنه ليس بعد الموت تكليف .

رابعها : الحكم بالهداية كقوله تعالى : «ومن يهد الله فهو المهتد »

وهذه الوجوه الثلاثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم ، لأنه - تعالى - انما يثيب من يستحق الاثابة - وهم المؤمنون - ويزيدهم ألطافا بايمانهم وطاعاتهم ، ويحكم لهم بالهداية لذلك أيضا .

وخامسها : أن تكون الهداية : بمعنى جعل الانسان مهتديا : بأن يخلق الهداية فيه ، كما يجعل الشىء متحركا بخلق الحركة فيه ، والله - تعالى - يفعل العلوم الضرورية فى القلوب فذلك هداية منه .

سبوح قدوس :

التسبيح : التنزيه لله - تعالى - عن السوء وعمالا يليق به . والتقديس : التطهير ، وضده التنجيس . ومعنى السبوح : المستحق للتنزيه والتعظيم ، والقدوس : المستحق للتطهير .

وسبوح قدوس : بضم السين والقاف ، وبضم الباء والدال المشددتين . وقد حكى سيبوية : أن منهم من يقول : سبوح قدوس بفتح السين والقاف ، والضم اكثر فى الكلام والفتح أقيس ، لانه ليس فى اللغة فعول بضم ثم بضم مع التشديد الا فى « ذروح » وهى دويبه حمراء منقطة بسواد وتعد من السموم .

المن والسلوى .

في المن عدة وجوه :

أحدها : انه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر . وهو قول ابن عباس .

وثانيها : أنه شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار ، وطعمه كالشهد والعسل . وهو قول مجاهد .

وثالثها : أنه الخبز المرقق ، وهو قول وهب .

ورابعها : أنه جميع النعم التى من بها عليهم ، مما لاتعب فيه ولانصب

والسلوى : طائر السمانى « السمان » وقيل : طائر أبيض يشبه السمانى ، يقال للواحد والجمع عند الاخفش ، وعندالخليل : أن الواحد : سلواه والجمع سلوى .

وجاء في شعر خالد بن زهير : ان السلوى هي العسل ، وكذلك وردت في مصنف أبى عبيد .

وقال أبو على الفارسى : والذى عندى : ان السلوى كأنه ما يسلى عن غيره لفضيلة فيه من فرط طيبه ، أو قلة معاناة ، وعلاج في اقتنائه . فالعسل لايمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمى الطائر الذى كان يسقط مع المن به .

تنزيه الله .

قال الجنيد : أشرف كلمة في التوحيد : ما قاله أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - : لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته ، الا بالعجز عن معرفته .

وقال الامام جعفر الصادق : من زعم ان الله - تعالى - في شيء أو من شيء ، أو على شيء ، فقد أشرك !! اذ لو كان على شيء لكان محمولا ، ولو كان من شيء لكان محدثا ، ولو كان في شيء لكان محصورا ، ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا !!

التحميد في المنام .

قال علماء التعبير : ان التحميد في المنام يدل على شيئين .

الأول : زيادة الرزق ، لقوله - تعالى - : « لئن شكرتم لأزيدكم » .

الآخر : على مجيء ولدين ذكرين ، لقوله - تعالى - حكاية عن خليلة ابراهيم - عليه السلام - « الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق » .

ومن لطائف التعبير : أن رجلا قال لابن سيرين : رأيت في المنام كأنى أبلع اللؤلؤ ثم أرميه .

فقال له : انت كلما حفظت شيئا من القرآن تنساه !

وقال له رجل آخر : رأيت في المنام كأنى أرمى اللؤلؤ في الطين !

فقال له : أنت تقرأ القرآن في الطريق !!

الحزن قسمان .

قال الغزالى : الحزن قسمان : محمود ومذموم .

فالمذموم : كالحزن على مافات ، قال تعالى - « لكيلا تأسوا على مافاتكم » وكالحزن على الأموات ، فانه تسخط لقضاء الله - تعالى - وتأسف على مالا تدارك له ، وتحريكه بالنياحة مذموم أيضا .

والحزن المحمود حزن الانسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكى والحزن والتحازن على ذلك محمود كذلك ، وعليه بكاء آدم ونياحة داود عليهما السلام - لأن المفضى الى المحمود محمود .

وعلى هذا لايحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بالحانه الأشعار المحزنة المرقة للقلب ! ولا ان يبكى ويتباكى ليتوصل به الى تبكية غيره واثارة حزنه .

حسن السياسة

قال أنوشروان : الناس ثلاث طبقات ، نسوسهم بثلاث سياسات .

طبقة هم خاصة الأبرار ، نسوسهم بالعطف واللين والاحسان ، وطبقة هم خاصة الأشرار ، نسوسهم بالغلظة والعنف ، وطبقة هم العامة نسوسهم بالشدة واللين ، كيلا تخرجهم الشدة ، ولا يبطرهم اللين .

وكان الرشيد فى بعض غزواته فالح عليه الثلج فى بعض الليالى ، فقال له أحد خاصته : أمير المؤمنين ، أما ترى مانحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر ، والرعية قارة وادعة نائمة !

فقال له : اسكت فللرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولابد للراعى من حراسة الرعية ، وتحمل الأذية . والى ذلك أشار بعض من مدحه بقوله .

غضبت لغضبتك الصوارم والقنا
لما نهضت لنصرة الاسلام

ناموا الى كنف بعد لك واسع
وسهرت تحرس غفلة النوام

التطيب .

كان - عليه الصلاة والسلام - يعرف خروجه من منزله برائحة المسك ، وكان اذا سلك طريقا ، عرف السائل عنه أين يمم لطيب ريحه .

وكان ابن مسعود - اذا خرج الى المسجد - عرف جيرانه ذاك بطيب ريحه .

وكان ابن عباس يطلى جسده بالمسك ، فاذا مر بالطريق ، قال الناس : أمرابن عباس أممر المسك ؟!

وعن مكحول - رحمه الله : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، ومن جمع بينهما ظهرت مروءته .

الغنى الفقير :

قال رجل لابراهيم بن أدهم : يا أبا اسحاق أحب أن تقبل منى هذه الجبة كسوة .

فقال ابراهيم : ان كنت غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها .

قال : انى غنى

قال : كم عندك ؟

قال : الفان

قال : أيسرك أن تكون أربعة آلاف ؟

قال : نعم .

قال : أنت فقير فلا أقبلها .

موعظة موروثة

عن عون بن عبد الله ، قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : من عمل لآخرته ، كفاه الله شر دنياه ، ومن أصلح مابينه وبين الله ، أصلح الله مابينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته ، أصلح الله له علانيته .

عقلية طيىء

لما قدمت سبايا طيىء على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - تقدمت منه احدى الفتيات فقالت :

يامحمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تمن على وتخلى عنى ، ولاتشمت بى أحياء العرب ، فانى ابنة سيد قومها ، ان أبى كان يحمى الدمار ، ويفك العانى ، ويطعم الجائع ، ويكسو العارى ، ويفشى السلام ، ولا يرد طالب حاجة أبدا !

فقال - عليه الصلاة والسلام - « من ابوها ؟ »

فقالوا : حاتم طيىء .

فقال : « لو كان أبوها مسلما لترحمنا عليه ! خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الأخلاق » فلما جاءت أخاها عدى بن حاتم قالت : ايت هذا الرجل ، فانى رأيت هديا ورأيا وخصالا أعجبتنى ، رأيته يحب الفقير ، ويرحم الصغير ويعرف حق الكبير ، وما رأيت أحدا أجود منه ولا أكرم فأسلم على واسلم قومه !

لكل فضل زكاة .

قال الحكيم : ان لكل فضل زكاة ، وان زكاة المال : الصدقة على الفقير . وان زكاة القوة ، المدافعة عن الضعيف المظلوم . وان زكاة البلاغة : القيام بحجة من قد عجز عن حجته وان زكاة الجاه : ان يعاد به على من لاجاه له وان زكاة العلم : التعليم لمن قصر علمه .

يؤثرون على أنفسهم .

روى الزبير بن بكار فى كتابه الموفقيات : أنه استشهد من المسلمين فى واقعة اليرموك :

الحارث بن هشام ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، وقد أتى لهم بمـــاء وهم صرعى وفيهم رمق !

فكان كلما قدم الماء الى واحد منهم ، قال: اسق فلانا !

فمات الثلاثة ولم يشربوه !!

تفقد الرعية .

كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يأمر عماله أن يوافوه فى الموسم ، فاذا اجتمعوا قال: يأيها الناس ، انى لم أستعمل عمالى عليكـــم ليصيبوا من ابشاركم ولا من أعراضـــكم ، ولا من أموالكم شيئا انما استعملتهم ليحجزوا بينكم ، ويردوا عليكم فيئكم ، فأيكم كانت له عندى مظلمة فليقم !

وسأل عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ رجاء بن حيوة عن حال رعيته مـــع العمال ، فقال : رأيت الظالم مقهورا والمظلوم منصورا ، والغنى موفورا ، والفقير مبرورا !

فقال عمر : الحمد لله الذى وهب لى من العدل ما تطمئن اليه قلوب رعيتى .

وتعرض له متظلم فى بعض الطرق ، فوقف له وأزال شكايته ! فقيل له : هلا صبرت حتى يستقر بك المنزل ؟ !

فقال : الخير سريع الذهاب ، وقد خشيت أن أفوته بنفسى ، وانما هى فرصة قدمت فيها العزم ، واستصحبت الحزم !!

جوع يوسف ـ عليه السلام ـ

قيل ليوسف ـ عليه السلام ـ كيف تجوع وأنت على خزائن الأرض؟!!

قال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع !

الخوف من النفاق .

قال رجل لبعض الصالحين : أخشى أن أكون منافقا !

فأجابه ، لو كنت منافقا لم تخش .

كلام له وجهان :

سأل زياد رجلا بالبصرة : أين منزلك ؟

قال : واسط

قال : كم لك من الولد ؟

قال : تسعة .

فلما خرج ، قيل لزياد ، لقد كذبك فى كل ما سألته ! ليس له الا ابن واحـد ، وان منزله بالبصرة !

فلما عاد اليه قال : ذكرت أن لك تسعـة من الولد ، وان منزلك بمدينة واسط ! وقد خبرت بغير ذلك !

قال : صدقت ، وصدقوك : دفنت تسعـة بنين فهم لى ، ولى اليوم ابن واحد ولســت أدرى أيكون لى أم لا .

واما منزلى ، فهو الى جانب الجبانة بين أهل الدنيا وأهل الآخرة فأى منزل أوسط منه ؟ فقال زياد : صدقت .

وصية للمعلمين .

قال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمـــد مؤدب ولده : ليكن اصلاحك بنى أول اصلاحك نفسك ، فان عيوبهم معقودة بعيبك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح ما استقبحت وعلمهم سير الحكماء ، وأخلاق الأدباء وتهددهم بى وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الـذى لايعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولاتتكلن على عذر منى ، فانى قد اتكلت على كفـــاية منك !

لاغيبة لثلاث .

قال الحسن : لاغيبة لثلاث ، فاسق مجاهر بالفسق ، وذى بدعة ، وامام جائر .

ستة لا يخلون من الكآبة :

رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف على ماله الهلاك ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبـة لايبلغها قدره ، ومخالط الأدباء بغير أدب

قوة النمل .

قال رجل لبعض الملوك : جعل الله قوتك مثل قوة النمل ! فأنكر عليه ذلك .

فقال له : ليس من الحيوان ما يحمل أكبر من جسمه غير النمل ! وقد أهلك الله بالنمل أمة من الأمم ، وهى جرهم !

قصة يوسف الصديق بين القرآن الكريم وبين كتب العهد القديم

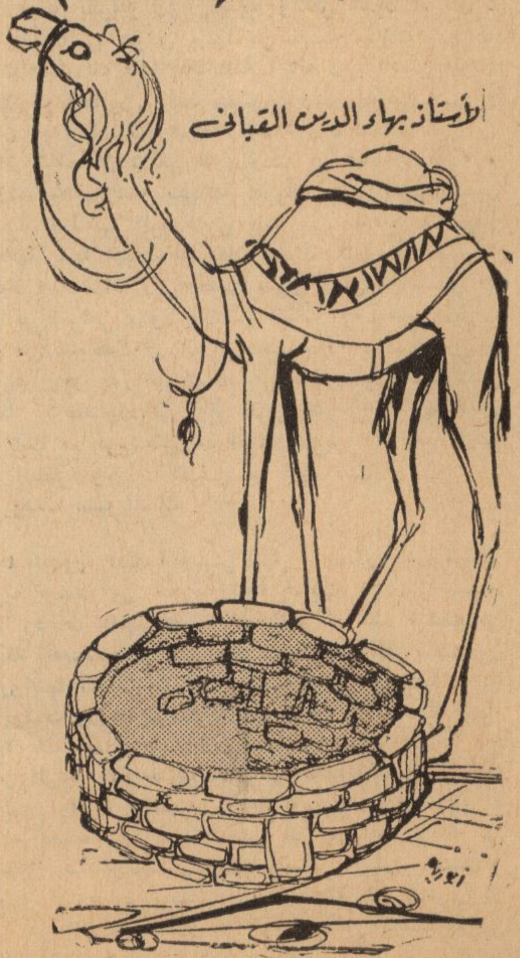

الأستاذ بهاء الدين القباني

ملخص لما نشر

رأينا فى المرحلة الاولى من هذه القصة الخالدة كيف ان القائمين على ترجمتها وبالتالى على ترجمة كتب العهد القديم قد حالفهم جانب من الصواب فى بعض فقراتها وحوادثها بينما تنكبوا الطريق القويم للترجمة فى كثير من المواضيع .. فاذا بقصة يوسف فى العهد القديم تكاد تكون اهدارا لكرامة أركان القصة الطويلة .. وفى القرآن تبلغ مبلغا رائعا فى الاتقان .. ورأينا اوجه ذلك الاختلاف الجوهرى بينهما فى كل من القرآن وكتب العهد القديم ، ووقفنا فى العدد الماضى عند رجوع اخوة يوسف الى ابيهم بقميصه بعد القائه فى البئر وقوله : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل » ..

ومرة اخرى تطل علينا هذه القصة الحكيمة من خلال مرحلتنا الثانية من المراحل التى ارتأيناها منهجا للبحث والتى تبدأ بسرور عزيز مصر من يوسف حتى دخوله السجن ، تلك المرحلة الدقيقة التى تلمس خلالها قمة البناء القصصى ونستشعر عمق احداثه ، ولا غرو فقد وصفها عز وجل بانها (احسن القصص) .

وهنا يتعين علينا التدرج مع هذه المرحلة فى غير قليل من التحقيق والتدقيق ، فهى فترة خصيبةفى حياة يوسف بذرت له فيها بذور الوجاهة والتمكين فى الارض ، فأنبتت بعد حكما وعلما ت مثل الشجرة الطيبةالتى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..

وعندما نقول التدرج مع هذه المرحلة فى كلا الكتابين المعنيين فاننا نرمى الى امور ثلاثة :

اولاها : بحث كيفية تأثير الحوادث وترتب بعضها على البعض الآخر فى البناء القصصى .. ثانيها : تباين انفصال الحوادث عن بعضها بعض انفصالا تنعدم فيه علاقة احداها بالاخرى ثالثها : الاطناب غير المستساغ مما يفقد السرد قوته وجاذبيته ورابعها : اسقاط جوهر الحادثة ومايترتب على الاسقاط من ضحالة وفوضى فى البناء وفى السرد .

ان منطق الحوادث فى القصة يستتبع السير مع بطلها خطوة خطوة او الاشراف على تحركاته من قريب أو من بعيد اللهم الا اذا أراد القصاص تهيئة الظروف وتمهيدها امام البطل أثناء سير الحوادث فاننا نغفر له وضع البطل جانبا الى حين، حتى اذا جاء دوره فى الظهور على مسرح الحادثة ألفينا ظهوره متكاملة مع الظروف التى خلقها حواليه القصاص ، فلا نشعر ان ثمة هوة بين القصة تعيبها .

هذا الانخراط مع بطل القصة خطوة خطوة هو مانجده فى قصة يوسف فى القرآن .. فمنذ افتتاحية القصة التى تبدأ بحديث يوسف الى ابيه عن الرؤيا نجد ذكر يوسف فى كل آية منها حتى خاتمتها ، بل ان كل سطر فيها تلمس اشارة الى يوسف .. أو صورة هو رائدها ولا نعتقد هذه الاشارة أو تغيب عنا تلك الصورة فى أى سطر من القصة .. فكأن القرآن قد ارسل عدة أقطار الى محيط الدائرة التى ترى يوسف مركزا فيها ولم يدع القرآن للاوتار أن تظهر أو تتشابك مع الاقطار فتضفى لونا غريبا معقدا على بناء القصة .. فمنذ أن باع الاخوة يوسف الى التجار الذين وجدوه فى البئر بعشرين من الفضة والقرآن ينقلنا مع يوسف حيثما ساقته الاقدار الى مصر ، ويصور لنا ماحدث له هناك عند عزيزها ..

هذا فى القرآن ، اما فى سفر التكوين وفيما يتعلق بهذا الامر بالذات امر كيفية تأثير الحوادث وترتب بعضها على البعض الآخر فاننا لا ننتقل مع بطل القصة انتقالا هادئا متدرجا .. بل اننا لنفتقد الترتيب مع شغفنا الجم بتتبع الاحداث لاستغراق وجداننا معها ، هذا عن الامر الاول .. واما عن الامر الثانى الخاص بتباين انفصال الحوادث فان له علاقة بالامر الاول .. فاذا قرانا فى القرآن : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه » انتقلنا مع يوسف الى مصر بعد التمهيد ببيعه الى بعض التجار .. نرى الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين يبدأ بالتحدث عن يهوذا احد اخوة يوسف ويروى لنا كيف تزوج يهوذا بابنة رجل كنعانى اسمه شوع .. ثم حبلت وولدت له « عيرا » ثم (اونان » ثم « شيله » ولما كان « عير » ذلك شريرا فقد اماته الرب فقال يهوذا لابنه الثانى «يونان» ادخل على امراة اخيك وتزوج بها .

وهكذا يتحدث الاصحاح ٣٨ باكمله عن سلسلة من النسب والاحداث بطلها يهوذا .. مع ان يهوذا هذا له دور ثانوى فى القصة كالوتر ... الدائرة لايصح أن نفرد له فى هذا المقام بالذات اصحاحا باكمله .. والا كان سياق القصة اشبه بموضوع الانشاء يكتبه التلميذ فى الصف الخامس الابتدائى الذى لايعنى ترتيبا او تعقيبا ، وانما الذى يعنيه هو تسويد الصفحات فقط بأية مادة حتى ولو كانت خارجة عن الموضوع خروجا تاما .. وأغلب الظن أن هذا الاصحاح «ص٣٨» ليس مكانه ... وانما يجب أن يكون مكانه فى أعقاب الاصحاح السادس والثلاثين حيث السلسلة الطويلة من النسب ، اما ان المترجم ياتى به هكذا كالنتوء الذى يعترض مجرى النهر ويطلب الينا أن نقراه ونتقبله دون أن يكون له اى تاثير على مجرى الحوادث .. لا الحوادث السابقة ولا الحوادث اللاحقة لنعلل انفسنا بان هذه السلسلة قد يكون لها تاثير ما على القصة فهذا مالايمكن قبوله بأية حال .. فاذا اغفلنا هذا الاصحاح ٣٨ اغفالا تاما فاننا لا نشعر بأن ثمة نقصا ما قد حدث !

اما الامر الثالث وهو الخاص بمقارنة الايجاز بالاطناب غير المستساغ فنقرأ فى الاصحاح ٣٩ بعد أن سر «عزيز مصر بيوسف » فوكله على بيته ودفع الى يده كل ماكان له ، وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ماكان له ان الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف وكانت بركة الرب على كل ماكان له فى البيت وفى الحقل فترك كل ماكان له فى يد يوسف » : (٣٩:٣-٦) وهكذا تمضى فقرة « كل ماكان له » فى تكرار كان يكفى ذكرها فى هذا الموضع مرة واحدة فقط .. هذا المعنى صاغه القرآن فى كلمات قلائل ذات معان عميقة فقال العزيز لامراته (اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض » اى جعلنا له فيها مكانا كما ورد فى روح المعانى للالوسى .. وثمة اطناب فى مواضع كثيرة من سفر التكوين وثمة اعجاز وايجاز فى كل آية وحرف من القرآن ليس هذا محل تبيانها جميعا ..

اما الامر الرابع وهو الخا... باسقاط جوهر الحادثة فهو اهمها .. بل واخطرها جميعا على الاطلاق .. فاننا اذا رأينا القرآن الموحى به من عند ا... ... علينا حادثة معينة ويضع الخطوط الدقيقة لها .. واذا علمنا ان التوراة موحى بها من الله ايضا فلا معنى اطلاقا الى اسقاط جوهر الحادثة من كتاب دون آخر ، فان منزل كليهما واحد لم يتغير ولم يعتوره نسيان بالاضافة الى أن اسقاط الحادثة من أحد الكتابين ضياع لروح القصة بأكملها واهدار لها .. ولا أريد أن أذهب بعيدا عن هذا فأقول بالتناقض بينهما .. ومستحيل على الله تبارك وعلا أن يناقض نفسه .. فاننا واجدون سفر التكوين فى الاصحاح ٣٩ يسقط عدة حوادث برمتها .. مع أن هذه الحوادث تعتبر من أعمدة القصة ومن روائع مجرياتها .. ففى هذا الاصحاح ٣٩ نطلع أن فوطفيار عزيز مصر قد جعل أملاكه تحت تصرف يوسف. وذات يوم دخل يوسف البيت فامسكت زليخا زوجة سيده بثوبه قائلة «اضطجع معى » فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج الى خارج » (ص ٣٩:١٢) فاغتاظت منه ونادت اهل بيتها واخبرتهم بتهجم يوسف عليها ودليلها فى هذا الثوب الذى تركه الى جانبها وهرب .. وبعد مضى فترة جاء السيد الى البيت فأخبرته الزوجة أيضا ، فما كان من الزوج الا أن أخذ يوسف ووضعه فى بيت السجن .

نستطيع ان نستخرج من هذه الحوادث صورا أربع هى كل الصور التى وردت فى سفر التكوين (ص٣٩): أولى : امساك الزوجة بأثياب يوسف وطلبها منه مواقعتها وهو يفر منها ثانية : نداءها لاهل بيتها لتقص عليهم قصة زائفة .. ثالثة : اعادة القصة على مسامع الزوج رابعة : وضع يوسف فى السجن ..

فى الصور الاربع هذه صورة واحدة فقط هى المستساغة موضوعا وهى الصورة الاولى فى سفر التكوين. أما القرآن فقد رسمها بطريقة أروع تهذيبا وأكثر تشوقا اذ قال : «وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله ، انه ربى احسن مثواى انه لايفلح الظالمون. ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء» أى بين القرآن كيف أن الانثى قد راودت يوسف عن نفسه ، وعززت تمحلها هذا باغلاقها للابواب حتى يكتمل الشعور بالانفراد فتذهب الرهبة عن قلب يوسف ، ودعته هى بلسانها بانها تهيات له فكان رده - عليه السلام - : (معاذ الله ، انه ربى احسن مثواى » أى أن سيدى قد بالغ فى اكرامى ، ولا يمكننى خيانته .. وهذا اسلوب بالغ فى تشويقه .. رائع فى تعبيره .. بالاضافة الى أن الله عز وجل قد اظهر شخصية يوسف كنبى معصوم من الخطأ .. فقد ورد فى روح المعانى للألوسى أن الهم همان هم ثابت مع عزم مثل هم امراة العزيز .. وهم عارض وهو الخطرة و... النفس من غير اختيار ... عزم ... هم يوسف عليه السلام .

اما الصورة الثانية فسفر التكوين يصور لنا انه بعد هروب يوسف من حجرة زليخا خرجت ونادت اهل بيتها وقصت عليهم قصتها المصطنعة .. هذه ليست من الحبكة القصصية فى شىء فان أهل منزلها قد يشكون فى روايتها اذا مارأوا أن يوسف بخارج حجرتها ، أى ان يوسف وزليخا لم يكونا تحت سقف واحد لحظة مجىء أهلها عند سماع صراخها .. أما فى القرآن ف... عنصر الرغبة الاكيدة مع الاعراض الشديد « واستبقا الباب » يقترن بالتمهيد لبراءة يوسف بأدق تعبير « وقدت قميصه من دبر » حتى اذا استبانت براءته فى المستقبل بتنفيذ الدليل وهو القميص ، لم يشعر القارىء أن براءة يوسف جاءت مفاجئة هى الاخرى او نابية عن الطريق السوى .. ونرى عنصر المفاجأة فى الحادثة المتناهية فى دقتها : « وألفيا سيدها لدا الباب » الى جانب اقتران سرعة بديهة النسوة وحسن تخلصهن

اذا وجدن انفسهن محصورات فى مثل هذه الحال .. قالت زليخا لسيدها على الفور : (ماجزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم » قالتها على سبيل التعريض غير قاصدة يوسف بعينه حبا منها ليوسف وظنا منها أنها تستطيع تخويفه لينزل على رغبتها فى المستقبل .. ولكن يوسف اراد تبرئة نفسه من هذا المازق فاسرع قائلا : « هى راودتنى عن نفسى » فلم يكن بد من شهادة واحد من أهلها .. وهو ابن خالها قال : « ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن » .

ومرت العاصفة هذه بسلام .. ولم يدخل يوسف السجن بعد ! وانما دخل السجن بعد حادثة ذكرها القرآن ولم يأت لها ذكر على الاطلاق فى الاصحاح ٣٩ وما بعده من سفر التكوين .. فقد أشاع بعض النسوة فى مصر أن امرأة العزيز مواقعة يوسف الذى استحوذ على شغاف قلبها .. وكن يسخرن منها .. ولما سمعت امرأة العزيز بسخريتهن .. أرادت ان تسخر منهن هى الاخرى على طريقة المرأة .. فالمرأة هى هى فى كل زمان ومكان .. فقد جاءت اليهن من زاوية نفسية .. امرأة العزيز .. فكل امرأة اخرى تعلم مدى خطورتها ولم ترد أن ترد عليهن شفهيا بل اقحمتهن فى التجربة التى قاست من ويلاتها ووقفت تتفرج عليهن وهن يعاقبن أ[illegible]ن عقابا شديدا كل هذا دون أن تتفوه بكلمة أو بحجة .. بل اقامت حجتها مادة محسوسة تستطيع كل منهن ان تتلمسها دون وساطة احد .. فقد دعتهن امرأة العزيز الى مادبة وكن أربعين وبينهن الاربعة النسوة اللائى كن السبب فى طرح الاشاعة وفرشت لهن المسائد واعطت كل واحدة منهن سكينا .. فان امرأة العزيز تعلم وتشعر بغريزة الانثى ان النسوة سوف يذهلن ويغبن عن وعيهن اذا مارأين يوسف وحسنه بمجرد ظهوره عليهن فبدلا من ان يقطعن الخبز بالسكين سيقطعن ايديهن .. وتكون بهذا قد قرعت الحجة بادق منها وأعظم فيقول القرآن فى هذه الحادثة (فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن ، فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم. قالت فذلكن الذى لمتننى فيه » وهذه الحادثة ترسم لنا صورة باهرة عن جمال سيدنا يوسف عليه السلام فقد اوضح القرآن هذا الجمال وبين هذا الحسن بصورة محسوسة يقابلها كل قارىء باستحسان ضخم راضى النفس .. دون أن يذكر القرآن هذا الجمال بطريق مباشر .. وهى لفتة قصصية نادرة ، وقد جاء فى سفر التكوين عن جمال يوسف « وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر - ص ٣٩-٦ » وشتان بين التصويرين .

ويظهر لنا تهافت امرأة العزيز على يوسف تهافتا مضنيا يخرجها عن كبريائها كأنثى ذات منصب بقرينها فنراها تعترف فى جمع النسوة بعد ان اكتسبت عطفهن واشفاقهن : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » .. ويبلغ الاسى بها مبلغا شديدا فتقول: «ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين » ولكن يوسف عند عهده : « قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه » .. وهكذا أريد ليوسف أن يسجن فيقول القرآن : « ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين » .. وقد كان ..

وهكذا نستبين من كل ماتقدم ان الاصحاح الثامن والثلاثين قد اخطأ المترجم فوضعه فى مكانه الحالى كالجندل الذى يعترض النهر .. وأن الاصحاح التاسع والثلاثين قد أهمل اهمالا بينا أدق المواقف والظروف التى أحاطت بيوسف فى بيت عزيز مصر حتى ليخرجها هذا الاصحاح عن نطاقها التاريخى الى نطاق محدود ضحل ، كتلك القصص التى يشاهدها ابناؤنا فى مجلات الاولاد .. وهذا بالطبع يرجع الى سوء الترجمة كما سبق ان ذكرنا فى المرحلة الاولى من هذه القصة .. اما فى القرآن العظيم فانه أوجز حوادث المرحلة الثانية ايجازا بلغ الاعجاز .. وعبر عنها فى ترتيب منطقى تعبيرا قرآنيا فخما .. مع عدم اهمال تبرئة يوسف من أول وهلة .. بل تدرجت البراءة معه وسارت مع الحوادث شبرا شبرا .. بينما فى سفر التكوين فى جميع الاصحاحات التى تبدأ بالسابع والثلاثين حتى الخمسين لم تظهر براءة يوسف قط .. وكأن المترجم أبى الا ان يحمل يوسف وزرا لم يقترفه مع ان امرأة العزيز نفسها قد اعترفت ببراءة يوسف صراحة فقالت : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » .

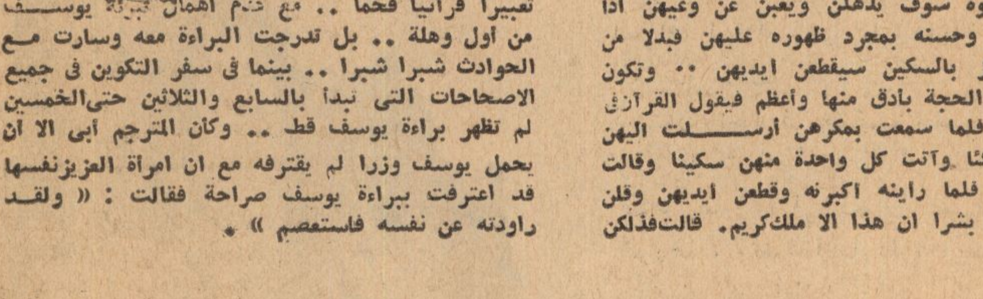

المحرم

الأستاذ محمد أمين هلال

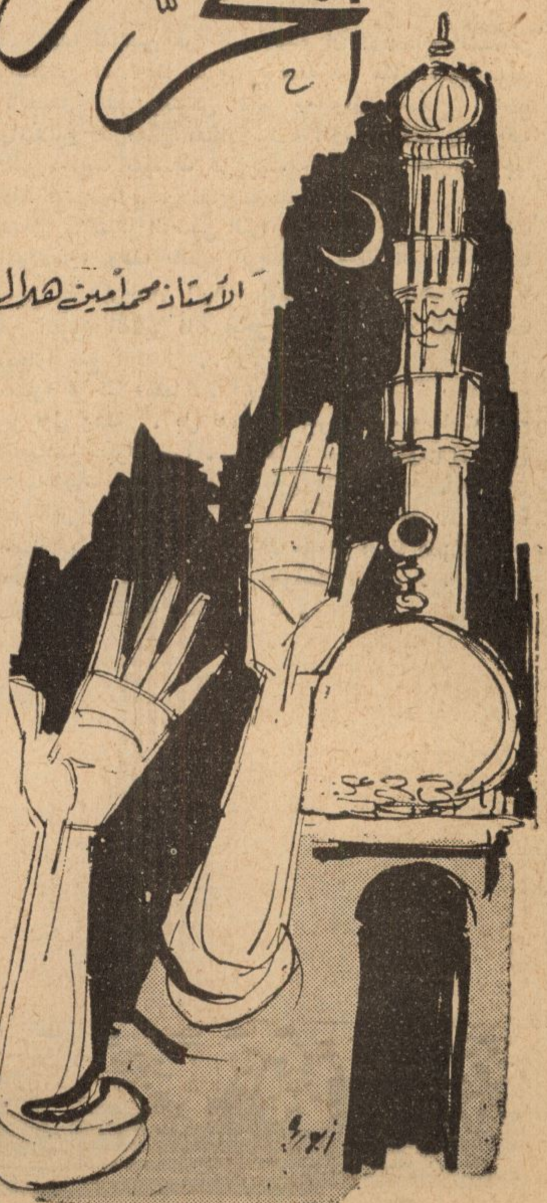

اشرقت على الدنيا شمس المحرم فى يوم كان بدء السنة الهجرية : فى احمرار يشبه فورة الدم فى أعصاب الشباب القوى ، وضياء يحكى نضرة النعيم فى وجه المسماح الكريم . فكان صبحه الضاحى يحكى يومه الماضى حين ملأ الكون نورا ، وأخرج العالم من ضلالة ضل فيها الحائر ، وهوى فى عمقها العاثر ، الى هداية نعم بها المدلجون ، وانتعش ببرها العالمون ، فطبقت وجه الزمان بدين حرر العقول والهمها رشدها ، وملك طبق الأرض شرقيها وغربيها ، وحضارة شهد بها الأعداء وضمنت لدوامها البقاء - قلب جذلان ،حافل حاشد يرصد فلك الاسلام ، ويرقب حركة العرب ويجمع الأهبة لتسجيل ماوقع وماسيقع فى الأمة العربية من وعى شامل ونهضة جبارة وقوة تفرض ارادتها .

قلب صفحته فاذا الجمهورية العربية المتحدة تضيف فى رايتها الى نجميها نجوما وتتجاوب أواصر الدم ، ووشائج القربى بالتوحيد والسير قدما الى الامام ، ونرى العراق المجيد وسوريا العزيزة ، ومصر الكريمة تستظل بعلم واحد ، وتسير وفق دستور واحد فى صف واحد الى هدف واحد وقد عقدت العزيمة على أن تعيد أمجادهاالتى تمتد جذورها فى أعماق التاريخ فتورق أثمارها ، وتغرد أطيارها ، ويستظل الناس من فيئها بظل ظليل .

وهو عامل اليقين يرينا رأى العين ان باقى اخوتنا فى بعض الأقطار العربية سيلحقون قريبا بالركب العربى المتحد ، وما هذه الحياة المضطربة ، والنفوس المتوثبة والصيحات المدوية والصراع العنيف فى بعض هذه الأقطار الا أعلانا بأن نوازى الوحدة تزحف حثيثا الى صدر الام متطلبة عز الحياة فى ظل الجماعة « **وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية** » وليست هذه الأحداث الا طبول النصر تتجهز للمستقبل الباسم القريب بجهازه فتصل ما انقطع من ماض ضخم ، وحاضر تروع ، ومستقبل لهذه الأمة الكبرى يعيد سيرتها

الأولى ليجعلها مسموعة الكلمة مرفوعة الراية يخطب ودها الزمن ، ويأخذ بيدها لتحتل موضع القيادة .

مبعث التاريخ الهجرى .

يتحدث المؤرخون ان عمر بن الخطاب جمع المسلمين للتشاور فى أمر التاريخ حتى يضبط حسابهم ، فعرضوا عليه حوادث يؤرخون بها . **وقد كانت القضايا التى يمكن ان تؤرخ بها أربعة : مولد الرسول ومبعثه وهجرته ووفاته فرجح عندهم ـ كما قال السخاوى ـ جعلها من الهجرة : لأن المولد والمبعث لايخلو واحد منها من النزاع فى تعيين السنة ، وأما وقت الوفاة فاعرضوا عنه لما يوقع تذكره من الأسف عليه وانحصر فى الهجرة وانما أخروه عن ربيع الأول الى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان فى المحرم اذ البيعة وقعت أثناء ذى الحجة وهى مقدمة الهجرة ، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هو هلال المحرم فناسب أن يجعل مبدأه .**

وقد وفق أمير المؤمنين كل التوفيق عندما اتخذ هجرة الرسول من مكة الى المدينة تاريخا يحسب منه المسلمون سنيهم وأيامهم ، ويؤرخون منه احداثهم ووقائعهم . ولوحظ فى هذا بدء رسوخ الاسلام ، كما لوحظ انها كانت مظهرا رائعا لعناصر الحياة القوية النبيلة ـ حياة الألم والتضحية والاخلاص .

وقبل هذه الهجرة الى المدينة هاجر فريق من المسلمين بأمر الرسول بعد أن لاقوا من قومهم أنواعا قاسية من التعذيب

والهجرة أمر واجب يلجأ اليه المحق الضعيف فى مقاومة المبطل القوى .. **« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا : الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا »** أمرهم بالهجرة الى الحبشة فهى أرض قديمة الصلة بمكة وبها ملك رشيد لا يضام من يلجأ اليه بل يحمى حماه .

فخرج من مكة فى شهر رجب من سنة خمس للنبوة زهاء مائة مسلم ومسلمة وكلهم جاز البحر الأحمر من « **الشعيبة** » الى بلاد الحبشة فتلقاهم النجاشى لقاء حسنا وأذن لهم بالمقام بأرضه آمنين على دينهم وأنفسهم . وقد أبى أن يخفر ذمته لهم عندما ارسلت اليه قريش هدية راجية أن يرد اللاجئين اليها . فلما تبدلت الأحوال بالحجاز وعلا شأن الاسلام به جعل هؤلاء المهاجرون يعودون الى الحجاز ، وكان عودة بقيتهم الى المدينة سنة سبع للهجرة أى بعد أن لبث بأرض الحبشة نحو خمسة عشر عاما

وقد جزت الرواية الاسلامية النجاشى عن صنعه هذا بأن اعتقدت اسلامه ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى عليه عندما بلغته وفاته .

لماذا نحتفل ؟

ليس من ريب فى أن هجرة الرسول كان لها بين كل ما عرضوه المقام الأول ، فقد امتلأ يومها بالحوادث العظام ذات الأثر البعيد فى حياة المسلمين والنهوض بالاسلام . وهو أولى الأيام على فضل تلك الجماعة التى احتملت صنوف الأذى ، ولاقت ضروب العذاب فانما يقاس الفضل بتحمل الشدائد ومقاساة الأهوال والنفس المؤمنة حقا هى التى تؤمن ومن حولها شتى المحن وانواع البلاء . فليس يوم أحق بالتاريخ واولى بالاحتفال من ذلك اليوم الذى هجر فيه النبى بلده ـ على ماغرس فى الانسان من حب الأوطان ـ فأحاطه توفيق من الله ونشر دين الله هداه . وكان كل عام قمرى جديد يشير الى يوم للنبى ، هو المنهاج المستقيم لأبطال الحق فى هذه الدنيا والنبراس لمن أراد ان يحفظ من التاريخ دروسا ويأخذ من النبى خير مثال « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** »

متى احتفل بهذا العام الهجرى ؟

لبث « **المحرم** » وقتا ليس بالقصير يطلع هلاله كل عام فلا يكاد يحس به مسلم

الا كما يحس النائم بما حوله • وكان يمر يوم الهجرة ، فلا يعلنه تقويم ولا يحفله أحد •

وفي أوائل هذا القرن تنبه الوعي القومي بفضل حركة عرابي ، وصيحة مصطفى كامل وعمر الشعور بالأمل ، وعمرت القلوب بالعزة والكرامة • ووجد نفوسا خصبة مهياة للتضحية والفداء ، ملبية لما يجلب لوطنها العزة والكرامة

وقام فئة من طلبة الحقوق يدعون للاحتفال به ، ويطلبون من ولاة الأمور « وقتئذ » جعل يومه عيدا تعطل فيه المصالح الحكوميـــة ، مقدرين أن فى هذا ايقاظا للشعور وحافزا للهمم وهاديا الى شرف الغاية

ولا غرو فاى حافز وهاد أعظم من قصـــة الهجرة ، قصة البطولة المستمدة من وحى الله وخلق الرسول : فى صدق العزم والسير فى جنب الله •• ويالها من قصة توالى على الدهر انشادها كلما مر الجديدان واختلف الزمان ، قصة دفعت الانسانية فى طريق الكمال آلافا من المراحل : فحررت الأرقاء ، وواســت الضعفاء •• وعدلت موازين القضاء ، وأنصفت اهل الفقر من الأغنياء ، وغرست المحبة بين الناس على سواء •

هجرة كان من آثارها ان دفعت الانسانية الى مايرفع مستواها عن الحيوانية ، معتمدة على الفطرة الآدمية ، وجعلت قوى التفكير والنظر خادمة لها ومعينة عليها •• لم تتخذ لهـــا مدرسة كمدرسة افلاطون ومدرسة ارسطو ولم تلتزم ما التزمه أهل الفلسفة من الحـــدود العلمية ، ولكنها نشرت نفسها فى الجـــو الطلق الذى لايحد بحد ، **وهى ليست بحاجة الى التدليل عليها باكثر من الاشارة اليها •** ذلك لأنها أهدى هاد للانسان الحق الذى ليس فوقه مرتقى الى المثل العليا التى ليس وراءها مذهب كذلك أوحت لكل ذى لب أن النصر معقود بالصبر والاخلاص والتقوى ، وليس معقودا بكثرة الجنود ولا بقوة الحـــديد والنار •• وتامل انه لم تكد تمر سنة على هذه الهجرة حتى اصطدمت هذه القلة المؤمنة الصابرة بالكثرة الباغية المشركة فى بـــدر فتقوضت دعائم الشرك وقضت على صـــناديد الطغيان •

وكان الشعر مرآة صادقة لما يختلج فى صدور المسلمين نحو دينهم ووطنهم ورأينـــا شوقى وحافظ ومحرم وسواهم ينظمـــون القصائد كلما أهل المحرم ، مادحين راجين ، أو منذرين متباكين • ونكتفى ببعض ماقالـه شوقى وحافظ فيقول شوقى :

يقولون ياعـــام قد عـــدت لى
فيا ليت شعرى بماذا تعـــود ؟
لقـــد كنت لى أمس مالـــم أرد
فهل أنت لى اليوم مالا أريد ؟
ظمئت ومثـــلى برى أحـــق
كانى حسين « ودهرى » يزيد
تغابيت حتى صحبـــت الجهول
وداريت حتى صحبت الحســـود

ويقول حافظ •

اطل على الأكوان والخلق ينتظر
هلال رآه المسلمـــون فكبروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنهـــا
على الدهر حسنا أنهـــا تتكرر
وبشرهم من وجهـــه وجبينـــه
وغـــرته والنـــاظرين مبشر
وأذكرهم يوما أعـــز محجـــلا
به توج التاريخ والسعد مســـفر
وهاجر فيه خير داع الى الهـــدى
يحفت به من قوة الله عسكـــر
يماشيه جبـــريل وتسعى وراءه
ملائكة ترعى خطاه وتخفـــر
بيسراه برهـــان من الله ساطـــع
هـــدى وبيمناه الكتاب المطهر
فكان عـــلى ابواب مكة ركبـــه
وفى يثرب انواره تتفجـــر

أهداف ثورية حققها الاسلام

الأستاذ حسن فتح الباب

تجمع كل الدراسات الاجتماعية على تعريف الأديان بانها ثورات ضد الطغيان . فهى تحارب بسلاح العقيدة الراسخة كل ضروب القسر وصنوف العدوان للقضاء على العبودية ونشر رسالة الحرية والاخاء بين ابناء البشرية على اختلاف اجناسهم وأوطانهم وتباين لغاتهم وألوانهم .

فلقد ثار دين موسى - الدين الصحيح الحق الذى لم تمتد اليه يد الصهيونية بالزيف والتضليل - ثار على استبداد الانسان بأخيه الانسان . وثار دين عيسى على اضطهاد الطبقة الحاكمة لسواد الشعب المحكوم . ونظم دين محمد ثورة تحررية شاملة ، أرست مبادئها السمحة على ركائز وطيدة من الحريات الانسانية بأوسع معانيها .

وما اشد حاجتنا اليوم الى وضع الافكار الدينية فى موضعها الصحيح من ثوراتنا حتى تستوى عقيدتنا ونظمنا الوطنية التى نبنيها الآن على قواعد ثابتة من الايمان الحق تكمن فى أعماقها قوة متدفقة متجددة تلهمنا الرشد والسداد وتدفعنا الى مزيد من الكفاح فى سبيل العمل البناء .

ويعنينا فى هذا المقال ان نقدم عرضا موجزا لبعض الأهداف الثورية التى حققها المؤمنون فى صدر الاسلام ، فسبقوا بها رواد الحرية فى العصور الحديثة باحقاب طوال .

ولا نزاع فى ان تحرير العبيد يقع فى مكان الصدارة بين الأهداف الأساسية التى جاءت العقيدة الاسلامية لتحقيقها من قبل أن تقوم الثورات العالمية بالدعوة اليها. فلقد شرع الاسلام العتق - كما يقول الأستاذ عباس العقاد - ولم يشرع الرق ، اذ كان الرق مشروعا قبل الاسلام فى القوانين الوضعية والدينية بجميع انواعه : رق الأسر فى الحروب ، ورق السبى فى غارات القبائل بعضها على بعض ، ورق البيع والشراء ، ومنه رق الاستدانة او الوفاء بالديون .

ولم يكن من المستغرب أن يسود نظام الرق بين جميع الأمم قبل مشرق الرسالة الاسلامية لارتباطه بالأوضاع الاقتصادية التي كانت قائمة فى تلك العصور ، فكان الناس فريقين : سادة وعبيد ، وجاء الاسلام فحارب نظام الرق فى ابان عراقته ومشروعيته اذ جعله محرما فى جميع صوره ، لم يستثن منها الا صورة واحدة ما زالت مباحة الى اليوم بين الأمم المتحضرة ، ونعنى بها رق الأسر فى الحروب . فالأسر واستبقاء الأسرى فى المعاهدات الحديثة مباحان الى ان يبرم الصلح بين المتقاتلين على تبادل الأسرى أو التعويض عنهم بالفداء .

ولقد سبق الاسلام التشريعات الدولية الحديثة بما وضعه من شروط للحد من قسوة الأسر . ففرض على الدولة أن تسعى لافتداء رعاياها المأسورين ، حين جعل تحرير الرقاب من وجوه الزكاة وهى احدى الفرائض الاسلامية الخمس ، وجعل للأسرى حقا من الفىء والغنيمة كحق غيرهم من المحاربين . بل لقد فاق الاسلام هذه التشريعات اذ لم يجعل الأسر امرا محتما بل دعا الى التخفيف من شدته ما تيسر ذلك . ففضل اطلاق سراح الأسير منا واحسانا على تسريحه لقاء فدية . قال الله تعالى :

« فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها » .

وقد ضرب الرسول اعظم المثل فى حسن معاملة الأسرى واحترام انسانيتهم فورد فى الحديث الشريف :

« لقد اوصانى حبيبى جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم » .

ولم يقتصر الاسلام فيما سنه من وسائل لحصر الرق فى أضيق نطاق على الزام الدولة واجب العمل على اعتاق الاسرى من أبنائها ، بل حث الأفراد على اطلاق سراح الأرقاء بأن جعل العتق كفارة عن كثير من الذنوب ، كالقتل الخطأ والحنث باليمين .

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا . فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة . وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة » .

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » .

وثمة هدف ثورى آخر حققه الاسلام وهو المساواة بين الناس . وقد تغنى المجتمع البشرى بهذا المبدأ واتخذته الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر شعارا لها ، ولكنه لم يطبق على وجهه الصحيح كما طبق فى صدر الاسلام . اذ كانت المساواة فى الدعوة الاسلامية حقا عاما للانسان ، ومن هذا الحق نبعت الديمقراطية فى الاسلام .

والله تعالى يقول :

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والرسول عليه السلام يقول :

« لا فضل لعربى على عجمى ولا لقرشى على حبشى الا بالتقوى » .

« أيها الناس . ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب . ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض فضل الا بالتقوى » .

فالاسلام شريعة الحق والعدل ، ومن العدل أن تتحقق المساواة بين الناس فيما تخلعه عليهم الدولة من حقوق . فلا تمييز فى حق الحياة والحرية والعمل والعلم ، وانما الفرصة متاحة للجميع . ولا تفرقة بين فئة وغيرها لأنه لا طبقية ولا عنصرية فى الاسلام . ولا امتياز لفرد دون آخر ، بل الأكرم والأفضل عند الله هو الأتقى .

ولقد قامت ثورة الاسلام لتجعل الأفراد جميعا متكافئين فى الحقوق والحريات ، متساوين فى الالتزامات فكل فرد مسئول عن المجتمع كما أن المجتمع مسئول عن كل فرد ، ولا ارتفاع لأحدهما على حساب الآخر ، فالمجتمع بناء متماسك تشكل لبناته الأفراد ، وهم جميعا سواسية وشركاء متعاونون .

والمساواة فى الحريات هى أساس القيم الانسانية التى بعث الرسول لاحيائها ، وهى تنبع منه جوهر العقيدة الاسلامية التى تدعو الى السلام العالمى . فالسلام هو الهدف الأكبر لهذه العقيدة ، وهو فى الوقت ذاته المنهاج القويم الذى يكفل الخير والرفاهية للناس أجمعين .

كذلك فان العقيدة الاسلامية تقوم على التوحيد ، وهو يحمل المعنى الحقيقى للمساواة ، فالله تعالى هو الغنى وحده وهو القوى القدير ، ولا اله الا الله ، فلا سيطرة لفرد أو جماعة أو طبقة أو جنس على غيره ، والناس اخوة فيما بينهم وعباد الله وحده .

والى هذه المساواة التى شرعها الاسلام يرجع الفضل فى انجابه رجالا من أصلاب الشعب ، نشأوا فقراء فأغناهم الله بالدين الحق وجعل منهم روادا مصلحين أثروا وجدان العالم بحضارة انسانية خالدة .

ومن الأهداف الثورية التى حققها الاسلام فى مجال المساواة والحرية كفالة حق المرأة فى الحياة ، مثلها فى ذلك كمثل الرجل اذ هما يؤلفان معا الأسرة وهى خلية المجتمع البشرى . فكانت حماية البنات من الوأد أول الحقوق التى كفلها الاسلام للمرأة حتى تتهيأ بعد ذلك لممارسة سائر الحقوق الانسانية التى خلعتها عليها شريعة القرآن بما يتفق مع دورها الطبيعى فى انجاب جيل صالح لحمل الرسالة . ومن ثم ندد الاسلام بمن كان يئد البنات فى الجاهلية خشية العار أو الاملاق :

« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » .

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » .

« واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » .

واذا كان نصف العالم مايزال يثور حتى الآن لاستكمال حقوق المرأة رغم ما بلغته الحضارة الحديثة من آفاق فسيحة فى سبيل التطور والتقدم ، فقد منح الاسلام المرأة حقوقها الطبيعية منذ أربعة عشر قرنا ، وانتشلها من الوهدة التى تردت اليها فى العصور الغابرة وساوى بينها وبين الرجل فى جميع الحقوق الا حق القوامة الذى خص به الرجل تقسيما للعمل بين الجنسين تبعا لما بينهما من فوارق بيولوجية . وشرع حقوق الزوجين على أساس العدل بينهما والمساواة فى الحقوق والواجبات حتى يقوم بناء الأسرة على روح من المودة والرحمة والفضائل المحمودة ، فتغرس هذه المبادىء فى نفوس الأبناء منذ النشأة الأولى ثم يتوارثها خلفهم من بعدهم . وهكذا تجتمع لدى الأمة فى أجيالها المتعاقبة خلاصة المثل العالية التى تعينها على دعم كيانها والاسهام فى تطوير الأسرة الانسانية الى مزيد من مدارج الكمال .

وليس أدل على شمول مدلول الحرية الاسلامية من مبدأ حرية العقيدة الذى جاء به الاسلام فى القرن السابع للميلاد ، واستقر فى تاريخه السياسى عبر العصور المختلفة . فقد بعث الرسول الكريم ليطلق الفرد من اسار الشرك بالله ، وليبدل ظلمات الناس وجهالاتهم أمنا ونورا . واقتضته طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية الحميدة لنشر دعوته فى الجزيرة العربية ومنها الى أرجاء العالم أجمع . فكان يبشر بعقيدته بالطرق الودية السلمية ويبثها فى النفوس بالحسنى والاقناع . فلم يأخذ بأسلوب القسر والبطش للقضاء على القيم الباطلة والذين يتمسكون بها . ولكنه استخدم الحكمة فى هداية الذين يضلون عن سبيل الله وينشرون الباطل . كما قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم » .

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم » .

« فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

ذلك أن الدين لله ، ونحن الفقراء اليه وهو الغنى الحميد . وانما شرع ـ سبحانه ـ الايمان لهداية الناس الى ما فيه نفعهم وصلاحهم . ولقد بين لهم طريق الخير وطريق الشر .

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

« كل امرىء بما كسب رهين » .

وفى هذا المعنى الذى يشير الى حرية العقيدة جاءت الآيات بينات :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

« أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

« قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » .

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » .

« فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ » .

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين » .

« وما أنت عليهم بجبار » .

« فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

ومدلول هذه الآيات أن الاسلام يستنكر الاكراه ويحرمه ولو كان سبيلا الى اعتناق دينه . فالايمان تحرر من الخوف ، ولا يستقيم أن يكون القسر والترهيب طريقا الى الأمن والطمأنينة :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، اولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

والدين الحق أعز عند الله من أن يدخل فيه الناس جبرا أو عنفا، فهو عقيدة تستقر فى القلب، وينبغى أن يطمئن اليها العقل الذى ميز به الله الانسان دون سائر مخلوقاته :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان قلوبكم » .

ومثلما ينهى الاسلام عن القهر والعسف أسلوبا لنشر مبادئه ، كذلك لا يرتضى اعتناقها عن تقليد ، فهو دين العقل وعقيدة الحرية . ولقد نعى على المشركين احتجاجهم بانهم يسايرون آباءهم فى معتقداتهم ووصمهم بالجهالة والعبودية :

«واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

أو يتبعون كهانهم :

« قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » .

وهكذا تتبين نظرة الاسلام فى قضية الدين . فالايمان حق ، والحق رأس القيم الانسانية ، وانما ترسخ القيم فى النفس بالتدبر والتأمل . ومن ثم ينبغى أن تكفل لها الحرية فى الوصول الى العقيدة بوحى من وعيها وارادتها الخالصة . فالحرية الصحيحة فى الاسلام لاتفهم الا على أساس من العقل الذى أعلى الله من شانه وجعل له القيمة الكبرى . ونص القرآن صريح فى الأمر بالتفكير واعمال العقل فى فهم آيات الله فى كتابه وفى كونه :

« قل هل يستوى الأعمى والبصير افلا تتفكرون » .

ذلك أنه متى كانت الحرية هى عماد الايمان ، تحولت العقيدة الى عمل واصبحت سيرة وسلوكا للفرد ، فاستقام بناء الحرية ونشأت أمة من الأحرار ، وهذا أحد الأهداف العليا للدعوة الاسلامية .

ولقد كان تاريخ الاسلام السياسى تطبيقا لمبدأ الحرية الدينية فى جميع صوره بلا استثناء ، فشرعت الغزوات لدفع الفتنة والذود عن العقيدة لا للاكراه على اعتمادها، فالاسلام دين ولكنه لا يحارب مخالفيه لمجرد امتناعهم عن الدخول فيه ، وانما يحارب العدوان لا اختلاف الأديان . فحروبه حروب دفاعية سواء كان المسلمون فى موقف المهاجمين أم كانوا هم المهاجمون ، اذ كان يفرض عليهم الهجوم أحيانا بوصفه خطة حربية لا مفر من انتهاجها لاحباط نية العدوان التى بيتها الخصوم ودل عليها انتهاكهم للمواثيق . والاسلام يدعو الى مقارعة الفكرة بالفكرة ، فاذا عمد باغ الى السيف ، فقد فرضت الحرب على المسلمين ، وهم فى حل من صراع عدوهم بمثل ما اعتدى عليهم ، حتى لا يحول بينهم وبين بث رسالتهم بالحسنى وتأمينهم فى وطنهم وحريتهم وعقيدتهم . فحربهم حرب عادلة ، وهى جهاد مشروع فى سبيل الله ، فلا جور فيها ولا اعتداء على حرية أو عقيدة .

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » .

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » .

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

« فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم . ان الله يحب المقسطين » .

وبفضل حرية العقيدة التى كفلها الاسلام وسائر الحريات الانسانية التى عمل على توطيدها ، كسب أنصارا له فى كل مكان . وكانت تلك الحريات من أهم العوامل التى أسهمت فى انتصاره فى جميع المعارك التى خاضها. فقد كانت فتوحه السلمية لاقرار الحق والحرية والعدالة تسبق أنباء معاركه . ومن ثم لم يجد أعداؤه استجابة وغيرة من شعوبهم ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيان حكامهم ورجال دينهم ، فاستطاعت الدولة الاسلامية الناشئة فى خلال فترة وجيزة من الزمن أن تقهر أقوى سلطتين سياسيتين معاصرتين لها وهما دولتا الفرس والروم وأن تبسط سلطانها فيما بعد على معظم أرجاء العالم الذى كان قائما فى ذلك الحين .

عناصر الحيوية في الدين الإسلامي

التوفيق بين مطالب الروح والجسد

الأستاذ عبد الله المشد

تميز الاسلام على جميع الأديان المعروفة بالعدل بين مستلزمات الروح والجسد ومقتضيات كل منهما ، فهو لايحتم على المسلم ان يمنع نفسه من المتع المادية مادام ذلك في الحدود المشروعة المعقولة ، بل انه رفع العراقيل من طريقه حتى يصل الى مايريد من خير الدنيا مادام يعرف حق الله والمجتمع فيه ، ولئن كان الاسلام يوفق بين هذه المطالب فهو يريدها متساوية في كلا الجانبين ، بل لابد من الاعتبارات الاخرى التى تقرر الحق ولا تغفل الميزات والمرجحات . فالمقرر ان العمل للآخرة خير وأبقى من العمل للدنيا ، لان الدار الآخرة هى الباقية ، وهى نهاية كل انسان والعمل للباقى أولى من العمل للفانى ، غير أن الفانى هو مجاز للباقى وطريق موصل اليه فلايمكن اغفاله ، والواجب أن يكون النشاط فيه بحيث تكون ثمرته الباقية مضمونة ، والاسلام فى هذه الناحية له توفيقه العادل الحكيم فقرر ان كل عمل يحسب فى الظاهر انه مادى دينوى اذا اقترنت به نية طيبة كان دينيا له أجره وثوابه والأصل فى ذلك قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » . ولقد ورد فى الحديث ان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال « وفى بضع أحدكم صدقة » فقال له الصحابة :

أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ فقال لهم **أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟** قالوا نعم ، قال « **فكذلك اذا وضعها فى حلال كان له أجر** » وقال لاحد الصحابة « **وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت عليها ، حتى ماتضع فى فم امرأتك** » .

بل انه عليه السلام صحح اغلاطا وقع فيها بعض الصحابة ، حين ظنوا ان التدين عزوف عن الحياة وحرب لمتع الدنيا وانقطاع تام للعبادة . يتبين ذلك مما يلى :

يقول ابو جحيفة وهب بن عبد الله : آخى النبى بين سلمان وابى الدرداء ، فزارسلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال ما شأنك ؟ قالت : أخوك ابو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ، فجاء ابو الدرداء فصنع له طعاما ، فقال له : كل فانى صائم ، قال: ماأنا بآكل حتى تأكل . فأكل . فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له : نم ، ثم ذهب يقوم فقال له : نم فلما كان آخر الليل قال سلمان قم الآن ، فصليا جميعا ، فقال له سلمان : ان لربك عليك حقا ، وان لنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه . فأتى النبى فذكر ذلك له فقال النبى : **صدق سلمان** .

وقال النبى مثل هذا الكلام لعبد الله بن محمود بن العاص الذى شكت زوجته من كثرة صيامه وطول قيامه وعدم الوفاء بما يجب بين الزوج وزوجته من المتعة المشروعة . فجاء فى الحديث أنه قال له : صم وأفطر ، ونم وقم **فأن لجسدك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان لزوجتك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان لولدك عليك حقا** .

وقال لأبى بكر وحنظلة : **لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة** . وذلك عندما قال له : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين فأذا خرجنا من عندك عافسنا - لاعبنا - الازواج والأولاد والضيعات - المعايش - نسينا كثيرا

ان الاسلام يحارب الانقطاع عن الدنيا ، والاهمال فى التزاماتها ، وهو لم يذمها الا اذا ألهت عن الواجب . ولعل فى وصف على رضى الله عنه لها مايبين ذلك فقد قال : الدنيا دار صدق لمن صدقها . ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد انبياء الله ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها ؟ فشوقت بسرورها الى السرور وببلائها الى البلاء تخويفا وتحذيرا وترغيبا وترهيبا .

ويريد سيدنا على من ذلك ان ينبه على خطأ ترك العمل للدنيا والعزوف منها بالكلية .. وان كان قد ورد عنه كلام فى ذمها ، فهو يريد بذلك النهى عن الافتتان بها ونسيان العمل للآخرة . ويريد من العبد ان يعطى الآخرة قدرا أكبر ، والروح حظا اوفى وهذا الموقف منه ومن غيره من الصحابة تفسير لما جاء فى القران الكريم مثل قوله تعالى « **وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين** » **وقوله : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** .

وكما ورد عن النبى - صلى الله عليه وسلم تصحيح لخطأ البعض فى تحريم ملذات الدنيا ، ورد فى القرآن الكريم ، الذى نهج النبى منهجه ماينعى على المتشددين الفاهمين للتدين على غير وجهه الصحيح . قال تعالى « **يأيها الذين أمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** »

وقال : « **قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » ، وقد عد من

أنواع النعمة ما يتخذ زينة من الحيوانات او جمالا تستريح له النفس فقال :

« **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون .. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** » .

وقال بعد تعداد هذه النعم وغيرها « **وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها** » ومدح الذين يدعون ربهم أن يمتعهم بالخير فى الدنيا والآخرة فقال

« **ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا** »

ان الاسلام جاء الى العالم وفيه مظاهر مؤلمة عند المتدينين بدين سماوى أو غير سماوى ، الذين اتعبوا ابدانهم بالرياضات وانواع التمارين المرهقة للجسد كسرا لطغيان الجسم بغية التوصل الى السمو الروحى والصفاء الوجدانى ، كما يفعل البراهمة والبوذيون . وكما كان يفعل الاسرائيليون بالرغم من عدم قولهم بلعنة المادة ، فان فى ديانتهم ارهاقات جسدية لايتحملها الا الأتقياء منهم . ويوجد بعض ذلك فى فرقة تسمى الآزين أوالحسديين وكانت مثل هذه الارهاقات سببا فى خروج الكثرة من يهود أوربا عن تقاليدهم فى مواضع كثيرة ولعل مما يعبر عن ذلك ماجاء فى كتاب الديانة الاسرائيلية الذى الفه « جوليان ويل » حاخام اليهود فى باريس ، حيث قال مبررا مايدعو اليه من عدم قبول كل انسان فى اليهودية الا بعد تبصيره بالمشاق والتكاليف التى فيها : هذا التحفظ فى أمر طالبى التهود دعت اليه طبيعة اليهودية ونظامها الخاص ، الذى لايقصد به الا الاسرائيلى بادق معانى هذه الكلمة . وأوجبه كذلك مافى اليهودية من التكاليف الكثيرة التى يستدعى العمل بها نكران الذات والاخشيشان والثبات والشجاعة وأحيانا البطولة أيضا .

وقد جاء فى كتب المسيحية ما يؤكد النزعة التقشفية التى تحارب الجسد ومتعة الدنيا ، من ذلك : وأقول لكم ايضا ان مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من ان يدخل غنى الى ملكوت الله ، لاتقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ، ولامزودا للطريق ولاثوبين ولااحذية ولا عصا ... كما جاء فى اصحاح متى ١٩ــ ١٠ دعوة صريحة الى الرهبانية والتبتل والعزوف عن النساء والنسل ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع ان يقبل فليقبل . ان الاسلام لم يقل كما قال غيره ، بع ماتملك واتبعنى ، ولكن قال النبى لسعد وهو يستشيره فيما يتصدق به : **الثلث كثير . انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس** كما قال النبى لمن اعتزموا ان يلتزموا قيام الليل وصيام النهار وترك التزوج ، « **أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى** »

يقول الشيخ شلتوت فى تفسيره : وحسب القارىء فى معرفة ان الأسلام هو الصراط المستقيم ، وأنه لذلك كان الشريعة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ـ ان يتتبع حالة العالم فى عصوره المتتابعة قبله ، فانه سيجد ان العالم كان يتردد بين طرفين من افراط وتفريط ، وكان ذلك شأنه فى كل شىء فى العقائد . فى الاخلاق ، فى صلة الانسان بالحياة ، فى علاقة الفرد بالمجتمع ، فى علاقة الأمم بعضها ببعض ، فى طريقة التشريع ، الى غير ذلك من الشئون . وقد جاء الاسلام فأدرك ان العالم لايصلح بواحدة من هاتين الخطتين ، وانهما منافيتان للفطرة الانسانية والطبيعة البشرية منافيتان لسنن الاجتماع التى تقضى بالوقوف عند الحد الوسط فى كل شىء لضمان البقاء والصلاح . وعدم التعرض للانحلال والفساد ، ادرك الاسلام ذلك فجاءت شريعته وسطا لا افراط فيها ولا تفريط ، دفعت أحكامها ومبادئها مهما تنوعت وتشعبت ، فى هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله عزوجل ..

« **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » «**وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** »

المواهب العلمية وفضل الثورة على العلماء والواجب عليهم الآن

الأستاذ عبد الباسط محمد القاضى

كلَ موهبة من المواهب وكلَ نعمة من النعم لها وطن ومستقر . ومكان ومصدر . وزمان ومظهر . وايجاد وامداد . والمواهب العلمية هى أعلى المواهب . وأرقى المراتب . وأعظم النعم . ولها السلطان والفضل على كل نعمة وموهبة . وهى كالماء لاحياء النعم الظاهرة فكما أن الماء يحيى كل شىء من المواهب الكونية . كذلك العلم يحيى كل شىء من المواهب المعنوية . فالعلم يحيى الارض الموات . ويحيى كافة الصناعات . ويحيى العقول ويثقفها . ويحيى النفوس ويزكيها . ويحيى القلوب ويوقظ الهمم . وينشط الابدان ويقوى العزائم ويرقى الامم .

والامة المصرية من أرقى المصادر العلمية : والتاريخ والآثار شاهدان على تلك المواهب . فهى وطن العلم ومستقره . ومكانه ومصدره . وايجاده وامداده ومظهره . وكل موهبة من مواهب العلم فى الشرق والعرب تولد أو توجد ، لاتجد لها وطنا مستقرا فى النهاية تستقر فيه الا وادى النيل لصلاح مناخه . واعتدال جوه . وكونه وسطا فى أقطار المعمورة . ووسطا بين جو الحرارة والبرودة . والعناصر الجوية . لها التأثير على جميع المواهب الانسانية . ومتى اعتدل الجو اعتدل المزاج وكان للعلم قابلا .

والمواهب العلمية لا تنشر . ولا يكون لها الاثر . الا اذا أيقظتها ثورة فكرية . وأحيتها نهضة ثورية . فالثورة كالرياح التى تثير السحاب وتسوقه الى الارض الصالحة فينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت كل زوج بهيج . فأين كان علماء الاسلام . قبل ثورة المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟ وأين كان فلاسفة اليونان قبل ثورة زعيمهم ؟ وأين كان علماء الامم الغربية . قبل الثورة الفرنسية والثورة الامريكية ؟ وغيرها من الثورات . الغربية والشرقية . فحياة المواهب العلمية لا تولد ، ولا تظهر ولا توجد . الا اذا باشرتها ثورة ثائر حكيم . وقائد مكين . والشواهد على ذلك كثيرة . والامثلة عديدة وفيرة ، وأكبر شاهد بين أيدينا نقدمه لحضرات القراء :

ففى أى مكان كان المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، وأين كان رجاله ؟ وفى أى وطن ومقر كانت مجلة منبر الاسلام ؟ وفى أى واد كان كتابها العلماء الاعلام ؟ اين كان هؤلاء وهؤلاء قبل ثورة يوليو ؟

كانوا فى طى الخفاء .. لا صور لهم تظهر ولا اسماء . فلما باشرتهم الثورة الناصرية ، رأينا أسماءهم وصورهم على صفحات الصحف اليومية . وأقلامهم تكتب فى أرقى المواضيع العلمية . وفى كبرى المجلات الاسلامية . ولم تقف مواهبهم عند ناحية من النواحى . ولا عند منهج من المناهج . ولا عند مذهب من المذاهب . ولا عند موهبة من المواهب . بل صاروا قادة للفكر والادب . لا يقفون عند مقام من المقامات او مرتبة من المراتب ، هؤلاء مواليد الثورة التى اعتقدانها ستكون الثورة الختامية للامة الاسلامية . ولجميع الدول العربية وغير العربية هؤلاء رجال ثورة تنادى بالوحدة والتعاون العلمى والعملى وتدعو جميع الدول . والشعوب والامم . للتعايش السلمى . وهى الدعوة المحبوبة للعالم الانسانى . هؤلاء أنصار ثورة قامت على تجاريب آلاف السنين . وعلى تعاليم رسالة جمعت كل دين . من عهد آدم الى عهد خاتم النبيين .

ودرست عهود الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من عهود المصلحين والمفسدين . فهى ثورة مشحونة بالتجارب . مملوءة بالغرائب والعجائب . علماؤها أمامهم من العلوم مشارب، وانى أرى من خلال مقالاتهم، وبين أسطر كلماتهم ثورة على عهد الفساد . والجهل والضلال . واسمع من فوق منبر الاسلام بيانا يقضى على كل مخلفات العهد البغيض . وأراهم يصوبون سهامهم على ما تركته دول الاحتلال . وما أدخلته فى الدين من الضلال . واشر ضلال وأعظم فساد . هى طوائف التفرقة التى وضعت على كل طائفة منها رئيسا دينيا من دعاة الجهالة . لا يميز بين الحق والباطل . ولا بين الهدى والضلال ولا بين الفساد والاصلاح . ولا بين الاله الحق واله الهوى : ان علماء الثورة فى هذا العهد امامهم مخلفات ثلاث جاهليات : جاهلية دعاة الجهالة ، وجاهلية العلماء المتنطعين المتعصبين للمذاهب والشيع بغير فهم ولا علم ولا حكمة ، وجاهلية التقاليد الاوربية . والعقائد الفاسدة الطبيعية والوجودية التى ابتلى بها شباب الشرق .

وها هى الثورة قد وضعت ميثاقها ينادى بالوحدة الكلية . وحدة العقيدة الاسلامية ووحدة المعاملة الاشتراكية . ووحدة الهدف . وواجب العلماء الآن أن يشرحوا لامتهم الغامض . ويفصلوا للجمهور المجمل . ويبينوا المبهم . حتى يعودوا بالامة الى مجدها الاول . ووحدتها الاسلامية . التى دعاها اليها رب البرية ، وجمعها عليها خاتم النبيين . بدليل قوله تعالى : « اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » .

الوحدة الاسلامية . وان شئت فقل الوحدة الانسانية . منهاجها سهل ميسر مبسط يسره الحق الى أبعد حد . وهو كتاب مبين . جاء به نبى من النبيين . يدعو الناس لطاعة رب العالمين ويدلهم على كل خير . ويحذرهم من كل شر . يامرهم بالمعروف . وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . وهذا سر رحمة الله ورأفته بالعباد .

قال تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » . وقال سبحانه : « والله رؤوف بالعباد » .

الواجب على علماء الثورة

فالواجب على علماء الثورة وقادتها أن يعودوا بالعالم الاسلامى الى الدعوة المحمدية المبسطة الخالية من الاختلاف واللبس والتعقيد . فلا مذهبية ولا طائفية ولا سنية ولا صوفية . ولا زيدية . ولا شيعية . ولا معتزلة ولا الى غير ذلك من الملل والسبل التى أوجدتها العصور المظلمة . والزعامات المنحرفة الباطلة . والرياسات الموروثة البالية .

ويجب على رجال الثورة أن يقضوا على كل طوائف التفرقة . كما قضوا على الحزبية . والطبقية . فعلى العلماء الشرح والبيان . وعلى جنود الثورة التنفيذ كما سهله ويسره القرآن . وبسطته تعاليم المصطفى عليه الصلاة والسلام . فقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : ما الذى بعثك الله به يا رسول الله ؟ فقال : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . فقال السائل : وهل على غير ذلك ؟ فقال : لا ، الا ان تطوع . فانصرف الرجل وقال لا أفعل غير ذلك . فقال النبى : أفلح ان صدق » .

هذه قواعد الاسلام بينها وبسطها النبى فى أحاديثه والقرآن فى آياته وسهلها ويسرها العلماء العارفون . والحكماء الوارثون . والخلفاء الراشدون . وخلف من بعدهم خلف شددوا وتنطعوا وعسروا واختلفوا واتخذوا من النوافل والتطوع سبلا وضعوها فى مقام الواجبات . وأعمالا من السنة جعلوها فى درجة المفروضات . وغرتهم الفلسفة . وشهوة الرياسة وحب الظهور . حتى ضيقوا جميع الامور . وسدوا جميع المسالك . وجعلوا الدين الذى ما جعل الله فيه من حرج . ليس فيه من منفذ ولا مخرج . وكانت النتيجة ان هجر الدين أهله . وجفاه طلابه كرها وبغضا فى المفسرين المتنطعين .

فاللازم فى عصر ثورتنا العالمية أن تكشف عن سماحة الدين . ونعرف العالم الانسانى أن الدين الاسلامى يتمشى مع كل خير وبر ونعمة ورحمة وسعادة واحسان وعدل وتعاون وحرية وسلم وأمان . يتمشى مع مصالح الفرد . ومصالح الاسرة ومصالح الجماعة . ومصالح القرية والمدينة . ومصالح الشعب والدولة . ومصلحة الحاكم والمحكوم . ومصلحة العالم كله . لانه هو الاصلاح الكلى الذى وضعه رب العالمين . وهو الفلاح والفوز العظيم . الذى أرشد العباد اليه العليم الحكيم .

هذا وصف الدين بالاجمال . وأما وصفه بالتفصيل . ففيه محو دولة الضلال والتضليل . دين أول واجباته العناية بالصحة البدنية من نظافة ورياضة وتعاون على البر والتقوى وحرية واشتراكية ماحقة للبغى والطغيان . والظلم والعدوان . دين يقدر العقل ويعطيه حقه فى التثقيف . ويقدر العلم ويحض على طلبه . ولو كان فى أقصى البلدان . دين ينادى بالوحدة الانسانية والحقوق فى الحياة . حيث لا فضل لاحد على أحد الا بما يقدمه العامل من الاعمال النافعة الصالحة .

دين شعاره كل مساء وصباح : حى على الصلاة حى على الفلاح . دين قدس العدل ووضع قانون الاجتماعات والمؤتمرات . قبل أن توجد الجمعيات . وتعرف المؤتمرات ، دين ما ترك صغيرة ولا كبيرة من الخير الا وأرشد عنها . ولا صغيرة ولا كبيرة من الشر الا وحذر منها . دين هذا بعض أوصافه يجب أن يقدس ويعظم وتتخذه الامم والدول مرشدا لمشاكلهم . وسبيلا لاصلاحهم ، وطريقا للنظام والامن والسلام .

وانى أعتقد أنه قد آن الاوان لعلماء الاسلام وقادة الرأى المفكرين المجتهدين أن يقفوا صفا واحدا أمام ما خلفته القرون الماضية من أباطيل الصقت بالدين الاسلامى . حتى يظهر الدين على حقيقته بعد زوالها . ومتى وجدوا أقلامهم لبيان جمالات دينهم . وكمالات رسالة نبيهم .

والثورة من أمامهم ومن خلفهم بكل امكانياتها تؤيدهم وتنصرهم : يعود مجد النبوة وعز الاسلام والنصر للمؤمنين . وانى بذلك من الموقنين .

الروح الانسانى

فى الحديث القدسى

الأستاذ محمد شوقى أمين

الحديث القدسى دعامة من الدعائم الثلاث التى يقوم عليها صرح الدين ، فهو أصل من أصول الاسلام ، ومنهل من مناهله الصافية العذاب ، والدعامتان الأخريان هما : القرآن العظيم ، والحديث الشريف .

والفارق بين الحديث النبوى والحديث القدسى : ان الحديث النبوى هو ما تكلم به الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من عنده ، فاللفظ والمعنى كلاهما له ، وأما الحديث القدسى فهو ما أخبر الله به رسوله فى وحى أو فى منام ، فالرسول يروى المعنى بأى عبارة شاء ، فلله « المعنى » وللرسول « التعبير » .

ومن يتدبر الأحاديث القدسية لا يلبث أن يتنسم منها نفحة ربانية تنساب فى جنبات النفس ، فتترك فيها أبلغ الأثر ، وانك حين تتلوها تشعر بان الله ـ سبحانه ـ قد تجلى عليك ، يناجيك ويتحدث اليك ، فكأنما هو يخصك بالحديث ، ويؤنسك بالمناجاة ، ويشيع بين جوانحك راحة الايمان وطمانينة اليقين .

والروح الانسانى فى هذه الأحاديث القدسية يبدو أظهر ما يبدو ، فان فيها كشفا عن سرائر الوجدان ، وفيها رعاية كريمة لما يتدسس فى أطواء النفس البشرية من نزعات وأهواء ، وذلك فى منحى من الترفق والتلطف والاشفاق .

وكثير من الأحاديث القدسية يتخذ أسلوب الخطاب ، فيناديك الله بقوله : عبدى ، أو : عبادى ، أو : يا ابن آدم ، وما هو من ذلك بسبيل ، فاذا أنت قد سرت فيك يقظة ، واذا أنت فى سكينة وخشوع قد استجابت مشاعرك للدعاء ، وسارعت الى تلبية النداء .

وانك لواجد فى الأحاديث القدسية ما يطيب اليك الحياة ، وينزع من صدرك ما به من مكاره الدنيا وشواغل العيش ، وما تستتبعه من هم وقلق ، فتمرح نفسك فى بحبوحة من رضا وأمان ، اذ يقول لك الله :

« ابن آدم : عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ، ولا من كثير تشبع ، اذا أصبحت معافى فى جسدك ، آمنا فى سربك ، عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء ! » .

والله ينهاك أن تضيق بما تلقى من احداث ، ويدنى لك من ثمرة الصبر ما تستعصم به على الجزع ، اذ يقول :

« اذا وجهت الى عبد من عبادى مصيبة فى بدنه ، او ماله ، أو ولده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا ، أو انشر له ديوانا » .

وقد زخرت الأحاديث القدسية بألوان من الحث على محامد الأخلاق ، والحض على الخيرات ، والترغيب فى احسان المعاملة بين الناس جميعا ، وذلك فى أنماط من الصور البيانية تحبب الفضيلة الى النفس ، وتسمو بالانسان الى المثالية الرفيعة .

وانك لا تجد فى التنفير من العدوان على الحقوق ، وركوب متن الظلم ، وفى الحث على نصرة المظلوم اروع تعبيرا ولا أبلغ تاثيرا من قول الله :

« وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره ، فلم يفعل » . وقوله سبحانه :

« أوحى الله الى داود أن قل للظلمة لا يذكرونى فانى اذكر من يذكرنى ، وان ذكرى اياهم أن ألعنهم » ، وقوله :

« انى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته محرما بينكم ، فلا تظالموا » .

وفى الدعوة الى صلة الرحم ، والبر بالفقير ، وايثار الرحمة ، تتخذ الأحاديث القدسية فى صيغها البليغة سبيلها الى اعماق الأفئدة ، اذ يقول الله :

« أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، ومن بتها بته ، ان رحمتى سبقت غضبى » ، ويقول :

« اطلبوا الخير من الرحمـاء من امتى تعيشوا فى اكنافهم ، فان فيهم رحمتى ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم ، فان فيهم سخطى » .

وهلا تمليت هذه الصورة التى هى خليقة ان تطهر نفسك من بطر الغنى ، اذ يقول الله :

« يقول الله يوم القيامة :

ادنوا منى احبابى :

فتقول الملائكة :

من احباؤك ؟

فيقول :

فقراء المسلمين ، فيدنون منه ، فيقول :

اما انى لم ازو الدنيا عنكم لهوان كان بكم على ، ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم ، فتمنوا على ما شئتم اليوم فيؤمر بهم الى الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا » .

ويوصينا الحديث القدسى بحسن الخلق فى معاملة الناس جميعا ، لا يحاشى من أحد ، فيقول :

« أوحى الله الى ابراهيم : يا خليلى حسن خلقك ، ولو مع الكفـار ، تدخل مداخل الأبرار ، فان كلمتى سبقت لمن حسن خلقه ان أظله فى عرشى ، وان أسكنه حظيرة قدسى ، وأن أدنيه من جوارى » .

واشادة الحديث القدسى بالمحبة الانسانية الشاملة تتوضح فى قول الله تعالى :

« حقت محبتى للمتحـابين فى ، وحقت محبتى للمتواصلين فى ، وحقت محبتى للمتناصحين فى ، وحقت محبتى للمتزاورين فى ، وحقت محبتى للمتباذلين فى . المتحابون فى على منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء » .

وفى رواية اخرى :

« حقت محبتى للذين يتصادقون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى » .

وكذلك حفلت الاحاديث القدسية بتوجيهات رفيعة فى معانى التعبد والتدين ، تجلو أسرارها ، وتكشف مغازيها ، فهذا معنى الصلاة فى قول الله :

« انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه بملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » . وهذا معنى الصيام فى قول الله : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى ، وانا أجزى به ، والصيام جنة ، واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، وان سابه أحد أو قاتله فليقل انى امرؤ صائم » .

واكبر ما يغتبط به المؤمن فى هذه الاحاديث القدسية انها تريه وجه ربه طلقا سمحا ، يغتمد الزلة ، ويؤثر العفو ، ويبشر بالروح والريحان فى دار النعيم . فالله يقول :

« يابن آدم ، انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ، على ما كان فيك ، ولو اتيتنى بملء الأرض خطايا اتيتك بملء الأرض مغفرة ، مالم تشرك بى ، ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتنى لغفرت لك » ، ويقول :

« انا عند ظن عبدى وانا معه اذا دعانى » ، « فليظن بى ما يشاء » ، « ان ظن خيرا فخير ، وان ظن شرا فشر » . ويقول سبحانه :

« ما غضبت على أحد غضبى على عبد أتى معصية فتعاظمها فى جنب عفوى ، فلو كنت معجلا العقوبة او كانت العجلة من شانى لعجلتها للقانطين من رحمتى ، ولو لم أرحم عبادى الا من خوفهم من الوقوف بين يدى لشكرت ذلك لهم ، وجعلت ثوابهم منه الأمن لمن خافوا » .

وان الطائعين التقاة ليستشعرون الزهو والعزة ووفور الكرامة اذ يستمعون الى قول الله :

« انى لأهم باهل الأرض عذابا ، فاذا نظرت الى عمار بيوتى ، والمستغفرين بالأسحار ، صرفت عذابى عنهم » .

والله يبسـط للمؤمنين ظلال السكينة والأمن ، اذ يخبر بانه يختار لهم ما فيه خيرهم ، فهم خلقاء ان يعولوا عليه ، ويسلموا أمورهم اليه ، فيقول :

« ربما سالنى وليى المؤمن الغنى فاصرفه من الغنى الى الفقر ، ولو صرفته الى الغنى لكان شرا له ، وربما سالنى وليى المؤمن الفقر فاصرفه الى الغنى ، ولو صرفته الى الفقر لكان شرا له ، ان الله قال : وعزتى وجلالى ، وعلوى وبهائى ، وارتفاع مكانى ، لا يؤثر عبد هواى على هوى نفسه ، الا اثبت أجله عند بصره ، وضمنت السماء والأرض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر » .

وما أرق الحديث القدسى اذ يشير الى ما ركب فى طبيعة الانسان من حب الحياة ، وارادة البقاء ، وكراهة الموت ، فيقول الله :

« ما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل ، حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت عينـه التى يبصر بهـا ، وأذنه التى يسمع بها ، ورجله التى يمشى بها ، وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به ، ان سالنى اعطيته ، وان دعانى أجبته ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ، ترددى عن وفاته ، لأنه يكره الموت ، وأكره مساءته » .

وفى رواية اخرى :

« ما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولابد له منه » .

الصلاة والسلام عليك يا امين الله .. حملت رسالة الله دينا وشريعة فاديتها دعوة وجهادا وسنة وحديثا نبويا شريفا ، وحملت كلام الله لفظا ومعنى فاديته قرآنا كريما ، وحملت وحى الله والهامه معنى فاديته حديثا قدسيا بليغا تطمئن به القلوب .

ابن عبّاس
أبو التفسير

الدكتور مصطفى الجويني

تهدف رسالة الاسلام الى سعادة الناس فى دنياهم وأخراهم ، وقد بين لهم القرآن سبل الوصول اليها ووضحها لهم الرسول قولا وفعلا ، وكانت رسالة التفسير وسيلة من الوسائل فى هذا السبيل ، مارسها الرسول المعلم الاسلامى الأول على خير وجه ، فلما شاء الله أن يتمم الرسول رسالة ربه وانتقل الى الرفيق الأعلى ، نهض من بعده تلاميذه من الصحابة ينشرون رسالته ويذيعون تعاليمه السامية غير أن منهجهم التفسيرى كان منهجا عمليا ..

ذلك أنهم شغلتهم أولا أمور الاسلام حين انبثاق نوره يشهدون الوقائع ويصحبون الرسول يتأثرونه فى قوله وعمله .. فلما مات وتفرق بعض من فى الأمصار وولى بعض أمور الخلافة شغلوا بتطبيق أحكام الاسلام تطبيقا عمليا مسترشدين بنصوص القرآن أو السنة والرأى أو الشورى حين لانص ، فلم يكن لديهم المتسع من الوقت ليفسروا القرآن غير هذا التفسير العملى .

ولكن فتى طموحا بهره ـ حين استشرف بصره نور الحياة ـ بهره نور الاسلام وأحداثه .. قرآن وحديث ، معارك بين الشرك والتوحيد ، قلة مع الرسول تنتصر ، وكثرة مع الشرك تنهزم .. وأيفع الفتى فاذا بالاسلام يبسط ذراعيه على الجزيرة العربية، واذا دولة اسلامية قوية تنهض من ضعف وفوضى ليتهاوى على قدميها تاجا سيدتى العالم ، فارس والروم .. ثم اذا نفوس كدرتها جفاوة الجاهلية تصفو ، واذا جيوش المسلمين تندفع مشرقة ومغربة تبث نور الاسلام حيث تحل .. ثم لا ننسى صلة الرحم التى تربط الفتى ابن عباس ببطل هذه الأحداث . ولا أن مسرح هذه الأحداث العظام هو موطن هذا الفتى ومراحه ..

توفى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولما يتخطى هذا الفتى السابعة عشر من عمره .. فأكب يدرس نور هذه الثورة ، القرآن ، يدرسه من كل نواحيه .. وكان بحق هبة الزمان فى جيله وبعد جيله الى اليوم .. اذ كان يمثل حاجة الجيل الذى تلا جيل الرسول الى الوسائل والأسباب التى يستعين بها على فهم القرآن وملابساته ، وقد تباعد شيئا عصر الثورة عنهم .. وكان أول باحث عن

هذه الأسباب والوسائل هو ابن عباس .. الفتى الطموح ..

اتجه ابن عباس حين ألمت بالمسلمين فادحة وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى مسرح البطولة الاسلامية ، الى المدينـــة .. عن عكرمة عن ابن عباس قال : « لمـــا قبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانهم كثير .. فقال : وا عجبا لك أترى النـــاس يفتقرون اليك ؟ قال فترك وذلك .. وأقبلت أســأل الناس فان كان ليبلغنى الحديث عن رجـــل فآتى بابه وهو قائل فأتوسد رداى على بابه يسفى الريح على من التراب فيخـرج فيرانى فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت الى فآتيـــك .. فأقول ، لا : أنا أحق أن آتيك .. فأسأله عن الحـــديث .. فعاش الرجل الأنصارى حتى رآنى وقد اجتمع الناس حولى يسألونى .. فقال : هذا الفتى كان أعقل منى . »

ويبين لنا ابن عباس فى أكثر من موضـــع انه وجد عامة علم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند هذا الحى من الأنصار، وكما رأينا فانه كان ليقبل بباب أحدهم ولو شاء لأذن له ولكن يبتغى بذلك طيب نفسه . وكان هذا التلطف هو نهجه فى طلب العلم ..

عن ابن عباس قال : **لم أزل حريصا علـى ان أسأل عمـر بن الخطـــاب عن المرأتين من أزواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللتين قال الله تعالى فيهمـــا .. « ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما » .. حتى حج عمر وحججت معه .**

ولم يزل ابن عباس يتلطف له وهو يسكب على يديه للوضــوء حتى عرف أنهما حفصـــة وعائشة ..

وهكذا نجد ابن عباس يســأل ويستقصى عن سبب النزول ، أو فيمـــن نزلت الآى ..

ولقد بلغ فى ذلك الغاية حتى لنجد اسمه يدور كثيراً فى أقدم مرجع بين أيدينـــا عن سبب النزول وهو سيرة ابن اسحق .. فمثـــلا يقول : نزلت فى النضر بن الحارث ثمانى آيات من القرآن .. أو يسوق مناسبات نزول آى من سورة الكهف .. ونراه حين يعرض للآى يفسرها يضىء المعنى ويوضـــحه ببيان سبب النزول .. عن ابن عباس : « لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ـ يعنى قوله : « **مثلهم كمثل الذى اســـتوقد نارا ..»** وقوله « **أو كصيب من السماء ..** » الآيات الثلاث ، قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله :

« ان الله لايستحيى أن يضرب مثـــلا ما بعوضة .. » الى قوله « أولئك هم الخاسرون» .. وهذا مروان بن الحكم يقـــرأ الآية .. **« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » ..**

ثم يقول لرافع : اذهب يا رافع الى ابــن عباس فقل له : لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل ـ معذبا ليعذبنا الله أجمعين .. فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه انما دعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهود فسألهم عن شىء فكتموه اياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه .. ثم قال : « **واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » الاية .**

ولقد برع ابن عباس فى هذه الناحية من نواحى أدوات التفســـير القرآنى حتى كان يخلص آى القرآن المدنى من المكى .. وينقل عنه ترتيب لنزول السور القرآنية كلهـــا .. كان أول ما نزل من القرآن : « **اقرأ باســـم ربك الذى خلق ، ثم .. يأيهـــا المزمل ، ثم يأيها المدثر ، ثم تبت يدا أبى لهب .. الخ** » ولقد تقصى أسباب النزول فأحسن التقصى ، فكان يعرف الحضرى من السفرى ، فمثلا يقول ان الآية « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى**

من رأسه » الآية ٠٠ أنها نزلت بالحديبية ٠٠ وان الآية : « **يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم** ٠٠ » **الى قوله « ولكن عذاب الله شديد » نزلت فى مسير الرسول فى غزوة بنى المصطلق** ٠٠

وكان يعرف النهارى من الليلى ٠٠ فيقول : ان سورة الأنعام نزلت بمكة ليلا ٠٠ وأحاط خبرا بأول ما نزل وبآخره ٠٠ فكان يقول : أول آية نزلت فى القتال : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا** » ، وكان يقول : آخر ما أنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آية الربا ٠٠ وان أول ما نزل من القرآن « **اقرأ باسم ربك** » وان آخر سورة نزلت « **اذا جاء نصر الله والفتح** » ٠

ويتصل بمعرفة سبب النزول علم الناسخ والمنسوخ ، وذلك أن أكثر المنسوخ يتقدم على الناسخ نزولا ٠٠ وقد استعان ابن عباس بهذه الأداة حين يفسر ٠٠

عن على عن ابن عباس قال : « كان أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما هاجر الى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بضعة عشر شهرا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب قبلة ابراهيم ـ عليه السلام ـ فكان يدعو وينظر الى السماء فأنزل الله تبارك وتعالى : « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** » ٠٠ الى قوله : « **فولوا وجوهكم شطره** » فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ :

« **قل لله المشرق والمغرب** » ٠٠ **وقال : فأينما تولوا فثم وجه الله** » ٠٠ وعن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، قوله : « **فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شيء قدير** » **نسخ ذلك قوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** »

سبب آخر لجأ اليه ابن عباس فى التفسير ذلك هو الشعر ـ ولقد استخدم ابن عباس هذه الأداة ببراعة حين يفسر وساعده على ذلك ذكاء مفرط وحافظة قوية لاقطة ٠٠ يقول عن نفسه : ما سمعت شيئا قط الا رويته ، وانى لأسمع صوت النائحة فأشد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول ٠٠

وينشده عمر بن أبى ربيعة قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر

حتى يأتى على آخرها ٠٠ ثم ينشدها ابن عباس ثانية ٠٠ ولما يسمعها غير مرة واحدة ، وأيا ما قيل فى هذه الرواية فهى تشير الى حقيقة ذاكرة ابن عباس وقوتها ٠

واستشهاده بالشعر انما جاءه من ثقافته الأدبية حتى لنراه على بصر بالحياة الأدبية فى عصره ٠٠ وفيما سبق عصره ٠٠ فمما هو آية تتبعه الأدب المعاصر قوله عن ابن أبى ربيعة : هل أحدث هذا المغيرى شيئا بعدنا ؟ وهذا عمر يقول لابن عباس : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ فيقول ابن عباس : ومن هو ؟ قال عمر : الذى يقول :

ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا
ولكن حمد الناس ليس بمخلد

فيقول ابن عباس : ذاك زهير ٠٠ ويقبل الحطيئة يستفتى ابن عباس فى حل الهجاء فيفتيه بأنه حرام ثم يقبل ابن عباس يسأل عن أشعر الناس من الماضين ٠٠ ويظهر أن ميله الأدبى كان معروفا لدى صحبه اذ يروى أبو الفرج الأصفهانى أن رجلا قام الى ابن عباس فقال : أى الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس : أخبره يا أبا الأسود الدؤلى ٠٠ قال : الذى يقول :

فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وكان ابن عباس ذواقة للشعر ، يستعذب جيده ، فنسمع منه مثل قوله : « انها كلمة نبى ! »

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

بل ويقوله ، ينشده عمر بن أبى ربيعة شطرة من بيت :

تشط غدا دار جيراننا

فيجيبه ابن عباس باختها :

وللدار بعد غد ابعد

فقال له عمر :كذلك قلت أصلحك الله .. افسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغى ..

وانشد محمد بن مصعب لابن عباس شعرا قاله :

ما اكثر العلم وما اوسعه
من ذا الذى يقدر ان يجمعه

ان كنت لا بد له طالبا
محاولا فالتمس انفعه

ولا عجب بعدئذ اذ نجده يصوغ التفسير فى قالب أدبى من مثل قوله : « الهوى اله معبود » .. ثم يقرأ :

« افرايت من اتخذ الهه هواه » ويفسر الآية « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » ..

قال : الرفث الجماع ولكن الله كريم يكنى .. ويقول فى الآية « الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » ..

اثنان من الله واثنان من الشيطان ، الشيطان يعدكم الفقر يقول : لا تنفق مالك وامسك عليك فانك تحتاج اليه ويامركم بالفحشاء.. والله يعدكم منه على هذه المعاصى وفضلا فى الرزق .

هذه الناحية الادبية من تفسير ابن عباس كانت تستولى على مشاعر الناس وألبابهم .. يقول شفيق :

« شهدت ابن عباس وولى الموسم فقرا سورة النور على المنبر وفسرها لو سمعته الروم لاسلمت» ..

ويقول رجل سمع تفسير ابن عباس لسورة النور : انى لأشتهى أن اقبل رأسه ، يعنى من حلاوة كلامه .. وهذا سعيد بن جبير يقول :

« كنت أسمع الحديث من ابن عباس فلو يأذن لى لقبلت رأسه » .

وقد اتجه ابن عباس الى الشعر ليدرس فيه عادات الجاهليين : ما نسخه منها الاسلام أو هذبه ..

قال عبد الله بن عباس وقد ساله رجل عن طلاق العرب فقال : كان الرجل يطلق امراته تطليقة ثم هو احق بها فان طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضا ، فان طلقها ثلاثا فلا سبيل له اليها . ولذلك قال الأعشى :

ايا جارتى بينى فانك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

وبينى فقد فارقت غير ذميمة
وموموقة منا كما انت وامقة

وبينى فان البين خير من العصا
وان لا ترى لى فوق راسك بارقة

وهو يستعين بهذه المعرفة لعادات العرب على التفسير ، عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله :

« يايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها .. » الاية ..

قال : كان الرجل اذا مات أبوه أو حميمه فهو أحق بامراته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها ..

وكان ابن عباس يلجا الى الشعر بحثا عن معنى اللفظ القرآنى .. يقول ابن عباس :

« اذا سالتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ، فان الشعر ديوان العرب » ..
وعن نافع بن أبى نعيم أن عبد الله بن عباس سئل عن قول الله : « وفومها » .. قال : الحنطة ، أما سمعت قول احيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت اغنى الناس شخصا واحدا
ورد المدينة عن زراعة فوم

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : أخبرني عن قول الله جل وعز : « لا تأخذه سنة ولا نوم » .. ما السنة ؟ قال : النعاس ، قال زهير بن أبي سلمى :

لا سنة في طول الليل تأخـــذه
ولا ينام ولا في أمره فنـــد

ولعل أوسع ما روى عن ابن عباس في هذا الباب مسائل نافع بن الأزرق الذي أراد ابن عباس ليفسر له أشياء من كتاب الله ويأتيه بمصادقه من كلام العرب وأوردها في كتابه صاحب الاتقان .. وان كان قد زيد في القصة أشياء غير أنها على كل حال تحدد اتجاه ابن عباس في التفسير الى الاستشهاد بالشعر العربي ..

ولقد كانت ثقافة ابن عباس الأدبية هـذه أكبر معوان له على المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن فهو يفطن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة ، مثل لفظة « بلاء » في الاية: **« وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ..**

عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « بلاء من ربكم عظيم » .. قال : نعمة وهو يتقصى معنى لفظة بعينها في القرآن كله .. عن الضحاك عن ابن عبـاس في الاية : **« فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء » قال : كل شيء في كتاب الله من الرجز يعنى** به العذاب.. وفي الاية: **« فذبحوها وماكادوا يفعلون »** .. يقول : كادوا لا يفعلون ، ولم يكن الذى أرادوا لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها. وكل شيء في القرآن « كاد » أو « كادوا » ، أو « لو » ، فانه لا يكون وهو مثل قوله « أكاد أخفيها » ..

وهو بهذه الثقافة اللغـوية استطاع أن يعرض للفظ الغريب في القرآن كله بالشرح والتفسير .. يقول السيوطى في ابن عباس: « ورد عنه ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة .. وهو وان لم يستوعب غريب القرآن فقد أتى عـلى جملة صالحة منه ..

وابن عباس يقول : كل القرآن أعلمـه الا حنانا والأواه والرقيم .. ويظهر أن هـذا كان لا يعلمه في وقت ما ثم علمه بعد وهو على كل حال احصاء يومىء الى اقتـداره في معرفة غريب القرآن . .ويظهر أنه كان يفرد الألفاظ التي يجهل معانيها ثم يتسمع قول الأعراب ليعثر على معناها ..

عن ابن عبـاس : ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لهـا : حورى ـ أى ارجعي ـ وقال ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى : « انا فتحنا لك فتحـا مبينا » ، كنت أقرؤها ولا أدرى ما هي حتى تزوجت بنت مشرح فقالت : فتح الله بيني وبينك ـ أى حكم الله بيني وبينـك ـ .. واستطاع ابن عباس بثقافته اللغوية هـذه أن يميز الأصيل من لغة قريش من غيرها من لغات العرب حين يفسر .. يقول في الاية : **« وكنتم قوما بورا »** البور في لغة أزد عمان الفاسد ، والبور في كلام العرب لا شيء يقال أصبحت أعمالهم بورا ، أى معطلة ، وأصبحت ديارهم بورا ، أى معطلة خرابا ..

وعن ابن عباس في قوله « وأنتـم سامدون » ، قال الغناء وهي يمانيـة .. وعن ابن عباس في قوله تعالى « أتدعون بعلا » ، قال ربا بلغة أهل اليمن .

ويقول ابن عبـاس « الوزر » ولد الولد بلغة هذيل .. ويقول في الآية « في الكتـاب مسطورا » ، قال مكتوبا وهى لغـة حميرية يسمون الكتاب أسطورا .. بل انه يبحث عن اللفظ الوافد الى العربيـة في أصل لغته .. وتعرف معناه ..

عن سعيد بن جبير عن ابن عبـاس « ان ناشئة الليل .. » قال بلسان الحبشة : اذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ .. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه سئل عن قوله « فرت من قسورة » ، قال هو بالعربية الأسد وبالفارسية شار وبالقبطية أريا وبالحبشية قسورة . .وعن ابن عبـاس في قوله : **« يود أحدهم لو يعمر ألف سـنة » قال هو قول الأعاجم : « سال زه نوروز مهرجان جر »** .

« يتبع »

ندوة الشهر

عقوبة الإعدام

بين الإبقاء والإلغاء

الأستاذ عبد الرحمن الشربيني

الحياة ..

هى أغلى ما فى الحياة ..

فاذا كان البعض يراها على انها قصاص من وجهة نظر الدين ، فان البعض الآخر يراها على انها ليست هبة المجتمع حتى يسلبها المجتمع ..

وفى مفترق الطريق الى هذين النقيضين ، تقف عقوبة الاعدام حائرة بين الابقاء والالغاء ..

لقد رأس الاستاذ حافظ سابق النائب العام السابق ندوة قدم فيها بعض المعارضين وبعض المؤيدين .

وكان قد بدأ الندوة بقوله ان الموضوع على جانب كبير من الاهمية ، لان عقوبة الاعدام هى أخطر العقوبات وأقساها .. ولقد عرفت منذ أقدم العصور ... ولم تنكرها الكتب السماوية .

وراح يستشهد بما جاء عنها فى القرآن الكريم ..

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » .

وقول الله أيضا :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص » .

وقوله تعالى :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف »

ولقد كانت عقوبة الاعدام محل جدل وثورة عنيفة من المفكرين والمصلحين ، وكان تنفيذها من أساليب التعذيب التى تأباها الانسانية ، فرأى البعض الغاءها، كما رأى البعض الآخر ابقاءها ..

كان جان جاك روسو من أنصار الاعدام على أساس نظرة العقد الاجتماعى التى تقوم على تعاقد الدولة على الحرية الاجتماعية .

وجاء ديكارت فلم يقر روسو على نظريته .. وانتهى الى أن الدولة ليس لها أن توقع الاعدام الا فى حالة الفتنة السياسية ... ولا مجال لها فى الظروف العادية .

ثم جاء لامبروزو برأى يدعو الى تطبيق هذه العقوبة على المجرم بطبيعته فقط ..

واستطرد يعدد الجرائم التى يعاقب عليها القانون المصرى بالاعدام مثل جناية القتل العمد مع سبق الاصرار . والحريق العمد اذا أدى الى حريق انسان .. وجناية تعريض المواصلات الى الخطر ، كما أن القانون قد خول للقاضى سلطة مطلقة فى تقدير ظروف الجريمة وتخفيف العقوبة عنها الى الاشغال الشاقة المؤبدة ، كذلك كفل للحكم بعقوبة الاعدام أن تكون مبنية على اقرار من المتهم أو بالدليل المقنع بانه قارف الجريمة .

كذلك أوجب القانون المصرى على المحكمة ان تاخذ برأى المفتى حتى تجيز الشريعة برأيه عقوبة الاعدام ..

ومع ذلك فان القانون لم يتقيد برأى المفتى واجاز مخالفته ..

وفى الحالات التى لا يصل رد المفتى عنها خلال ثلاثة أيام يجوز للمحكمة أن تحكم دون رأيه ..

وأوجب القانون كذلك على النيابة أن تتحقق من مطابقة الحكم بالاعدام للقانون حتى ولو لم يطعن الجانى فى الحكم بطريق النقض ..

وأوجب القانون رفع الحكم الى السيد رئيس الجمهورية للنظر فى اقرار العقوبة او ابدالها بعقوبة أخرى .

وتحدث عن المؤيدين لابقاء عقوبة الاعدام المستشار محمد رضوان حجازى رئيس محكمة الجنايات حيث قال :

ـ ان هذا الموضوع قد قتل بحثا من زمن طويل .. ولكل من أصحاب المذهبين رأيه وحججه ..

ويمكننى أن الخص حجج القائلين بالالغاء فيما يلى ثم أرد عليها :

* ليس للجماعة الحق فى توقيع هذه العقوبة لان الجماعة لم تهب للفرد الحياة حتى تسلبها منه .

* ان الضرر الناتج منها ليس له حدود والتناسب بينها وبين الجريمة غير تام .

* لا يمكن تلافى أثرها اذا نفذت وظهرت براءة المحكوم عليهم .

* ليس لهذه العقوبة اثر فى زجر المجرمين كما تدل عليه الاحصائيات .

* ان هذه العقوبة هى عقوبة بشعة يشمئز منها الشعور .

والرد على هذه الادعاءات فى غاية اليسر :

* فاما القول بان الجماعة ليست لها الحق فى توقيع هذه العقوبة لانها لم تهب الحياة للفرد فهو قول لا يصدق فى العقوبات المقيدة للحرية أيضا .. لان الهيئة الاجتماعية لم تهب الانسان الحرية حتى يصبح لها حق سلبها أو سلب جزء منها .. فاذا ما أوقعت عليه حكما بالاشغال الشاقة تكون قد استعملت كذلك حقا يعارضه انها ليس لها حق سلب الحرية كذلك .

ومع هذا فهناك نظرية معروفة لرجال القانون هى نظرية الدفاع الشرعى عن النفس .. لقد أباح القانون للفرد أن يقتل دفاعا عن نفسه فى حالات معينة تستوجب القتل .. فهل يوافق أصحاب الرأى بالالغاء على هذا المبدأ ؟.. أظن انهم يوافقون بلا نزاع .. وعندئذ لابد أن يكونوا قد وافقوا كذلك على أن للمجتمع الحق فى استعمال عقوبة الاعدام ..

وعلى هذا فلا أظن أن الاعدام ما هو الا صورة دفاع شرعى تملكه الجماعة لدفع الاعتداء عليها .

* أما القول بأن التناسب بينها وبين الجريمة ليس له حدود ، فان التناسب التام أمر ليس فى مقدور البشر ، وحكم الانسان فى تقدير الامور حكم نسبى دائما .

* والقول بانه لا يمكن تلافى أثرها اذا ظهرت براءة من نفذت فيه فهو نادر الحصول ، ولا حكم للنادر .

وعدم تلافى الضرر سيكون كذلك فى شان العقوبات المقيدة للحرية .. فمثلا حكم على انسان بالاشغال الشاقة ، ثم ظهرت براءته فكيف نعوضه اذن عن ذلك بعد أن تاثرت بذلك صحته ونفسه ؟!

ومع هذا فقد دلت احصائية مصلحة السجون أن المحكوم عليهم بالاعدام يمكثون فترة مدتها من ٨ - ١١ شهرا ما بين الحكم وتنفيذ العقوبة ، وهذه مدة كافية لتعديل الخطأ اذا ظهرت براءة المتهم ..

* والقول بعدم وجود هذه العقوبة مردود عليه بانه ثبت من الاحصاءات أن كثيرا من الدول التى ألغت الاعدام زادت فيها نسبة جرائم القتل فعادت وقررتها من جديد ..

* ويقولون أن عقوبة الاعدام بشعة تشمئز منها النفوس ، ألم تكن الجريمة التى ارتكبها الجانى من البشاعة بحيث يستحق توقيع هذه العقوبة عليه ؟!

وتساءل : لم هذه الضجة وقد كفل الشارع ضمانات حدت من العقوبة ؟!

فالجرائم التى تستوجب تطبيق عقوبة الاعدام معدودة .. فمنع توقيعها على سن ١٧ سنة فاقل .. وأوجب عرض الحكم على محكمة النقض ، كما أوجب رفعها الى رئيس الجمهورية .. وهذه كلها ضمانات كافية للتيقن من أن العقوبة كانت فى محلها حينما صدرت ضد الجانى .

أما المناداة بان مرتكبى الجريمة مصابون بمرض عقلى ، فذلك أيضا قد كفله القانون كذلك .. فللمتهم أن يطلب اثبات ذلك .. وللمحكمة أن تحيله على الطبيب الشرعى فاذا ما أثبت ان ارتكاب الجريمة كان بدافع من هذا المرض العقلى فلا سبيل الى القسوة عليه .

ومن هنا نجد أن عقوبة الاعدام واجبة البقاء لا سيما فى البلاد التى لم تتقدم اجتماعيا ..

وأخيرا أضيف شيئا من الناحية العاطفية .. أرجو أن يتضمنه التشريع وهو اقتراح اعفاء الشيوخ الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ سنة من هذه العقوبة اسوة بالذين تقل أعمارهم عن سن ١٧ سنة ..

كما اقترح أن تصدر عقوبة الاعدام باجماع الآراء من هيئة المحكمة .

وتلاه الاستاذ مصطفى حسنين القاضى مطالبا بالغاء هذه العقوبة بقوله :

كثيرا ما يحدث نوع من الخلط بين أمرين .. وضع العقوبة وتطبيق العقوبة ..

واننا حين ننشىء عقوبة لا نفكر فيما اذا كانت تحقق الغرض منها أو لا تحققه ..

فهل حققت عقوبة الاعدام الغرض منها ..؟

وهل حقق قانون العقوبات المصرى الغاية منه ؟

الرأى عندى أن العقوبات التى اشتمل عليها لم تحقق الغاية ، بدليل وجود الجرائم .. وان تشديد العقوبة لم يحدث أن خفض الضغط على المحاكم .

وعندى أن العقوبة قبل أن تشرع يجب أن يسبقها شىء من الدراسة الاجتماعية ، وأن يشارك علماء النفس علماء التشريع فى تشريع العقوبة ، لان الهدف يجب أن يكون الجريمة ذاتها وليس المجرم نفسه .

يجب أن نفكر هل هذه العقوبة موافقة للمجتمع ، وهل سيصلح بها المجتمع .. هل سيتوفر استقرار النفوس ، وهل ستقل الجرائم ؟

خذوا مثلا عقوبة تعاطى المخدرات حينما تحولت من جنحة الى جناية ، فقد أصبحنا أمام فيض من جرائم القتل التى تصحب حوادث المخدرات .

والاجدر بنا قبل تشديد العقوبة أن ندرس السبب فى قيام الناس بعمل ذلك ثم نشرع العقوبة على ضوء هذه الدراسة ..

وعقوبة الاعدام فى كثير من الحالات لا تحقق الهدف الذى وضعت من أجله .. فهذه جرائم الثار لا تزال فى ازدياد وشفاء الغليل لا ينتهى .

وضرب مثلا من العراق فقال :

كنت فى العراق .. وأتيح لى أن أقوم ببحث عن العشائر .. والعشائر فى العراق يثارون بعنف ، ولابد لصاحب الثار أن ينال حقه من القاتل .

ورغم وجود الثار بينهم الا انهم يعملون على تلافيه بطريقة اجتماعية عجيبة ..

فحينما يثبت قتل شخص لاخر ، وبينما أهل القتيل ثائرون حانقون ، يأتى أهل القاتل ويقدمون ابنة القاتل أو اخته أو احدى قريباته فيتزوجها ابن القتيل أو اخوه أو احد أقاربه . ويكون على القبيلة الاخرى أن تستقبل الفتاة استقبالا حسنا .. وبذلك تزول الاحقاد .

وعلى كل حال فهذا واحد من حلول لمشكلة لم نتوصل نحن الى طريقة حلها .

ويستطرد الاستاذ حسنين فينتقد احالة الاوراق الى المفتى .. وتساءل عن الموقف فيما لو رؤى عدم الاخذ برأى المفتى .. وهل يكون الشرع عندئذ قد قال رأيه فى تنفيذ العقوبة ؟

ثم يستطرد معلقا على رأى الاستاذ رضوان حجازى عن اباحة القتل دفاعا عن النفس وما بناه على ذلك من أن للمجتمع أن يستعمل عقوبة الاعدام فيقول : انهذا الدفاع عن النفس انما قيد بشرط أنه لا يستطيع الاتصال بجهات أخرى ، وانه ليس أمامه مفر من ارتكاب القتل دفاعا عن نفسه .. أما هنا فالدولة لديها الفرصة للاتصال بمن تشاء ..

أما القول بأن هناك فترة من ٨ - ١١ شهرا بين الحكم وتنفيذه وهى كافية لاظهار الفاعل الاصلى ان لم يكن قد ظهر أثناء المحاكمة ، فهذا لا يستند الى أساس سليم لان الفاعل الاصلى سيظل مختبئا طالما لم ينفذ حكم الاعدام فى المحكوم عليه .

وقد عقب الاستاذ حافظ سابق على ما جاء بهذه الندوة فقال :

ان الابقاء على تلك العقوبة او الغائها ليس بالامر الهين السهل .. وانما يتطلب تفكيرا عميقا وحسن وزن للامور ، فالامر يترك لكل دولة تقدره وفقا لظروفها العامة .. فان رأت أن فى الابقاء على تلك العقوبة مصلحة فلابد أن تبقيها .

وعلى الذين ينادون بالالغاء أن يدلونا على ما يقوم مقام هذه العقوبة فى حالة الغائها .. والا فهم يريدون أن يترك الامر فوضى بلا قانون ولا عقاب !

روح الاسلام

الاسلام كرسالة سماوية اتسم بخطته الحكيمة وتوجيهه السديد ، وارشاداته المرتكزة على الفهم الرزين ، وهو فى كل منهج يسلكه ، أو غاية يرنو الى تحقيقها يهدف أول ما يهدف الى خير البشرية وسعادتها دون تفرقة بين أجناسها ، ودون تمييز بين مقدراتها المادية أو الجسمية . كما انه يحدد فى كل سلوك يسلكه الحياة الحرة الكريمة ، والتعايش السلمى القائم على المساواة ، واقرار شريعة العدل ، وصيانة الحقوق الادبية والمادية .. وهو يحاول دائما وضع الانسان فى مكانته الملائمة به كمخلوق بمقوماته الذهنية ، مخاطبافيه عقله وفكره ، ليثير منه كوامن التقدير لكل تصرف يقدم عليه ، وليحرك فيه أحاسيس التنبؤ بالنتائجوالعواقب وليضع يده على مأمنه فيندفع بحسه الى ضرورة أعمال فكره .. وبذلك يتقى شر ما يتردى فيه نتيجة لتصرف جامح أو انحراف هالك .

ولم يكن الاسلام فى توجيهاته وتعاليمه مغلقا فى القول ، أو فارضا سلطانا لا يتفق مع العقل ، أو يتنافى مع المنطق والحس ، لذا فالمنطقية البحتة ، ومخاطبة العقول خطة مرسومة ، وبرنامجا قائما على أساس من التوعية السليمة ، والارشاد الحسن .. وعلى قدر ثبات هذه العقول وسلامتها كان تجاوبها وتصديقها ، وبقدر هذا التجاوب كانت مرحلة الايمان عن اخلاص وعمق ، وكانت مرحلة التفانى والوفاء للدعوة الجديدة ، ثم مرحلة العمل قدر الطاقة وفوق الطاقة فى كثير من الأحيان تدعيما للمبادىء السامية ، واكبارا منهم فى التضامن لرفع الوثبة خفاقة عالية .

وعلى هذا المنوال تسلل الايمان الى أغوار القلوب والصدور ، فأحال ظلامها نورا ، والحادها توحيدا ، وضلالها هدى ورشادا .. فسادوا وعظموا .. وساروا شرقا داعين فاتحين ، لم ترهب أعدادهم القليلة ماجمعه العدو لهم من عتاد وعدد ، لهم من ايمانهم عصمة ، ومن توحيدهم ثقة وقوة ، ومن ضميرهم رادعا وواعظا .

مِن خلال تعاليمه

الأستاذ منصور حامد نسيم

وتجلت عظمة الاسلام كنبع هادف فى تربيته الفذة لقوم غلاظ اشداء ، عـرف عنهم البطش ، وتـجريد السيوف لاتفه الاسباب ، تلازمهم صفات الاعتـداء بالسطوة والجبروت ، ايمـانهم بالحياة يتسم بمنطق الظلم ما دامت هناك قوة تسانده ، وما دام هو الطريق لكسب الرزق والاثراء على حساب الغير ، أصنام تعبد ، وبنات توءد ، وكر وفر ، دون أن يكون هناك قانون رادع أو كبير يرهب أو نظام يتبع ، حيـاة مهددة يائسة ، نورها بريق ، وضوؤها عزيز .

وهكذا كانت الحالة ، ضيق وألم ، وفزع وضجر ، حتى بلغت عنفوانها قبيل الرسالة المحمدية ، ليكون الاسلام موئلا ومغيثا ، وليكون طريق النجاة من حياة أصبح جحيمها لا يطاق وبالتالى أصبح استمرارها ضربا من المستحيل .. لم يكن هناك وازع من عقل أو ضمير .. أو نظر الى واقع ، أو وقوف عند حد ..

فلما أشرق الاسلام بنوره وصهرهم فى بوتقة . حولهم بتعاليمه وحسن توجيهه الى أساتذة لأرقى الامم والشعوب فى عصرهم ، بعد أن أزاح صدأ النفوس ، وماران عليها من خرافات وأوهام ، وهكذا تجلت النفس العربية فى صورتها الوضاءة المشرقة . لها ما تمتاز به من حزم وعزم ، وارادة جبارة دانت لها رقاب الاكاسرة ، وطأطأت لها أعناق القياصرة .

وكانت تربية الاسلام عميقة الجـذور ، خلعت من النفوس العربية نعرتها الجاهلية ، وسياستها الهمجية ، وازالت كل الرواسب لحياة عفنة متخلفة ، لترسى دعائم جديدة ، وطـاقات بشرية خلاقة ، تموج بالتضحية والايمان .

وسارت القافلة تعبد طريقها فى اندفاع ، وتشق لاهدافها شتى الصعاب ، وتدعم مبادئها بالحجة الممزوجة بالسلام ، ولهم من خلقهم وثقافاتهم الدينية سياج حصين يحول دون الانحراف أو الميل الى النزوات ، ولهم فى ثنايا جوانحهم منعة قوية ابعدتهم عن كل ما يعيب أو يشين ، نفوس استجابت لنداء السماء ، فتفاعلت عن عقيدة راسخة وايمان عميق ، وبذلك كانت أسـوة يحتذى بها ونبراسا يضىء الى دينها .

وها هو الاسلام حينما رسم طريقه لتوجيه البشرية الى ما يصلح حياتها ، ويجمع قلوبها على الألفة الممزوجة بالاخوة ، محددا معالم الانسانية فى أبهى مظهرها وأعلى مراتبها ، لم ينظر الى مال أو جاه ، ولم يعر اهتماما بما تخلقه الدنيا من فوارق فى الحسب والنسب ، لا سيما ونحن بلا استثناء نعمل عن يقين انها أمور غالبا لا دخل للانسان فى جلبها - ناهيك عما تجره صفات الشماتة والاستهزاء وما تخلقه زراية الهندام . أوتقاطيع الخلقة من عداوات ، كثيرا ما وصلت الى سفك الدماء .. وما أولى الانسان وقد عمر قلبه بالايمان ، وانجابت عن نفسه غشاوة الجـاهلية الأولى ، أن تكون اخـوة الاسلام رباطا مقدسا وتعاليم الاسلام سياجا حافظا ، تجمع شتات النفوس ، وتزيل ضغائن القلوب ، وتـوحى فى كل تصرف بأن التعاطف والتواد خلال المؤمن الحق ، وطريق لنشر الصفاء والحب ، فيقول جلت قدرته : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » .

ثم يرشد بطريق محسـوس الى حـديث النفس وما يجره من ويلات على صاحبه فى الدنيا والاخرة ، وكأن الآيات الكريمة وهى ترسم دعائم المعاملة ، وكيف تؤدى انما ارادت أن تخلق مجتمعا ترفرف عليه سـيما الالفة ووشائج المحبة فى .. مظاهرها كمـا هدفت الى تربية النفس المؤمنة تربية قوامها تفادى النتائج الوخيمة ، وما تجلبه الصغائر .. فلمز النفس والتنابز بالألقاب للوهلة الأولى لا توحى بالاحقاد العميقة التى تنفثها آهات أحاسيس النفس المكلومة وقد اصيبت بأذى أو شعرت باحتقار ، وتلك سمة بشرية طبع الله عليها خلق الانسان ، كصفة ملازمة لا تفارقه الا فى ظـروف قاهرة ، وليست ثورته الا احساس وجدانى لاسترداد حقه ، ولمحو ما قد يكون قد علق من أوضار الاهانة .

لذلك كانت تعاليم الاسلام وتوجيهات المعلم الأول تعليمات حصيفة بليغة المرمى ، وحينما حددت السلوك وأرشدت الى حسن المعامل كان اختيار اللفظ بجرسه وحدبه فى أسلوب بليغ ، وبقصد الابانة والتوضيح الى النهج القويم وواجب المسلم نحو أخيه ، وليست الغيبة التى حذر منها الاسلام ودعانا اجتنابها الا نكتـة سوداء فى سيرة المؤمن الحق . ولو تفاعل ايمانه مـع جوارحه لا سيما لسانه ، لكان لديه رادع من وجدانه ، ولاحس وقد انخرط الافتراء والادعاء بوخز فى كيانه ولأنه افتراء لا يدرى مداه ، وفيه التجنى على أمرىء برىء تربطه به صلات وثيقة .. أما وقد فارقته صفات المؤمن كما أراد الاسلام ولم يبق له سوى جرسها اللسانى والتشدق بالفاظها وتعبيراتها فاقرب ما يوصف به انه استباح لنفسه أكل لحم أخيه ميتا . وفى ذلك أبشع ما يمكن أن يوصف به الانسان نحو أخيه الانسان من انحدار واسفاف .

فليس غريبا اذن وتلك خطة الاسـلام ، وهـذا منهجه أن ينقل أمما من وهدة الانحراف والانغماس فى الشهوات الى أوج من الخلق الرضى والسلوك المحمود ، وأن يخلق لنا مثلا فى الفضائل ما زالت فى حاجة ملحة الى البحث لجوانبها المتشعبة وخلالها العامرة بالكمال .. فمن مفكرين أفذاذ ، الى مغاوير أنداد ، الى رسل هداية وسلام .

رحلة الهيبة

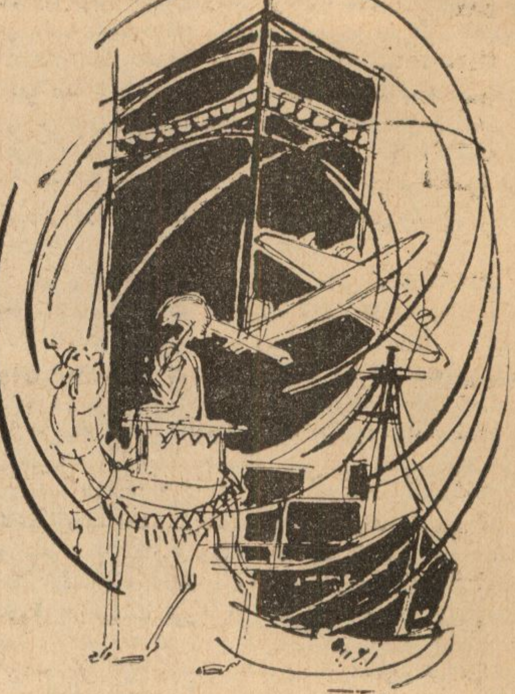

الأستاذ أبو الوفا المراعى

لعل الاسلام من بين الأديان هو الذى أشاد بالرحلة ونوه بشأنها لما يفيده المرتحل منها فى عقله وتجاربه وايمانه ، فقد أمر القرآن الكريم من أراد أن يستوثق لعقيدته ويطمئن فى ايمانه أن يسير فى الأرض لينظر عجائب صنع الله وغرائب آياته ، وليعلم انه لا بد لهذه الأشياء من صانع حكيم فطرها على هذا النسق الباهر والجمال الظاهر ، وليعلن كيف كان عاقبة الذين كفروا بهذه السنن والآيات من تدمير شامل ، وهلاك مستأصل • يقول تعالى :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شىء قدير » •

ويقول : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » •

أشار الاسلام الى فوائد هذه الرحلات دون أن يلزم بها الا رحلة واحدة ألزم بها فريقا من المسلمين رجالا ونساء ، وفرضها عليهم وجعلها ركنا فى اسلامهم ودليلا على صدق ايمانهم ، وهى الرحلة الى بيته المحرم ليطهر نفوسهم من رواسب الذنوب وأوضار المعاصى •• والمضيف فى هذه الرحلة هو الله سبحانه وقصاد بيته هم الضيوف ، يظلون فى ساحة بره ورحاب فضله ، طوال هذه الرحلة ، كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحجاج والعمار وفد الله ـ عز وجل ـ وزواره ، أن سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجبت لهم ، وان شفعوا شفعوا » ••

وقد وضع الله لضيوفه نظام هذه الرحلة وحدد زمانها ، وبين المعالم التى ينبغى زيارتها ليربط قلوبهم بما فيها من ذكريات لمواقف صالحات لعباد صالحين ، احتملوا الشدائد ، وصبروا على المحن فنالوا منازل الرضوان والقبول ••

رسم الله لحجاج بيته والمرتحلين اليه نظام هذه الرحلة من حين العزم على السفر الى العودة منه •• واذا كان لا بد لكل رحلة من نفقات ومشقات ، فان الله ـ سبحانه ـ لم يفرضها الا على من استطاع النفقة واحتمل المشقة فليس على فقراء المسلمين وضعفائهم أن يقوموا بها ، ولكن الله بفضله عوض عنها أعمالا أخرى تدخل فى استطاعتهم ونطاق احتمالهم ••

والرحلة الى الحج رحلة خالصة لله فينبغى أن تكون نفقتها من مال طيب حلال لا شبهة فى اكتسابه ولم يتعلق به حق مخلوق فليس ينال رضا الله بغضب الله ، وان الله طيب لا يقبل الا طيبا ••

واذا صح العزم وتعلق القلب وتهيأ الركب وجب أن يقطع الانسان نفسه من علائق الدنيا وجو الحياة المادى الصاخب ، ويعدها للجو

الروحى ، جو السكينة والرضا ووجب أن يتوب عن الذنوب ، ويؤدى ماعليه من الحقوق ويطمئن على معاش أهله ومن تلزمه نفقته ليتخفف من الأثقال والهموم وأن يعلن براءته من المراءاة بحجه ويقول :

« اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك .. وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك ، وشوقا الى لقائك » .

واذا استقل به الركب وجب أن يحسن العشرة والرفقة فلا يصخب ولا يفحش ، ولا يمارى ولا يجادل ليكون جو الرحلة جوا انسانيا كريما ليس للغرائز الحيوانية مكان فيه ، فاذا وصل الى حدود الحرم وحمى البيت لم يكن له أن يهجم عليهما دون أن يأخذ نفسه بقوانين الزيارة ، والمبدأ الأول فى قوانينها أن يتخلى عما اعتاده من الملابس ويستبدل بها ثيابا جديدة لم تلابس ذنبا ولم تدنس بمعصية ، والثياب الجديدة هى ثياب الاحرام المعروفة ، واستبدالها رمز الى تجريد النفس من الخطايا والدنايا ، ووجب أن يعلن بلسانه انه انفصل من حوله وقوته .. ومن محاله وتدبيره ، وألقى بنفسه فى ساحة عفو الله ورضوانه ، وأجاب دعوة خليله ابراهيم فيقول :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك » .

ويظل على المناجاة بهذا النداء كلما انتقل أو سكن أو علا شرفا أو هبط واديا ليكون على الدوام موصولا بالله ، متعلقا بأسباب رضاه ، فاذا فعل ذلك فقد تم احرامه وحرمت عليه الشهوات وأسبابها ، وأصبح بنفسه وقلبه خالصا وراء ذلك من شعائر روحية وبدنية ينتقل فى ذلك من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، فاذا دخل مكة واستقر به المقام تهيأ للطواف بالبيت الذى شرفه الله وجعله مثابة وأمنا وعلق به قلوب المسلمين وطاف به سبع مرات فى تضرع وخشوع ودعاء واستغفار يستلم فى كل مرة منها الحجر الذى رفع الله قدره بين الأحجار وجعله أبهى وأغلى من النضار ، وجعل قبلاته فى نفوس المسلمين أشهى من لذيذ الطعام والشراب وأحلى من رضاب الأحباب ، فاذا فرغ من طوافه خرج للسعى بين الصفا والمروة ، يجدد ذكرى هاجر - زوج ابراهيم - بالترداد بينهما كما فعلت حين أعوزها الماء لسقيا سيدنا اسماعيل فأثلج صدرها بما فجره لها من الماء فى هذا المكان الجديب ، فاذا أتم سعيه فقد أتم جزءا من الرحلة وهو ما يسمى بالعمرة ، وله بعد ذلك أن يتحلل من أحرامه ويتمتع بما منع نفسه منه اذا كان الوقت واسعا بين العمرة والحج ، فاذا حل وقت الحج استأنف الاحرام وأدى شعائره وله أن يبقى محرما حتى يتم حجه ..

واهم مناسك الحج بعد الطواف بالبيت الوقوف بعرفة ، وللوقوف بعرفة منزلته ومحبته فى نفوس المؤمنين وهو منية كل فرد ورجاء كل محب ، ولعرفة ذكراه الجديرة بمنزلته ومحبته فهو الجبل الذى أشرف منه الرسول الأعظم محمد - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين يخطبهم ويعلمهم ان الرسالة قد تمت وان النعمة قدكملت ، ويقول فيما نزل من القرآن :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وهناك مناسك أخرى للحج منها التقرب الى الله بذبح ذبيحة تسمى هديا يطعم منها الفقراء ، وفى التمسك به احياء لسنة ابراهيم وتذكير بنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده اسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله به اظهارا لقوة ايمانه ، ولقصة الفداء حديث مستفيض فى القرآن والسنة ، وكذلك من مناسك الحج الوقوف بالمزدلفة ورمى الجمار بمنى على ما ذكر فى باب الحج من كتب السنة والفقه والمناسك .

وإذا أتم الحاج مناسكه ومنّ الله عليه بالتوفيق وعزم على الانصراف من مكة كان عليه أن يطوف بالبيت طوافا آخر يسمى طواف الوداع ، وهو بمثابة الاستئذان في الانصراف وتجديد العهد والولاء .

وقد اعتاد المسلمون بعد تمام الحج أن يقصدوا زيارة روضة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ومثواه الكريم تحية له والتماسا لبركته ، وطمعا في شفاعته .. وان الفرح بهذه الزيارة لا يعدله في نفوس المؤمنين فرح .. وان ذكراها تظل ماثلة في أذهانهم .. لا يزاحمها حادث ولا يطمس صورتها طامس ، ولا يذهب بحلاوتها فرح بمال أو جاه أو منصب ، والقسم بزيارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قسم مبرور ، والعهد بها عهد وثيق ، ولشغف المؤمنين بهذه الزيارة وشدة تعلقهم بها والحرص عليها يظن كثير منهم أنها من تمام الحج وهو ظن خاطىء ، فالزيارة عمل ديني منفصل عن عمل الحج ليس له به تعلق ولا ارتباط الا ارتباط الحب الخالص لله ولرسوله المبلغ لوحيه والحامل لرسالته .. والصادع بأمره ..

هذه خلاصة موجزة عن رحلة الحج ليس فيها تفصيل لأحكام الحج ، وانما هي صورة لخطوطه العامة ترمز الى شيء من أسراره ومقاصده . وقد أجملت الآيات القرآنية فوائد رحلة الحج حيث قالت :

« وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

ففي الحج منافع أجملها القرآن كسنته في اجمال عبارات الخير لتعم وتشمل . فالمنافع عامة تشمل كل ما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم ، في سلمهم وحربهم ، وفي علمهم واقتصادهم ، وسياستهم وأخلاقهم ..

وليس هناك مؤتمر أشمل من مؤتمر المسلمين في جميع الأقطار ومن جميع الاجناس من تمثيلهم في هذا المؤتمر ، وانه لمؤتمر مثالي الداعي اليه هو الله ملك الملوك ، والملبون للدعوة ذوو الاستعداد النفسي للخير ، والجو الذي يسوده جو روحي يحيي في النفوس مشاعر التسامح والتعاون والبذل وليس له من قيود المؤتمرات ما يضيق به الصدر وتنقبض له النفس ، لذلك كان من سنن الحج أن يخطب ولي أمر المسلمين في فترات مختلفة من أيام الحج يستعرض فيها شئونهم ، ويعالج بها مشاكلهم ..

قال العلامة الغزالي : « والسنة للامام في هذا اليوم - يوم النحر - انه يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففي الحج أربع خطب .. خطبة يوم السابع ، وخطبة يوم عرفة .. وخطبة يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الاول ، وكلها عقب الزوال ، وكلها افراد الا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة » .

وقد غفل المسلمون عن أهداف هذا المؤتمر ولم يحسنوا استغلاله في جمع شملهم وتأليف قلوبهم .. فقد جمعهم الله حول كعبة واحدة لتكون قلوبهم واحدة ، ومصالحهم واحدة ، يشغل الصيني منها ما يشغل الأمريكي ، ويشغل الاوربي ما يشغل الافريقي ، ولكنهم لم يكونوا كذلك فعادوا من مؤتمرهم كما ذهبوا ، قلوب متنافرة ، وأهواء متعارضة ، وأضاعوا الحكمة منه ولم يجعلوه كما أراد الله مجمعا تصلح به أحوالهم .

فما التجمع حول البيت للطواف الا لتجتمع القلوب ، وما الوقوف بعرفة الا للتعارف والتآلف ، وما رمي الجمار الا رمز لطرد وساوس النفس وقهر الشيطان ، فأعمال الحج ومناسكه اعداد وتوجيه لقلوب المسلمين الى الوحدة الشاملة والتعاون المثمر .

وفي الحديث : الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ..

قال بعض العلماء : الحج المبرور أن يعود الانسان احسن حالا منه حين ذهب اليه .

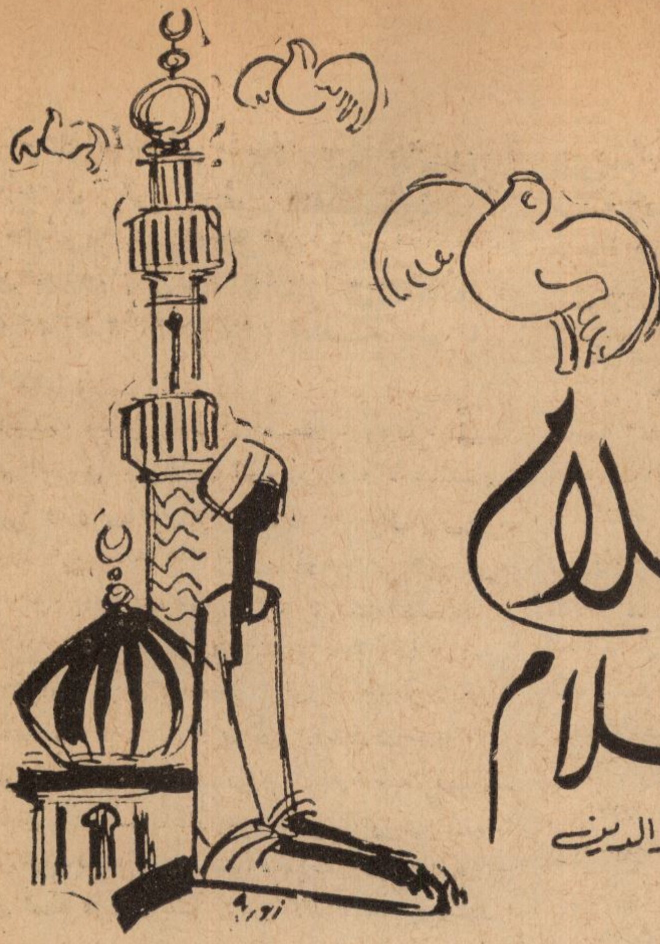

دور الاسلام فى السلام

بقلم الدكتور فؤاد محمد فخر الدين

الاسلام دين سلام ووئام، والسلام من معانى الاسلام وهو بداية ونهاية مرامى الاسلام ، والسلام فى الاسلام مبدأ سلمى ، ورمز فكرى، واساس عملى ، وهو دعوة عامة تبتدىء فى النفس الانسانية ومنها ، ويتطور الى نفسية الأسرة وفيها ، والى نفسية المجتمع ويتركز فيه ، والى نفسية الدولة وفى اداتها ثم الى نفسية العالم قاطبة ، فهو دين عام يهتم بالافراد حياة ومعيشة ، وبالاسر كيفا ومعنى، وبالجماعات روحا وعملا ، وبالحكومات تشريعا وتنفيذا ، وبالدول سلما وحربا اذ قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » .

يدعو الاسلام الى تكوين شخصية الفرد بطمأنينة نفسه وبراحة ضميره وبصفاء السريرة والطوية ، وبالصبر وقوة الاحتمال . تلك الصفات التى تخلق من الانسان فردا حيا فاضلا ، وانسانا مثاليا خلاقا ، يواجه مسائل الحياة واحوالها ، وحوادثها وظروفها بواقع وجوده فى دنياه وفى عالمه ، وبسمو روحه وبرفعة شعوره ، معتبرا نفسه بأنه مخلوق لا يتصرف فى دنياه الا قدر مهمته كانسان بان للحقائق ومحقق للفضائل ، وليست له قوة التدبير والتسيير ، ومعترفا بأنه ضعيف فى حقيقته وقد قال الله سبحانه « يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » .

فلا يصح لهذا الانسان الضعيف أن يعادى سواه اعتمادا على قوة جاءته بمحض الصدفة فيصير انسانا عاديا فى طبيعته الانسانية كمصيره الطبعى فى هذه الدنيا الحول القلب .

ما فريضة الصلاة الا اعلام بضعف الانسان فى صورته الحقيقية ، وانه يجب عليه الخضوع لقوة أعلى سواه ، ويجب عليه أن يذكر نفسه من آن لآخر فكلف خمس مرات فى كل يوم وليلة أن يقوم بمعرفة نفسه ، وبادراك كنهه ، ويتصور حقيقته حتى يعلم أنه ضعيف وانه مخلوق كسائر المخلوقات فى ضعفه ، وما هو الا رمز هذه الحياة الذى يدل ويشير الى وجود الله .

فتلك الصلوات هي دعوة سليمة للانسان الساهى ، وهى درس لتقويم النفوس ، وعظة لمصير الانسان ، ولهذا قال الله عز وجل « وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » .

فالصلاة تذكر الانسان بضعفه ، وتأمره الى السلم النفسى ، والأمن الروحى ، والانصاف العقلى ، والوعى واليقظة ، والى شعور ملىء بالمسئولية ، وبعد هذا اليقين الانسانى العميق لا يقترف كبيرة أو صغيرة من الذنوب لأنه علم حقيقة أمره ، وسر وجوده ، ومهمة حياته ، وعلاقته بربه ، وبأخوته فى الانسانية ، وبالمخلوقات المحيطة به من كل جانب وصوب .

دعا الاسلام الى سلام الأسرة ، فحفظ كيانها ، واعترف بمكانتها ، فأمر الابن على ألا يعتدى على أبويه بأدنى صورة من صور الاعتداء ولا يهينهما على أى شكل من الاهانات .. ولا يجرؤ عليهما فى القول أو العمل ينال من مركزهما ، لأنهما ربياه صغيرا ، وحفظاه كبيرا ، وصاناه من أدنى ضرر وأذى ، فقال الله تعالى فى شأنهما : « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »**

وقد دعا الاسلام للسلام ابقاء لحياة الابن اذ أمر الأبوين بالقيام بتربيته ، والانفاق عليه ، ورعاية مستقبله ، وحفظ وجوده الانسانى ، وكيانه الاسلامى على أقوم طريق ، وأنبل منهج .

ودعا الاسلام الزوجة والزوج الى المعاملة الطيبة ، والى تنظيم حياتهما على المحبة والحب ، وعلى رعاية المصلحة العائلية فوق المصلحة الشخصية الخاصة ، وقد خول لكل منهما حقا وواجبات ، وفرض على كليهما مسئوليات ، فلا يعتدى أحد على حق الآخر .

وما تقسيم الميراث الا نوع من طرق حفظ سلام الأسرة والعائلة حتى لا يوجد تنازع بين الورثة ، ولا تفكك فى الأسرة ، ولا ظلم فى التوزيع ، فأعطى لكل فرد حقه حسبما تقتضى مهمته ومسئوليته فى الحياة ، وفى بناء كيان الأسرة ونظام المجتمع .

والاسلام الذى يدعو الى السلام ، والذى شرع الزواج ، يريد للأسرة السلام الأبدى ، والأمن الخالد ، ولهذا قيد الاسلام الطلاق لان طبيعة الحياة الانسانية تلح على وجود الطلاق لعدم امكانية استمرار الائتلاف الروحى ، والمباشرة الودية ، والوفاق التام بين الزوج والزوجة فى الحياة تحت سقف بيت واحد مما يؤدى الى وجود خلاف دائم مستمر ، وفى الحقيقة أن هذا الخلاف شأن طبيعة الحياة الانسانية ، ولا يستطيع الانسان تلافيه أو التغلب عليه ، والاسلام باعتباره دين سلام ووئام ، ودين اخوة ومودة ، وهودين عام خالد ليس له الا الوقوف أمام هذه المشاكل ، ولا يمكن أن يقف مكتوف اليدين دون الاعتراف بوجودها ودون العمل بازالتها ، فوفقا لذلك قرر الاسلام شرعية الطلاق فى أضيق الحدود

لهذا أصبح الطلاق أمرا طبيعيا لابعاد المشاكل العائلية القائمة ، ولازالة الخلاف الناشب دون أن يستطيع حل آخر فك حصاره ، وصار من العسير الاعتراف بوجود المقومات الطبيعية لقيام تلك الأسرة على أمان ، ومن العبث ترك هذه المسألة قائمة بغير حل ناجع ، فكان الطلاق مقررا لنظام الحياة الانسانية ، فشرع وهو مبغوض لدى الله من بدايته فقال رسوله صلوات الله عليه وسلامه : **« أبغض الحلال عند الله الطلاق » .**

والاسلام الذى يدعو للسلام يريد للعائلة الاستقرار والطمأنينة فتأتلف قلوب أفرادها ، ولا يرغب الاسلام البتة تشتت القلوب الموحدة ، والنفوس المتحابة ، والأخوة الصادقة ، ولكن الحياة بظروفها المختلفة تطلب من الانسان أشياء فوق ارادته ، خارجة عن تلك الأسس الفاضلة ، وهو عند ذلك طوع تلك الحياة النافرة عن ارادته ، ولا مفر للاسلام من اقرار تلك الظروف القاسية ، ويضع لها نظاما وقانونا لتنظيمها وفق السلام لأن مهمة النظام والقانون تنظيم ما فى الحياة من مسائل خلقية وطبيعية ، وبذلك قرر الاسلام تعدد الزوجات

لانه من مطلب الحيـــاة ولأن النفس طاغيـة بسلطانها ، ولأن الظروف قاسية بحوادثها ، ولأن الحوادث جارية بسورة نفسية على خلاف مايريده الانسان، فلايصح -اذن- أن يكون هذا الانسان ضحية حادثة أو كارثة أو ظروف طارئة أو ثابتة بينما هو مخلص فى مهمتــه ، أمين لدينه وضميره ، فشرعة تعدد الزوجات - على ما فيها من قساوة - نظمها الاسلام عند اللزوم الاضطرارى ، وعند الاضطرار القاسى ، ولدى الحاجة الملحة ، ولذلك قال الله الرحمن الرحيم بعباده : « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** » .

من هذا القبيل من الأسباب أبيح الخلع من جانب الزوجة لاضطرار ظروف قاسية ، وهكذا نجد الشريعة السمحة تنظم حيـــاة الأسرة الاسلامية فى حدود الامكانيات الموجودة ، والظروف المحيطـــة بها ، والحوادث الطارئة عليها فى قسوة ، ومن أمثلـــة ذلك المرض المستعصى علاجه فى الزوج أو الزوجة أو المرض المؤذى كالجذام وما شاكل ذلك من الأمراض الخبيثة التى تنفر النفس البشرية ، وهى فى الحقيقة من المسائل التى تأباها الطبيعـــة الانســانية ولا يجدى معها الســلام العائلى المأمول .

واذا تأملنا فى السلام العائلى فاننا نجد أن الاسلام يوافق فى تنظيمه قوانين الأسرة حتى فيما نسميه ببيت الطاعة . فان أســاس السلام هو فى الطاعة ، والاسلام اذعان وطاعة. ففى السلام طاعة الزوجة لزوجهـا ، واذعان الزوج لزوجته . واذا انعدمت الطاعة فلا يوجد السلام ولا تقوم الاعتبارات الزوجية .

وما حق النفقة للزوجة ولأولادها من الزوج الا من قبيل حفظ السلام المطلوب ، وصون ذلك السلام فى نفوس أفراد الأسرة الواحدة ، وهذه النفقة قائمة بمطلق وجود تلك العلاقة الزوجية، وتعطى مناسبة لحالة الزوج الماليــــة ، لأن السلام النفسى يقتضيه ولا يتحقق الا اذا كان مناسبا للحالة الحقيقية التى يعيشها الانسان حسب اعتياده .

وما حرمة الزنا الا لحفظ سلام فى الأسرة والعائلة ، فالشريعة الاسلامية وضعت عقابا صارما للزانى والزانية باعتباره عمـلا يزيل السلام فى العائلة ويحطم كيان أسرة ويؤدى الى اضطراب شامل سواء فى النفوس أو فى السلالة أو فى المجتمع .

ودعا الاسلام الى السلام الاجتماعى فأوجد نظاما اجتماعيا فى فريضة الزكاة ، وفى الوقف وفى التعاون على البر والتقوى ، وهذه الأسس هى أسس الحياة الاجتماعية التى ترمى الى اسعاد الأفراد وسعادتها مبنية على الأخـــوة الصادقة وعلى الايثاردون الاثرة ، قال سبحانه وتعالى : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون** » وقال تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعــدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب** » .

وما قوانين الشريعة الاســلامية الا أمثلة للأخلاق الفاضلة، فهى ليست المسئولية الواجب أدواؤها فحسب، ولكنها تحتوى على معان سامية، وعلى حكم بليغة ، وعلى فلســـفة عميقة . فالزكاة تعطى معنى فى صميم معنى معاونة ذوى الحاجات ، وأصحاب الضرورات ، ولم يتوقف هذا المعنى فى الزكاة فحسب دون غيرها، ولكن الزكاة صورة من صور المعاونة الأخوية فى الاسلام ، وهى فرع من هذه الصور الكثيرة وفرضت تكليفا للانسان المسلم على تحمـل هذه المسئولية فى معنى من معـــانى المعاونة والمساعدة ، وفى الحقيقة ، الزكاة يفرضها على المسلم ، انما لهو اعطاء صورة من صور الحياة الاسلامية الاجتماعية. اذن فنظام الزكاة مثال حى فى التعاون ، ولم يكن تحديد نصابها ، واختلاف أنواعها الا من قبيل اعطاء صورة لأقل ما يجب أداؤه فى الصدقات الخيرة المنظمة ، ولكن الصدقات - على وجه العموم وعلى أية صورة كانت - اتاحة فرصة للنفوس الطيعة فى ابداء روح الأخوة فى أجلى معانيها وفى أنبل صورها ، ولذلك يعتبر أحسن الصدقات أداء هى ما خفيت عن الأعين ، فلا تعلم اليـد اليسرى ما قدمته اليد اليمنى حفظا فى ذلك لكرامة الانسان ، وصونا لســلام نفســه واعتزازه .

هذا السلام الاجتماعى يؤدى فى نهايته الى الشعور بسلامة الانسان فى حياته ، فلا ينبغى عليه أن يعذب بنى الانسان كما لا ينبغى أن يعذب أخاه فى الدين فى حضرة الأغنياء من

ذوى الأموال والثروة الطائلة ، ولا يصح أن يوجد من تدفعه حاجته الى اقتراف جريمة تحطم السلام فى أسمى معانيه، والاسلام يحفظ هذا السلام ، فينظم حياة المجتمع بمقتضاه بعيدا عما يؤدى الى تعذيب النفوس ، وبؤس الانسانية .

والاسلام يدعو الى السلام العالمى ، اذ لا داعى للحرب الفانية والشقاق طالما النفوس مطمئنة ، والقلوب صافية . وقد أوجد الاسلام نظاما خاصا لأهل الذمة أن يعيشوا فى بلاد اسلامية دون خوف على أرواحهم ولا أموالهم ، ولا على أنفسهم اذ هم فى دار الاسلام، فى دار سلام وأمان ، وهم تحت ظل الاسلام الوارف الذى يعطى لكل ذى حق حقه .

ولكن اذا لم يستطع السلام حفظ سلامة النفوس وطمأنينة القلوب ، ولا صونه الثروة والمستقبل ، ولا العرض والشرف ، ولا العهد والوعود ، اذ هناك من يطمع فى انتهاك حرمه الاسلام ، فلا مفر - اذن - أن يحض الاسلام على الدفاع عن داره وعن أبنائه وعن أموالهم وأعراضهم ، فالحرب حينذاك فرضت لحفظ السلام ، ولصون أمن المسلمين فى عقر دارهم ، ولمستقبل بلادهم .

وما حمل الاسلام سيفا الا دفاعا عن كيانه وحياضه ، ولم يحارب المسلمون دونهم الا للضرورة فى اقامة الحق ونصرته ، ولم يخرج النبى - صلى الله عليه وسلم - فى غزواته الا اذا دفعته الظروف وهى معاملة المشركين للمسلمين واهانتهم الاسلام .

واذا كانت الحرب حالة بشرية ، وضرورة من ضرورات الحياة المليئة بالنفوس الشريرة ، وبالقلوب القاسية ، وبالمطامع البشرية ، وهى مفعمة بالمطالب الدنيئة ، وبالمساعى المغرضة ، فقد قرر الاسلام شرعية الحرب فنظم لها القوانين وجعل أساسها الرحمة والشفقة ، فلا يبيح الاسلام فى حربه قتل الأطفال والنساء والشيوخ ، ولا الافساد بالزرع وخلافه الذى فيه مصلحة عامة أو خاصة ، وفيه حفظ كيان السلام الانسانى .

والاسلام يدعو الى السلام والأمن العامين ، فحث الحكومات على القيام باستتباب الأمن فمنع وجود قطاع الطريق من استغلال الظروف ، وسلب أموال الناس بغير حق ، وأمرها بمحاربتهم بكل الامكانيات الموجودة حفظا لسلامة الأرواح والأموال ، كما يدعو الاسلام الى سلام نفوس الشعب فأقام عليهم أولى أمرهم يديرون شئونهم ، فحث الشعب على اطاعتهم اقامة للسلام الشامل فى قلوب البشر ، فقال سبحانه : « **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** » .. وأعطى الاسلام للشعب حق المشاورة فى أمور تخصهم حتى تطمئن قلوبهم فى شئونهم ومستقبل حياتهم حفظا لسلام العلاقات بين أولى الأمر والشعب ، قال الله الحكيم الخبير : « **وأمرهم شورى بينهم** » .

فدعاة الاسلام على صلة بالنفوس الطيبة ، وبالقلوب الطاهرة ، لأنهم يبعثون الأمل الكبير فى اقامة السلام فى نفوس الأفراد والجماعات ، وفهم الاسلام على حقيقته هو أس نجاح الدعوة الاسلامية ، واتصاف زعماء الاسلام بمبدأ الأخوة الاسلامية الصحيحة من ألزم الصفات الباعثة لصفاء الروح فى القيام بالمهمة العامة لصلحة المجتمع الانسانى ولا سيما نحن المسلمين أحوج ما نكون الى أخلص المخلصين للقيام بالوحدة الاسلامية . وما أجدرنا كأمة بهذه الصفات الفاضلة، وما أجدر زعماء الاسلام بالاتصاف بفضائل الأخلاق حتى يكونوا قدوة فى أعمالهم وأفكارهم وتصرفاتهم ، وان الأخلاق الفاضلة تحيى النفوس لاتباع الحق ونشر الفضائل واقامة السلام ، ذلك السلام الذى يبحثه كل انسان لحياته وفى حياته الخاصة والعامة ، ولسلامة روحه وأسرته وسلامة المجتمع حتى يشعر بأنه انسان له كرامته ، وله عزته ، وله شرفه بجانب أنه انسان له حقه وعليه واجباته .

ان نشر الدعوة الاسلامية الباعثة لمبدأ المساواة مبنية على أسس أهمها ثقة الناس فى الدعاة من حيث أخلاقهم لتطمئن اليهم النفوس بسلامة الدعوة التى ينادون بها ، ويدعون اليها، فيجب عليهم اقامة الأمن النفسى ، والسلام الروحى لكى يسير الدين على طبيعته الفلسفية المدعمة بالخير العميم للانسانية .

صاح قم حى

زعيم العرب

للشاعر العراقى العقيد محمد بسيم الذويب (١)

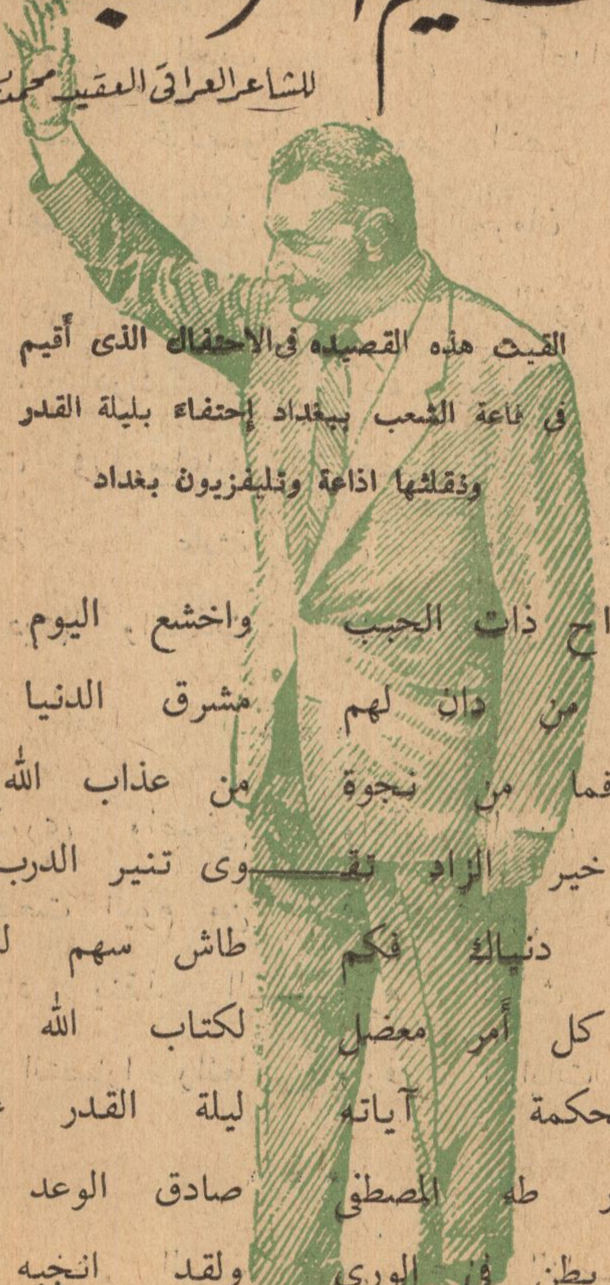

ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال الذى أقيم
فى قاعة الشعب ببغداد إحتفاء بليلة القدر
ونقلتها اذاعة وتليفزيون بغداد

دع كؤوس الراح ذات الحبب — واخشع اليوم لذكر النجب

قادة الاسلام من دان لهم — مشرق الدنيا ودنيا المغرب

واتق الله فما من نجوة — من عذاب الله أو من مهرب

وتزود إن خير الزاد تقـــــوى — تنير الدرب وسط الغيهب

لا تغرنّك دنياك فكم — طاش سهم للفتى لم يصب

واحتكم فى كل أمر معضل — لكتاب الله خير الكتب

انزلت محكمة آياته — ليلة القدر على خير نبى

أحمد المختار طه المصطفى — صادق الوعد كريم الحسب

حملته خير بطن فى الورى — ولقد انجبه خير أب

(١) العقيد محمد بسيم الذويب من ضباط الجيش العراقى البواسل وهو شاعر مبدع وأديب مطبـــوع تعرض للسجن والتشريد فى جهود كثيرة ويعتبر شـاعر القومية العربية فى العراق ..

وأتاه الوحى فانصاع له مستجيبا لنداء الواجب
فدعا الناس اليها شرعة سمحة خالية من ريب
فسرت كالنور فى آفاقها تغمر الكون بصبح شنب

* * *

أيد الله جيوش العرب وابتلى أعداءهم بالنوب
فتحوا الدنيا فما غرتهمو نشوة النصر وزهو الغلب
كان فى أموالهم حق لمن ناله الحرمان أو ذى سغب
واستوى فى عدلهم أدنى الورى بأعالى القوم أهل الرتب
يا رسول الله أدرك أمة كاد يفنيها دعاة الشغب
أمة قد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الاجنبى
أفسدتها فئة عابثة فى حماها عيشنا لم يطب
أعرضت عن دينها واتخذت قدوة من راكع للصلب

* * *

أمة الاسلام ثورى واصخبى واعلنى الحرب على المغتصب
وأعدى ما استطعت اليوم من قوة عظمى وجيش لجب
واستعدى لجهاد ينقذ الـــحرم الثالث من منتهب
واملئى الدنيا انتصارا رائعًا وارفعى الرايات فوق الشهب

* * *

صاح قم حىِّ زعيم العرب حىِّ عبد الناصر الحر الأبى
حىِّ من أرسلها داويةً صيحة تدعو ملوك العرب
فإذا أول من لبى أبو أحمد ، أكرم به من مِحْرَب

وإذا أحمد بن بيللا غدا ... محض الود مليك المغرب
وإذا السلال يستقبل من ... جاء من (عمان) أو من (يثرب)

* * *

ايه بغداد تغنى واطربى ... واهتفى للعائد المرتقب
فلقد عاد الينا ظافرا ... باسم الثغر بصدر أرحب
قائد الشعب المفدى (عارف) ... قاصم ظهر مثيرى الشغب
بأبى أحمد هيا رحبى ... فلقد نلت عظيم المطلب
بنجاح ناله مؤتمر ... ألبس الأعداء ثوب الرعب
يا أبا أحمد يا رمز الفدا ... يا صدى أمنية لم تخب
بابى أنت وقد حققتها ... ثورة صححتها فى (رجب)
يا أبا أحمد سر لا تحفلن ... باراجيف دعاة الكذب
سر وجدد للعراق العربى ... عهد هارون الرشيد الذهبى
سر وحقق وحدة شاملة ... من قرى (البحرين) حتى (المغرب)
فلقد ثارت شعوب العرب ... واستهانت بالدم المنسكب
فالضحايا فى عمان فى الجزا ... ئر فى أقصى الجنوب العربى

* * *

كم دعوت النفس أغريها على ... عرض الدنيا فلم تستجب
أنا إن اعرضت عن دينى أو ... فت عن قوميتى واحربى
أنا لا أعرف غير العرب ... أمة تفدى بأمى وابى
لست أدعو مسقط الرأس وطنا ... وطنى كل بلاد العرب
أنا لو لم ينزل الرحمن دينا ... لتدينت بحب العرب

تسبيحة في الربيع

الشاعر عبد الله شمس الدين

أي روح أطلق الحب نشيدا وصلاة
وتولى الكون بالأحلام روضا وفلاة
وتراءى يبعث الفرحة دفئا وحياة
مر بالربوة مرحا سندسيا ونباتا
ودعا الصحو فلباه وقد لف السباتا
ودعا الزهر فحياه ابتساما والتفاتا
وأهاب النور بالطير فأقبلن شداة
يتلقين حياة ويشيعن مواتا
ويداعبن غديرا ويناشدن سقاة
ويواكبن ظباء ويساجلن رعاة

***

آه لو أملك نايا فيه من كل لسان
آه لو يملأ لحني كل أسماع الزمان
وأنادي كل قلب دق في كل مكان

أيها النَّاسُ ! رويْدًا لا تضجّوا بالتفانى
كيفَ ترضوْنَ حياةً بيْنَ ضرْبٍ وطِعانِ
وبنو آدمَ طُرًّا إخْوةٌ بيضُ الأمانى
والمنايا بالهرايا رُصْدٌ فى كلّ آنِ
فاقطفوا السِّلْمَ أزاهيرَ بروحٍ وحَنانِ
واملأوا الكوْنَ أغاريدَ بحُبٍّ وحَنانِ
وعلى الصَّفْوِ أقيمُوا بيْنَ أفراح التدانى
لك يارَبُّ ثنائى وتحيّاتُ ولائى
وأغاريد فؤادى فى صباحى ومسائى
فى انطلاقات شعورى فى ابتهالات دعائى
فى ابتسامى ودموعى فى وجودى وفنائى
أنتَ ربُّ الكونِ : سبحانك فى هذا العطاءِ
قدْ تجلَّى يا إلٰهى بك فى هذا البهاءِ
كل شىءٍ لك فيه قبَسَاتٌ من ضياءِ
أى لحْنٍ قُدُسى هزَّ بالحمد غنائى
لك قلبُ الأرض يهفو مُنْشدًا لحْنَ السماءِ
كل صيفٍ وخريفٍ وربيعٍ وشتاءِ

أيها الشعب

عربي

الشاعر موسى جلال احمد موسى

أيها الشعب قد غدوت قويا ::: حين فقت الوجود فى إيمانك
خاطب الكون والحياة وفاخر ::: بالبيان الرصيد فى قرآنك
لا تروع بما يقال وحطم ::: كل بوق ينال من سلطانك
أنت للشرق موئل وملاذ ::: فتمتع على المدى بمكانك
والزم الدين واستهق بهداه ::: فالسباق السريع فى إمكانك
حزت بالدين فى زمان تقضى ::: كل مجد وعشت فوق عنانك
وملكت الزمام عمرا طويلا ::: لم تنازع وصمت وجه زمانك
ثم قدت الحياة شطر سلام ::: ثم كان الوجود طوع بنانك
لم تحارب بشهوة الحرب فى الأرض ولكن على هدى فرقانك
قصدك الحر أن تنال مكانا ::: عاليا بالكتاب فى أزمانك
والمراد العزيز أمن وعدل ::: وحياة على سنا قرآنك
أيها الشعب قد غدوت عزيزا ::: ونشرت الصفاء فى بلدانك
ورعيت الوجود بالعلم والدين دهورا وفقت فى تبيانك
وملأت الحياة درا مذابا ::: ونضارا مهذبا من بيانك
وخلقت الزمان خلقا جديدا ::: واحتجزت النبوغ فى شبانك
وألنت العصى دون قتال ::: بفصيح مهذب من لسانك
إنه النور فى هداه يجلى ::: بضياء يعيش فى وجدانك

ضمه في وداعة ووقار ::: ثم عقب بقبلة من حنانك
ثم رفرف مع الجلال وذكر ::: أمة العرب في مطالع شأنك
وتلفت لماضيات المعالى ::: وارقب النصر في سما أوطانك
وانظر اليوم في يقين وعمق ::: تنظر العرب في أعز مكانك
وتطلع لعزة الحق واخشع ::: إنها اليوم في سرى أكوانك
فجرت نورها خضما مضيئا ::: ثم سارت شجاعة في كيانك
أنت للعرب قوة وسلاح ::: فاستجب للنداء من إخوانك
لا تقصر إذا طلبت دفاعا ::: عن حقوق وعن حمى بلدانك
فالدفاع الجرئ دين وحق ::: والجهاد القوى من إيمانك
أيها الشعب قد غدوت قويا ::: حين حزت الكماة في شطآنك
واحتويت الأسود فوق حدوه ::: وصنعت السلاح في أوطانك
وملكت الفضاء حقا وصدقا ::: بالنسور الأباة في طيرانك
وملكت البحار سطحا وقاعا ::: بجنود تغوص من حيتانك
كم رأينا على السماء صقورا ::: ورأينا صواعقا في عنانك
ورأينا من القذائف كونا ::: ورأينا العتاد في خلجانك
أنت في الناس لا تريد حروبا ::: أو تريق الدماء في عدوانك
بل تحامى عن البلاد وتحمى ... كل أرض تمس من بلدانك
قل «لجونسون» إذا أردت دفاعا ... عن يهود فخذوهمو في احتضانك
كيف تحنو على اليهود وتبكى ::: «وفلسطين» ليس في حسبانك
أمة العرب لن تقر وتهدأ ::: واليهود اللئام في أحضانك
سنبيد اليهود رغم التحدى ... لن نخاف الوعيد من بهتانك
سوف نحيا بأرضنا في سلام ::: ونعيد الحياة رغم «بيانك»

قصة العدد

القرية الوادعة

الأستاذ محمود البدوي

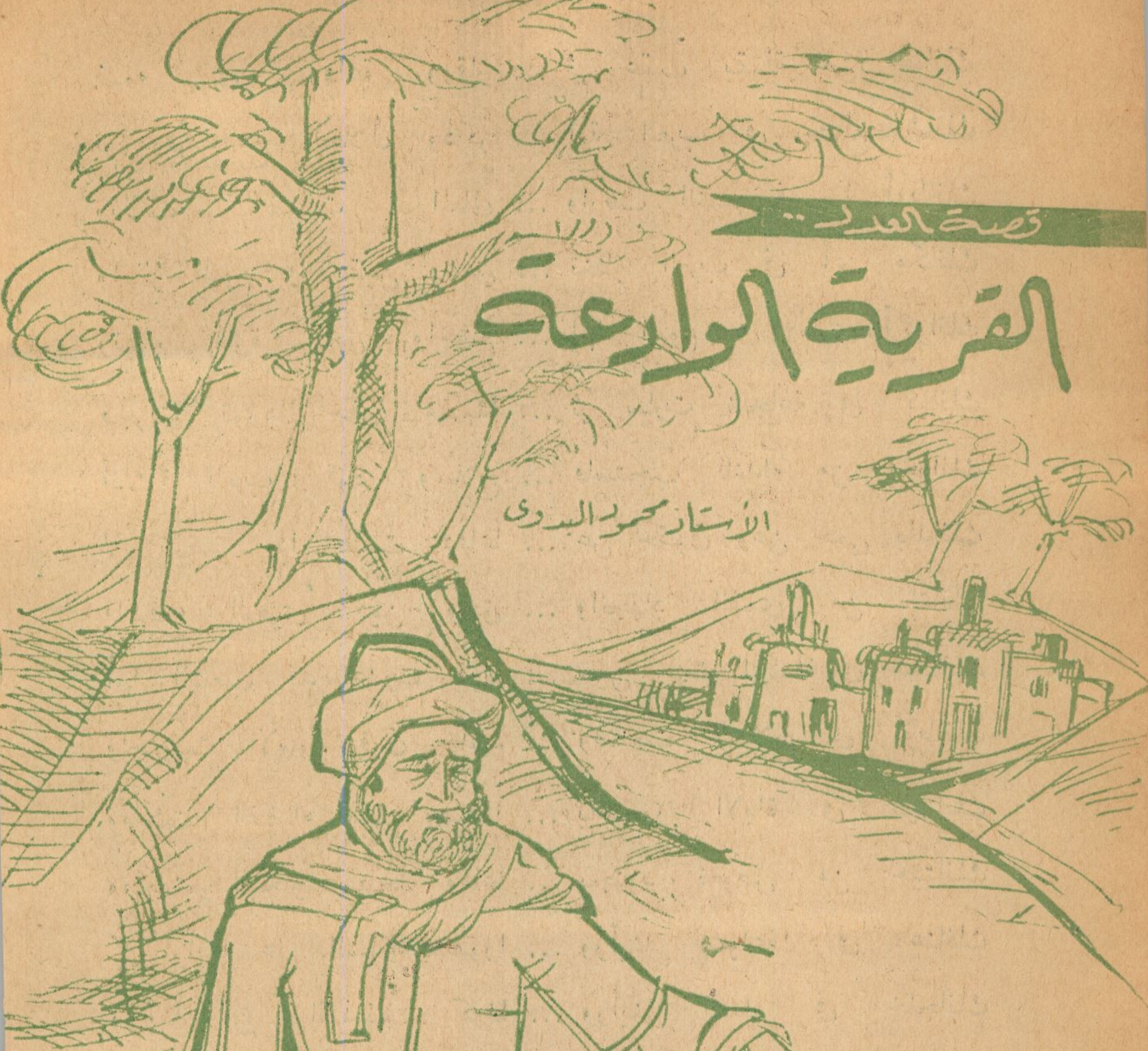

كانت قرية البساتين قرية صغيرة لا يتجاوز تعدادها الف شخص وتعيش فى رخاء .

وعلى الرغم من ان موقعها الجغرافى كان فى حذاء الجبل الشرقى وتجاورها من الشمال والجنوب ثلاث قرى تكثر فيها حوادث القتل والنهب .. ولكنها كانت وادعة مسالمة ..

ولم تحدث فيها لمدى بعيد حادثة واحدة اهتزت لها أسلاك التليفون فى المركز ..

وكان أهلها بسطاء يزرعون الحب وينتظرون الغلة من الرب .. ويعيشون فى طمأنينة وقد جلب لهم الأمن العمل المتصل وصحة الرؤية

وكانوا يحسمون خلافاتهم ومنازعاتهم بينهم ، ولا يخرجون بها من دائرة القرية .. فكانوا يحكمون شيوخهم فيما يشجر بينهم من نزاع .. ويرضون بحكمهم بصفة قاطعة .. وكان الشيخ عبد الحكيم من ابرز شيوخ القرية واقربهم الى قلوب الناس .. وكان الرجل طيبا وقورا جليل الشان .. فكانوا يفدون اليه فى كل أمور معاشهم ويأخذون برأيه ويرضون بحكمه .

ولم يقصدوه لجاهه أو ثروته فما كان الرجل غنيا ولا عريض الجاه .. وانما كان أمينا صادق الكلمة .. فكانت كلمته مسموعة ورأيه هو الفصل .

وكان فى الشتاء يشغل نفسه بزراعة فدانين له برسيما وقمحا .. وفى الصيف يحرس أجران القرية .. لامانته ولان بيته فى طرف القرية الشرقى وهو يطل على العرصة التى تتناثر فيها الاجران .

وكان الفلاحون يذهبون اليه ليحل لهم مشاكل التقاوى والسماد .. والسلف الزراعية فيشير عليهم بالتعاون ويشجعهم على الاتجار فى نتاج الماشية .. وبيع الدواجن والبط والبيض .. وحثهم على كسب الرزق وهم صغار حتى يشبوا عن الطوق وقد تربت فيهم غريزة التكسب والسعى فى طلب الرزق وتحمل المشاق..وعرفوا من رأيه السديد عدم الاسراف فى الجنازات والمآتم واختصار وقتها .. وكيف يواسون أهل الميت ويخففون من المصاب عليهم .. وكيف يمدون يد المساعدةللمريض والعاجز .. وكيف يشتركون جميعا فى الافراح والاتراح .

وحدث بعد الغروب والدنيا شتاء ان ذهبت بقرة فلاحة على وجهها فى الحقول .. وضاعت منها .. فبكت الفلاحة .. وتقطع قلبها حسرات .. فلما سمع الشيخ عبد الحكيم بالنبأ وكان يعرف انالفلاحة مسكينة وتعيش مع ولديها من بيع لبن البقرة وسمنها .. جمع لها ثمن البقرة من القادرين من أهل القرية واشترى لها بقرة جديدة .. فعادت الفرحة الى قلب الفلاحة .

ومرت الحياة هادئة رتيبة فى القرية لا يعكر سكونها شىء .. ولم يكن أهلها يشاهدون العساكر .. أو سيارة المركز الا وهى فى طريقها الى القرى المجاورة فقد كانوا هم انفسهم وادعين مسالمين .. يعيشون فى أمان ودعة.. ولم يدخل العساكر قريتهم قط ..

ولكن حدث ذات ليلة ما أفزعهم واوقع الرعب فى قلوبهم .. فقد شاهدوا العساكر والهجانة المسلحين يطوقون القرية ثم اخذوا يفتشون مساكنها بدقة .. فذعر الفلاحون ثم وجموا ..

واخيرا علموا أن سجينا من الذين كانوا يقطعون الأحجار فى الجبل هرب من نطاق الحرس ودخل من خندق فى الجبل الى قاع المزارع وغاص فى خضم الحياة الواسع ..

ولما أدرك الحراس فراره .. استعانوا بالقوة منالبندر .. وحاصروا القرى والنجوع والمزارع واخذوا يفتشونها بحثا عن السجين وكان يتقدم القوة الهجانة وخبراء الأثر فتتبعوا آثاره حتى دلت الآثار على ان السجين داخل قرية البساتين بعظامه ولحمه فآثار اقدامه بارزة على الأرض الناعمة ...

ولما تيقنوا من وضاحة الأثر شرعوا يفتشون بيوت القرية ودروبها بيتا بيتا .. ولاحظ أحد العساكر رجلا يجرى من الفزع فى غلس الليل فأطلق عليه النار ارهابا .. فازداد رعب الناس الآمنين .. وطارت قلوبهم شعاعا واستكانوا فى داخل البيوت ..

ومن بعد غروب الشمس الى منتصف الليل .. وهم يفتشون دون أن يعثروا على الهارب ..

وكان رئيس القوة فظا غليظ القلب .. فكان يستشيط غيظا كلما فتح بيتا ولم يجد السجين فيه ويلعن من فى الأرض ويخرج من فمه السباب بغير حساب ولكن شيخ الخفراء الذى كان يرافقه كان يهدىء من طباعه ويلطف من حدة الجو .. واخيرا بقيت المنطقة الشرقية من القرية الملاصقة للمزارع فحوطها العساكر .. وجلسوا يشربون الشاى ويستريحون بعض الوقت .

ولما بلغوا الدرب الذى فى نهايته بيت الشيخ عبد التعب قد بلغ منتهاه .. ولكن غيظهم من عدم عثورهم على بغيتهم كان أشد وقعا على النفس من التعب الجسمانى ودفعهم الى التحرك ومواصلة العمل ..

ولما بلغوا الدرب الذى فى نهايته بيت الشيخ عبد الحكيم وجدوا كثيفاً من النخيل يحوطببيت فلاحةارملة تعيش من نتاج النخيل وتربية الغنم .. ولذلك عنيت ببستانها فازدهر وأتى ثمره بالشهى المستطاب .

وتوقفوا أمام بيت الفلاحة وحرابهم تلمع .. وقد امسكوا البنادق بأيديهم ووضعوا الأصابع على الزناد .. مستعدين لكل حركة وكل طارىء ..

ووقفت الفلاحة ملتاعة فقد رأت شبح السجين وهو يندفع الى الحظيرة ويكمن هناك .. منذ ساعات والقبض عليه فى داخل بيتها معناه هلاكها ، فقد يتهمونها بأنها خبأته من العيون .. ولم تدل عليه أو تخبر عنه .. وهى لا تحب أن تعبث اليد الغريبة فى غلتها .. وسمنها وعدسها وبصلها .. ولا أن تطير أرجل العساكر دجاجها ونعاجها .. وقفت ملتاعة على الباب وقلبها يرتعش من الخوف ..

ثم استجمعت شجاعتها وقالت :

- لا أحد فى بيتى ..

- سنتأكد من ذلك ..

- ستطيرون فراخى وانا وحيدة ومسكينة ..

ولكن رئيس القوة لم يعبأ بكلامها وتقدم ليدخل .. ورأى وهو يتحرك الشيخ عبد الحكيم يقبل فى الدرب وكان يعرفه جيدا فوقف وسلم عليه وسأله :

- ألم تشاهد احدا غريبا هنا يا شيخ عبد الحكيم ..؟

- ابدا .. ابدا لم يدخل الدرب غريب قط ..

- ربما اختبأ فى الحظيرة وراء البستان .

- ابدا لم يدخل أحد .. ولقد كنت ساهرا على باب بيتى والمنطقة كلها تحت بصرى ..

- متأكد ..؟

- كل التأكيد ..

وحول رئيس القوة عساكره .. وبارحوا القرية ..

وبعد ذهابهم تسلل شبح قبل ان يطلع النور وهرب من البستان .. متخذا طريق المزارع ..

وسألت المرأة الشيخ عبد الحكيم .. وهو ذاهب ليصلى الفجر ..

- هل كنت تعرف أن السجين فى بيتى يا سيدنا الشيخ ..؟

- أجل .. ورأيته وهو يدخل ..

- ولماذا كذبت اذن ...؟!

- لأنى كنت أعرف انه سيقاومهم .. وسيقتلونه ؟ وأنا لا أحب ان أرى انسانا يموت ..

واكتسى وجهه بالالم ..

واستعبرت المرأة وهى تعرف خلق الرجل وتعرف أنها الكذبة الأولى فى حياته .. وانه كان يتمنى لنفسه الموت قبل ان يقولها ...

بين يدى
أمهات المؤمنين

السيدة عائـ

رضى الـ

الأستاذة عائشة حسـ

وفى الحديث عن السيدة عائشة ستتضح لنا حقيقة الاسلام ، والمثل الكامل متمثلا فى رسول الله ، الذى نرى فى سلوكه داخل هذا البيت الكريم المثل الاعلى الذى تتطلع اليه الانسانية ، ونرى كذلك ، كيف تسعد الزوجة بزوجها فى بيت متواضع وفى ظروف معيشية خشنة ، كيف تسعد بالحب النقى الطاهر ، وكيف تجد من زوجها فى ظل الاسلام ابعد مايذهب اليه املها ويتصور خيالها ..

من هى السيدة عائشة :

ولدت السيدة عائشة رضى الله عنها من ابوين كريمين ونشأت فى بيت عريق عرف بين العرب بالشرف والمروءة والنجدة والامانة ، وكانت حصته فى الجاهلية من الشرف : حصة الوفاء بالمغارم وضمان الديون ، وعمله الاكبر فى الجاهلية يدور على التجارة ومعاملة الناس ، ولا يدور على البأس والاكراه ، فنشأ البيت كله على الرفق والسماحة ورقة الحاشية ، واشتهر بتدليل نسائه وبناته ، حتى قيل ، كما جاء فى الاغانى ، انهن كن احظى خلق الله عند ازواجهن .

فآداب الرجال والنساء فى بنى تيم ، قبيلة ابى بكر ، والد السيدة عائشة ، كانت مثالا للرعاية التى تظفر بها المرأة العربية فى بيئة السيادة وبيئة الحضارة . ولكنها لم تزل عربية فى قرارها ، ولم تنقطع عن آداب الامة التى جعلت عرضها احق شىء بالحماية ، واقمن حصن ان تمنعه ولتغار عليه فكان ابوبكر نفسه مثلا من امثلة الغيرة بين اهله وقومه ، وقد قال ابن سيرين : كان اغير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر .

فى هذا البيت العريق ، وفى هذا الوسط الرفيع ، نشأت عائشة رضى الله عنها ، ولكنها كما يقول الاستاذ العقاد « تفردت برعاية لم تشركها [illegible] ولائد هذه البيئة . فقد تربت على النعمة والخير ، وتدربت على العزة والكرامة ، وتعلمت القراءة التى لم يكن يتعلمها من نجباء الابناء فى بيوت السادة الا القلة المعدودة .

فعائشة ، هى بنت الصديق ابى بكر ، صاحب رسول الله وخليفته ، رضى الله عنه ، واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى ويلتقى نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرة . وامها : تدعى ام رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية .

وقد ولدت السيدة عائشة رضى الله عنها بعد بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بأربع أو خمس سنين .

رسول الله يتقدم لخطبة عائشة :

تحدثنا كتب الحديث والسيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سعيدا فى حياته الزوجية مع السيدة خديجة زوجته الاولى رضى الله عنها ، ولقد احبها حبا خالصا ، وكان وفيا لها بعد وفاتها وماعدلت امرأة مكانتها عند رسول الله ، فقد كانت نعم المرأة التى آمنت برسالة زوجها وكانت نعم العون له على النهوض برسالته والقيام بواجبه نحو تبليغها ، ولقد حزن محمد على خديجة وسمى عام وفاتها عام الحزن .

ولقد احست السيدة خولة بنت حكم بهذا الفراغ الكبير فى بيت النبوة بعد وفاة خديجة فرأت أن تشير

على رسول الله باختيار الزوجة التى ربما تستطيع ان تملاه او تشغل جانبا منه ، قالت :

قلت يا رسول الله : الا تتزوج ؟ قال من ؟ قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا .. قال فمن البكر ؟ قلت أحق خلق الله بك ، بنت أبى بكر ..

وكانت عائشة مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدى من أصحاب ابى بكر فى الجاهلية ، فتحرج ابوبكر من نقض خطبته فذهب اليه ليتأكد من جديته فى هذه الخطبة ، لكن مطعم بن عدى وامراته تخوفا على ابنهما من ان يتأثر بصهره فيترك دين قومه ويدخل فى الاسلام دين ابى بكر ، فغادرهما ابوبكر بعد ان اطمأن انه اصبح فى حل من عدم ارتباطه بهذه الخطبة التى تراجع فى امر المضى فيها المطعم بن عدى . وقبل خطبة رسول الله لابنته عائشة ، وأصدقها النبى صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم على أشهر الروايات .

وتحدثنا السيدة عائشة رضى الله عنها عن زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريتك فى المنام مرتين ، ارى انك فى سرقة من حرير ، ويقول هذه امراتك فاكشف عنها ، فاذا هى انت ، فاقول : ان يك هذا من عند الله يمضه » .

وندرك من هذه الرواية الثابتة الصحيحة كيف رشحت العناية الالهيةهذه الفتاة الطاهرةلتحظى بمعاشرةرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتنقل الى البشرية صورة مثالية رائعة للنبوة ولتعاليم الاسلام ، ولتكون المراة التى تنعكس فيها صورة المراة التى تبوأت فى ظل الاسلام ارفع مكانة .

عائشة تنتقل الى بيت الزوجية

بيت متواضع

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش فى قصر ، ينعم فيه بحياة مترفة مرفهة ، وانما كان بيته متواضعا غاية فى التواضع والبساطة ، قال السهيلى : كانت بيوت النبى صلى الله عليه وسلم تسعة بعضها من جريد مطين بالطين ، وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرصوفة بعضها على بعض ، مسقفة بالجريد أيضا .

ويقول الحافظ ابو عبد الله الذهبى : لم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة ابيات ، اى انها لم يبنها جملة مرة واحدة ، حين بنى المسجد ، ولا احسبه فعل ذلك ، انما كان يريد بيتا حينئذ لسودة أم المؤمنين . ثم لم يحتج الى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى الله عنها فى شوال سنة اثنتين وكانه صلى الله عليه وسلم بناها فى اوقات مختلفة .

ويقول الحسن بن ابى الحسن فى وصف بيت النبوة المتواضع كنت ادخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وانا غلام مراهق ، فانال السقف بيدى ، وكانت كل بيت حجرة ، وكانت حجرة النبى عليه الصلاة والسلام اكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر .

عائشة يوم عرسها :

وندع عائشة تروى لنا بنفسها كيف زفت الى رسول الله وكيف انتقلت الى بيت النبوه فتقول : اتتنى امى وانى لفى ارجوحة مع صواحب لى ، فصرخت بى فاتيتها ما ادرى ماتريد منى ، فاخذت بيدى حتى وقفت بى على باب الدار ، فاذا نسوة من الانصار فى البيت ، فقلن على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فاسلمتنى اليهن وأصلحن من شانى ، فلم يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى ، فاسلمتنى اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين .

ومن المرجح بان عائشة قد زفت بالصورة التى تدخل على نفسها الفرحة والسرور الذى يهيئها لهذه الحياة الجديدة فى هذا البيت السعيد بيتها الجديد، وبذلك كان دخولها بالنبى فى جو [illegible] مشبع بالسرور والفرحة الذى يبث الطمانينة فى نفس عائشة [illegible] التى تزف فى سن قريب عهد بالطفولة .

فقد عاملها الرسول بما يناسب سنها ، وما يوم بها اذ ولعت باللعب ، فاذا بعائشة على مدى الزمن تنضج شخصيتها فى كنف رسول الله حتى يفىء اليها كبار الرجال من اصحاب رسول الله اليها يستفتونها فيما اشكل عليهم من الامور ؟

بل لقد كان الرسول ذلك الزوج المثالى الكريم يتيح لعائشة ان تلعب مع صديقاتها فالزوج المثالى الذى يبدو لنا فى هذه الصورة ليس الذى يشيع الصمت الكئيب اذا دخل بيته على زوجته وأسرته ، فيعتبرونه كابوسا يتنفسون الصعداء اذاغادر البيت وانما الزوج الكريم الذى نراه فى هذه الصورة الرائعة هو الذى تفرح بلقائه زوجته . ويعوضها عن حنان ابويها وحب اخوتها مودة ورقة « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فراش بسيط ومعيشة خشنة :

وتصور لنا عائشة بيت الزوجية الذى زفت فيه وانتقلت اليه بانه بيت متواضع ، لا اثاث فيه ، الا ذلك الفراش البسيط ، تقول عائشة « انما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه ادما حشوه ليف » .

ويحدثنا عمر : قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير . قال : فجلست فاذا عليه ازار وليس عليه غيره . واذا الحصير قد اثر فى جنبه ، واذ انا بقبضة من شعير ، نحو الصاع ، وقرظ فى ناحية الغرفة ، واذا اهاب معلق ، فابتدرت عيناى ، فقال صلى الله عليه وسلم « مايبكيك يا ابن الخطاب » ؟ فقلت يانبى الله ومالى لا ابكى ؟ وهذا الحصير قد اثر فى جنبك . وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى . وذلك كسرى وقيصر فى الثمار والانهار . وانت نبى الله وصفوته . وهذه خزانتك ؟ قال « يا ابن الخطاب : الا ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » قلت بلى .

وتحدثنا عائشة بانها قاسمت زوجها هذه الحياة الخشنة وهى التى تعودت فى بيتها التقلب فى النعمة والتمتع باسباب الرفاهية ، ذلك انها لم تجد السعادة فى الاثاث الفاخر والفراش الوثير او فى التقلب على الديباج والحرير ، او فيما لذ وطاب من الوان الدسم والطعام والشراب ، ولكنها وجدت السعادة فى معاشرة زوج كريم وانسان نبيل يبادلها حبا بحب ووفاء بوفاء وشعورا بشعور . ونجدها تقدر ظروف زوجها وتعرف له رسالته والدور الخطير الذى يؤديه من اجل اسعاد الجنس البشرى باسره .

تقول عائشة رضى الله عنها فى وصف الاحوال المعيشية لها مع رسول الله « ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله . ولقد مات وما فى بيتى شىء ياكله ذو كبد

الا شعر شعير في دف في « انا كنا آل محمد لنمكث شهرا مانستوقد نارا ، ان هو الا التمر والماء » .

وتقول عائشة « لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى ، وان كان ليظـــل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء لسال ربه جميـــع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به ، وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع ، واقول نفسى لك الفداء ، لو تبلغت من الدنيا بما يقـوتك ، فيقول « ياعائشة مالى وللدنيا ؟ اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ماهو اشد من هذا فمضـوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم ، وما من شيء احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى » .

ولا نجد رواية واحدة تظهر لنا ضيق السيدة عائشة بهذه الحياة المتقشفة الخشنة ، بل كانت اكثـر اشفاقا على زوجها منها على نفسها ، وقد كانت ترق له وترفق به وتواسيه وتخفف عنه وتسريه ، وهى كان أبوها تاجرا كبيرا يعيش فى بحبوحة تناسب ما كان لديه من مال ، فقد بعث رسول الله وعند ابى بكـر اربعو الفا فكان ينفق منها ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف وكان يفعل فيها كذلك .

عائشة تنعم بحياة زوجية سعيدة :

وتصف عائشة النبى أنه صلى الله عليه وسلم : كان ألين الناس ، واكرم الناس ، وكان رجلا من رجالكم ، الا انه كان بساما .

وكان الرسول زوجا مرحا مع زوجاته فتروى لنا عائشة فقالت : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض اســـفاره وانا جارية لم أحمل اللحم . تريد انها كانت نحيفة لم تسمن بعد . فقـــال صلى اللـه عليه وسلم للناس : تقـدموا ، فتقدموا ، ثم قال لى : تعالى حتى اسابقك . فسابقته فسبقته ، فسكت أى مضت فتـرة واراد النبى ان يسابق عائشة مرة اخرى ، تقول حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة اخرى ، قال صلى الله عليه وسلم للنـــــاس : تقـدموا ، ثم قال تعالى حتى اسابقك فسابقته فسبقنى ، فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول : هذه بتلك .

كانت عائشـــة الانثى الخـالدة تحس بجمالها وحب رسول الله لها ، فتزداد دلالا ، حتى نصح عمر حفصة ابنته زوجة رسول الله ألا تقيس نفسها بعائشة فيقول « يابنية : لا تغررك هذه التى أعجبها حسنها وحب رسول الله عليه وسلم اياها » يريد عائشة .

والبيئة الذى [illegible] عائشة مع رسول [illegible] تظلله السعادة النفسية الحقة ، ويشيع فيه المرح تنشط النفس اذ تقوم فى ساعات الجـد بين يدى الله رب العالمين ، فنرى عائشة تشفق على زوجها من طـول سهره وقيامه الليل فى عبادة ربه وتقول له : أليس قد غفـر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتاخر ، فيقول لها : ياعائشة افلا اكون عبدا شكورا . وبجانب هذا المشهد الخاشع تروى لنـا رضى الله عنها ؛ قالت « دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتـــان تغنيان بغناء بعاث ، فاضطجع النبى صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه .. ودخل أبوبكر رضى الله عنه فانتهـرنى وقال : مزمارة الشيطان فى بيت رسول الله ، فاقبل صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما .

ولا ينبغى ان نفهم من هذه المشاهد وامثالها ان رسول الله كان يساير عائشـــة ويترضاها لحبه لها على حساب مثله أو دون حدود يوقفهـا عندها ، بل نجده فى مشاهد اخرى يوجهها نحو الحق ومايجب ان تفعله .

جاء فى شرح نهج البلاغة انه كان لعائشة « حظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وميل ظاهر اليها ، وكانت لها عليه جراة وادلال عليه » . لكن رسول الله مع هـــذا الحب الواضح الزائد لعائشة كان يعدل مع سائر نسائه .

اننا نرى فى صورة الحياة داخل بيت النبوة مشاهد طريفة يبدو لنا فيهـا الزوج انسانا نبيـلا كريما يتسم سلوكه مع زوجته باللطف والرفق والحب والوفاء ، ونجد الزوجة مع شدة حبها لزوجها وادلالها عليه مثالا للانثى التى تشارك زوجهـــا آلامه وآماله وتعاونه فى رسالته فيسكن الى حنانها وحبها واخلاصها .

هل نالت عائشة مانالت من حـب رسول الله ، ومن مكانة رفيعة فى نفوس المســـلمين لمجرد انها كانت زوجة تتصف بالجمال والرقة ، وبم بلغت هذه الدرجة من الحب كانت ضرائرها يؤثرنها على انفسهن ؟

ولقد حظيت عائشة بحب رسول الله حتى كانت تفخر فتقول « أية امراة كانت أحظى عنـد زوج منى » وكانت تدل على حظوتها عند رسول الله بقولها : « فضلت على نساء النبى صلى الله عليـــه وسلم بعشر : قيل ماهن يا أم المؤمنين ؟ قالت : لم ينكح بكرا قط غيرى ولم ينكح امراة ابـــواها مهاجران غيرى ، وانزل الله عز وجل برائتى من الســماء ، وجاء جبريل بصورتى من السماء فى صريره ، وقال تزوجها فانها امراتك ، فكنت أغتسل انا وهو من اناء واحد ، ولم يكن يصنع ذلك باحد من نسائه غيرى ، وكان يصلى وانا معترضة بين يديه ، ولم يكن يفعل ذلك باحد من نسائه غيرى ، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى ، ولم يكن ينزل عليه وهو مع احـد من نسائه غيرى ، وقبض الله نفســه وهو بين سحرى ونحرى ، ومات فى الليلـة التى كان يدور على فيها ، ودفن فى بيتى .

وجاء فى البلاذرى عن حب الرسول لعائشة وحبها له « فانها احب نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت اشدهن حبا له » .

فيم نالت عائشة هذه المكانة ؟

* لانها زوجة عرفت كيف تفهـم زوجها وكيف تسهر على راحته ، وكيف تعـاونه على اداء رسالته ، ونجحت فى ان تهيىء له كل اسباب السعادة والطمانينة .

* ولانها تعلمت الاسلام وفهمته واستوعبته وادركت حقائقه وآمنت برسالته فاسهمت بنصيب كبير ومذكـور قامت بجهد مشكور فى سبيل نشره وازاحت الستار عن كنوز شـــخصية رسول الله فقرا المسلمون والاجيال تعاقبة فى حياته البيتية وسلوكه آيات الله البينات .

* ولانها اعطت من نفسها لبنات جنسها ولكل الاجيال المتعاقبة ، الاســوة الحسنة ، والمثال الـكريم لما يجب ان تكون عليه المراة من الايمـــــان والعلم والعمل على السمو بنفسها واسعاد زوجها وأسرتها وأمتها . ولا نجد مثلا أعلى مايمكن ان تتخذه النساء كعائشة التى تمتعت بحقوق المراة كاملة ، واخذت مكانها فى المجتمع عن ثقة بنفسها ، وايمان برسالتها ، وعن جدارة جعلتها المرجع فى كثير من مسائل ا[illegible] والاجتم[illegible] ما لم يحدث التاريخ عن سواها أو مثلها من بنات جنسها .

من التراث الإسلامى

باب الحاكم بأمر الله

الدكتور حسن الباشا

اذا ذكر اسم الخليفة الفاطمى الحاكم بامر الله فان اول ما يتبادر الى اذهان بعض الناس بصدده هو ماشيع عنه من اصداره لبعض القوانين الشاذة ، ومن تقلبه فى معاملة بعض الطوائف والافراد من حاشيته وأقاربه ورجال دولته .

وقد يكون من الانصاف ان نوجه الانظار الى ان كثيرا من تصرفات الحاكم قد شوهدت بقصد النيل من هذا الخليفة الذى أثبتت سياسته انه كان خصما قويا للعباسيين خاصة ومذهبهم عامة . كما لا يخفى ان بعض قوانينه التى تبدو شاذة قد اقتضتها ضرورات اجتماعية واقتصادية ، ولذا كان من اللازم ان نمحص ما ورد من اخبار الحاكم ونناقشها قبل الحكم عليه وادانته .

والحق انه على قدر ما نال الحاكم من ذم وتشهير عند خصومه ومعارضيه نجده قد تحظى بالسمعة الحسنة والتمجيد عند شيعته حتى لقد بالغ بعض المنحرفين منهم فالهوه .

ومهما يكن من شيء فقد كان للحاكم اعمال عظيمة فى مجال العلوم والتعمير . ففى سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م انشا دار الحكمة ، والحق بها مكتبة ضخمة سميت دار العلم وكان القارىء يحصل بها على ما يلزمه من الورق والمداد والاقلام دون مقابل .

ويبرز نشاط الحاكم فى ميدان اخر هو ميدان الدين وعمارة المؤسسات الدينية . من ذلك مثلا انه امر فى سنة ٣٩٣هـ/٩٠٥ بتكملة بناء الجامع الضخم الذى كان قد بداه ابوه العزيز بالله عند باب الفتوح بالقاهرة ، والذى صار يعرف باسم جامع الحاكم . وقد تم بناؤه فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م . ويحدثنا المؤرخون ان الحاكم امر بان تعلق الستور على جميع ابوابه ، وزوده بالقناديل والتنانير الفضية وحبس عليه الاوقاف .

وعلى الرغم مما انتاب هذا المسجد من نكبات وتخريب فانه لا يزال ماثلا يشهد بضخامته ومئذنتيه الجميلتين وبعض زخارفه الجصية على ان الحاكم لم يبخل فى سبيل بنائه بمال أو مجهود .

ولم تقف اعمال الحاكم عند حد هذا الجامع ، بل انه بنى مساجد اخرى مثل جامع راشدة وجامع المقس .

وامتدت اعمال الحاكم التعميرية الى الجامع الازهر ، وكان قد وضع أساسه فى سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م على يد جوهر عند وضعه اساس القاهرة ليكون المسجد الجامع لها . وقد حظى لها . وقد حظى الازهر عند انشائه برعاية ولاة مصر ، ففى عهد المعز زين الجامع ومآذنه وصار يضاء فى المواسم والاعياد الدينية بالانوار الساطعة حتى قيل ان المعز امر ببناء منظرة فى قصره ليشاهد منها زينات هذا الجامع ، ومن ثم سميت بمنظرة الجامع الازهر .

وعلى الرغم من ان الجامع الازهر قد بدا كمسجد لاقامة الشعائر الدينية وكمركز للدعوة الفاطمية فانه لم يلبث ان اصبح أيضا فى عهد العزيز جامعة علمية يقدم لطلابها من مصريين وغير مصريين ما يلزمهم من ماكل ومسكن بالمجان .

وخص الحاكم بامر الله الازهر بعنايته ورعايته . وقد وصلنا نسخة اول وقفية معروفة فى تاريخ الازهر ، وهى باسم هذا الخليفة وترجع الى سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م . ويتضح من هذه الوقفية كيف أن الحاكم بامر الله قد عنى عناية فائقة بالمسجد ، وحرص على أن يوفر له ولمن يؤمه من المصلين والعلماء الرعاية اللازمة : فمثلا خصص المرتبات والارزاق للخطيب والائمة والقومة والمؤذنين والخدم والصناع وغيرهم ممن يقومون بالعمل فيه ، وحرص على ان يزوده باستمرار بما يلزمه من الفرش والادوات ووسائل الصيانة والاضاءة والوضوء دون ان تغفل شيئا مهما كبر أو صغر .

وبالاضافة الى هذه الوقفية عنى الحاكم بعمارة الازهر فامر باصلاحه وزاد رواقين فى صحنه .

وقد ذكر بعض المؤرخين ان الحاكم اهدى الازهر فى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م شمعدانا كبيرا تكلف نحو مائة الف دينار . وكان هذا الشمعدان من الضخامة بحيث لم يتمكن العمال من ادخاله الا بعد توسيع احد ابواب الجامع . وبطبيعة الحال تكفل الحاكم بعمل باب جديد اخر .

وربما كان هذا الباب الجديد هو الباب الاثرى الذى يحمل اسم الحاكم بامر الله والذى نقلته مصلحة الآثار من الأزهر الى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (سجل رقم ٥٥١) وهو من خشب شوح تركى ويبلغ طوله ٣٫٢٥ سم وعرضه ٢٠٠ سم .

ويعتبر هذا الباب اثرا ماديا فيما يشهد بما عليه من كتابة اثرية وزخارف جميلة بعناية الحاكم بالازهر وحرصه على اصلاحه وتعميره .

ويتالف الباب من مصراعين يشتمل كل منهما على سبع حشوات مستطيلة بعضها افقى والاخر عمودى .

ويزخرف الحشوتين العلويتين سطران من الكتابة . ومن الواضح ان هاتين الحشوتين قد نفيسو

وضعهما عند اعادة تركيبهما ، فحلت كل منهما محل الأخرى ، ولذا كان من الضرورى ليستقيم الكلام أن يبدأ بقراءة السطر الأعلى من الحشوة اليسرى ، ثم السطر الأعلى من الحشوة اليمنى ، ثم السطر الأسفل من الحشوة اليسرى ، وأخيرا السطر الأسفل من الحشوة اليمنى ، وعلى ذلك تقرأ الكتابة كما يلى :

مولانا امير المؤمنين

الامام الحاكم بامر الله

صلوات الله عليه وعلى

ابائه الطاهرين وابنائه

والخط هنا كوفى مزهر من النوع الذى شاع استعماله عند الفاطميين والقرامطة حتى سمى أحيانا بالخط القرمطى نسبة الى القرامطة . ويبدو أن مصر كان لها الدور الأكبر فى نشأة هذا النوع من الخط وتطوره .

وللكتابة أهمية خاصة لما تتضمنه من ألقاب وأدعية . وتبدأ الكتابة بلفظة « مولانا » وهى لقب استعمل للخلفاء العباسيين ، وذاع استعماله للخلفاء الفاطميين ، وهو من المولى بمعنى السيد .

وثانى الألقاب هو « أمير المؤمنين » ، وهو من الألقاب المركبة على لقب « أمير » ، وهو ثانى ألقاب الخلفاء ظهورا بعد لقب « خليفة » . وأول من لقب به عمر بن الخطاب . واشتمال اللقب على لفظتى « أمير » و« المؤمنين » يعطيه صفة دينية الى جانب صفته السياسية والحربية ، وهو بذلك يصور مهمة الخلافة الاسلامية تصويرا صادقا . وقد صار هذا اللقب منذ عهد عمر رضى الله عنه من ألقاب الخلفاء العامة ، وصار يطلق على الخلفاء فى جميع أنحاء العالم الاسلامى سواء أكانوا سنيين أم شيعة .

وآخر الألقاب العامة فى الكتابة هو « الامام » ، ومعناه اللغوى القدوة . وقد ورد بهذا المعنى فى القرآن الكريم: « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » (سورة البقرة ، آية ١٢٤) « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما » (سورة الفرقان ، آية ٧٤) .

وجاءت اللفظة فى الحديث النبوى الشريف بمعنى الوالى أو الحاكم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالامام راع ومسئول عن رعيته .. » (رواه ابن عمر وأخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى) . « أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله يوم القيامة وأبعدهم منه مجلسا امام جائر » . (رواه أبو سعيد وأخرجه الترمذى) .

ولم يثبت من الوثائق التاريخية أن أحدا من خلفاء صدر الاسلام وبنى أمية أطلق عليه هذا اللقب فى حياته على سبيل التكريم ، ولو أن العرف قد جرى على اطلاقه على سيدنا على بن أبى طالب ، فقيل « الامام على كرم الله وجهه » .

وأول من تلقب بالامام هو ابراهيم بن محمد ، وهو أول من بويع له بالخلافة من بنى العباس ، وربما كان فى هذه الحالة مجرد نعت خاص ، كما لقب به أيضا المهدى أثناء ولايته للعهد . وتجدر الاشارة الى ما يمكن أن يكون من صلة بين تلقب المهدى « بالامام » ، ونعته « بالمهدى » : اذ ربما كان فى ذلك اشارة الى أن مهمة الامام هى الهداية حسب ما جاء فى القرآن الكريم : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (سورة الأنبياء ، آية ٧٣) .

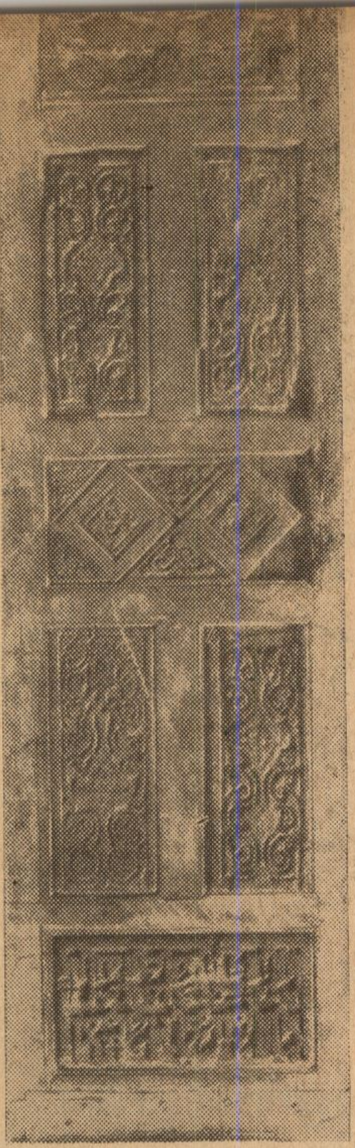

ومنذ اطلاق لقب « الامام » على المهدى صار الخلفاء العباسيون بعده يتخذونه كلقب عام ، وقلدهم فى ذلك سائر الخلفاء .

والى جانب الصفة السياسية ، يغلب على لقب « الامام » الصفة الدينية لاسيما وأنه يطلق أيضا على من يقود المسلمين فى الصلاة .

وبعد الألقاب العامة الخاصة بالخلافة الواردة فى الكتابة الأثرية يأتى « الحاكم بأمر الله » وهذا نعت خاص للخليفة . وقد جرت العادة منذ بداية العصر العباسى أن يتلقب كل خليفة بنعت خاص به تغلب عليه صفة المدح والصلة بالله مثل السفاح والمنصور والهادى والمهدى .

وقد اقتصر فى هذه الكتابة على ذكر النعت الخاص للخليفة دون ذكر اسمه أو كنيته . واسم الحاكم هو « المنصور » وكنيته « أبو على » . وقد ورد الاسم والكنية والنعت الخاصة فى كتابات أثرية أخرى .

وتتبع الألقاب بدعاء للخليفة وآبائه وأبنائه « صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه » . وهذا دعاء فاطمى معروف . ويوصف آباء الخلفاء الفاطميين فى المراسيم الفاطمية عادة بصفة « الطاهريين » . ومعنى الطاهر المتنزه عن الادناس ، ولذا يوصف بهذه الصفة

آل النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ينتسب اليهم مثل الخلفاء الفاطميين .

وتفيد هذه الكتابة الأثرية ــ كما هو واضــح ــ فى نسبة هذا الباب الى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، وبذلك تحددت وقت صناعته ، وبالتالى تدلنا بوضوح على أسلوب زخرفى فى فن الحفــر على الخشب فى مصر الاسلامية .

وتحلى الاثنتى عشرة حشوة الباقية من حشوات الباب زخارف نباتية محورة محفورة حفرا عميقا . وعلى الرغم من أن بعض هذه الحشوات ربما ترجع الى عصر متأخر فمن الواضح أنها صنعت على مثال الحشوات الأصلية .

ومن الملاحظ أن استخدام الحشوات من الأساليب القديمة التى عرفها النجارون المصريون ، ويفيد هــذا الأسلوب من الصناعة فى تفادى تشقق الخشب بحــكم الحرارة وجفاف الجو وهو فى الوقت نفسه يساعد على حبك الخشب وعدم التوائه كما يهيىء فرصة مناسـبة لاستخدام الاشكال الهندسية ، ويتفــق مع الرغبة فى الاقتصاد فى الخشب والاستفادة من كل قطعة مهمــا صغرت .

وتشهد زخارف الحشوات فى باب الحاكم بمهــارة الصانع المصرى المسلم وبراعته فى مراعاة المتنــاظر والتقابل ، ومقدرته على الجمع بين البساطة والفنى .

وتمثل هذه الحشوات بزخارفها مرحلة مهمة من مراحل الفن الاسلامى فى مصر : ذلك أنها توضح لنا خصائص الاسلوب الفاطمى المبكر فى فن الحفر على الخشب ، ذلك الأسلوب الذى يمثل الانتقــــال من الفن الطولونى والاخشيدى الى الفن الفاطمى الناضج .

ويتضح فى طريقة الصناعة اثر من أسلوب القطـــاع المشطوف الذى يتميز به الطراز الطــولونى . غير أن زخارف الحشوات تشتمل على بعض مميزات تعتبر من علامات تكوين طراز زخرفى جديد . ومن هذه المميزات ازدياد حدة ميل الشطف بحيث قويت الظلال وقل فيها التدرج . ومنها أيضا ظهور الارضيات من جديد بعد أن كانت قد اختفت فى الطراز المعروف باسم طراز سـامرا الثالث ، وتظهر الأرضيات هنا بوضوح وان كانت لا تزال ضيقة . ومن المعروف أن مساحتها قد أخذت فى الازدياد تدريجيا . وتتميز هذه الحشوات ايضا باشتمالها على مناطق منتظمة متماثلة الجانبين تتوسط الحشــوات المستطيلة ، وتغطى هذه المناطق زخارف نباتيــة أدق حجما من العناصر التى تحيط بالمناطق ، وأرضية المناطق أقل عمقا من الأرضيات التى حولهــا . كما يلاحظ أن الوحدات الزخرفية الممثلة على هيئة عروق نباتية قد زاد طحلها بشكل واضح بالنسبة لما كانت عليه من قبل ،كما أن العناصر تخرج مباشرة من العروق .

وتتميز حشوات باب الحاكم بعدد من الوحــدات الزخرفية النباتية منها كثرة استخدام زخرفة على هيئة ورقة نخيلية مقسومة ذات فصين كان يندر وجودها قبل ذلك ، ومن الملاحظ هنا ازدياد حجم أحد الفصين وصغر الآخر بحيث يكاد يصبح مجرد التواء رفيع .

ومن الوحدات الزخرفية التى استعملت فى حشوات الباب وحدة غريبة الشكل تتألف من فص واحد على هيئة نصل سكين مقوس . ويرى بعض العلماء أنه من المحتمل أن هذا العنصر قد تطور من الورقة النخيلية المقسومة ذات الفصين بعد اختزال الفص الصغيروابقاء الفص الكبير بهذا الشكل الغريب .

وبالاضافة الى ذلك كثر فى حشوات الباب استخدام وحدة زخرفية جديدة على هيئة الكلوة ، ويبدو أن هــذا الشكل قد تطور عن الورقة الجناحية بعد أن صـــار لطرفها العلوى التواء واضح فضلا عن التواء قاعها .

وتشبه زخارف حشوات باب الحاكم زخارف الكسوة المزخرفة للاربطة الخشبية بين العقود الحاملة لقبــة جامع الحاكم (٣٩٣هـ/١٠٠٣م) غير أن زخارف الباب أكثر تطورا مما يرجح أن العمليتين يفصل بينهما نحو عشر سنوات .

وبالاضافة الى ذلك وصلتنا مجموعة من الحشــوات والألواح الخشبية تمت زخارفها بصلة وثيقة الى أسلوب باب الحاكم ومن ثم يمكن ارجاعها الى العصر الفاطمى المبكر . وتشتمل زخارف هذه الحشوات على افــرع نباتية تشبه من حيث الطراز وأسـلوب الحفر زخارف حشوات باب الحاكم بأمر الله ، وان كان بعضها يشتمل على رسوم طيور وحيوانات .

وهكذا نجد أن باب الحاكم بما عليه من كتابة أثرية وزخارف فنية قد ألقى ضوءا ساطعا على أسلوب فنى اسلامى وأفادنا فى الوقت نفسه على تأريخ بعض التحف الخشبية .

وأخيرا فان هذا الباب بالاضافة الى التحف الخشبية الاخرى التى وصلتنا من هذا العصر يقوم دليلا ماديا يشهد بازدهار صناعة الحفر فى الخشب فى مصــر الفاطمية .

الإسلام في يوغوسلافيا

الحاج سليمان كمور...

رئيس علما...
الطائفة الدينية...
الإسلامية...
بيوغوسلافية...

اريد ان احدثكم بهذه المناسبة عن اخوانكم الـذين عاشوا أكثر من خمسة قرون بعيدين عن المراكز الاسلامية العلمية والدينية وبمعزل عن العالم الاسلامى ، ومع ذلك فانهم حملوا هناك رسالة الاسلام ودافعوا عنها بكل حماسة واخلاص واستطاعوا ان يثبتوا ويصمدوا امام جميع التيـارات وتمكنوا باذن الله تعالى وعونه من ان يحافظوا على الاسلام فى تلك البقعة من اوروبا وعلى كيانهم وتراثهم وتقاليدهم الاسلامية • فهم لا يزالون متمسكين بدينهم الاسلامى الحنيف كل التمسك ومـسـتعدون ان يضحوا بكل ما لديهم فى سبيل دينهم .

أريد أن احدثكم عن طائفة دينية اسلامية تعيش فى بلاد يوغوسلافيا ، تعيش فى بلاد اوروبية غير اسلامية أكثر من خمسة قرون ولها منظماتها وهيئاتها ومؤسساتها . وهى أعظم طائفة اسلامية منظمة فى أوروبا ولها من هذه الناحية أهمية عظمى بالنسبة الى العالم الاسلامى .

ومما يجب ان نعـرفه ، قبـل كل شيء ، فيما يتعلق بسلمى يوغوسلافيا ، هو كيف دخـل الاسلام فى ذلك الجزء من اوروبا .

بعـد ان انتصر المسـلمون على البيزنطيين فى مصر وسورية وآسـيا الصغرى ووصلوا الى مقـربة مـن القسطنطينية • وبعد أن تم لهم فتح شمال افريقيا من الرومانيين والاستيلاء على طنجة ، كان من الطبيعى ان يوجهـوا عنـايتهم الى التقدم الى اوروبا • وبهـذه الفتوحات أصبح امام المسلمين طريقان الى اوروبا : طريق من ناحية الشرق ، وطريق من ناحية الغرب .

والظاهر ان فكرة دخول الاسلام الى اوروبا من ناحية الشرق ، بطريق القسطنطينية ، كانت موجودة فى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد جـاء فى الاثر أن رسولنا الاعظم قال : ستفتح القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش جيشها • وسـواء اصح هذا الاثر أو لم يصح فانه يدل على ان فكرة التوغل الى اوروبا من ناحية الشرق ، فكرة قديمة وسابقة على فكرة التقدم من ناحية الغرب وان هذا الاثر كان من العوامل الفعالة التى حملت المسلمين وحثتهم على فتح القسطنطينية .

وقد حاول العرب فتـح القسطنطينية اربع مرات واليكم تاريخ هذه المحاولات : المحاولة الاولى كانت عام ٦٦٨ الميلادية ، والثانية ٦٧٤ والثالثة ٧٧١ الميلادية .

ومن المعلوم انه لم يكن من نصيب العـــرب فتح القسطنطينية وان أرادوا ذلك بكل عزم ولكن حكمتـه تعالى شاءت ان يتم فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح من سلاطين الاتراك عام ١٤٥٣ اى بعد المحـاولة الاخيرة من العرب بنحو ٧٣٨ سنة .

فلما يئس العرب من محاولاتهم للدخول الى اوروبا بطريق الشرق ، وجهوا عنايتهم الى الدخول بطـريق الغـرب ، فتم لهم ذلك باذن الله تعالى ، ووفقوا الى فتح الاندلس عام ٧١١ الميلادية وبقى حكمهم فيهـا حوالى ثمانمائة سنة حيث قضت عليه قضاء كليـا محكمـة التفتيش التى كانت الكنيسة الكاثوليكية تستعملها كسلاح ضد المسلمين حتى لم يبـق احد من المسلمين فى بلاد الاندلس . على ان ما خسره الاسلام فى الاندلس من غرب اوروبا كان له عنه العوض حين فتح العثمانيون القسطنطينية ومكنوا الاسلام فيها عام ١٤٥٣ ، وبذلك فتحوا بابا جديدا وصفحة بيضـاء فى تاريخ الاسلام ، هناك امتدت كلمة الاسلام الى البلقان كلهـا من بلغاريا واليونان ويوغوسلافيا والبانيا وانبلج نوره فى روسيا وبولونيا .

ان دخول الاسلام فى كل من تلك البلاد له تاريخـه الخاص ليس فى نيتنا الآن التعرض له بالتفصيل لانـه يحتاج الى بحث طويل .

تم فتح بلاد بوسـنه وهرسك عام ١٤٦٣ وبه اسلم معظم اهلها كما فتح الاتراك فى اوائل النصف الثانى من القرن الخامس عشر سائر بلاد البلقان .

حكم الاسلام معظم بلاد البلقان حوالى خمسة قرون ومهما قيل فى أساليب هذا الحكم من مؤرخى تلك البلاد فان مما لا شك فيه أن ذلك الحكم كان يسوده التسامح والعدالة لان الاسلام يامر بذلك . قال تعالى : « ان الله يامر بالعدل والاحسان » • « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » • ويبلـغ الآن تعـداد الطائفة الدينية الاسلامية بيوغوسلافيا الى ما يقرب من مليونين ونصف مليون مسلم موزعين على الجمهوريات الاربع : جمهورية بوسنه وهرسك، وجمهورية صربيا ، وجمهورية مكدونيا ، وجمهورية الجبل الاسود. وهناك أقليات اسلامية فى جمهورية كرواتيا وخاصـة فى مدينة زاغـرب ودوبروونيق أوسياك وفى جمهورية سلوفينيا .

ولمسلمى يوغوسلافيا منظماتهم وهيئـاتهم ومؤسساتهم الاسلامية ، فلهم الهيئة الدينية الاسلامية العليا ويطلـق عليها اسم الرئاسة الاسلامية العليا ويقوم على رأسهـا رئيس العلماء وهو الرئيس الدينى الاعلى للطائفـة الدينية الاسلامية بيوغوسلافيا . وهناك المجلس الاسلامى الاعلى ولكل جمهورية رئاسة اسلامية ومجلس اسلامى وهيئات ومؤسسات اخرى من المعاهد والمجالس الاسلامية المحلية . ويبلغ عدد المساجد فى يوغوسلافيـا الفين ، ولكل مسجد امام يقوم بمهمة الوعظ والارشاد وباداء رسالة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقـوم على الخصوص بمهمة التعليم الدينى .

ومما يعتز به مسلمو يوغوسلافيا انهم شاركوا بحظ وافر فى بناء صرح المدنية الاسلامية فى نواح متعـددة . وقد ذكر الدكتور صفوت بك باشـاغيتش فى كتابه : « البوسنويون المشـهورون فى الامبراطورية العثمانية » والشيخ محمد خانجيتش فى كتابه « الجوهر الاسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنه » - ذكرا اكثر من خمسمائة وعشرين مسلما من اهالى بوسنه وهرسك ممن برزوا فى ميدان العلم والسياسة والحكم وقاموا بخـدمات جليلة فى سبيل الاسلام . منهم عدد عظيم نالوا فى الدولة العثمانية أعلى المناصب وكانوا وزراء ورؤسـاء الحكومة وحكام الولايات وقواد الجيش . ومنهم من فتح البـلاد المتعددة فى اوروبا ونشر الاسـلام فيها • ومنهم من كان واليا فى بغداد والقاهرة ودمشق •

لم يكن حظـهم فى ميدان العلم الادب باقل من حظهم فى ميدان الحكم والسياسة والفتح • فقد برز كثير من علماء مسلمى يوغوسلافيا فى كافة العلوم والفنـــون الاسلامية من التفسير والحديث والفقه واصول الفقه وعلم الكلام والمنطق والتصوف والتاريخ والادب والشعر وعلوم اللغة العربية من الصرف والنحو والبيان والبديع والمعانى .

وجدير بالذكر ان علماء مسلمى يوغوسلافا كانوا الى عهد غير بعيـد يكتبون ويؤلفون باللغة العربية والتركيـة وأكثر مؤلفاتهم الدينية باللغة العربية •

واليكم بالاجمال بعض ما قامـوا به من خدماتهم فى ميدان العلوم الاسلامية :

علم التفسير :

وممن الفوا فى التفسير : محمد بن موسى ، ولد فى مدينة سراييفو ، عاصمة بوسنه وهرسك ، وكان قاضى

القضاة في حلب . من مؤلفاته في التفسير شرح تفسير البيضاوي . والظاهر انه لم يتم كتابه . ويوجد بعض اجزاء هذا الشرح في دار الكتب المصرية بالقاهرة . وله مؤلفات في الفقه والنحو والبيان والبديع والمنطق .

عبد الله افندي بوشناق ، له عدة مؤلفات في الفسير منها : البرهان الجليل في تفسير سورة يوسف والرسالة في تفسير سورة الكهف وسورة هود ، وما عدا ذلك فله ست رسائل في تفسير بعض آيات القرآن • وبما أن عبد الله افندي بوشناق كان من كبار علماء التصوف فقد كان يسير في تفسيره ورسائله المذكورة على مذهب أهل الحقيقة .

كله محمد افندي بياض زاده • كان مدرسا في ادرنا وقاضيا في حلب ومكة المكرمة والآستانة • وله كتابه المشهور : اشارة المرام من عبارات الامام ، جمع فيه مؤلفات الامام ابي حنيفة في علم الكلام من الفقه الاكبر والرسالة وكتاب العالم والفقه الاوسط والوصية في كتاب واحد وكتب له شرحا وافيا سماه اشارة المرام • وقد اعجب بهذا الكتاب العالم اليمني المقبل في كتابه العلم الشامخ ، كما اعجب به أيضا الاستاذ زاهد كوثري في كتابه : تبيين كذب المفتري .

ويليه في شهرته العلمية حسن كافي الاقحصاري الذي الف في علم الكلام كتاب روضة الجنان في اصول الاعتقاد،

حفلة بمناسبة انتهاء التعليم الديني بيوغوسلافيا

مولى عبد الكريم ، كتب حاشيته على شرح السيد شريف لتفسير الكشاف والزمخشري •

على ده ده ، وضيا ءالدين احمد ، ولدا في موستار ، عاصمة بلاد الهرسك ، ولهما في التفسير مؤلفات قيمة منها خواتم الحكم وانيس الواعظين •

علم الحديث :

ذكر صاحب فهرس الفهارس ممن اشتهروا في علم الحديث من علماء بوسنه وهرسك حسن بن مصطفى البوشناق واشاد عند ذكره بانه كان مرجعا في علم الحديث بالمدينة المنورة .

ومن المؤلفات القيمة في الحديث كتاب فضائل الجهاد لعلي ابن الحاج مصطفى البوشناق • ولهذا الكتاب ثلاثة أبواب كل باب يحتوي على اربعين حديثا ، وكتاب تحقيق النيات لعثمان بن ابراهيم البوشناق ، وقد جمع الاحاديث الواردة في النية .

علم الكلام :

برز في هذا العلم ونال شهرة عظيمة في العالم الاسلامي

ثم شرحه وسمى الشرح : ازهار الروضات . وله كذلك كتاب في علم الكلام : نور اليقين .

وللشيخ مصطفى يويو الموستاري كتاب في علم الكلام وهو عبارة عن شرح لبداء الامالي سماه بدر المعاني .

علم الفقه :

هناك عدد عظيم لا يمكن حصره من علماء بوسنه وهرسك ممن اشتغلوا بعلم الفقه والتاليف فيه نذكر هنا من مؤلفاتهم في الفقه ما هو اكبر قيمة واعظم شهرة. منها شرح مختصر القدوري لحسن كافي الاقحصاري في اربعة اجزاء وحديقة الصلاة له ايضا ، والفتاوى الاحمدية ، ودرة الفتاوى ، وانفع الدلائل ، وتنوير القلوب كلها لضياء الدين مصطفى الموستاري . وهذه الكتب تحتوى على ٣٤٠٠ صفحة ، وشرح الملتقى الابحر لاحمد خاتم افندى ، ومناسك الحج لعبد الله افندى ابن حسن ، وآداب الحكام ومظهر الاشكال لمحمد محتشم افندى ، وكتاب النكاح وزبدة الفرائض واحسن الوسيلة في معرفة الوصايا وأصح الاقضية في لبس القلنسوة النصرانية وتسهيل الفرائض ولب الفرائض وعقدة

الفرائض ، شرح عمدة الفرائض وكتاب العبادات للاستاذ الشيخ سيف الله بروهو .

علم أصول الفقه :

ان أصول الفقه من العلوم التي اهتم بها علماء بوسنه وهرسك على وجه خاص فوضعوا فيه مؤلفات جليلة منها سمط الوصول الى علم الاصول لحسين كافى افندي . يقول المؤلف فى كتابه نظام العلماء انه عرض كتابه سمط الوصول على علماء القدس الشريف والشام وعلى علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة فاعربوا كلهم عن اعجابهم به واستحسانهم له . ومنها مفتاح الحصول وفتح الاسرار للشيخ مصطفى يويو . وله اكثر من ثلاثين كتابا في العلوم المختلفة . ومنها منتخب الاصول لانتداب الوصول للاستاذ الشيخ حسن سباهو ومنهـا شرح الميراث لمصطفى افندي قرابك الموستارى .

علم التصوف :

يويو ، وهو شرح على كتاب النمـوذج للزمخشرى ، وطبيب المبتدئين واليقين للحاج محمد افندى بن يوسف .

ومن مؤلفاتهم فى علم البلاغة والمعانى والبيان والبديع تمحيص التلخيص لكافى أفندى الاقحصارى ، وحاشية على مفتاح العلوم لمحمد بن موسى ، والشرح المفيدلاحمد ابن حسن ، وهو شرح لرسالته الفريدة فى الاستعارة لابى القاسم السمرقندى .

علم العروض :

لم يهمل علماء بوسنه وهرسك علم العروض وانما اهتموا به اهتماما لا باس به . وقد اشتهر فيه محمد افندى العروضى ، كنوه بالعروض لكثرة اشتغاله بعلم العروض وقد الف فيه عدة رسائل . وممن الفوا فيه محمد افندي خليل وله فى علم العروض شرح علـى الرسالة فى بيان الاوزان العربية لابى عبد الله الانصارى الاندلسى .

تلاميذ المدارس الدينية وهم يتلون قصائد المولد النبوى الشريف فى احتفال المسلمين بذكرى المولد النبوى .

الف فى علم التصوف : ابراهيم بن تيمور خـان رسالة : محرقة القلوب فى الشوق لعلام الغيوب وعلاء الـدين على دده اسئلة الحكم وخواتم الحكم وحل الرموز وكشف الكنوز ومواقف الآخرة ، وعبـد الله افندى البوشناق شرح نصوص الحـكم وهو معـروف بشارح فصوص الحكم للشيخ محيى الدين عربى .

علوم اللغة العربية :

اعتنى علماء بوسنه وهرسك بعلوم اللغة العربيـة اعتناء بالغا ذلك لانهم ، كما ذكرنا آنفا ، كانوا يكتبون ويؤلفون باللغة العربية ولان اللغة العربية لغة الدين الاسلامى ولغة العالم الاسلامى .

ومن مصـنفاتهم فى النحو والصرف : شرح عـلى الشافعي والكافى لحسن أفندى الاقحصارى والشيخ سودى ، وحاشية محرم على الجامى والاعتراض على العصـام لمحمد بن موسى الموسـتارى ، والفوائد العبدية للشيخ

الادب :

كان ما نسميه اليوم بالادب الجميل من النثر والشعر موضوع اهتمام علماء بوسنه وهرسـك ، وقد تركوا فى هذا الميدان آثارا نذكر منها : الرسالة العلمية والرسالة السيفية لاحمـد شمس الدين السرايلى ورسالة فى المناظرة بين السيف والعلم لمحمد محتشم افندى شعبا نوويتش ، وشرح على المعلقـات السبع للحاج محمـد كامل بك الهرسكلى وكتاب طلبة الطالب فى شرح لامية ابى طالب ، وحسن الصحابة فى شرح اشعار الصحابة وتعليقات على الكامل للمبرد . وهـذه الكتب الثلاثة للاستاذ العلامة فهمى جابيتش .

وهناك كتب فى التاريخ وفى الرحلات والحسـاب وتاريخ المصاحف والقراءات مما لا يتسع المقام لذكرها هنا .

السيد / أنور السادات اثاء مقابلته رئيس الطائفة الاسلامية بيوغوسلافيا الحاج سليمان كمورا

اما مؤلفات علماء مسلمى يوغوسلافيا باللغة التركية والفارسية ، فكثيرة ايضا ، ولسنا بصدد التعرض لها.

هذا جزء مما قدمه مسلمو يوغوسلافيا فى خدمة العلم والدين وهم لا يزالون مصممون على أداء رسالة الاسلام فى هذه البقعة من الارض غير مبالين بما سيقف فى طريقهم من العراقيل والصعوبات .

غير أن سياسة يوغوسلافيا الجديدة الاشتراكية التى ترمى الى تقوية علاقاتها فى مختلف الميادين مع الدول العربية والاسلامية مما يسهل لهم أداء مهمتهم ورسالتهم الاسلامية .

يعانى القائمون بأمر الاسلام فى يوغوسلافيا ، كما تعانى سائر البلاد الاسلامية ، من المشكلات ما لم يعانيها مجتمع اسلامى فى عصر من العصور الماضية ، وذلك لعوامل عدة أهمها :

١ ـ اصطدام مجتمعنا بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها واخلاقها التى تختلف فى جوهرها عما ساد المجتمع الاسلامى من نظم وفلسفات واخلاق وعادات .

٢ ـ تفكك مجتمعنا السياسى الاقتصادى والاجتماعى تفككا لم يواجهه المجتمع الاسلامى فى عصر من عصوره الماضية .

٣ ـ شعور ابنائنا بالحالة المتخلفة التى يعيشون فيها ورغبتهم فى التخلص من هذا التخلف والسير فى ركب الحضارة التى تسود العالم اليوم .

وقد انقسم المتعلمون وحملة الفكر فينا فى معالجة مشاكلنا القائمة الى ثلاث فئات : فئة لا تؤمن بصلاح ما فى يد الامة من تراث وعقيدة لحل هذه المشكلات فاتجهت الى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل ، وفئة تؤمن بأن فى الاسلام حل هذه المشكلات ايمانا غيبيا ولكنها لا تعرف كيف تحلها وتظن أن من الممكن تطبيق الاسلام لنفس الاشكال التى طبقت فى عصر الخلفاء الراشدين تماما .

وهؤلاء هم اكثر فقهاء الشريعة وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشكلات المجتمع الاسلامى الحديث ويقفون منها دائما موقفا سلبيا ، وكل ما يقدمونه للناس قولهم ان الرجوع الى الاسلام هو الذى ينقذنا من مشكلاتنا . ولكن كيف ؟ والى أى مدى ؟ وما هو رأى الاسلام فى المشكلات التى لم يعرفها السلف فى عصور الخلفاء الراشدين ومابعدهم ؟.

وهناك فئة ثالثة تنادى بأن الاسلام يحل كل مشكلاتنا الاجتماعية وان فيه تحقيق مصالح الناس فى كل ما يحتاجون اليه ولا تضيق الشريعة بمصلحة للمجتمع يقر العقلاء والدارسون الشرعيون والاجتماعيون بأنها مصلحة ، وفيه تحقيق العدالة بين الناس ، وفيه تحقيق التطور الاجتماعى الصالح فى المجتمع الانسانى فلا يقف الاسلام فى وجه تطور ما فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية اذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر او العلم وضرورات الحياة .

ان القائمين بأمر المسلمين فى يوغوسلافيا من هذه الفئة ومن رايهم أن العالم اليوم ، ونحن المسلمين خاصة ، فى أشد الحاجة الى الاسلام الذى فهمه ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وعمر بن عبد العزيز وصلاح الدين الايوبى وعبد الله بن المبارك والبخارى وأبو حنيفة ومالك والشافعى وابن تيمية وامثالهم من أئمة الاسلام واعلام الهدى ، وان الشريعة ليست هى النصوص والآراء الفقهية التى وضعت فى عصور متأخرة ، والتى لا يلتئم كثير منها مع مشكلاتنا الحاضرة ولا ينسجم مع روح الشريعة السمحة التى جاءت بالعدل والحق وسعادة الناس فى دنياهم واخراهم ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

فعلى العلماء نبذ التقليد والجمود وفهم الاسلام على حقيقته فهما يتفق مع حاجات عصرنا ، وعلى الحكام تطبيق تعاليم الاسلام فى حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطبيقا علميا .

العلم والعقل فى الإسلام

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

جاء الاسلام بالعقائد المعقولة التى أذعن لها العقل وانقاد لها الفكر ونزلت على حكمها الفطر السليمة فاعتمد القرآن فى اثبات نظرياته الكونية على البراهين العقلية وامتدت ظلاله وامتلأت صفحاته بالدعوة الى العلم والنظر والتأمل فى هذا الكون لمعرفة وجود الخالق تنزهت ذاته وتقدست صفاته عن تخيل الظنون وملاحظ العيون فكانت دعائم الاسلام التى قامت عليها مبادئه القويمة وثبتت بها نبوة صاحب الرسالة وصدقه فى رسالته هى طلب التدبر فى القرآن والتأمل فى معانيه ومعرفة حكمه وأسراره والحث على التفكير فى حال النبى ومنشئه ليعرف الانسان أن اتيان الامى من العرب فى ذلك الزمان بهذا الكتاب الجليل ليس فى طوع البشر وانه من وحى الله تعالى اليه • كذلك دعا القرآن الى العبادات والمعاملات والاخلاق وبين فوائدها وحكمها للبشر وان الله لا يريد اعناتهم فى شىء مما شرعه فامتاز القرآن بالرجوع الى العقل فى كل شىء والتحاكم اليه لمعرفة خطأ الاعمال وصوابها •

ومدح العلم والعلماء وأشاد بفضل رسالتهم حتى لا تكاد تقلب صفحاته الا ويقع بصرك على ذكر العلم ومدحه وتعظيم حملته والدعوة الى استعمال العقل والفهم والنظر فى الوجود وبهذا غرس حب العلم والبحث والتمحيص فى نفوس طلابه فمااستقر بهم الملك الا وانكبوا الدرس والفحص والتفكير والترجمة والتأليف فى كل علم وفن حتى ضاقت الارض بالعلماء الذين طافوا بالكون ووصفوا البلدان ومافيها وتوسعوا فى المكتشفات والمخترعات وفاقوا غيرهم فى المنطق والالهيات والطب والرياضيات والفلك والتاريخ وتقويم البلدان والادب وسائر الفنون وكانت كتبهم اماما يهتدى به فى كل شىء وعنها اخذت اوروبا علومها وكانت تعول عليها فى درسها وتعلمها •

اما المدنية الغربية فقد اتت بمبادىء ينفر منها العقل ويقف امامها حائرا عاجزا عن حل معمياتها فان لم يقبلها بالتسليم والبعد عن التفكير فيها صار بسببها ملحدا كما هو شأن أكثر العلماء فى أوروبا فلم تات الا بما يسد فى وجه العقل كل باب للبحث ولم تعتمد فى اثبات شىء الا على ذكر معجزات أكثرها مما لم يثبته العقل فامتلأت صفحاتها بذكر الشياطين ودخولها وخروجها فى بدن الانسان والحيوان لاضراره واصابته بأنواع الشلل والصرع والجنون الى غير ذلك مما أظهر العلم أنها امراض لا تختلف عن سائر الامراض الاخرى للجسم والاعضاء فى شىء وان عللها التى عرفت او كادت أن تعرف غير ما تقول هذه الكتب • فكان من تأثير تلك العقائد فى نفوس ارباب الديانات الاخرى غير الاسلام انهم ابتدءوا بالجدل فيها فكثرت مذاهبهم وتنوعت آراؤهم واختلفت فيما بين مصدق لها او مكذب فامتلأت النفوس بالاحقاد والتعصب والضغائن ومن أوتى منهم شيئا من القوة اضطهده غيره وعذبه تعذيبا او قتله تقتيلا حتى خضب وجه الارض بالدماء ثم انتهى الامر بأكثرهم أن رضى كل بماعنده من العقائد مذعنا أنها لا تقبل البحث العلمى ولا الدليل العقلى فأوصدت فى وجوههم أبواب العلوم والمعارف اجيالا طويلة وتركوا النظر فيها والاشتغال بها خوفا من تشكيك الناس فى هذه المعتقدات وكان رؤساء الدين واقفين لكل علم او مكتشف جديد بالمرصاد يحاولون أن يخمدوا انفاس كل عالم فهجرت الكتب وخوت دور العلم التى اسسها الرومان وخلت البلاد من العلماء والمفكرين قرونا طويلة كانت فيها أوروبا غارقة فى بحار الجهل والخرافات والاضاليل وفنون الباطل فصاروا فى أودية الاوهام والخزعبلات هائمين •

بينما كان المسلمون فى اعلى درجات العلم واسمى مراتب الحضارة وأقدس طرق المدنية ولقد بلغ من غلو رؤساء الاديان فى الغرب فى الازمان الماضية وتفننهم فى اطفاء نور العلم واخماد جذوة الحرية أن منعوا الناس من مطالعة الكتب المقدسة والنظر فيها ودام الحال على ذلك الى زمن الاصلاح الدينى الذى جاءهم عقب النهضة العلمية التى انبثقت فى البلاد وذلك باحتكاكهم بالمسلمين واختلاطهم بهم فى الاندلس ووقوفهم على علومهم ومعارفهم ودرجات حضارتهم وماهم فيه من الرقى والمدنية •

وكان اختلاطهم بهم فى الحروب الصليبية من العوامل التى ساعدت على ذلك ولو أمكن لهؤلاء ان يقفوا أمام الطبيعة البشرية فيصدونها عما تتطلبه معرفة ماجهلته وتشرئب اليها نفوسها من الوقوف على مالم تعرفه وحاولوا دون انتشار العلم فى اوربا ونجحوا فى مقاومتهم له لبقى الناس الى اليوم فى ظلمات الجهل يعمهون •

ولولا أن شعاعا من نور الاسلام وصل الى اوروبا فأضاء دياجيرها ومحا ظلمة الجهل من ربوعها لبقيت الى اليوم والى ما بعد اليوم ترزح تحت أثقال الجهل ولم تترك عقيدة أو تعليما سارت عليه فى أيامها الاولى •

وفى فجر الاسلام حين كان المسلمون متمسكين بدينهم كانوا سادة الدنيا وملوك الارض بخلاف الاوروبيين فانهم حين كانوا على أصولهم الاولى كانوا فى درجات من الانحطاط لا يحسدون عليها وكلما أصابوا الرقى فى ظواهر الحياة تركوا عقائدهم شيئا فشيئا والاوروبى اذا بلغ درجة الفلسفة فى العلوم الكونية فأول تغيير تراه فيه أن يصير ملحدا •

أما المسلمون فقد وجد بينهم الوف من الفلاسفة الذين تفخر بهم الانسانية وتتيه بمواهبهم البشرية وتسعد بهم الحضارة وكلهم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ثابتون وانظروا اليوم الى عدد العلماء الملحدين فى أوروبا ومن تفننوا فى تعذيب البشرية وأذاقوا اهلها الخراب والدمار ثم ارونى اى ملحد بين فلاسفة الاسلام يجرد قلمه لهدم الفضيلة ورفع صرح الرذيلة على أنقاضها لا وربك انهم يعملون جادين لاسعاد الانسانية ورفع شأنها وما ذلك الا لمرونة تعاليم الاسلام ومسايرة عقائده للعلم والعقل الصحيح •

شركة مصر لتجارة السيارات

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت ... القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيلي

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجارت باجر

مصانع س . أ . ف — دلوكاس — مصانع موتوكوفو بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

• ورشة مرسيدس
١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٢١ - ٧٣٠٢٠
بالقاهرة

• محطة خدمة سيارات نصر
بالقاهرة
١٢ شارع عبد الخالق ثروت ت ٤٩٧١٠

• ورش فولكس فاجن
٥ شارع النيل بإمبابة ت ٢٨٠٠٦٨ - ٨٠٩٨٤٩ - ٨٠
٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة
تليفون ٦٠٤٠٦
٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية
تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES • BENZ

من أعلام الإسلام

القعقاع بن عمرو التميمى ..

الفارس الذى أمد به أبو بكر خالد بن الوليد .. واستنجد به سعد بن أبى وقاص يوم القادسية .

الأستاذ عبد العزيز الإسلامبولى

ثلاثة من أعظم الفرسان فى صدر الاسلام ، خلد تاريخ الفن الحربى ، أسماءهم بمداد من الفخر للعرب والمسلمين انتصاراتهم الرائعة ، على الروم والفرس ، ومع هذا فقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ألا يوليهم قيادة الجيوش ، خشية افتتان الناس بهم ، وانصرافهم الى تقديسهم !

هؤلاء الثلاثة هم : خالد بن الوليد ، والمثنى بن حارثة وقد عزلهما ، وقال فى تعليل ذلك : « انى لم أعزلهما عن ريبة ، ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا اليهما » والثالث : القعقاع بن عمرو التميمى ، وقد أمده به أبو بكر ، حين فرغ من أمر المرتدين باليمامة ، وكلفه بالتوجه الى فارس ، بعد أن مهد طريقها للعرب المثنى بن حارثة ، فطلب خالد أن يمده أبو بكر ، بعد وصوله الى العراق بالمدد القوى ، فامده بالقعقاع بن عمرو التميمى ، وقد شهد اليرموك ، وفتح دمشق ، واكثر وقائع أهل العراق وابلى فيها بلاء تجاوبت بذكره المشارق والمغارب .

ومع هذا فقد قيل لأبى بكر ، رضى الله عنه : « اتمد رجلا قد انفض عنه جنوده برجل ؟ فقال : لايهزم جيش فيهم مثل هذا » . وفى مناسبة أخرى سجلها ابن الأثير فى « كامله » أن أبا بكر رضى الله عنه ، قال « صوت القعقاع فى الجيش خير من الف رجل » .

لذلك لم يكن عجبا ان يقول عمر رضى الله عنه ، بعد وفاة الصديق : « يرحم الله ابا بكر ، هو كان اعلم بالرجال منى » .

ويروى صاحب « الاصابة » أن عمر كتب الى سعد ابن أبى وقاص : « أى فارس كان أفرس فى القادسية ؟ » فكتب اليه : انى لم أر مثل القعقاع بن عمرو ، حمل فى يوم ثلاثين حملة ، فقتل فى كل حملة بطلا » .

ذلكم هو القعقاع الذى انقذ خالد بن الوليد ، من بين براثن الموت ، وهو يحتضن هرمز فى موقعة ذات السلاسل وقد تكتل قواد الفرس عليه يريدون استخلاص هرمز من بين يديه ، فهجم القعقاع عليهم فى شجاعة منقطعة النظير ورمى بنفسه يحمل عليهم بسيفه ، ذات اليمين وذات الشمال ، حتى لاذوا بالفرار .

وهو هو الذى جعل الله فتح دمشق على يديه رديفا لخالد بن الوليد ، بعد حصار دام سبعين يوما ، لقى فيها الفريقان ألوانا شتى من العنت والارهاق والتقتيل والتعذيب ، حتى تمكن خالد والقعقاع من تسور حصن دمشق ، وفتحه عنوة ، وكان أعز مكان فى سور المدينة وامنعه .

ولما غزا خالد الحيرة ، ثم انتهى الى مطاردة الفرس ، لم يجد من هو أحق بالقيام مقامه سوى القعقاع ، وكذلك الشان فى اليرموك فقد أبى الا أن ياخذه معه .

ولما ولى عمر سعد بن أبى وقاص قيادة جيش المسلمين فى العراق ، أمره بالسير الى القادسية ، وقبل أن تبدأ الحرب بين الفريقين ، أرسل سعد الى الذين انتهى اليهم الناس ، والذين انتهت اليهم نجدتهم ومن أحرزوا أصناف الفضل ، سواء أكانوا فرسانا أم شعراء أم خطباء ... وقال لهم : انطلقوا فقوموا فى الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن الباس ، فانكم من العرب بالمكان الذى انتم به وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس فذكروهم وحرضوهم .

وامر سعد ان يزحف الجيش بعد صلاة الظهر ، وتلاقى الجمعان ، وكانت الفيلة التى يتخذها الفرس اداة حماية وتدمير ، أشد مالقى منه المسلمون عنتا وارهاقا ذلك بان خيل المسلمين كانت تراع من منظرها ، ومن ثم تفرق عن الرجالة فيفتك بهم الفرس فتكا ذريعا ، او تقضى عليهم الفيلة باقدامها وخراطيمها وهياكلها الضخمة قضاء مبرما

.. وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا ان سعدا ارسل الى عامر بن عمر التميمى ، أخى القعقاع ، يقول: « يامعشر بنى تميم ، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟ قالوا : بلى ، ثم نادى برجال من قومه رماة ، وآخرين لهم ثقافة ، فقال للرماة : ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل، وقال لأهل الثقافة : استدبروا الفيلة وقطعوا وضنها «أى الدروع المنسوجة حلقتين حلقتين وهى التى يربط بها الصناديق فوق ظهور الفيلة» . ففعل كل فريق ما أمر به ، ووقعت الصناديق عن ظهور الفيلة ، فلم يبق من ركبان الفيلة راكب الا قتل ، ولما أعريت الفيلة عن ركبانها عادت الى مواقفها ، ونفس ذلك العمل الكرب عن المسلمين بعدما قتل منهم خلق كثير ، وكان الظفر فى ذلك اليوم غالبا فى صفوف الفرس .

وفى اليوم الثانى ظهرت طلائع خيل الاسلام قادمة من الشام ، لنجدة سعد بن ابى وقاص ، وعلى رأسها خالد ابن الوليد ، وعلى مقدمتها القعقاع بن عمرو، ومنذ بلغ هذا القادسية بادر بخطة جديدة ، أراد بها ايقاع الرعب فى قلوب الفرس ، فقسم الجيش عشرة أقسام ، ليرد الفرس على المسلمين قسما بعد قسم ، فيعلموا أن المدد متواصل ، فيكون ذلك أدعى الى انكسار نفوسهم،وادخال اليأس على قلوبهم ، ثم قدم هو فى القسم الأول ، ولم يلبث أن باشر القتال فى ذلك اليوم ، وكان قدومه سببا لاستبشار المسلمين ونشاطهم ، حتى كان لم تحدث لهم مصيبة فى امسهم الدابر .

ومؤرخو الفتوحات مجمعون على ان القعقاع كان فارس ذلك اليوم ، وهو يوم أغواث ، وهو اليوم الثانى فى معركة القادسية ، وذكروا أنه حين ورد ساحة الحرب طلب البراز فبرز اليه ذو الحاجب بهمن جاذويه ، وهو صاحب يوم الجسر الذى قتل فيه أبو عبيد ، واعتمد القعقاع بهمن بضربة اتت عليه ، ثم تتابع آخرون وآخرون ، وهو يعمل فيهم سيفه ، وتشجع المسلمون ، واكثروا فيهم القتل ، فاضطر الفرس الى الفرار ، وقد فشلت الفيلة فى مهمتها ، وتهشمت صناديقها ، وصارت عبئا على أصحابها بل عدوا لهم .

وفى ذلك يقول القعقاع ــ ولعله كان يتقلد حينئذ ، ماكان يتقلده وقت الزينة ، وهو سيف « هرقل » ملك الروم ، ويلبس درع « بهرام » ملك الفرس ، اشارة الى انتصاره المؤزر فى حروب فارس والروم :

لم تعرف الخيل العراب سواءنا
عشية أغواث بجنب القوادس
عشية رحنا بالرماح كأنها
على القوم الوان الطيور الرسارس

ومن عجائب الحيل التى صنعها ابناء عم القعقاع ،فى ذلك اليوم ، أنهم حملوا عشرة عشرة من الرجال على ابل قد ألبسوها الجلال « الثياب » والبراقع ، وطافت بهم الخيل ، تحميها فى حملتها على خيول العجم بين الصفين يتشبهون بالفيلة ، فجعلت تلك الابل لاتصمد لقليل ولا كثير الا نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين .. وقد استن بهم الناس فى عملهم فلقى الفرس منها مالقيت خيل المسلمين من الفيلة ، فى اليوم الأول ، وقد استمر القتال الى نصف الليل ، وكان الظفر للمسلمين واضح العزة مشرق الجبين .

ولايفوتنا أن نشير الى ذلكم الموقف الفريد فى نوعه مما لانجد له نظيرا فى العالم القديم والعالم الحديث ذلكم هو موقف ابى محجن الثقفى ، فقد كان محبوسا فى دار سعد بن ابى وقاص ، لاتهامه بالخمر ، فلما كان يوم أغواث ، قال لسلمى زوج سعد : هل لك ان تخلينى وتعيرينى البلقاء ــ وهى فرس سعد ــ فان سلمنى الله فانى ارجع اليك حتى اضع رجلى فى قيدى ، فأبت ، فقال :

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا
واترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت
مصاريع دونى قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركونى واحدا لا اخاليا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت ان لا ازور الحوانيا

فرقت له سلمى واطلقته ، واعطته البلقاء فركبها .. فحمل على الفرس ، وكان يقصف الناس قصفا منكرا ، وتعجب المسلمون منه وهم لايعرفونه ، وكان سعد يقول: لولا محبس ابى محجن ، لقلت أبو محجن وهذه البلقاء، حتى اذا انتصف الليل اقبل ، وأعاد رجليه فى القيد .. ولما علم سعد بامره أطلقه وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله .

«بقية مقال عبد الناصر صانع السلام»

كما ان السياسة الاشتراكية نفسها فرضت علينا سلسلة من التأميمات لتضمن توجيه رأس المال لصالح جموع الشعب ولا يصبح هناك مجال للتلاعب او المضاربة بمصالح الشعب وبالتالى نضمن اقامة مجتمع يؤمن بتشجيع رأس المال غير المستغل . وهذا ما يؤكده الميثاق بالنسبة لقوانين يوليو الاشتراكية فيقول : « ان قوانين يوليو سنة ١٩٦١ بالعمل الاشتراكى العظيم الذى حققته تعد بمثابة أكبر انتصار توصلت اليه قوة الدفع الثورى فى المجال الاقتصادى . ان هذه القوانين ــ امتداد لمقدمات سبقتها ــ كانت جسرا عبرته عملية التحول نحو الاشتراكية بنجاح منقطع النظير »

هذه القوانين وغيرها استهدفت تكافؤ الفرص لأكبر عدد من ابناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد لتضمن للجميع الحياة السعيدة فى ظل مستقبل يسوده الأمل والرفاهية ويوفر ــ فى نفس الوقت ــ تحقيق الحاجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع ويساوى بينهم فى الحصول على هذه الحاجات من مأكل وملبس وتعليم ... ولهذا السبب أيضا تقررت مجانية التعليم فى جميع مراحله لتتاح الفرصة لجميع أبناء الشعب لنيل حظهم من العلم والمعرفة دون ما تفرقة بين غنى وفقير .

نستطيع أن نقول أن اقامة العدالة الاجتماعية كان لابد ان تسبقها ثورة اقتصادية عظيمة شاملة ، وتحول اجتماعى جذرى حققته الدولة باتجاهها السياسة الاشتراكية التى اصبحت شعارا وأساسا لجمهوريتنا ولكثير من الدول العربية والافريقية التى نهجت نفس منهاجنا بعد ذلك.. وكذلك يتضح لنا ان عبد الناصر كما كان رسول سلام بين دول العالم الخارجى باتباعه سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، استطاع أن يحقق السلام الداخلى بين ابناء الشعب الواحد وذلك بتوزيعه العادل للثروة القومية واتاحة فرص العمل المتكافئة امام الجميع ، وبذلك يكون قد ضمن الرخاء للاجيال القادمة فى ظل الكفاية والعدل ، وبذلك أيضا يتحقق ماجاء فى الميثاق ــ دليل عملنا الثورى ــ من أن «الاشتراكية بما فيها من الكفاية والعدل هى طريق الحرية

الأيام	محرم ١٣٨٤	مايو ١٩٦٤	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	١٣	٢٥	٤	٣	٦	٥١	١٢	٢٨	٤	٣٩	٧	٧	٩
الخميس	٢	١٤	٢٤	٤	٢	٦	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٠	٧	٨	٩
الجمعة	٣	١٥	٢٣	٤	١	٦	٥١	١٢	٢٨	٤	٤١	٧	٩	٩
السبت	٤	١٦	٢٢	٤	١	٦	٥١	١٢	٢٨	٤	٤١	٧	٩	٩
الأحد	٥	١٧	٢١	٤	١	٦	٥١	١٢	٢١	٤	٤٢	٧	١٠	٩
الإثنين	٦	١٨	٢٠	٤	٠	٦	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٣	٧	١١	٩
الثلاثاء	٧	١٩	١٩	٤	٥٩	٥	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٣	٧	١٢	٩
الأربعاء	٨	٢٠	١٨	٤	٥٩	٥	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٤	٧	١٣	٩
الخميس	٩	٢١	١٨	٤	٥٨	٥	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٥	٧	١٤	٩
الجمعة	١٠	٢٢	١٧	٤	٥٨	٥	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٥	٧	١٤	٩
السبت	١١	٢٣	١٦	٤	٥٨	٥	٥١	١٢	٢٨	٤	٤٦	٧	١٥	٩
الأحد	١٢	٢٤	١٦	٤	٥٧	٥	٥٢	١٢	٢٨	٤	٤٧	٧	١٦	٩
الإثنين	١٣	٢٥	١٦	٤	٥٧	٥	٥٢	١٢	٢٨	٤	٤٧	٧	١٧	٩
الثلاثاء	١٤	٢٦	١٥	٤	٥٦	٥	٥٢	١٢	٢٨	٤	٤٧	٧	١٧	٩
الأربعاء	١٥	٢٧	١٥	٤	٥٦	٥	٥٢	١٢	٢٨	٤	٤٨	٧	١٨	٩
الخميس	١٦	٢٨	١٤	٤	٥٦	٥	٥٢	١٢	٢٩	٤	٤٩	٧	١٩	٩
الجمعة	١٧	٢٩	١٣	٤	٥٥	٥	٥٢	١٢	٢٩	٤	٤٩	٧	٢٠	٩
السبت	١٨	٣٠	١٣	٤	٥٥	٥	٥٢	١٢	٢٩	٤	٤٩	٧	٢٠	٩
الأحد	١٩	٣١	١٢	٤	٥٤	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥٠	٧	٢٢	٩
الإثنين	٢٠	يونية ١	١٢	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥٠	٧	٢٣	٩
الثلاثاء	٢١	٢	١١	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥١	٧	٢٤	٩
الأربعاء	٢٢	٣	١١	٤	٥٣	٥	٥٢	١٢	٢٩	٤	٥٢	٧	٢٥	٩
الخميس	٢٣	٤	١١	٤	٥٣	٥	٥٢	١٢	٢٩	٤	٥٢	٧	٢٥	٩
الجمعة	٢٤	٥	١٠	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥٣	٧	٢٦	٩
السبت	٢٥	٦	١٠	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥٣	٧	٢٦	٩
الأحد	٢٦	٧	٩	٤	٥٣	٥	٥٣	١٢	٢٩	٤	٥٤	٧	٢٧	٩
الإثنين	٢٧	٨	٩	٤	٥٣	٥	٥٤	١٢	٣٠	٤	٥٤	٧	٢٧	٩
الثلاثاء	٢٨	٩	٨	٤	٥٣	٥	٥٤	١٢	٣٠	٤	٥٥	٧	٢٨	٩
الأربعاء	٢٩	١٠	٨	٤	٥٣	٥	٥٤	١٢	٣٠	٤	٥٥	٧	٢٨	٩

المنظمات النسائية في أندونيسيا

إعداد الآنسة نجاة الزنيرى

كان النشاط النسائى فى أندونيسيا يهدف فى البداية الى تحسين مركز المراة فى الحياة الاجتماعية والزوجية . ومع اشتراك المراة والرجل فى المجالات الاجتماعية والسياسية تكونت الجمعيات النسائية للكفاح من اجل حقوق المراة الاندونيسية .

وكانت المنظمات النسائية تهتم اساسا بالمشاكل التعليمية والاجتماعية وبعد ذلك استطاعت المراة ان تحصل على التاييد الذى مكنها من عقد مؤتمر عام ١٩٢٨ . وتم عقد أول مؤتمر « مؤتمر نساء اندونيسيا » فى (وسط جاوه) فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨ - ومنذ ذلك الوقت اصبح هذا اليوم عيدا للأم فى جميع انحاء البلاد الاندونيسية .

وكان من اهم المشاكل منذ عام ١٩٢٨ حتى قيام الحرب العالمية الثانية هو : موقف المراة فى قانون الزواج . وموقف المراة العاملة . ومحو الامية بين النساء . والحقوق السياسية ... الخ .. كما ايدت المراة تكوين برلمان اندونيسى بالانتخاب بدلا من مجلس الشعب الذى كان يعينه الهولنديون وكان دوره استشاريا بحتا .

وبدأ النساء فى تاكيد حقوقهن عن طريق نشر المقالات فى المجلات والجرائد . وقاست بعضهن السجن لان الحكومة الاستعمارية اعتبرت تحالفهن مع الحركة الوطنية خطرا على وجود الاستعمار . وفى عام ١٩٤٢ ، اصبح هناك عدد كبير من النساء البارزات فى ميادين التدريس والادارة وجميع مناصب الحكومة والمجالات الخاصة .

ثم حدثت نكسة للنشاط النسائى بدخول سلطات الاحتلال اليابانية اندونيسيا حيث جمعت السلطات اليابانية جميع النساء ووزعتهن على المناطق والاقاليم تحت رئاسة زوجات الرؤساء الاستعماريين المحليين للعمل فى خدمة الحرب اليابانية . وكانت هذه المنظمات تقتصر على انتاج الطعام وزراعة القطن ونسجه وادارة المطاعم العامة للجيش وعمل الجوارب للجنود .. وبذا خرجت جميع السيدات المحافظات الى الحقول والاماكن العامة للعمل تحت أوامر العسكريين اليابانيين .

ويمكن أن يقال ان الاحتلال اليابانى كان ذا نتيجة ايجابية واحدة : وهى اقتلاع القوانين والقيم القديمة من أساسها فلم يعد الشعب يهاب النبلاء لان العامة أصبحت لها المكانة الأولى . وحتى فى ذلك الوقت لم يكن التعليم العالى بالنسبة للمرأة ممكنا الا فى كلية الصحة . لان الكليات الاخرى كالحقوق والآداب والزراعة اغلقت أبوابها فى وجه المراة . ولذا اشتغلت كثيرا من الطالبات كمدرسات ومترجمات ومذيعات واثبت بعضهن نجاحا ملحوظا كصحفيات .

الاستقلال وما بعده :

فى ١٧ اغسطس ١٩٤٥ . أعلن الرئيس سوكارنو قيام جمهورية اندونيسيا الحرة المستقلة . ومع اعلان الاستقلال انتعشت منظمات ونوادى المراة وزاد نشاطها فى اندونيسيا وفى ديسمبر ١٩٤٥ عقد مؤتمر للنساء فى « كلاتن » وتبعه آخر فى ١٩٤٦ وفيه تقرر توحيد جميع المنظمات النسائية وكانت نتيجته تكوين « اتحاد نساء اندونيسيا » .

وبعد انضمام عدد ضخم من الرجال للجيش لحماية اندونيسيا كان على النساء احتلال المناصب الادارية فاسهمت نساء اندونيسيا فى تكوين وزارات جديدة باقسامها واصبحت احداهن وزيرة ، فمثلا السيدة «ماريا اولفا سانتو زو» قامت بخدمات جليلة كوزيرة مرتين . الأولى كوزيرة للشئون الاجتماعية . والمرة الثانية كوزيرة

للعمل • ثم مديرة خزانة رئيس الوزراء – والى جانب عملها الرسمى تقوم بدور ايجابى فى المنظمات النسائية فهى رئيسة اتحاد نساء اندونيسيا كما تراس هيئة الرقابة على الافلام

وساعد اتحاد نساء اندونيسيا بعد العمليات الحربيه الهولندية عام ١٩٤٧ على بناء آلاف المساكن للاجئين وجمع الملابس والطعام والادوية لتوزيعها على المحتاجين وحين هتف داعى الجهاد لم تتردد الفتيات فى حمل السلاح والتقدم نحو الجبهة للقتال جنبا الى جنب مع اخوانهم .

وبعد الاعتداء الهولندى ١٩٤٨ عقد اتحاد نساء اندونيسيا مؤتمرا فى وسط جاوه وتم تكوين « ادارة الاتصال » لتسجيل اسماء المنظمات النسائية الاندونيسية فى جميع انحاء اندونيسيا وجمع كل المعلومات عن نشاطها . وفى اواخر ١٩٤٩ انتقلت الحكومة الوطنية الى « جاكارتا » واقامت بها عاصمة جمهورية اندونيسيا .

وفى نوفمبر ١٩٥٠ . اجتمع اتحاد نساء اندونيسيا وادارة الاتصال . وتم تاليف اتحاد وطنى جديد لنساء اندونيسيا يجمع جميع المنظمات النسائية ويعقد مرة كل عامين وينعقد مجلس المؤتمر النسائى كل ثلاثة شهور ولا يسمح بالتصويت فيه الا للمنظمات ذات الفروع وتقوم السكرتارية بتنفيذ قرارات هذا المجلس .

وبرنامج هذا المؤتمر الوطنى يوجز فيما يلى :

النص على أن تشترك المنظمات فى الانتخابات العامة لحث الحكومة على اصدار قانون الزواج الذى يكفل الحماية للنساء والأطفال وانشاء مكتب استشارى للزواج والطلاق ونشر التعليم بين النساء العاملات وتنظيم المراكز الصحية فى المناطق الزراعية وانشاء دور الحضانة اليومية ورعاية الطفل ومراكز الصحة .

كما انشا الاتحاد النسائى « مؤسسة رعاية الطفولة » ومؤسسة اخرى توفر المنح الدراسية للطالبات البارزات لمتابعة الدراسة . ومؤسسة عيد الأم . كما اسهمت فى انشاء بيت للسيدات المسافرات فى الاعمال ويستخدم أيضا فى الأغراض التعليمية الثقافية لرفع مستوى المراة. كما انشىء البنك النسائى التعاونى . وكذا يوجد بند فى القانون ينظم دراسات لتوعية المراة بحقوقها القانونية .

ويبلغ عدد المنظمات النسائية ٤٨ منظمة تقوم كلها بخدمة المراة والمجتمع فى جميع مجالات الخدمة الاجتماعية والنواحى السياسية والاقتصادية وشئون الاسرة .

كما انشات هذه المنظمات مراكز رعاية الامومة والطفولة والجمعيات التعاونية ومجالس الزواج – وتهتم المنظمات النسائية فى اندونيسيا بمشكلة اهمال النساء والاطفال فى حالة اتخاذ الزوج زوجة اخرى . وتطبيق الشريعة الاسلامية فى شئون الزواج والطلاق وذلك لان نسبة المسلمين هناك تزيد عن ٨٠ فى المائة

وتبادر المنظمات النسائية بتزويد نساء القرى بالمعلومات عن حقوقهن وامتيازاتها عن طريق مكاتب الزواج الاستشارية وايجاد المحاميات المتطوعات للدفاع عن المظلومات واعداد دراسات للنساء لتوعيتهن بموقفهن فى القانون وكذا تدريب النساء على أن يكن عضوات فى المجالس الاسلامية .

وقدمت السيدة « سومارى » الى البرلمان احد المشاريع للمناقشة .. وهى عضو فى الحزب الوطنى الاندونيسى و ١٢ اتحادا آخر ، وعضو بالبرلمان وتمثل النساء الديموقراطيات .

وفى عام ١٩٢٨ ، قرر شباب اندونيسيا فى اجتماع عام التمسك بامة واحدة ووطن واحد ولغة واحدة وبذا تحولوا من لغة الملايو الى اللغة الاندونيسية كوسيلة للتخاطب فى حياة ونشاط الشعب الاندونيسى .

وتقدمت المنظمات النسائية فى رسالتها حين اصبحت اللغة الاندونيسية هى اللغة القومية فلم يكن من السهل على زعيمات النساء القيام برسالتهن فى تحرير النساء الاميات فى القرى بلغة الجمهور التى يفهمها الجميع سواء حضروا من جاوه او سومطرة او من اية جزيرة اخرى . واختفت مشكلة تعدد اللغات واصبح من الممكن تنفيذ برامج الخدمة الاجتماعية بسهولة .

المراة الاندونيسية اليوم :

مع انهيار الحاجز الذى كان يمنع تقدم المراة الكفء من العمل ، اصبح من الطبيعى وجود مديرات الاعمال والصحفيات ، والكاتبات ، والرسامات ، والمحاميات والطبيبات والقاضيات والدبلوماسيات وحتى موظفات البوليس . حتى المؤسسات الصغيرة والمحلات العامة والمطاعم اصبحت تديرها النساء . وبرحيل الاستعمار الهولندى كان على الاندونيسيين أن يحتلوا المناصب الشاغرة . وحين طلبت الثورة الوطنية كثيرا من الرجال الاقوياء لتعزيز مناصب الجيش الوطنى الاندونيسى كان على المراة ملء المناصب كخدمة وطنية وضرورة عملية .

وكانت هذه هى الفرصة الذهبية للمراة لتبين قدرتها وتثبت للعالم انها ليست اقل كفاءة من اخواتها فى تحمل المسئوليات والزعامة . كما اتخذت الحكومة أيضا موقفا ايجابيا تقدميا باعلان المساواة فى الأجر بين الرجل والمراة اللذين يقومان بنفس العمل .

كما لم تعتبر الزواج مانعا من التوظف كما اتخذت الاجراءات لمنح ثلاثة أشهر اجازة للأم باجر كامل اثناء فترة الوضع . وارتدت الفتاة الاندونيسية الزى الغربى لسهولة الحركة واقتصر الزى الوطنى على المناسبات الرسمية. واقترحت زعيمات الحركة النسائية اعداد زى جديد يجمع بين البساطة وسهولة الحركة ويصبح زيا قوميا للمراة الاندونيسية العاملة كما يحتفظن بالطابع القومى فى الرقصات الشعبية واقامة الأسواق الخيرية النسائية وجمع التبرعات من اجل الخير .

وتستطيع المراة الاندونيسية المساهمة الايجابية فى ميدان الثقافة دون الحاجة الى الخروج من المنزل فيقمن بترجمة الكتب الأجنبية والكتب المدرسية الى اللغة الاندونيسية « تاليف كتب الأطفال » وفى هذا احرزت الكثير من الشهرة والمال .. وكذا احياء التراث الشعبى والقصصى واساطير الوطنية وكذا الاهتمام بالتراث الادبى الاندونيسى كل ذلك عن طريق تاليف الكتب وترجمتها فى المنزل . وهناك كثيرات من النساء الشهيرات بالكتابة كهواية وابدى الجيل الجديد المهارة فى تاليف المسرحيات والقصص القصيرة والروايات وتاليف الشعر فى مختلف الموضوعات التى تعكس شعور الأمة ومشاكل الشعب .

ومن النساء الشهيرات فى ميدان الادب والفكر « ادا ناسوتيون » قتلت عام ١٩٤٨ . و « سيتى نويرينى » وهى شاعرة .. والسيدة « هيراواتى ريا » وهى مديرة مجلتين وجريدة يومية كما منحت عضوية المجلس الوطنى ثم رفضت لترعى اطفالها وزوجها . وبايجاز تلعب المراة الاندونيسية دورا كبيرا فى مجالات العمل والادب والتعليم

لويس فانسنت هارت الذى أصبح .. رمسيس محمد يوسف

حقيقة لاشك فيها ان الدين قرين الانسان لازمة من لوازمه جماعة وفردا .. فهو الذى يهدى الانسان الى موضع قدميه فى هذا العالم ويبين انه موصول بالوجود كله .

وتحول الانسان من عقيدة الى عقيدة ومن دين الى دين انما هو فى جوهره ايمان بعلاقة جديدة بينه وبين الخلاق جميعا .. اى بينه وبين الحياة او مصدر الحياة .

واذا كنا اليوم نقدم لقرائنا قصة اسلام لويس فانسنت هارت Lauis Veacert Ldart الانجليزى الجنس فانما نسوق حقيقة لتكامل انسانيته ورجوعه الى سليم فطرته وصدق الله العظيم اذ يقول « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

وقد حضر لويس هارت وهو انجليزى الاصل الى الجمهورية العربية المتحدة منذ عدة شهور وهو يشغل منصب مراسل بمكتب الشرق الأوسط للتحقيقات الصحفية .

ولندعه هو يتكلم عن ظروف اسلامه يقول : اذا كان دين من الأديان يصلح للانسان فى كل حالة وفى كل حين .. فذلك هو دين الاسلام الذى يوفر للمؤمن به فى ان واحد حاجات الجسد ومطالب العقل واشواق الروح فى شمول وانسجام يجمع اليه النفوس ويحفظ لها قوة الايمان ويستغنى عن السيف وعن المال فى بث الدعوة كلما تفتحت أبوابها أمام المدعوين اليها بغير عائق عن سلطان الحاكمين والمتسلطين .

فانا كنت ادعى قبل اعتناقى للدين الاسلامى لويس فانسنت هارت واصبحت الآن رمسيس محمد يوسف ولهذه التسمية قصة فهى تتالف من ثلاثة الاسماء الاولى للاشخاص الذين حدثونى مليا عن الاسلام ومبادئه واقنعونى بالحجة والدليل بما لا يقبل الشك ولايتطرق اليه التردد فى فضائل هذا الدين ولذلك حرصت على ان اقتبسه من اسماء هؤلاء الأشخاص الثلاثة لأذكر دائما فضلهم واتحدث ما عشت عن كرمهم ونبل صفاتهم وغزير علمهم وسعة اطلاعهم خصوصا فى الشئون الدينية الاسلامية .

وهنالك شىء آخر كان له اثر كبير فى اسلامى الا وهو انى معجب اشد الاعجاب بالرئيس جمال عبدالناصر الذى تكتمل فيه جميع الصفات الحميدة والاخلاق الكريمة والبطولة الحقة .. وجدت انه يدين بهذا الدين الحنيف فاقبلت على دراسته فاتضح لى أن مبادىء الاسلام تنطبق على العقل السليم والمنطق وانها صالحة للعصور القديمة والحديثة والمستقبلة .

ولقد روى لى أيضا بعض الثقاة من العلماء ما كان يتصف به قادة الاسلام السابقون فى مختلف العصور والأيام من الشجاعة والسماحة والبطولة وروح التضحية فى سبيل نصرة الحق والدين وان احد الشعراء اجمل هذا الوصف فى هذا البيت مخاطبا الرسول صلى الله وسلم :

ودين محمد دين قوى
يدين به رجال أقوياء

كانك والقيامة فى انعقاد
محام فيه يرحمنا القضاء

وكفى ان الرسول عليه الصلاة والسلام شفيع لامته فى يوم الدين .

ويقول هارت ان الاسلام هو ان يكون المرء فى سلام مع نفسه ومع غيره ومع الله أو بمعنى آخر هو الخضوع لمشيئة الله فالله تعالى يقول « يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

فالاسلام هو الدين الانسانى الذى يتحمل كل فرد فيه مسئولية عمله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وهكذا نجد ان الاسلام يدخل الى القلوب فيهبها برد الأمان وسلام الطمانينة وحرية الفكر وقداسة التامل فتشد صاحبها الى حصن التوحيد وركيزة الايمان فيتحصن بكلمة التوحيد .

.. لا اله الا الله محمد رسول الله .

أنت تسأل؟ .. والمفتى يجيب!

فضيلة الشيخ حسن مامون

السؤال الاول

من السيد رمضان علي عمارة ابراهيم محافظة الدقهلية :

يقول السائل : أريد ان اتزوج من فتاة وبعد طول البحث وجدت ان اخى اخ لاخيها فى الرضاعة اى أن اخاها رضع مع اخى من ثدى واحد هو ثدى أمى فهل يصح لى أن اتزوج من هذه الفتاة ؟

الجواب

ان مجرد رضاع اخى الفتاة التى يريد الزواج بها من والدة السائل مع اخيها لا يحرمها عليه رضاعا فيجوز له أن يتزوج منها متى ثبت انه لم يرضع من ام الفتاة وان الفتاة لم ترضع من أمه – مع العلم بان رضاع اخى الفتاة من والدة السائل يحرم على هذا الأخ الزواج من جميع أولادها اذ يعتبر بهذا الرضاع اخا لهم من الرضاعة ويثبت التحريم وفقا لمذهب الامام الحنفى بثبوت الرضاع ولو مرة واحدة قل مقدار اللبن أو كثر ولا يثبت التحريم فى الرضاع فى مذهب الامام الشافعى واحدى روايتين عن الامام أحمد الا بخمس رضعات مشبعات والله أعلم .

السؤال الثانى

من السيد راشد محمد شلش من خربتا بحيرة :

يقول السائل : انه بحكم طبيعة وضع سريرى الذى انام عليه وبحكم ان المكان الذى هو فيه أليق مكان فى الحجرة تكون راسى ى الغرب عند النوم وبعض من يدخلون عندى ينتقدون هذا الوضع ويقولون ان هذا حرام اذ كيف تضع راسك فى الغرب وأنت على قيد الحياة ويقولون ان الحلال أن تضع راسك الى الشرق أو البحرى لأن الشرق مرقد النبى صلى الله عليه وسلم والبحرى مرقد العلماء أما الغرب فمرقد الأموات والقبلى مرقد الجهلاء فما رأيكم فى هذه الأقوال التى هى مثار جدل فى الأرياف ؟

الجواب

اننى لا اعلم سندا صحيحا فى مسالة وضع الراس عند النوم ولذلك لا أستطيع أن أوافق على ما يقوله بعض الناس للسائل من أن وضع راسه الى الغرب او القبلى حرام عند النوم وأغلب الظن أن ما يتعوده الناس فى النوم مسالة خاضعة لارادتهم ولا تتدخل الشريعة فى ذلك ويحسن أن يكون النوم فى الأماكن الصحية وفى الوضع الذى يريح النائم ولا أستطيع القول بصحة قول بعض الناس للسائل الا اذا كان لديهم سند من السنة الصحيحة ولعلهم يرشدون السائل أو يرشدوننا اليه لنطلع عليه ونفيدهم برأينا فيه والله أعلم .

السؤال الثالث

من السيد راشد محمد شلش من خربتا بحيرة :

يقول السائل ان رجلا توفى ولم يترك زوجة ولا ولدا ولا اخا واقرب الناس اليه بنتا أخت وابن عم وأولاد ابناء عم ذكورا وأناثا فما نصيب كل منهم ؟

الجواب

اذا كان ابن العم شقيقا أو لأب استحق فى هذه الحالة كل تركة المتوفى تعصيبا ولا شىء لأولاد أبناء العم الذكور لانهم محجوبون بالعاصب الأقرب منهم وهو ابن العم ولا شىء ايضا لبنتى الاخت ولا لبنات ابناء العم لانهن جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات والله أعلم .

السؤال الرابع

من السيد محمود المفازى :

يقول السائل : ان رجلا تزوج امرأة وانجب منها ولدين ثم مات وتركها فتزوجها أخوه وانجب منها ثلاثة أولاد ثم قام هذا الرجل بزواج أولاد أخيه فى حياة امهم ثم ماتت زوجته أم الأولاد وبعد موتها مات ابنها من زوجها الأسبق تاركا زوجته وبنتا منها وبعد ذلك أراد عمه وزوج امه وأبو اخواته من الرضاعة أن يتزوج زوجته فهل يجوز له ذلك وهل يتعارض هذا الزواج مع قول الله تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم .

الجواب

ان المحرمات بالرضاعة نوعان : النوع الأول نظائره محرمات بالنسب كفروع الانسان وأصوله وفروع أبويه وأجداده وهذا النوع محرم بالرضاع باتفاق العلماء . والنوع الثانى نظائره محرمات بالمصاهرة كزوجة اصله أو فرعه أو أصل زوجته وفرعها وقد اختلف العلماء فى تحريم هذا النوع بالرضاعة فذهب الحنفية الى التحريم فتحرم حليلة الابن رضاعا كما تحرم حليلة الابن نسبا للحديث الذى رواه أحمد والترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب » ولما روته السيدة عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة » رواه الجماعة ولفظ ابن ماجة من النسب فيكون لفظ الحديث عنده « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

وما ذهب اليه الحنفية هو مذهب جمهور الفقهاء ففى كتاب نيل الأوطار للشوكانى فى الجزء السادس ما ياتى وقد وقع الخلاف هل يحرم بالرضاع ما يحرم من الصهار فذهب الأئمة الأربعة الى انه يحرم نظير المصاهرة بالرضاعة فيحرم عليه أم امرأته من الرضاعة وامرأة أبيه من الرضاعة وقد نازعهم فى ذلك ابن تيمية كما حكاه صاحب الهدى وقد جاء فى الجزء الرابع من كتاب البدائع فى بيان المحرمات بالرضاعة ما نصه « وكذا تحرم حليلة ابن الرضاع وابن ابن الرضاع على أبى الرضاع وأبى أبيه وان علاكما فى النسب وتحرم منكوحة أبى الرضاع وأبى ابيه وان علا على ابن الرضاع وابن ابنه وان سفل كما فى النسب : وبناء على ما ذهب اليه الحنفية وغيرهم من الفقهاء لا يحل للرجل المسئول عنه ان يتزوج بزوجة ابنه من الرضاعة ولا يتعارض هذا الرأى مع الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى : « وحلائل أبنائكم الذين من اصلابكم » لانها لا تفيد عدم تحريم الحلائل من الرضاعة ومحترز الأبناء من الأصلاب الأبناء بالتبنى فتحرم حليلة الابن نسبا أو رضاعا ولا تحرم حليلة الابن بالتبنى ويخالف هذا الرأى ابن القيم بناء على أن حليلة الابن حرمت بالمصاهرة والحديث اقتصر فى التحريم على ما حرم بالنسب ويبقى ما حرم بالمصاهرة رضاعا خارجا عن مفهوم الحديث والله أعلم .

مع القراء

يحرره حسين السكري

عزيزى القارىء : اذا أردت أن تكون سعيدا فى دنياك وأخراك فلا تتوان لحظة فى تقديم الخير والمعونة للناس .. فان السعادة الحقيقية التى يحسها المجتمع ويسطرها التاريخ ويخلدها الزمن لا تكون الا فى اسعاد الآخرين .

لغتنا العربية :

السيد / حسن يونس حسن ـ طالب بكلية الآداب جامعة القاهرة

يقول : مهما حاول بعض الناس أن ينالوا من لغتنا العربية بحجة أنها لغة قديمة لاتستطيع أن تجارى التقدم الزاحف فى عصرنا الزاخر بكل جديد وغريب ، فلن يصلوا الى ما أرادوا مهما أعيتهم الحيل ... لأنها لغة القرآن التى يضرب تاريخها الناصع فى أعماق الزمن منذ أبد الدهر ويكفى أنها تنزيل من حكيم حميد .

من وحى الهجرة :

السيد / محمد عبد السلام عطا ـ ناظر مدرسة النصر بالزقازيق

يخلو الى نفسه ليسطر لنا بعض الخلجات الوضاءة فى تاريخ الانسانية .. انه يستلهم شعره من عبير النبوة العطر ونبعها الدافق وهانحن نشير الى بعض أبياته :

يا سارى الليل ليل البيد أخطار
والسير بالليل سر فيه أسرار
ماذا وراءك للدنيا تسجله
والشرك يهذى وجيش الحقد موار
أيترك الله رب الكون يالهفى
وتعبد الشمس والأصنام والنار
أتوأد البنت حيرى فى تساؤلها
ماذا جنيت وما ذنبى وما العار
تبت يد الشرك لامستك عادية
أنت الحبيب من الانوار مختار

عيد القريه :

السيد / سيد احمد الماحى ـ مدرسة دمنهور الثانوية الصناعية

هناك مستقبل باسم ينتظرك فى عالم الشعر ويخيل الى أنك تتطلع اليه فى شوق وأمل .. فلا تبخل على نفسك ببضع لحظات تقضيها بين الكتب والدواوين وبهذا تستطيع أن تصل الى ماتريد .

الدولة المزعومة :

السيد / عبد الله حلمى ـ بالمعاش :

لا ينكر أحد من الناس أن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة وأن اسرائيل دولة مزعومة قامت على الغش والخداع والنفاق وأن تاريخهم ملطخ بالخسة والدناءة والآثام .. ولا يغيب عن الذهن ان الأمة العربية الآن وحدت صفوفها وجمعت كلمتها لتسحقهم سحق الذباب .

فى ظلال الميثاق :

السيد / أحمد عمر هاشم ـ كلية أصول الدين بالجامعه الأزهرية :

لقد استطاع قلمك أن يلمس تلك الجوانب الرائعة من الميثاق الخالد فكان ذلك تعبيرا صادقا عما تجيش به نفسك من تقدير واجلال لذلك الدستور البناء وهاك بعض أبياتك .

فى خطى بعثها بدا براقا
يبعث النور ساطعا ألاقا
وتبدى فى زحفنا المتابى
يغمر الأفق والدنا اشراقا
هو نور .. يبين الحق .. وضاحا
ويهدى الأكوان والآفاقا

بريد التعارف

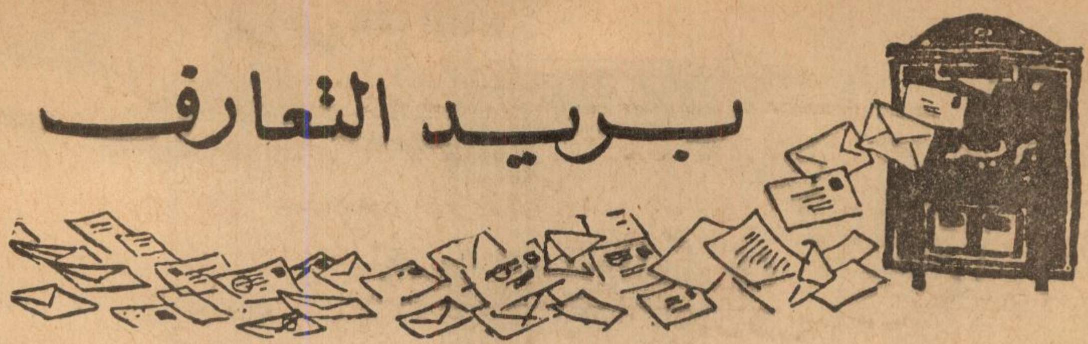

الاسم : محمد شعبان احمد ابراهيم
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب بالثانوية العامة بالمدرسة الخديوية .
الهواية : جمع طوابع البريد وجمع الصور .
العنوان : ش القلعة ـ عطفة القاضى ٤ أرض شريف .

الاسم : على عبده عبده الخميسى .
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٢ سنة
المهنة : موظف بشركة رجوا بالقاهرة
الهواية : تبادل الصور والخطابات .
العنوان : برمبال الجديدة مركز دكرنس دقهلية .

الاسم : صلاح عيد شبير
البلد : خان يونس بفلسطين .
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب ثانوى .
الهواية : الاطلاع والمراسلة وجمع المناظر الطبيعية .
العنوان : خان يونس .قطاع غزة .

الاسم : جاد جاد زينة
البلد : الجمهورية العربية المتحدة .
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب بمعهد سمنود الثانوى الازهرى ..
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : الناصرية ـ سمنود ـ غربية

الاسم : محيى الدين صابر عبد الموجود
البلد : الجمهورية العربية المتحدة .
السن : ٢٣ سنة
المهنة : موظف بوزارة العمل
الهواية : المراسلات وقراءة الكتب الدينية والمجلات
العنوان : ٩ ش الناصرية بالسيدة زينب

الاسم : ابراهيم ميرزا على آل رحمة
البلد : البحرين
السن : ٢٢ سنة
المهنة : طالب
الهواية : جمع الصور والمراسلة والاطلاع
العنوان : دائرة البريد بحكومة البحرين ، المنامة ـ الخليج العربى .

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى ٧

فى مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية — السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ٩

حديث مع السيد عثمان كشريد ١١

فرحة المؤمنين ... ... — فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٣

مهرجان الثقافة والفكرة الاسلامية — اعداد عبد العظيم ملوك ١٧

وجهة الاسلام فى التكافل الاجتماعى — فضيلة الشيخ أحمد هريدى ٣٣

حديث القرآن ... ... — فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٣٦

اشتراكيون مسلمون ... ... — الدكتور احمد الحوفى ٣٩

خواطر مستشار ... ... — المستشار على منصور ٤٢

اديان الهند ... ... — الدكتور أحمد شلبى ٤٥

دعوة الميثاق الوطنى ... ... — الاستاذ حسنى عبد المجيد ٤٧

الخلافة ... ... — الاستاذ البهى الخولى ٥٠

طبيعة السيادة ... ... — الدكتور عزالدين فوده ٥٧

عادات ينكرها الاسلام ... ... — الدكتور / محمد سعاد جلال ٥٩

من اعجاز القرآن ... ... — الدكتور حفنى شرف ٦١

عاشوراء ... ... — الدكتور على عبد الواحد وافى ٦٥

مشارق الاخلاق العظيمة ... ... — الاستاذ عبد الرحيم فرغل البلينى ... ٦٩

بين أستاذ الجيل والاستاذ الامام ... ... — الدكتور عثمان أمين ٧٢

العروبة فى شعر شوقى ... ... — الاستاذ عمر الدسوقى ٧٥

من وحى الهجرة ... ... — الدكتور محمد فاوى عسى ٧٨

الرحلة الناصرية الى اليمن ... ... — الاستاذ عبد العال السيد شعيب ٨١

من وحى السد ... ... — الاستاذ محمد عبد الغنى حسن ٨٤

ولاة الامر ... ... — الدكتور محمد سلام مدكور ٨٦

السد العالى ... ... — الدكتور هلال السيد الحطاب ٨٨

الآثار الاقتصادية للسد العالى ... ... — الدكتور عمر وهبى ٩١

موكب النور ... ... — الاستاذ على الجبملاطى ٩٣

عبد الناصر صانع السلام ... ... — الاستاذ كامل عبد الحميد ٩٥

الاسلام فى معركته الكبرى ... ... — الاستاذ أنور الجندى ٩٧

الاشتراكية فى الاسلام ... ... — الاستاذ محمد علم الدين ١٠٢

الحكمة الطبية ... ... — الدكتور يوسف محمد عيد ١٠٦

الاسلام وطن المغتربين ... ... — الدكتور عفيفى محمود ١٠٨

سيكولوجية الاسلام ... ... — الدكتور محمد صلاح الدين مجاور ... ١٠٩

الاسلام والمساواة ... ... — الاستاذ محمد ابراهيم الجيوشى ١١٣

الاسلام دين السماحة ... ... — الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد ... ١١٥

محرم الحرام ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم ... ١١٧
فى رحاب القرآن الكريم ... الاستاذ عبد العزيز العلى ... ١٢٠
حياة القلقشندى ... الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى ... ١٢٢
الهجرة ... الاستاذ عبد الحميد بلبع ... ١٢٤
من ذكريات الهجرة ... الاستاذ محمد محمد أبو شهبه ... ١٢٨
الهجرة بين الهزيمة والانتصار ... الاستاذ ابراهيم عوضين ... ١٣٠
القرآن والعلم الحديث ... الاستاذ محمود أبو الشفيض المنوفى ... ١٣٦
العام الجديد ... الاستاذ حسن الشيخة ... ١٣٨
قطوف ... الاستاذ على الجندى ... ١٤١
قصة يوسف الصديق ... الاستاذ بهاء الدين القبانى ... ١٤٥
المحرم ... الاستاذ محمد أمين هلال ... ١٤٨
اهداف ثورية ... الاستاذ حسن فتح الباب ... ١٥١
عناصر الحيوية ... الاستاذ عبدالله المشد ... ١٥٤
المواهب العلمية ... الاستاذ عبدالباسط محمد القاضى ... ١٥٧
الروح الانسانى ... الاستاذ محمد شوقى ... ١٥٩
ابن عباس ... الدكتور مصطفى الجوينى ... ١٦١
ندة الشهر ... الاستاذ عبد الرحمن الشربينى ... ١٦٦
روح الاسلام ... الاستاذ منصور حامد نسيم ... ١٦٨
رحلة الهيـة ... الاستاذ أبو الوفا المراغى ... ١٧٠
دور الاسلام فى الاسلام ... الدكتور فؤاد فخر الدين ... ١٧٣
صاح قم حى زعيم العرب (شعر) ... الشاعر العراقى محمد نسيم الدويب ... ١٧٧
تسبيحة فى الربيع (شعر) ... الشاعر عبد الله شمس الدين ... ١٨٠
ايها الشعب (شعر) ... الشاعر موسى جلال احمد موسى ... ١٨٤
القرية الوادعة (شعر) ... الاستاذ محمود البدوى ... ١٨٤
بين يدى امهات المؤمنين ... الاستاذة عائشة حسنى ... ١٨٦
من التراث الاسلامى (فن اسلامى) ... الدكتور حسن الباشا ... ١٨٩
الاسلام فى يوغوسلافيا (تحقيق) ... الحاج سليمان كمورا ... ١٩٢
العلم والعقل فى الاسلام ... الاستاذ محمد سيد جاد الحق ... ١٩٧
من أعلام الاسلام ... الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ... ١٩٩
المراة المسلمة ... اعداد نجاة احمد الزنيرى ... ٢٠١
لماذا اسلمت ... ٢٠٣
المفتى ... فضيلة الشيخ حسن مامون ... ٢٠٤
مع القراء ... الاستاذ حسين السكرى ... ٢٠٥
بريد التعارف ... ٢٠٦

المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

اسطوانات
المصحف
المرتّل
وعددها
٤٤
إسطوانة

مجموعة
إسطوانات
الصلاة
وتحتوى على
٧
إسطوانات
شاملة
الآذان
والوضوء
والصلوات الخمس

٧٦ شارع الجمهورية
ت ٧٢٧٠٨
القاهرة

وترقّبوا..
فى منتصف
كل شهر
عربي..
سلسلتى
منتخبة
كتب إسلامية
و
دراسات في الإسلام
تضمن الحصول
على مكتبة
إسلامية جامعة
بأقلام أساتذة
متخصصين..

يصدرها:
المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية

بمطابع شركة الاعلانات الشرقية